فتحى الجويلى

ذكريات سفير

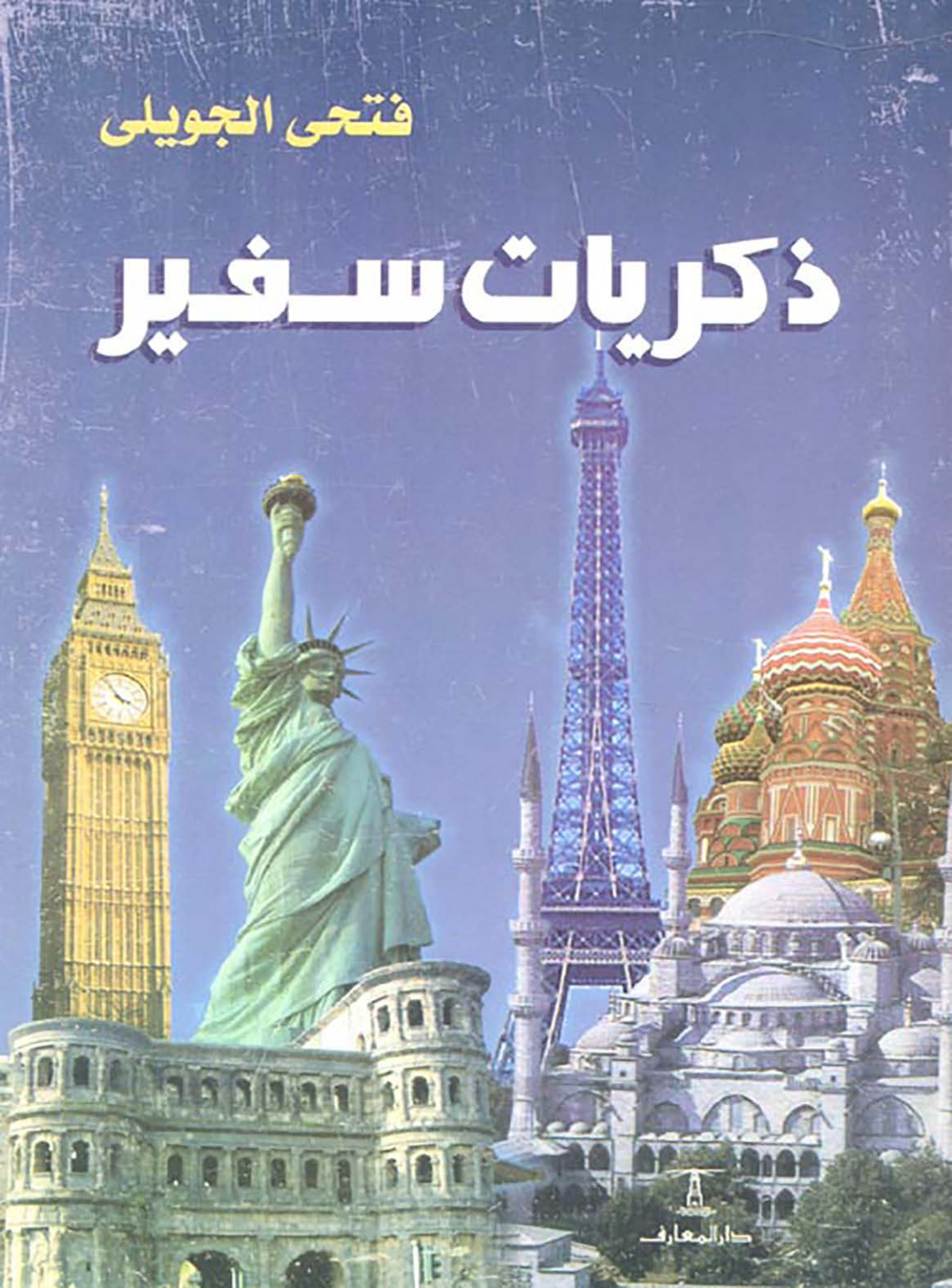

دار المعارف

ذكريات سفير

يرويها

السفير فتحى الجويلى

دار المعارف

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الجويلى ، فتحى .
ذكريات سابحر .
فتحى الجويلى .
القاهرة : دار المعارف ،٢٠٠٨ .
٣٥٢ ص ؛ ٢١ سم .
تدمك ٦ - ٧١٥٥ - ٢ ٠ - ٩٧٧ - ٩٧٨
١- الجويلى ، فتحى - المذكرات
(أ) العنوان

ديوى ٩٢٠

رقم الإيداع ٢٠٠٨ / ٧١٣٥ ١٩ / ٧ / ٢٠٠٧ / ١

تصميم الغلاف : الفنان شريف رضا

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع.
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ – فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

الإهـداء

إلى أهلـى بمدينـة دمنهـور مسـقط رأسـى أهـدى كتابـى هـذا وأعـبر عن خالص تقديـرى للمسـئولين بمحافظة البحـيرة بمناسـبة إطـلاق اسمـى على أحد شـوارع مدينتى الجميلـة دمنهور.. كمـا أهـدى كتابـى إلى دار المعـارف منارة الفكر والتنوير فى الوطن العربى.

فتحى الجويلى

شكر للمؤلف

لقد سعدت دار المعارف بقبول نشر كتاب "ذكريات سفير" الذى قدمه هدية لدار المعارف.

وإذ تنشر دار المعارف هذه الذكريات تأمل أن يجد فيها القارئ العزيز ما يفيده.

دار المعارف

مقدمة

لماذا هذا الكتاب ؟

هذا السؤال كان لابد أن أبدأ به مقدمة كتابى هذا، فالحقيقة التى تفرض نفسها هى أننى قد جاوزت ثلاثة أرباع القرن من الزمن شغلت فيها بقضايا وأفكار وأحداث وآراء وتاريخ ولغات ومواقف تتناسب فى تلك الرحلة الطويلة والمثيرة.

وهنا يثار سؤال: ما علاقة الدبلوماسى بالكتابة؟.. والإجابة هى أنه من المهم معرفة أن الدبلوماسى الناجح عند ممارسته العمل لابد وأن يكون كاتباً ناجحاً ولابد وأن يجيد الاطلاع ويكثر من القراءة ويحسن التعبير بدقة عن أفكاره وآرائه واقتراحاته، مما يستلزم كونه كاتباً مميزًا كى يكون دبلوماسياً ناجحاً.

وكما هو معروف فإن اللغة الدبلوماسية – أيا كانت اللغة المستخدمة – تستدعى دقة اختيار للألفاظ والتعبيرات المستخدمة فى كتابة نصوص الاتفاقيات والمعاهدات والتقارير والبرقيات والمفاوضات فضلاً عن مهارة استخدام دقائق اللغة وأسرارها فى كتابة كل هذه الأوراق، وأبلغ مثل على خطورة دقة اختيار الألفاظ فى اللغة الدبلوماسية ما حدث من جدل حول ما ذكر فى القرار ٢٤٢ عام ١٩٦٧ (وهو أحدث الأمثلة للشعوب العربية) من نص حول انسحاب من (الأراضى المحتلة) أو (أراضٍ محتلة) وما فى التعريف والتنكير من تأثير على المعنى والدلالة والنتائج المترتبة، كل هذا بسب (ال).

كل هذه الاعتبارات كانت محل اهتمامى حين أقدمت على كتابة كتابى لأتناول فيه ذكريات ٧٧ عاماً شملت ٣٤ عاماً فى العمل الدبلوماسى، فضلاً عن ١٧ عاماً فى المعاش تركز اهتمامى فيها على متابعة العلاقات الدولية والمشكلات العالمية خاصة ما يخص منطقة العالم العربى بصفتى مصريا مسلما عربيا دبلوماسيا.

ويتناول كتابى هذا ذكريات الطفولة والصبا والدراسة الجامعية والعمل بالصحافة وشركة شل وأخيرًا العمل الدبلوماسى الذى بدأ منذ عام ١٩٥٦ حتى عام ١٩٩٠ سن

التقاعد، أما الفصل الأخير فقد انصبَّ على فترة المعاش وهي موضوعات متنوعة تعبر عن آراء مختلفة تخص السياسة والعلاقات الدولية ولهذا كان موضوع الكتاب.

ذكريات ٧٧ عاماً (١٩٣٠ - ٢٠٠٧)

وقد عاوننى فى كتابة هذا الكتاب وإعداده للنشر الدكتور محمود حمزة مدرس الأدب العربى بجامعة الإسكندرية وكان من أروع مناقشاتنا فى أثناء العمل فى الكتاب فكرة دمج السياسة بالأدب وكيف تصير السياسة أدباً ويكون الأدب سياسة.

وأخيراً إذا كان كاتب هذا الكتاب سفيراً سابقاً فإن من وزراء الخارجية والسفراء فى بلدنا مصر وكذا دول العالم كثيرون صدرت لهم مؤلفاتهم عن تجربتهم الدبلوماسية.

وقبل أن أختم هذه المقدمة أود أن أذكر أنه استكمالا لذكرياتى هناك موضوعان سيكون لكل منهما كتاب وهما: «كامب ديفيد» و «أم رشراش» إن كان فى العمر بقية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فتحى الجويلى
دمنهور

طفولتى وصباى

شـاءت إرادة الله أن أولد فى ٥ مارس ١٩٣٠ لأكون الطفل الثانى حيث سـبق أن رزق الله والـدى بطفلـة قبل أن أولد بسـنة، وفى هذه الأيام كانت هناك فرحة للزوجـين أن يرزقهما الله بصبى، وهكذا كان مولدى مثار فرح لوالدى وعائلتيهما، عائلـة الجويلى وعائلة الزواوى، وعائلة الجويلـى فى ذلك الوقت كانت فرعا من أسـرة الجويلى المقيمـين فى ريف البحيرة، ولكن جدى وأخـاه انتقلا إلى دمنهور عاصمـة البحـيرة، وامتلـك الاثنان مشـاركةً ١٢٠ فداناً من أراضـى قرية الزاوية المجـاورة لدمنهور وكانت ثروتهمـا من زراعة الأرض وتجـارة محاصيلها، وكان والدى هو آخر أولاد جدى الذى توفى إلى رحمة الله قبل أشهر من تاريخ ميلادى، وقد جاء ذكر عائلة الجويلى فى كتاب «وصف مصر» ضمن القبائل العربية بالبحيرة تحت بنـد العرب فـى ريف مصر وصحراواتهـا. تأليف/ علماء الحملة الفرنسـية – ترجمـة/ زهير الشـايب الجزء الثانى صفحة رقم ٣٩٦: عـرب الجويلى: ولاية البحيرة ولديهم ٥٠٠ – ٦٠٠ فارس.

وأما والدتى فكانت من عائلة الزواوى وهى عائلة مشهورة وترمز إلى ظاهرة الزوايا الدينية التىكانت منتشـرة فـى مراكش ثم انتقلت عبر مصـر إلى الجزيرة العربية (وعلـى الأخص فيما يعرف الآن سـلطنة عمان)، وكان جدى الشـيخ عبد العزيز الزواوى هو حفيد الشـيخ أحمد الزواوى المشـهور فى مدينـة دمنهور وله مقام فى جامـع الزواوى بحى الصاغة، وجدى الزواوى كان يمتهن التجارة فقط وعلى وجه التحديـد بذور النباتات التى يبيعها للفلاحين ولـلاك الأراضى الزراعية، وكانت والدتى ثالثة كريمات جدى ولها أخ وحيد درس فى الأزهر وكان يسـاعد والده فى التجارة، وهكذا انتسـب إلى عائلتين تتسـم بالبعد عن العمل الحكومى (الميرى)، وكان معظم أبنائها من دارسـى الأزهر ويتخذون الزراعة والتجارة مهنة لهم، فيما

عـدا والدى الذى أتيحت له فرصة كـون خاله من عائلة الجوينى وكان على رأس هذه العائلة الشيخ الجوينى الذى كان إماماً للحرم المكى وله مقام فى مسجد بسوق الرخام المتفرع من ميدان باب الخلق بالقاهرة.

ومقـر هـذه العائلة قرية العطف إحدى قرى محافظـة البحيرة القريبة من مركز المحمودية على مقربة من دمنهور، فجدتى لأبى شجعت وتحمست أن تلحق ابنها محمد (والدى المولود ١٩٠٤) بأبناء أخيها فى مشاركتهم فى التعليم المدنى (وليس الأزهرى) حتى حصوله على شهادة البكالوريا وهى شهادة تمنح فرصة التعيين فى وظيفـة حكومية مرموقة كما تؤهل إلى دخول المدارس العليا بالقاهرة فى تخصصات الطب – الهندسة – الحقوق – المعلمين المتاحة آنذاك، الأمر الذى لم يتمكن والدى الاستمرار فيه لعدم موافقة جدى على سفره إلى القاهرة (المدينة الوحيدة التى كانت بها تلك المدارس العليا المتخصصة فى ذلك الزمان).

وهكذا تمكن والدى بشهادة البكالوريا من أن يخرج من العمل الزراعى والتجارى ليلتحق بوظيفة معاون إدارة البريد بدمنهور وهى ثالث مرتبة فى وظائف هذه الإدارة الهامة التى كانت على الترتيب، مدير – وكيل – معاون، وهذا الكادر الإدارى يحكم عمل مجموعة من الموظفين يقال لهم «كاتب – موزع»، ومهمة هذه المجموعة من الموظفين هى تسليم وتسلم البريد عن طريق القطارات التى يوجد بها عربة مخصصة للبريد ويقوم بهـذه المهمة مكاتب فى مبنى كل محطة، وفى عام ١٩٥٠ انتقل والدى إلى وظيفة «بـاش كاتب» رى البحيرة بدمنهور حتى عـام ١٩٦٤ تاريخ بلوغه المعاش وكانت وظيفة «باش كاتب» آنذاك تعادل وظيفة مدير عام الآن.

فى جو هذه العائلة نشـأت حتى وصلت إلى سـن التعليم (السـابعة من عمرى) فالتحقت بمدرسة التعاون الإنسانى الابتدائية وهى مدرسةٍ خاصة أسسها شخصيات عامة فى دمنهور عام ١٩٠٢م – ١٣٢٠هـ، كان شـعارها التعاون الإنسـانى لخير الإنسـان، وقد قامت جمعية التعاون الإنسـانى بعمل لوحـة تذكارية عام ١٩٤٢م – ١٣٦١هـ سـجل عليها أسماء من أسسـوا هذه المدرسة وهم (سيف الدين الكاتب

بك – محمود الحبشى بك – عيسى بك نوار – الحاج أحمد غزال – الحاج محمد نجاتى – الشيخ حسن الحدينى – الشيخ عبد الوهاب القاضى – الشيخ شحاته أبو حسن).

وقد سجلت على هذه اللوحة أبيات شعرية للشاعر أحمد محرم (ابن محافظة البحيرة) تبين دور هؤلاء الرجال العظام فى تأسيس هذه المدرسة حيث يقول

أولئك هم أس هذا البناء فنعم الرجال رجال الهمم
وما العلم إلا حياة البلاد ومجد الشعوب وفخر الأمم

وقد كان ناظر لهذه المدرسة الأستاذ/ أحمد عبد النبى ثم جاء بعده عمر الوكيل ناظرا لهذه المدرسة العريقة التى كانت مصاريف التلميذ فيها أغلى من مصاريف المدرسة الابتدائية الحكومية الوحيدة فى محافظة البحيرة، وذلك بهدف زيادة قبول الطلاب الدارسين حيث لم يكن هناك إلا مدرسة ابتدائية حكومية واحدة لا تستوعب عدد الراغبين فى التعلم آنذاك فى بداية الثلاثينات وبعد أربع سنوات (١٩٣٧ – ١٩٤١) فى هذه المدرسة حصلت على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية عام ١٩٤١، وقد كان الزى الرسمى لطلاب المدارس البدلة الكاملة والطربوش الأحمر بالزر الأسود، وكان سنى آنذاك ١١ سنة وثلاثة شهور وفى هذا العمر أجريت لى عملية جراحية فى عيادة خاصة فى دمنهور يملكها طبيب جراح ماهر ويعمل بمستشفى دمنهور الأميرى الحكومى والتى كان يقال عنه (الداخل فيه مفقود والخارج منه مولود) واستغرقت هذه العملية ما يقرب من شهر فى إجازه الصيف سنة ١٩٤١ وأثناء المدة التى قضيتها فى هذه العيادة الخاصة كان والدى يرسل شابًا ضريرا ليقرأ القرآن كل يوم كما تصادف وجود أحد عمد ريف البحيرة فى هذه العيادة الخاصة وكان من أثرياء القوم وكان من زواره قراء القرآن الكريم فكان صوت القرآن لا ينقطع فى هذه العيادة صباحاً ومساءاً وقد شد انتباهى هذا الصوت القرآنى الدائم فى وقت مبكر من عمرى فكنت طريح الفراش لا يشغلنى إلا سماع القرآن فى غرفتى وغرفة العمدة فساعدت كل هذه الظروف على أن تحتفظ ذاكرتى

بالآيات القرآنية التى كانت تتلى فى وقت لم يكن هناك أية وسيلة أخرى لسماع القرآن فلم يكن هناك راديو ولا إذاعات ولا تسجيلات فى ذلك الوقت.

وبعد العملية الجراحية التحقت فى شهر سبتمبر ١٩٤١ بمدرسة دمنهور الثانوية وكانت هى المدرسة الثانوية الوحيدة فى دمنهور لأبناء البحيرة وأمضيت خمس سنوات دراسية من ٤١ – ١٩٤٦ للحصول على شهادة إتمام الدراسة الثانوية وكانت المناهج الدراسية الثانوية فى ذلك الوقت تهتم اهتماماً بالغا لتدريس علوم اللغة العربية والدين الإسلامى والقرآن الكريم إلى جانب بقية العلوم العلمية والرياضية والأدبية وأذكر أننى حصلت على الشهادة الثانوية وعمرى ١٦ عاماً وثلاثة شهور على وجه التحديد، وكان ذلك بعد اجتياز امتحان الدور الثانى للثانوية العامة من مدرسة العباسية بالإسكندرية، لأن عدد الطلاب الراسبين فى مدرسة دمنهور لم يسمح بعقد امتحان الدور الثانى فى مدينة دمنهور، ورب ضارة نافعة فقد قضيت بذلك شهر رمضان بأكمله فى «حى المرسى أبو العباس» بما فيه من أحاسيس وطقوس دينية لم نكن نعيشها بهذا الشكل فى مدينة دمنهور لاسيما بمسجد الإمام «البوصيرى» والذى كان واحداً من أئمة الدين وكان قعيداً لا يتحرك، ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم فى منامه وطلب منه الدعاء بالقوة الجسمانية والشفاء والحركة فألقى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم بردته التى كان يرتديها (البردة هى العباءة) فقام البوصيرى من نومه شافياً بأذن الله وكتب بعدها قصيدة البردة فى مدح الرسول والقصيدة مكتوبة على جدران مسجد الإمام البوصيرى من الداخل حتى اليوم، وقد أعجب أمير الشعراء أحمد شوقى بهذه القصيدة فكتب قصيدة (نهج البردة) على نفس الوزن وعلى نفس القافية والتى تغنت بها أم كلثوم.

وقد كان لشهر رمضان هذا الذى قضيته فى هذا الجو الدينى تأثير كبير على معالم شخصيتى فى ذلك الوقت وفى تلك السن المبكرة حين حصلت على الشهادة الثانوية.

وبجانب هذا التعليم المدنى (ابتدائى – ثانوى لمدة ٩ سنوات) الذى حرص والدى على أن يلحقنى به لاعتقاده أن هذا النوع من التعليم يختلف عن التعلم الدينى فى

الأزهر الذى كان سائداً بين العائلات الدمنهورية آنذاك وحرص على يُحْضِرَ إلى منزلنا فى عصر كل يوم شيخًا من قارئى القرآن الكريم وكان شابا من عائلة كريمة بدمنهور ضريرا حلو الصوت يتلو آيات الله البينات بعد أن درس فى مدارس خاصة يقال لها مدرسة تحفيظ القرآن (وكان منهج هذه المدرسة يتضمن أيضًا دراسة تفسير الآيات) وكنت حريصًا على سماع الآيات القرآنية فى المنزل عصر كل يوم مع أفراد العائلة ما عدا يوم الجمعة حيث كنت استمع إلى قرآن الجمعة فى المسجد.

وقد شد انتباهى فى هذه السن المبكرة من عمرى (من ٧ – ١٦ عامًا) آيات القرآن الكريم وما جاء بها من معانٍ مقدسة وأسماء الأنبياء والرسل وأسماء الأماكن المختلفة خاصةً بلدى مصر الذى تكرر ذكره فى أكثر من موضع لاسيما فى قصة النبى يوسف – عليه السلام – مع ملك مصر والنبى موسى – عليه السلام – مع فرعون مصر، كما تركز فى ذهنى الآيات التى أظهرت مواقف اليهود من النبى محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء فى القرآن عن المسيح عليه السلام – كل ذلك وغيره من الآيات القرآنية فهمه عقلى فى هذه السن المبكرة على أنه تاريخ أنزله الله فى كتابه المقدس القرآن الكريم.

هذا الاهتمام بالقصص القرآنى لم يكن موجهًا إلى ما يوحى بكره اليهود، والدليل على ذلك أن ثمة تعاوناً تجارياً وماليـاً كان يحدث في ذلك الوقت بين كبار تجار دمنهور وأصحاب محالج القطن الكبيرة – وعائلتى إحداهم –، وبين التجار اليهود فى الإسكندرية فدمنهور فى ذلك الوقت لم تكن تظهر عليها مظاهر المدنية الحديثة وإن كانت تتميز بحى قديم (حى أبو عبد الله، صلاح الدين، أبو الريش ومنطقة القلعة والصاغه) ومنطقة حديثة امتداداً لهذه المنطقة القديمة (شملت ما يعرف بميدان الساعة والمبانى الحكومية الممتده فى طريق دمنهور إسكندرية الزراعى حتى مدرسة دمنهور الثانوية للبنين).

وكانت الميزة الوحيدة لهذه القرية الكبيرة وأقصد دمنهور أنها مقر لعائلات تشتغل بالزراعة والتجارة خاصةً تجارة القطن وما يستتبعها من وجود محالج

ومعاصـر لزيوت بذرة القطن والسمسـم وبذرة الكتان وهكـذا كانت دمنهور مصدرًا لنشـاط زراعى وتجارى له قيمته فى الاقتصاد المصرى، إلا أنه لم يكن بها سـوى مدرستين للتعليم الابتدائى ومدرسة واحدة للتعليم الثانوى للبنين، وبالنسبة للبنات فكانت هناك مدرسة ابتدائية واحدة تتنقل خريجاتها إلى مدرسة الفنون التطريزية لتؤهـل البنـات فى أعمـال إدارة المنزل وتطريز الملابس النسـائية وذلك بديلاً عن الدراسة الثانوية للبنين.

وكانت مظاهر الحياة الثقافية تركز على الأفلام السـينمائية وأهمها دار السينما البلديـة وهـو مبنى فخم على طراز مصغر لمبنى الأوبـرا، وقد تم تجديده فى أوائل الألفية الثالثة ليكون مركزاً للفنون فى دمنهور.

ومن العجائب فى مدينة دمنهور منذ ذلك الحين وحتى الآن أن محطة السـكة الحديد التى يقف عندها القطار السريع القاهرة – الإسكندرية كانت أسفل الهضبة التـى تقع عليها مدينـة دمنهور بعمق حوالى ١٠ أمتار وهـى المدينة الوحيدة التى تتميـز بهذه المحطة التى تقع أسـفل المدينة، إلى جوار ذلـك كان بها حدائق فى القسـم الجديد الذى تم وضع أساسـه ما قبل الثلاثينات والذى أوجد نادى البلدية على مستوى عالٍ للنوادى وكان مصدراً لتجمع ونزهة شباب العائلات حتى يغادروا دمنهور لتكملة تعليمهم بعد الثانوية العامة، وكان معلماً حضارياً اجتماعيا ورياضيا على مسـتوى النوادى الأوروبية ومع الأسـف تم إزالته بأمر أحد المحافظين لتفقد مدينة دمنهور أحد أهم معالمها الحضارية الحديثة.

ومن أهم ميزات مدينة دمنهور أنها على بعد سـتين كيلو متراً من الإسـكندرية وكانـت هذه فرصة لأهـل دمنهور أن يتمتعوا بالحياة و المصايف فى الإسـكندرية ويعودوا للمبيت فى ديارهم ومنازلهم بدمنهور كل يوم حسب عاداتهم.

ونتيجـة ذلك كان هنـاك مفهوم عام فى دمنهور يؤكد أن أحسـن معاملة مالية وتجاريـة وأفضل خبرات اقتصادية هـم اليهود، وكان يقال دائمـاً: إن اليهودى لا يسـتطيع أن يعيش فى دمنهور لأن الدماهرة لا يقلون عنهم شـطارة ولا مهارة،

ولذلك السبب وجدت بعض الشخصيات دمنهورية الأصل فى دمنهور قد مارست الربا خوفاً من دخول الربا اليهودى لمدينة دمنهور.

فى الوقت نفسه كانت المرحلة الثانوية تتسم بإهمال السياسة العالمية، وعدم الاهتمام بها، وأقصد بالسياسة العالمية الأحداث الجارية خارج مصر، فوسائل الإعلام كانت شبه معدومة فى قرية كبيرة مثل دمنهور، فضلاً عن الانشغال بالأحداث الداخلية فى مصر آنذاك، مثل قضية الجلاء والمفاوضات مع بريطانيا ومظاهرات الطلبة، والتى امتدت إلى اتهام الملكية كنظام بالتعاون مع الإنجليز وبفساد الحكم فى مصر، فهذه الأمور طغت على فكر الطلبة فى فترة الدراسة الثانوية فضلاً عن طلبة مدرستى الصناعة والزراعة المتوسطة، حتى وصل الأمر فى مدرسة دمنهور الثانوية إلى تحوير الهتاف لملك مصر فى طابور الصباح من «يعيش فاروق ملك مصر» إلى «معييش فلوس أروح مصر»!، (ويقصد بمصر هنا القاهرة) والإيقاع الموسيقى واحد.

وربما الحدث العالمى الوحيد الذى اهتم به طلبة دمنهور هو وصول قوات هتلر بقيادة روميل إلى العلمين بهدف هزيمة الجيش البريطانى الذى كان يحتل مصر، ما بين عامى ١٩٤٢ - ١٩٤٣ وضرب الإسكندرية، وهاجر بعض أهالى الإسكندرية إلى دمنهور ونقل طلبة جامعة الإسكندرية إلى دمنهور، مما زاد الاهتمام بأحداث الحرب وتفصيلها وما برز خلالها من أحداث الحرب العالمية الثانية، وارتباط كل ذلك بالمشاعر الوطنية السائدة فى مصر فى ذلك الوقت ضد المحتل البريطانى، مما تبلور فى هتافات تقول (إلى الأمام يا روميل) لتحرير مصر من الإنجليز.

لقد تجمع كل ذلك فى شبابى المبكر (من سن ١١ - ١٦ سنة) تمهيداً لانتقالى إلى القاهرة للالتحاق بالمرحلة الجامعية.

فقد انصبت طموحاتى فى تلك الفترة على الالتحاق بالجامعة، والانتقال إلى القاهرة، فالطريق الوحيد للوصول إلى المكانة الاجتماعية المرموقة هو الجامعة، فضلاً عن الحياة فى القاهرة، وما أدراك ما القاهرة؟!.

وأذكـر أنه حتـى عام ١٩٤٦ كان البعد عن الأحداث السياسـية الخارجية فى مصر قد خلق نوعاً من الجهل لدى شـاب مثلى فى هذه السـن وفى دمنهور. فلقد أدركت بعد ذلك أنه كانت هناك أحداث تجرى فى العالم لا نعلم عنها شيئاً. من تلك الأحداث انتهاء الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥)، وإنشـاء منظمة دولية (الأمم المتحـدة) علـى غرار عصبة الأمم، وفى أروقة هـذه المنظمة ظهرت خطوات عملية لتحقيـق ما كان يدور على السـاحة الدولية من فكرة إنشـاء دولة يهودية ظهرت بالفعل دولة باسـم إسرائيل فى فلسطين بعد سنتين فقط من هذا التاريخ (١٩٤٦ – ١٩٤٨) هذا بالإضافة أنه على مستوى الدول العربية تم إنشاء جامعة الدول العربية عام (١٩٤٥) ومقرها القاهرة.

وفى ظل هذا الجهل بالسياسـة العالمية كان كل ما ترسب فى عقلى هو ما لصق فى ذهنى من آيات قرآنية عن بنى إسرائيل واليهود.

وهكذا عشت صباى فى مجتمع مغلق تربطه مبادئ وقواعد صارمة تجعله خاليا من نزق الشباب غير المحسوب وكشباب المدن الكبيرة كالقاهرة والإسكندرية.

ومن أخطر الأحداث التى أثرت فى نفسـى فى مرحلة صباى إلى جانب الآيات القرآنية عن بنى إسـرائيل واليهـود والمعاملات المالية والتجارية بين تجار دمنهور وتجار اليهود فى الإسـكندرية – الاهتمام كشـاب بمظاهر احتفال اليهود السنوى بمولـد سـيدى (أبو حصيرة) الذى يقال: إنه بدأ الاحتفـال به منذ عام (١٩٣٢)، الأمر الذى لفت نظر شاب مثلى، حيث تأتى فى هذا المولد فى الوقت نفسه من كل عام النساء اليهوديات ضمن أفواج الحجاج اليهود كى يحتفلوا بمولد الولى اليهودى (أبو حصيرة)، ويتميز هذا المولد بالرقص والخمور والنسـاء الجميلات الأجنبيات، مما كان يثير شـباب دمنهور، حيث كان يسـمح لهم بالدخول والمشاركة فى المولد آنذاك، وسيكون لموضوع مولد أبو حصيرة ملف خاص فى فترة المعاش.

دمنهورى فى القاهرة (الدراسة الجامعية)

التحقت بالدراسة الجامعية بالقاهرة فى عام ١٩٤٦ حيث غادرت «دمنهور»، وكانت نقطة تحول خطيرة لشاب مراهق لم يكمل السابعة عشرة من عمره، ينتقل فجأة من مجتمع ريفى مغلق وهو دمنهور، تلك القرية الكبيرة الخالية من وسائل الإعلام والاتصالات تقريبا إلا فيما ندر، حيث كان أهلها مشغولين بالنواحى الدينية ثم التجارة والزراعة والوظائف الحكومية المحصورة فى خدمات التعليم والرى والصحة والبريد والشرطة، ينتقل هذا الشاب إلى مجتمع القاهرة بكل ما فيه من انفتاح فكرى وثقافى وسياسى ودينى واقتصادى وتواجد جنسيات وديانات مختلفة، كما أن الطلبة الجامعيين فى ذلك الزمان كان لهم دور سياسى واضح، يقابله سلطة حكومية عنيفة، مع وجود قوات بريطانية مازالت تحتل أجزاء مهمة من القاهرة العاصمة، كما أن الانتقال للقاهرة كان فى فترة ما بعد الانتهاء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥)، حيث ظهرت الشيوعية ذات الجذور الصهيونية، وكان الاتحاد السوفيتى كدولة عظمى فى ذلك الوقت من المنتصرين فى الحرب، كانت الشيوعية السوفيتية التى ظهرت عام ١٩١٧ بهدف القضاء على القيصرية المسيحية الأرثوذكسية الروسية قد وصلت إلى مداها فى التأثير العالمى، وهو ما تجلى فى مجتمع الطلبة الجامعيين فى مصر، فى الوقت الذى كان يقابله نشاط إسلامى خطير هو نشاط جماعة الإخوان المسلمين، امتد تأثيره إلى طبقات الشعب المختلفة.

وبالنسبة لى كان أحد زملائى فى بداية دراستى الجامعية (١٩٤٦) شاباً يهودياً ابن أحد كبار تجار القماش فى الحمزاوى (أشهر سوق تجارة فى حى الأزهر بالقاهرة فى ذلك الوقت)، فضلاً عن شاب مسيحى من حدائق شبرا التى كان إخواننا المسيحيون يتمركزون بها آنذاك، وأصبحت العلاقة الثلاثية بين مسلم ريفى

ومسيحى ويهودى من القاهرة ترجمة واقعية لمسرحية كانت تعرض فى ذلك الزمان على مسرح نجيب الريحانى وهى مسرحية (حسن ومرقص وكوهين)، وكانت هذه الصداقة متعددة الديانات تتناول نقاشاً عن أهم القضايا فى مصر فى ذلك الوقت مثل قضية الشيوعية والإخوان المسلمين ومهاجمة الملكية والاهتمام الوطنى بجلاء القوات البريطانية عن مصر، خاصة وأنه كان بالقاهرة معسكرات بريطانية مركزة فى عمارات سيف الدين بجاردن سيتى وصحراء العباسية والثكنات العسكرية البريطانية على كورنيش النيل بجوار كوبرى قصر النيل وتم إجلاء هذه القوات فى أوائل عام ١٩٤٧ بعد أن انتهت ظروف الحرب العالمية الثانية ٣٩ – ١٩٤٥ وذلك طبقاً لما ورد بشأنها فى الاتفاقية المصرية البريطانية عام ١٩٣٦ والتى تم إلغاؤها عام ١٩٥٠ بقرار من حكومة مصر، وتم ترحيل هذه القوات البريطانية إلى القاعدة البريطانية الرئيسية للشرق الأوسط والتى كانت متمركزة فى منطقة قناة السويس وقيادتها فى مدينة فايد وظلوا بها حتى عام ١٩٥٤ حيث تم توقيع اتفاقية جلاء القوات البريطانية.

وكان نقاشاً هادئاً غير متعصب يسعى لفهم الحقائق السياسية الداخلية دون الدخول فى الأيدلوجيات الدينية والمذهبية بيننا نحن الثلاثة، ولم يكن أحد منا عضوًا فى أى تنظيم يشمل النواحى السياسية، إلا زميلنا المسيحى الذى كان عضواً فى جمعية الشبان المسيحيين، وكانت جمعية ثقافية نذهب إليها نحن الثلاثة لقضاء وقت فراغنا، وهى مثل جمعية الشبان المسلمين التى لا علاقة لها بجماعة الإخوان المسلمين.

وأؤكد أن هذا الحديث عن القضايا الداخلية التى كانت تحدث فى مصر، والتى كانت تشغل عقول الشباب المصرى فى الجامعة آنذاك، أوجدت حاجزاً كبيراً تجاه ما يدور على الصعيدين العربى والعالمى فى تلك الفترة، فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

وفى قلب الانشغال بالأحداث الداخلية لمصر فى الجامعة عام ١٩٤٧ حدثت مفاجأة كبرى، فلأول مرة تنشغل وسائل الإعلام والصحف المصرية بحدث خطير

على الساحة العربية، ذلك الحدث هو قرار الأمم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ برقم ١٨١ بتقسيم فلسطين.

هذا القرار الخاص بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية والصادر عن الأمم المتحدة بتاريخ ١٩٤٧ والذى حدد حدود كل دولة منهما.

ونص على جعل مدينة القدس كياناً منفصلاً خاضعاً لنظام دولى خاص، وتتولى الأمم المتحدة إدارتها، ويعين مجلس وصاية ليقوم بأعمال السلطة الإدارية نيابة عن الأمم المتحدة.

المؤيدون:

الولايات المتحدة الأمريكية، اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية، اتحاد جنوب أفريقيا، أستراليا، إكوادور، أوروغواى، أيسلندا، باراغواى، البرازيل، بلجيكا، بنما، بولندا، بوليفيا، بيرو، تشيكوسلوفاكيا، جمهورية أوكرانيا الاشتراكية السوفيتية، جمهورية بيلوروسيا الاشتراكية السوفيتية، الجمهورية الدومينيكية، الدنيمارك، السويد، غواتيمالا، فرنسا، الفلبيين، فنزويلا، كندا، كوستاريكا لكسمبرج، ليبريا، النرويج، نيكاراغوا، نيوزيلندا، هايتى، هولندا.

المعارضون:

أفغانستان، إيران، باكستان، تركيا، سوريا، العراق، كوبا، لبنان، مصر، المملكة العربية السعودية، الهند، اليمن، اليونان.

الممتنعون:

أثيوبيا، الأرجنتين، السلفادور، شيلى، الصين الوطنية، كولومبيا، المكسيك، المملكة المتحدة، هندوراس، يوغوسلافيا.

فبهذا – ومن وجهة نظرى – قد تم تقسيم فلسطين إلى دولة عربية ودولة عبرية وتقرر أن تكون مدينة القدس كيانا مستقلا يخضع لنظام دولى خاص، وتقرر أن يتولى مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة إدارة القدس.

وكان هذا القرار صدمة لى ولجيلى من الشباب، فلم يكن لدينا أية خلفية عن إرهاصات هذا القرار، وقد اتضح لى مع تقدم السن والاهتمام بهذه القضية وزيادة

القـراءات والاطلاعـات التاريخية أن الأمر يعود إلى جـذور تاريخية تبدأ بنابليون ١٧٨٩م وحملته العسـكرية على مصر والشام (وفلسطين جزء منها)، حيث جاءت أول دعوه لجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود على لسان بونابرت أثناء دعوته ليهود العـالم للتجمع من أجل تحقيق الوطن القومى لليهود على أرض فلسـطين، فحملة بونابرت ١٧٩٨ بدأت كمشـروع يهودى من أجل السيطرة على فلسطين حين وجه نابليون نداءه إلى يهود العالم من فرنسـا، خاصة يهـود (الخزر) وهم قبيلة أوربية كانت وثنية، اكتسـبوا الديانة اليهودية فى منتصف القرن الثامن عشر، ويقال لهم الاشـكنازى، وعاشـوا كقبائل فى ألمانيا، ولكن الثابت أن هؤلاء اليهود لا تربطهم أية علاقة بالعبرانيين أو بنسل بنى إسرائيل، وكان نداء بونابرت لهؤلاء اليهود أن يشـاركوا فى حملته على أرض فلسـطين، ليسيطروا ويقيموا دولة إسرائيل، حيث قال بونابرت فى ندائه ليهود العالم:

كمـا جاء فى نص خطاب نابليون بونابرت الذى نشـر فى «كتاب بروتوكولات حكمـاء صهيون وأصولها التوراتيـة والتلمودية». تأليف د/ أحمد حجازي السـقا والصحفى هشـام خضر وتقديم الدكتور/ على جمعة أستاذ علم أصول الفقه بجامعة الأزهر (ومفتى مصر الحالى).

الناشر/ مكتبة النافذة

ما يلى:

«من نابليون بونابرت القائد الأعلى للقوات المسـلحة للجمهورية الفرنسـية فى إفريقيا وآسيا: إلى ورثة فلسطين الشرعيين!!.

أيها الإسرائيليون، أيها الشعب الفريد، الذى لم تستطع قوى الفتح والطغيان أن تسلبه نسبه ووجوده القومى، وإن كانت قد سلبته أرض الأجداد فقط.

إن مراقبى مصائر الشعوب الواعين المحايدين – وإن لم تكن لهم مقدرة الأنبياء مثل أشـعياء ويوئيل – قد أدركوا ما تنبأ به هؤلاء بإيمانهم الرفيع من أن عبيد الله سيسعون إلى صهيون وهم ينشدون، وسوف تعمهم السعادة حين يستعيدون مملكتهم دون خوف.

انهضوا بقوة أيها المشـــردون فى التيه. إن أمامكم حرباً مهولة يخوضها شعبكم، بعد أن اعتبر أعداؤه أن أرضه التى ورثها عن الأجداد غنيمة تقسـم بينهم حسـب أهوائهم، لابد من نسيان ذلك العار الذى أوقعكم تحت نير العبودية، وذلك الخزى الذى شل إرادتكم لألف سنة. إن الظروف لم تكن تسمح بإعلان مطالبكم أو التعبير عنهـا، بل إن هذه الظروف أرغمتكم بالقسـر على التخلـى عن حقكم، ولهذا فإن فرنسـا تقدم لكم يدها الآن حاملة إرث إسـرائيل، وهى تفعل ذلك فى هذا الوقت بالذات وبالرغم من شواهد اليأس والعجز.

إن الجيش الذى أرسـلتنى العناية الإلهية به ويمشـى بالنصر أمامه وبالعدل قد اختار القدس مقراً لقيادته، وخلال بضعة أيام سـينتقل إلى دمشـق المجاورة التى استهانت طويلاً بمدينة داود وأذلتها.

يا ورثة فلسـطين الشـرعيين إن الأمة الفرنسية التى لا تتاجر بالرجال والأوطان كما فعل غيرها تدعوكم إلى إرثكم بضمانها وتأييدها ضد كل الدخلاء.

انهضـوا وأظهروا أن قوة الطغاة القاهرة لم تخمد شـجاعة أحفاد هؤلاء الأبطال الذين كان تحالفهم الأخوى شـرفاً لاسـبرطة وروما، وأن معاملة العبيد التى طالت ألف سنة لم تفلح فى قتل هذه الشجاعة: سارعوا! إن هذه هى اللحظة المناسبة – التي قد لا تتكرر لآلاف السنين – للمطالبة باستعادة حقوقكم ومكانتكم بين شعوب العالم، تلك الحقوق التى سـلبت منكم لآلاف السـنين وجودكم السياسى كأمة بين الأمـم، وحقكم الطبيعى المطلق فـى عبادة إلهكم يهوه طبقاً لعقيدتكم، وافعلوا ذلك فى العلن وافعلوه إلى الأبد»

(نابليون بونابرت)

ومن مصر توجه نابليون بونابرت إلى عكا ففشـل وانهزم وانسحب إلى مصر، ثم انسحب من مصر بعد أربع سنوات من الغزو وفى خلال هذه السنوات الأربع التى احتلت فيها القوات الفرنسية مصر بقيادة نابليون ومن بعده (كليبر) كبير جنرالاته. وليست أحداث الثورة الفرنسية موضوع كتابى، إلا أننى أسجل ما انطبع فى ذهنى

واستقر فى عقلى عن هذه الحملة وهى أمور تتعلق باعتدائه على قدسية الجامع الأزهر الشريف بخيوله و تقتيل المسلمين فيه وفرض غطاء رأس على مشايخ الأزهر يمثل علم فرنسا ذى الألوان الثلاثة (الأحمر والأزرق والأبيض) وهى كما يفسرها عامة الناس هى نفس ألوان عمامة رجل الأزهر فى زيه الخاص، ومن ناحية أخرى محاولته هدم تمثال أبى الهول بمدافعه القوية التى لم تنل إلا أنف التمثال.

والحسنة الوحيدة للحملة الفرنسية التى يمكن تسجيلها فى كتابى هذا هو بعثة العلماء الفرنسيين التى سجلت أحوال مصر آنذاك فى كتاب عنوانه «وصف مصر» وكذا فضل أحد علماء البعثة الفرنسية العلمية فى فك رموز اللغة الهيروغليفية عن طريق اكتشاف حجر رشيد ذى اللغات الثلاث الهيروغليفية – اليونانية – الهيريطيقية حيث تمكن العالم الفرنسى شامبليون عن طريق هذه اللغات الثلاثة فك رموز اللغة الهيروغليفية، والغريب أن حجر رشيد هذا استولت عليه القوات البريطانية، ولازال محفوظاً فى متحف لندن التاريخى، وقد دعوت شخصياً مدير مكتبة الإسكندرية لاتخاذ الوسائل لاسترداد حجر رشيد من لندن ووضعه فى مكتبة الإسكندرية بمناسبة افتتاحها عالمياً، ولكن للأسف لم يتم هذا وقد احتفلت محافظة البحيرة عام ١٩٩٩ بذكرى مرور ٢٠٠ عام على حجر رشيد (الميناء المشهور بمحافظة البحيرة) ولقد ناديت بتآخى ميناء رشيد بمدينة فيجاك الفرنسية حيث ولد فيها المكتشف شامبليون، وللأسف لم يتم هذا.

وأحب أن أسجل أن فكرة نابليون بعودة اليهود إلى فلسطين عن طريق حملته على مصر والشام تعود فى جذورها إلى الثورة الفرنسية نفسها.

فالمتأمل للمبادئ التى قامت عليها الثورة الفرنسية (الحرية والمساواة والإخاء)، يجدها فى نص البروتوكول (الأول) من بروتوكولات حكماء صهيون، والذى جاء فيه بالنص «كذلك كنا قديماً أول من صاح فى الناس الحرية والمساواة والإخاء (نقلاً عن كتاب الخطر اليهودى – من بروتوكولات حكماء صهيون – والناشر دار الكتاب العربى بيروت – لبنان).

وفـى رأيـى أن هذا النداء الفرنسـى عن طريق بونابرت ليهـود العالم من أجل إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين، متضامناً مع أفكار الثورة الفرنسية قائم على مخطـط صهيونى والذى أوجد لدى يهود أوروبا الحمـاس للتخلص من الاضطهاد الكاثوليكى فى ذلك الوقت ضد اليهود فى مختلف البلاد الأوروبية الكبرى (أسبانيا – بريطانيـا – إيطاليا – ألمانيا – النمسـا)، فقـد أدى هذا الحماس اليهودى فى داخل هذه البلاد الأوروبية إلى بروز فكرة إنشـاء منظمة صهيونية عالمية وصل الأمر بهـا إلى دعوة هرتزل (الأب الروحـى للحركة الصهيونية)، لقيام المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧ فى مدينة بازل السويسـرية أى بعد ٩٩ عاماً من حملة بونابرت على مصر والشام.

وهرتـزل هو أول من فكر فى جمع شـتات اليهود الاشـكنازى من أصل أوربى فـى (دولة)، وفى عام ١٨٩٦ نشـر كتابه (الدولة اليهوديـة)، ليدلل فيه على أن المسألة اليهودية ليست مسألة فرد، بل مسألة شعب، وأن رد الاعتبار لليهود ورفع الاضطهاد الأوروبى عنهم لن يكون إلا بالاعتراف بهم كشـعب متميز له خصائصه المتفـردة، وأن هذا لن يتم إلا بطرح القضية على المسـتوى الـدولى، وقد التقى هذا الفكر مع يهود بريطانيا القوه العظمى بما لديها من رءوس أموال يهودية، وقد تمثل ذلك فى محاولة اسـتقطاب البارون اليهودى البريطانى روتشـيلد لمساندة المشروع، حيث كانت أسرة روتشيلد اليهودية شديدة الثراء وشديدة النفوذ فى الوقت نفسه، كما فكر هرتزل فى أن تكون الدولة اليهودية دولة قومية علمانية تقوم على أسـاس جمـع اليهود كقومية، وقـد كانت نقطة الانطلاق بمؤتمر (بازل) بسويسـرا، ففى ٢٩ أغسطس ١٨٩٧ اجتمع (٢٠٤) شخصيات يهودية بقيادة هرتزل، حيث انتخب هرتزل كأول رئيس للمنظمات الصهيونية العالمية، وأنشئ أول صندوق قومى لليهود، وكذلـك أول صحيفـة يهودية (دى فيليت) أى (العـالم) والتى لاتزال تصدر حتى الآن فى ألمانيا، كما تم الاتفاق على إنشاء وطن قومي للشعب اليهودى فى فلسطين يضمـن القانون العام تأكيداً لحق الشـعب اليهودى فى بعثه قومياً فى بلده، أرض الميعاد، لشعب الله المختار.

ولقد أرخت جريدة الأهرام لهذا الحدث في عددها الصادر فى ١٧ ديسمبر ١٨٩٧، أى بعد انعقاد المؤتمر بعدة أشهر حذرت فيه من الاستيطان الصهيونى فى مدينة القدس، وقد حذرت من الاجتماع الصهيونى فى سويسرا الذى دعا أعضاؤه إلى جمع المال من أغنياء اليهود فى الأرض كلها لشراء أرض فلسطين بهدف العودة إليها وإعادة التوطن اليهودى فيها، كما طالبت جريدة الأهرام الدولة العثمانية ألا تدع رعيتها فى فلسطين بلا سند يستندون إليه إزاء الأجانب المهاجمين لاحتلال قطعة من الخلافة الإسلامية (تدر لبناً وعسلاً) كما قيل عنها فى التاريخ القديم (فلسطين)، وهنا لابد من الإشارة إلى أن الإمبراطورية العثمانية كانت من أحرص الكيانات الإسلامية للحفاظ على كيان فلسطين، لاسيما السلطان عبد الحميد الثانى الذى حارب فكرة وجود اليهود في فلسطين، كما رفض بيع الأرض لهم، وعندما عرضت الحكومة البريطانية على السلطان عبد الحميد الثانى فكرة شراء أراضٍ لليهود فى فلسطين، كان رده موجهاً لسفير بريطانيا فى استنابول: «**إنى لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين، فهى ليست ملك يمينى، بل ملك الأمة الإسلامية، وقد جاهد شعبى فى سبيل هذه الأرض، ورواها بدمائه، فليحتفظ اليهود بملاييهم، وإذا مزقت دولة الخلافة يوماً فإنهم يستطيعون آنذاك بأن يأخذوا فلسطين بلا ثمن؛ أما وأنا حى، فإن عمل المبضع «المشرط» فى بدنى لأهون علىّ من أن أرى فلسطين قد بترت من دولة الخلافة، وهذا أمر لا يكون، إنى لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة**».

السلطان/ عبد الحميد الثانى

استانبول ١٩٠١

بل إن السلطان العثمانى عبد الحميد الثانى أصدر فرماناً ينص على عدم السماح لليهود بالإقامة فى فلسطين أكثر من ثلاثة أشهر، وهنا نذكر أن هرتزل عندما عرض على السلطان عبد الحميد الثانى عن طريق بريطانيا شراء فلسطين كان يريد أن يستغل فرصة الديون التى غرقت فيها الخلافة العثمانية بسبب حروبها الطويلة،

وقـد رأى هرتزل بعد ذلك أن حلم تحقيـق الوطن القومى لليهود يعتمد على أمرين هما: جمع اليهود، وقد تحقق ذلك فى مؤتمر بازل ١٨٩٧، أما الثانى فهو (شركة اليهودى) ويقصد بذلك وجود بنك يهودى تخصص أمواله لتمويل فكرة الاسـتيطان اليهودى فى فلسـطين، ولذا دعا هرتزل إلى إنشـاء البنك وقد تم ذلك بالفعل حين أسس هرتزل (البنك الاستعمارى اليهودى) عام ١٩٠٢، والذى ظل يحمل هذا الاسم حتى تغير إلى (البنك الوطنى الإسرائيلى) ١٩٥٠.

لقد كان هرتزل مدركا حالة الإفلاس المالى التى كانت تعانيها الخلافة العثمانية والديـون التـى تراكمت عليها لمعظـم دول أوربا، وكان هرتزل علـى علم أيضا أن السـلطان قام بتأجـير جزيرة قبرص للملكة فكتوريا ملكـة الإمبراطورية البريطانية مقابل ٩٢ ألف جنيه إسـترلينى وكميات كبيرة من الملح كل عام، وتزامن ذلك مع ظهـور اتفاقيه (سـايكس – بيكو)، وقد جرى الاتفاق بين بريطانيا وفرنسـا حول مسـتقبل المنطقة العربية فى حالة انتهاء الحرب العالمية بانتصار الحلفاء (بريطانيا وفرنسا) على الخلافة العثمانية التى كانت حليفة ألمانيا، وكانت الولايات العربية آنذاك تابعة للخلافة العثمانية، واتفقت بريطانيا وفرنسا آنذاك أن يقوم (سايكس) مندوبـا عن بريطانيا و (بيكو) مندوبا عن فرنسـا بوضع تصور لتقسـيم المنطقة فى حالة فوز الحلفاء فى الحرب ضد الخلافة العثمانية ووضع (سايكس – بيكو) وزيرا خارجية بريطانيا وفرنسا تصوراً سرياً لتقسيم الغنيمة العثمانية بعد الحرب، وسافر المندوبان البريطانى والفرنسى سراً إلى (روسيا) فى مارس ١٩١٦ وعقدا اجتماعاً سرياً مع وزير خارجية القيصر الروسـى، وتم الاتفاق بين الثلاثة (البريطانى والفرنسـى والروسى) علي أن يكون من نصيب روسيا «البحر الأسود» وبعض الأجزاء من آسيا الصغرى، وعلى أن تكون منطقة الشام (سوريا ولبنان) من نصيب فرنسا، وأن تكون منطقه العراق وشـرق نهر الأردن وفلسطين من نصيب بريطانيا، وزيادة فى التعمية والتضليـل تم التوقيع علـى الاتفاقية التى عرفت باتفاقية (سـايكس – بيكو) فى القنصلية الروسـية فى مدينة الإسكندرية بمصر التى كانت تحت احتلال بريطانيا

منذ عام ١٨٨٢، ولم تشترك أمريكا فى الاتفاقية تطبيقا للمبدأ الأمريكى (مونرو) وهو عدم التدخل فى شئون أوربا، ولم يحدث التدخل الأمريكى إلا عام ١٩١٧ عن طريق الضغط من اللوبى فى أمريكا اليهودى لاستكمال حلقة الوعد البريطانى بإنشاء وطن قومى لليهود.

ففى العام نفسه (١٩١٧) الذى قد تم الكشف عن هذه الاتفاقية السرية فى أكتوبر ١٩١٧، وكان رد فعل بريطانيا لإحداث الارتباك فى المنطقة أن أعلن آرثر بلفور وزير خارجية بريطانيا فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ تصريحه «وعده» لليهود وللحركة الصهيونية العالمية بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين هذا نصه:

وزارة الخارجية البريطانية

فى الثانى من نوفمبر ١٩١٧

عزيزى اللورد روتشلد

يسرنى جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته، التصريح التالي الذى ينطوى على العطف على أمانى اليهود والصهيونية، وقد عرض على الوزارة وأقرته:

إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً انه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى»

وسأكون ممتناً إذا أحطتم الاتحاد الصهيونى علماً بهذا التصريح.

المخلص / أرثر بلفور

وهنا تلاقت صراحة أهداف بريطانيا كقوة عظمى لإيجاد دوله لليهود فى فلسطين لتحمى مصالحها فى قناة السويس طريقها إلى الهند، وفى الوقت نفسه تتخلص بريطانيا وأوربا من مشكلة اليهود بإيجاد ما يشغلهم فى دولتهم الجديدة.

ولعل من أشهر الشخصيات التى كان لها دور أساسى فى صدور تصريح «وعد» بلفور وإنشاء وطن قومى لليهود شخصية حاييم وايزمان، حيث حصل على تصريح «وعد» بلفور الشهير مكافأه له على مساعدة بريطانيا فى صناعه البارود والأسيتون

اللازمين للصناعات الحربية فى أيام الحرب العالمية الأولى، والتى كان لها الفضل فى انتصار بريطانيا والحلفاء على ألمانيا والخلافة العثمانية.

هكذا كان تصريح «وعد» بلفور الصادر من وزير خارجية بريطانيا، أكبر قوة فى العالم آنذاك أو (الإمبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس)، أصبح هذا التصريح السند الرسمى والدولى للمؤتمر الصهيونى الأول بعد مرور عشرين عاماً على عقده فى بازل، وهذا الحدث يفسر أن خلق وطن قومى لليهود فى فلسطين ليصبح فيما بعد دولة إسرائيل كان بفعل القوى الإمبريالية العالمية وعلى رأسها بريطانيا للتخلص من اليهود بصفتهم مثار قلق لأوربا، وفى الوقت نفسه يكون خلق دولة يهودية فى قلب العالم العربى والإسلامى تهديداً لأى صحوة إسلامية عربية.

وقد بدأ التطبيق العملى للدور البريطانى فى خلق دولة إسرائيل بدخول الجنرال (اللنبى) قائد الجيش البريطانى القدس فى ٩ ديسمبر عام ١٩١٧، وعند دخول اللنبى القدس قال جملته الشهيرة « ها قد عدنا يا صلاح الدين، فانتقلت القدس وفلسطين منذ ذلك التاريخ إلى يد البريطانيين، واستمر الاحتلال البريطانى فى فلسطين حتى انتهت الحرب بهزيمة الخلافة العثمانية (رجل أوربا المريض).

كما كان من نتائج انتهاء الحرب العالمية الأولى أن ظهر للوجود هيئة دولية تحت اسم (عصبة الأمم) نتيجة لعقد مؤتمر الصلح، وكان من أوائل القرارات التى اتخذتها عصبة الأمم جعل فلسطين تحت الانتداب البريطانى بضغط من اليهود، هكذا أخذ الاحتلال البريطانى لفلسطين الشرعية الدولية بعد صدور قرار عصبة الأمم لجعل فلسطين تحت الانتداب، تغير الوضع القانونى للقوات البريطانية فى فلسطين من دولة محتلة إلى دولة لها حق الانتداب فى الأراضى الفلسطينية، وبدأت بريطانيا الدولة المنتدبة فى تنفيذ تصريح «وعد» بلفور بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، وذلك عن طريق تشجيع واستقبال الهجرات اليهودية من أوروبا، لتقيم وطناً قومياً ليهود أوروبا فى فلسطين، حتى سلمتها فى ١٤ مايو ١٩٤٨ للعصابات الصهيونية التى أعلنت دولة إسرائيل فى١٥ مايو ١٩٤٨.

وعلى الجانب الفلسطيني كان طبيعياً أن يقابل هذا الاستيطان اليهودى بأيدٍ بريطانية، رد فعل فلسطيني أمام هذا التطور المذهل المفاجئ، فكلما شعر الفلسطينيون بزيادة تدفق اليهود، فقدوا الأمل فى نيل استقلالهم الوطنى.

ووصلت المقاومة ذروتها عام ١٩٣٦ فيما عرف بالثورة الفلسطينية الكبرى، ولذلك ازدادت المقاومة الفلسطينية نتيجة زيادة أعداد هجرة اليهود من أوربا.

وأوقد شرارة هذه المقاومة نزاع على حائط بين اليهود والفلسطينيين، فيما عرف بانتفاضة البراق، حيث حاولت الصهيونية سرقة حائط البراق بالمسجد الأقصى بدعوى أنه حائط المبكى أو جزء من هيكل سليمان إلا أن اللجنة الدولية فى القدس بعد أن استمعت لممثلى العرب واليهود، واطلعت على الوثائق. قررت فى ١ ديسمبر عام ١٩٣٠ بالإجماع أن الحائط الغربى للمسجد الأقصى هو حائط البراق وليس حائط المبكى كما يدعى اليهود، وأن هذا الحائط ملك المسلمين.

وبعد صدور قرار تقسيم فلسطين في نوفمبر عام ١٩٤٧ هبت الشعوب العربية باندفاع – كعادتها – للاحتجاج على هذا التقسيم وأعرب الشعب المصرى عن رفضه فى شكل مظاهرات اجتاحت شوارع القاهرة، وطافت بمقار السفارات والمؤسسات الغربية ورجمتها بالحجارة، واحتشد رجال الدين الإسلامى والمسيحى فى الأزهر على غرار ثورة ١٩١٩، ووصف المصريون هذا القرار بأنه قرار جائر وظالم، وأن قيام دولة يهودية يهدد مصر بالذات، وطالب الشعب المصرى الحكومة ورئيس الوزراء بمعالجة الموقف بالبت السريع وليس بالحيرة والارتجال، على اعتبار أن إسرائيل مسدس مصوب إلى قلب مصر، وفتحت بعض الجامعات والأحزاب معسكرات لتدريب المتطوعين على حرب العصابات، واعترضت الحكومة على تسليح الجامعات والأحزاب حتى لا يتحول التدريب إلى تشكيل ميليشيات تشكل خطراً على الأمن السياسى المصرى الداخلى، مما جعل الجميع يتساءل عن حالة الجيش المصرى وما يعانيه آنذاك من نقص فادح.

كل هذا يحدث ومجتمع الجامعة فى مصر مشغول بمشكلة الجلاء البريطانى والحكم والملكية، وزاد عليه حدث تقسيم فلسطين والانتداب البريطانى والهجرة

اليهودية، مما خلق رد فعل شعبى وصل لدرجة عمل المتطوعين أو الفدائيين، حيث إن الحكومة المصرية عجزت عن اتخاذ قرار بدخول الجيش المصرى لوجود الجيش البريطانى فى مصر وفلسطين، ولم يتحقق دخول الجيش المصرى إلا بعد إعلان قيام دولة إسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨ وانتهاء الانتداب البريطانى وانسحاب الجيش البريطانى من فلسطين مما دفع الحكومة المصرية والحكومات العربية الأخرى لدخول جيوشها النظامية فيما عرف بحرب فلسطين، وهنا بدأت المواجهة بين الجيش المصرى والجيش الإسرائيلى، ولا أود أن أدخل فى تفاصيل هذه الحرب والهدنة التى تم الاتفاق عليها والأراضى التى اكتسبتها إسرائيل زيادة عن قرار التقسيم، الأمر الذى أدى إلى احتلال مثلث أم رشراش المصرية على خليج العقبة وإنشاء ميناء إيلات الإسرائيلى ولهذا الموضوع كتاب خاص به.

ولم يكن غريباً بعد ذلك أن تنضم إسرائيل لعضوية الأمم المتحدة فى ١١ مايو عام ١٩٤٩.

وقد أشارت ديباجة قرار قبول إسرائيل فى عضوية الأمم المتحدة بشكل محدد إلى تعهدات إسرائيل بتنفيذ القرارين ١٨١ و ١٩٤، وهما القراران اللذان شكلا صلب قضية فلسطين فى الأمم المتحدة.

ثم كانت ثالثة الأثافى عندما هزمت الجيوش العربية فى حرب ١٩٤٨، ووقعت اتفاقيات الهدنة بين إسرائيل عام ١٩٤٩ وكافة الدول العربية المجاورة لها، وكان هذا الحدث أكبر دليل على ضعف الدول العربية، وأبرز قوة إسرائيل آنذاك دون الدخول فى تفاصيل كيف هزمت الجيوش العربية وتداعيات الهزيمة، ودون الدخول فى قانونية اتفاقيات الهدنة باعتبارها أول خطوة للاعتراف بإسرائيل كدولة، الأمر الذى تم بعد ذلك رسمياً فى سنوات لاحقة بدأت باتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩ كما سيأتى ذكره فى كتاب خاص به مستقبلاً.

فكل هذه المواقف ليست موضوع كتابى هذا، وتحتاج إلى كتب منفردة تكون قادرة على تأريخ هذه الفترة الخطيرة فى تاريخ القضية الفلسطينية، كل هذا كان

يدور فى نقاشنا نحن الأصدقاء الثلاثة (المسلم – اليهودى – المسيحى) وكنا لازلنا فى المرحلة الدراسية، ولم يرد على خاطرى ولا على خاطر صديقى المسيحى وجود أى تعاطف أو رفض من صديقنا اليهودى لما يحدث فى فلسطين، حيث كان يشاركنا فى خطورة هذه الأحداث، وأمله فى نجاح القوات العربية فى مهمة تحرير فلسطين.

لكن الأحداث قد تطورت حتى وصلت كما ذكرنا إلى إعلان دولة إسرائيل وهزيمة الجيوش العربية، لكن ذلك أيضاً لم يغير فى علاقتنا ولم يظهر صديقنا اليهودى أى موقف خاص، حتى انتهت المرحلة الجامعية (١٩٤٦ – ١٩٥٠) حيث كانت الأمور استقرت بوجود دوله إسرائيل وبقاء الجزء الفلسطينى (الضفة الغربية) التى انضمت إلى مملكة الأردن والجزء الفلسطينى الثانى (غزة) تحت حكم مصر. وفى يونيو ١٩٥٠ ظهرت نتيجة التخرج ونجحنا نحن الثلاثة، وقررنا الاحتفال بالنجاح، كان احتفالى احتفال المسلم الأعزب المقيم وحده فى القاهرة، احتفالاً بسيطاً فى إحدى المطاعم المشهورة بالعاصمة، أما فى بيت صديقى المسيحى فكان احتفالا عائليا يتسم بالروح المصرية الصميمة ضم الأهل والأصدقاء، أما صديقنا اليهودى فكانت حفلة ضمت الكثير من أقاربه بشكل مبالغ فيه بالنسبة لاحتفال الأصدقاء بالنجاح، وقبل انتهاء الحفل فوجئت بأن الصديق اليهودى يودعنا لأنه سيرحل عن مصر فى اليوم التالى متجها إلى فرنسا ومنها إلى إسرائيل فى سفر نهائى، حيث يسبق بقية عائلته حتى ينهوا أعمالهم فى مصر، ثم يسافرون إلى إسرائيل، وهنا أصابتنا الدهشة بهذا الأمر، وشعرت بمدى خطورته، حيث دخلت دولة إسرائيل فى أعماق مصرى يهودى وليس يهوديًا يعيش فى مصر، ما كان يخطر على بال أخويه المصريين المسلم والمسيحى أنه سيغادر الوطن الذى ولد فيه من أسرة مصرية تمتد فى جذورها إلى أمد بعيد، وتربى وتعلم فى مدارسها وجامعاتها، مهاجراً إلى بلد تحكمها عصابات صهيونية مسلحة اغتصبت أرض شعب آخر بدون وجه حق.

لقد خدعنا إذن بعد أربع سنوات من الصداقة من شخص يهودى كنت أنظر إليه كمصرى قبل أن أنظر إليه كيهودى، دون النظر إلى عقيدته، وتلك كانت صدمة كبرى لم ولن تنسى أبداً، ودار سؤال فى ذهنى وهو: كيف ينقلب مواطن مصرى يهودى فى لحظه ما إلى مواطن إسرائيلى!؟، وكيف يتنازل هذا الصديق أو الذى كان صديقا عن مصريته فى لحظة؟، وهل اليهودية دين أو جنسية، ثم من هو اليهودى؟ كل هذه المشاعر انتابتنى وأنا فى دهشتى وانظر إليه بنظرة فيها كل الدهشة والتعجب وأخذت بيد صديقى المسيحى، وغادرنا منزل الصديق الثالث الذى كان يخفى عنا ما صدمنا.

وهنا أقول: إنه منذ وجدت دولة إسرائيل على أرض فلسطين بحجة أنها أرض الميعاد «لشعب الله المختار» وهناك على الساحة الدينية والسياسية خلاف كبير وصراع وحروب وفتن لا أول لها ولا آخر ومستمرة وتستمر.

وامتد هذا الخلاف إلى تعدد المسميات لأصحاب هذا الوعد الإلهى وعمن هم شعب الله المختار؟ هل هم العبرانيون منذ أيام النبى إبراهيم؟ أو هم بنو إسرائيل؟ أى: أبناء النبى يعقوب الإثنا عشر؟ أو هم اليهود؟ هل هم اتباع النبى موسى بعد نزول التوراة أو هم الصهاينة؟ الذين جعلوا من الديانة اليهودية المعاصرة حركة عنصرية سياسية تطلب الأرض والدولة وذلك عن طريق الحرب واغتصاب أرض وشعب فلسطين.

وهكذا وتحت هذه المظلة متعددة الألوان يثور الجدل فى كل بقاع الأرض فى المحافل الدولية وفى الأروقة السياسية والدبلوماسية وفى المعابد والكنائس والمساجد، كما انشغلت بهذا الجدل وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية واصطبغت هذه الألوان باللون الأحمر القانى لون الدماء.

يعود إلى ذاكرتى دائماً هذا الجدل الذى استقر فى وجدانى، بل ينتابنى الفزع من جراء هذا الجدل فى مستقبل السنين القليلة القادمة أن يتعمق وأن ينتشر بحيث يمكن أن يؤدى إلى صراع دينى يشمل البشر جميعاً فى كافة أنحاء المعمورة، ولا يعلم إلا الله وحده ما ستكون عليه الحياة!!.

وتعود بى الذاكرة إلى يوم الجمعة، وأثناء الصلاة فى مسجد بالإسكندرية بنادى سبورتنج، فوجئت بإمام المسجد يتناول فى خطبة الجمعة قصة ثلاثة من أولياء الله الصالحين من بنى إسرائيل راوياً قصة «الذين دخلوا مغارة فانغلقت عليهم بحجارة كبيرة لم يستطيعوا أن يزحزحوها بقوتهم الجسمانية فبدأوا يدعون الله أن يفتح عليهم باب المغارة وتوسل كل منهم فى دعائه بعمل صالح له ابتغاء وجه الله، وبعد أن انتهى الثلاثة من دعائهم كانت الحجارة قد تحركت على مراحل لتسمح بالفتحة يخرج منها الأربعة الواحد تلو الآخر» وبعد نهاية هذه القصة طالب أمام المسجد المصلين أن يقتدوا بهؤلاء الصالحين من بنى إسرائيل.

بعد انتهاء الصلاة سألت الكثير من المصلين عمن هم بنو إسرائيل؟ فكانت إجابتهم ومعظمهم من الشباب أن بنى إسرائيل من دولة إسرائيل.

وبهذا المعنى يكون الإسرائيليون وهم رعايا دولة إسرائيل من أولياء الله الصالحين وفى هذا ما فيه من خلط وعدم فهم وإدراك لحقيقة العلاقة بين بنى إسرائيل «وهم أولاد النبى يعقوب» وبين الإسرائيليين وهم مجموعة متفرقة من اليهود من مختلف الجنسيات فى العالم، سواء من أوربا بأجناسها المختلفة أو من البلاد العربية، أو من البلاد الإفريقية كالحبشة، جمعتهم الديانة اليهودية، أى إن الإسرائيليين «شعب دولة إسرائيل» هم خليط من الأجناس والشعوب المختلفة اجتمعوا فى شكل دولة أنشئت بقرار من الأمم المتحدة نتيجة ظروف سياسية عالمية، وتحت ادعاء دينى تعصبى، وأطلق على هذه الدولة اسم إسرائيل وهذا لفظ صفة وليس اسم علم ولفظ الصفة (إسرائيل) أطلقه الله على النبى يعقوب كما هو معلوم من آيات القرآن، وكما جاء فى سفر التكوين من العهد القديم الفصل ٣٧ الفقرة ٢٨ ونصها «قال أى الرب: لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد بل إسرائيل».

وعلى هذا فإن قصة إمام المسجد عن الثلاثة من بنى إسرائيل من أولياء الله الصالحين لا علاقة لها إطلاقا بشعب دولة إسرائيل ويطلق عليهم حسب القانون الدولى الإسرائيليون، وهم أبعد ما يكونون عن أولياء الله الصالحين.

وهذا يعود بذاكرتى إلى مشكلة خطيرة تؤرق العالم كله، وهذه المشكلة هى: هل دولة إسرائيل التى أوجدتها الأمم المتحدة بقرار اتخذته عشرات الدول بأغلبية بسيطة من مجموع دول العالم آنذاك أى عام ١٩٤٨ - هل هذه الدولة هى فقط لليهود؟ أو أن سكان هذه الدولة يمكن أن يكونوا من ديانات أخرى؟ وهنا تبرز خطورة ما تطالب به الصهيونية العالمية حتى الآن والتى تستند إلى دعواهم الدينية (الباطلة!!!) على أن اليهود هم شعب الله المختار، وإن إسرائيل دولة يهودية يعيش فيها كل يهود العالم. وبناء على هذا المنطق تقوم إسرائيل بطرد وإبعاد كل من ليس يهودياً من الأرض التى حصلت عليها بقرار التقسيم عام ١٩٤٧، ومن الأرض التى حصلت عليها باحتلال بقية فلسطين عام ١٩٦٧، والصهيونية العالمية بذلك تعيد للحياة نظرية عدم اعترافهم بـ «عيسى ابن مريم عليه السلام» وبـ «محمد (صلى الله عليه وسلم)» وهذا فى حد ذاته أمر له خطورته على مستقبل العلاقات الدولية التى تتأثر ولا شك بالأديان.

فضلاً عن أن الفرق ما بين بنى إسرائيل منذ عهد النبى يعقوب منذ ألوف السنين، وبين الإسرائيليين الذين هم رعايا دولة إسرائيل التى أنشئت عام ١٩٤٨، ويطلق على بقايا العرب الذين استمروا ولم يغادروا أرضهم فى حرب ٤٨ بعد إنشاء دولة إسرائيل إسرائيليون من أصل عربى، سواء أن كانوا مسلمين أو مسيحيين من أبناء فلسطين المحتلة.

وهنا يطرح سؤال شديد الخطورة: من هو مواطن دولة إسرائيل؟

هل هو من العبرانيين الذين عبروا نهرى دجلة والفرات إلى أرض فلسطين العربية مع النبى إبراهيم؟

هل هو من أبناء النبى يعقوب حفيد إبراهيم ابن اسحق الذى يوصف بإسرائيل (أى نبى الله باللغة العبرية) ويطلق على أولاده الاثنى عشر «بنو إسرائيل» ومن بعدهم أحفاد اتخذوا نفس الاسم؟!!

هل هو من بنى إسرائيل الذين عاشوا فى مصر بعد النبى يوسف بعد أن نزلت التوراة على النبى موسى على أرض سيناء المصرية، وأصبحوا يهوداً؟

ثم هل هو كيهودى – يعتقد أن اليهودية دين أو جنسية وعرق RACE؟ بمعنى هل هو كيهودى أبيض اللون ويهودى آخر اسمر اللون جنسية واحدة وعرق واحد؟ أو إنهما يتحدان فى الدين فقط؟! ولكل جنسيته ونسبتهم ضعيفة بالقياس ليهود العالم الذين لم يتركوا أوطانهم لاسيما فى نيويورك.

هل هو يهودى من المؤمنين بالصهيونية العالمية ومن اتباع هرتزل – الذى لا علاقة له بالساميين – والذى نادى بإنشاء وطن لكل يهود العالم أيا كان جنسياتهم وألوانهم على أرض فلسطين العربية – وإذا كان ذلك فهل هو صهيونى؟؟

هل هو يهودى سيفارديم أو يهودى اشكنازى والفرق بينهم كالفرق بين الشرق والغرب؟ ولا يتحدان إلا فى الديانة فقط وليس الجنسية.

أخيرا وفى سؤال واحد هل هو .. عبرانى – من بنى إسرائيل – يهودى صهيونى إسرائيلى ؟! أو جاء بإيعاز غربى لغرض فى نفس الغرب.

لم تكن قصتى مع صديقى اليهودى الذى كان مصرياً هى تجربتى الوحيدة أثناء دراستى الجامعية، بل إن هناك الإجابة التى ننتظرها عن هذه الأسئلة توضح لنا – وللعالم كله– لغز إنشاء دولة باسم إسرائيل على خريطة العالم فى فلسطين.

مفاجأة أخرى فى تجربتى مع اليهود حدثت لى أثناء الدراسة الجامعية، حيث جرت العادة فى الكليات والمعاهد التجارية أنه ابتداء مع إجازة صيف السنة الثانية من التعليم التجارى وكانت الكليات والمعاهد توجه الطلبة للتدريب خلال الصيف فى الشركات والبنوك الخاصة فى ذلك الوقت، وساقتنى الأقدار إلى مكتب محاسب ومصفٍ قانونى تعهد إليه المحاكم بالإشراف على الشركات التى أعلنت إفلاسها التجارى، حيث يقوم المكتب بعملية التصفية القانونية .

وبالصدفة كان مدير هذا المكتب يهودياً، والشركة التى يقوم بتصفيتها شركة تجمع رأس مال يهودى مسيحى مسلم، وازداد اختلاطى بالشخصيات اليهودية فى تلك الفترة، حيث كان بداية التدريب فى صيف ٤٨، قبل أحداث إعلان وقيام دولة إسرائيل فضلاً عن تقسيم فلسطين، وأذكر أنه فى صيف ٤٨ وبعد أن قامت

دولة إسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨ وأثناء الحرب بين الجيش المصرى والإسرائيلى، ونحن جالسون نهاراً فى مكاتب الشركة التى كانت تصفى، دوت صفارات الإنذار لأن طيارات يهودية جاءت لتغير على القاهرة، والجالسون ما بين مسلم ومسيحى ويهودى، مما أثار الصمت وحالة من الذهول لما وصلت إليه قوة اليهود بمساعدة دول الغرب وعلى رأسها بريطانيا امتد فيما بعد إلى عدوان إسرائيل مع فرنسا وبريطانيا على مصر عام ١٩٥٦ وعدوان إسرائيل على مصر عام ١٩٦٧ فى حرب الأيام الستة التى استولت فيها إسرائيل على شبة جزيرة سيناء بالكامل والتى لم يتم استعادتها إلا عام ١٩٧٣، كما احتلت الجولان السورية التى لازالت تحت الاحتلال الإسرائيلى وعلى بقية فلسطين (الضفة وغزة) حتى الآن ثم احتلت جنوب لبنان عام ١٩٨٢ وانسحبت تحت ضغط مقاومى حزب الله عام ١٩٩٥.

فى الصحافـة

تخرجـت عـام ١٩٥٠ بعد حصولى علـى بكالوريوس العلـوم التجارية وعمرى عشـرون عامـاً، وبدافـع الطموح سـعيت إلى العمل، فعملت فى القسـم الإدارى وبالتحديد مجال الحسابات فى الصحافة وإن كان هذا لم يحجم اهتمامى بالكتابة الصحفية، أما المؤسسة التى عملت بها فكانت مؤسسة جريدة المصرى والتى كان يملكها أفراد عائلة واحدة لم تكن هى الوحيدة التى تمتلك صحفا، حيث كان هناك عائلات مصرية وشـامية تمتلك صحفاً ومجلات مثل الأهرام وأخبار اليوم والهلال وروزاليوسف، والمصور، وامتازت جريدة المصرى بأنها كانت المتحدث باسم حزب الوفد السياسـى وحزب الأغلبية فى ذلك الوقت، كل هذا كان قائماً فى مصر قبل ثورة الجيش ١٩٥٢.

وإلى جانب هذه المؤسسات الصحفية المصرية الخاصة كان هناك مؤسسة يهودية تحت اسـم شـركة الإعلانات الشـرقية وكانت صاحبتها هى مدام فينى اليهودية التـى مازال اسمها يطلق حتـى الآن على أحد الميادين فى حى الدقى، كانت هذه المؤسسـة تتولى نشر الصحف والمجلات باللغات الأجنبية (الفرنسية، الإنجليزية، اليونانيـة، والإيطالية)، كما كانت هذه المؤسسـة هى الوحيدة التى تشـتغل أيضاً بالإعلانات والدعاية التى تخدم الشـركات الاقتصادية فى مصر من خلال الإعلان بالجرائد والملصقات الإعلانية، وكان معظم العاملين بهذه الشـركة شخصيات غير مصرية، أغلبهم من اليهود غير المصريين ويحملون جوازات سفر غير مصرية، كما كانت اللغة الفرنسية هى لغة الإدارة.

وكان من نتائج وجود دولة إسـرائيل أن أعلنت هذه المؤسسـة اليهودية نفسـها للبيع، وقد اشـترت عائلة المصرى تلك المؤسسـة وتم تمصيرها عـن طريق اختيار شـخصيات مصرية شابة متخصصة فى إدارة شـركات الصحافة والإعلانات كنت أحدهم، وبذلك امتد نشاطى من جريدة المصرى فقط إلى الشركة التى تصدر الصحف

باللغات الأجنبية، فضلاً عن النشـاط الإعلانى، وقد أتاح لى العمل بهذه المؤسسة كشـف مدى التدخـل اليهودى فى الصحافة والنشـاط الاقتصـادى المصرى، بل أكثر من ذلك أدركت أن هذه المؤسسـة الصحفية كانت بمثابة وكر لنشـاط شيوعى صهيونى، وقد أتاحت لى معرفتى باللغة الفرنسـية كشـف كثير من الأمور فى هذه المؤسسة ما كنت أدركها من قبل، واتضح لى العلاقة الوثيقة التى كانت تربط نشاط هذه المؤسسة باليهود خارج مصر.

وبعد قيام ثورة الجيش فى يوليو عام ١٩٥٢ وما تبعها من قرارات تأميم وتمصير الصحافة المصرية كان من نتائجها أن استولت على جريدة المصرى وتغير اسمها إلى جريدة الشعب كما استولت أيضاً على مؤسسة شركة الإعلانات الشرقية التى كانت تابعة لمؤسسة جريدة المصرى، وحولتها إلى مؤسسة الجمهورية للصحافة والنشر.

واسـتمرت فى إصدار الجرائد باللغات الأجنبية، وأضافت جريدة مصرية تحت اسم الجمهورية، وقد رأس محمد أنور السادات هذه المؤسسة (بصفته عضو مجلس قيادة ثورة الجيش)، وكان رئيسا لمؤسسة الجمهورية قبل أن يكون رئيساً لجمهورية مصر العربية، ومن اللافت للنظر أن اسـتيلاء حكومة الثورة على هاتين المؤسستين قـد امتد إلى الجذور وتغيير الاتجاهات والأهداف، وكانت هذه الخبرة بالنسـبة لى عنصـراً مهما فـى إدراكى خطورة ليس على الإعلام المصـرى فقط بل على الإعلام العالمى بأسـره فيما بعد. وكان نتيجة هذه التغيرات الجذرية فى ميدان الصحافة، والإعلام التى تولاها وأشرف عليها أنور السادات كما ذكرنا وكذا صلاح سالم (وكان أيضاً عضو مجلس قيادة ثورة الجيش)، والذى شغل منصب وزير للإرشاد القومى، وهـى أول وزارة بهـذا الهدف فى مصر بعد ثورة الجيـش، كانت نتيجة كل هذه التغيرات المفاجئة أن سعيت للعمل فى مجال آخر.

فى شركة شل

وشاءت بى الأقدار أن أعمل فى شركة شل للبترول، والتى كانت من أكبر شركات البترول الأجنبية التى يطمح الشباب المصرى للعمل بها آنذاك، كما كانت تحتل المرتبة الثانية فى الأهمية فى ذلك الوقت بعد شركة قناة السويس العالمية.

وكانت تجربتى مع شركة شل بعيداً عن الصحافة تجربة شديدة الخصوصية والخطورة، فهى شركة عالمية يغلب عليها الطابع البريطانى (هولندا - بريطانيا)، وكانت - ولا زالت - من أكبر شركات تسويق وتوزيع البترول فى العالم، وكان لها فى مصر توأم، وأقصد بها شركة آبار الزيوت البريطانية المصرية، وهى التى تختص بعملية البحث عن البترول فى خليج السويس وإنتاجه وتكريره، أما التوزيع فتتولى مسئوليته شركة شل.

بدأت بالعمل فى قسم الحسابات، وبعد سنة تمت ترقيتى إلى وظيفة مراجع داخلى لحسابات الشركة، امتدت إلى منتصف عام ١٩٥٤، ثم بعد فترة وجيزة تم ترشيحى أمام لجنة اختبار للعمل بإدارة المبيعات فكانت هذه اللجنة مكونة من مدير الإدارة العامة البريطانى ومدير إدارة المبيعات البريطانى، ومدير المستخدمين البريطانى ومساعده المصرى.

وأمام اللجنة سُئِلْت أسئلة فنية تبين مدى ثقافتى وإلمامى بمنتجات الشركة وحسابات وتسويق منتجاتها بعد أن قضيت ما يقرب من عامين فى العمل الحسابى والمراجعة، ثم فوجئت بسؤال من أحد الأعضاء البريطانيين عن رأيى فيما أذيع من أنباء عن وجود صفقة لاستيراد الأسلحة بين مصر وتشيكوسلوفاكيا، وهى صفقة استيراد أسلحة من المعسكر الشرقى مقابل القطن المصرى، فأجبت بلباقة: هذه الصفقة ضرورية، والضرورة فيها أن مصر فى حاجة لأسلحة لتدافع عن نفسها، خاصة وأنه تم توقيع اتفاقية لجلاء القوات البريطانية عن مصر، فكان رد (المدير البريطانى): كيف يكون المحصول الرئيسى لمصر مقابل أسلحة غير منتجة،

فأكـدت أن الهدف هو وجود قوة دفاعيـة لدى مصر ضد الأعداء، وهو من الأهمية مثل أية سـلعة رئيسـية يحتاجها الشعب المصرى، فسـأل: ومن عدو مصر؟ وهنا كانـت إجابتى موجهة إلى كل أعضـاء اللجنة: أنا أمامكم لاختيارى لوظيفة رجل مبيعات وتسـويق، ولسـت أمام لجنة أو مجلس اختيار رجل دبلوماسى فشكرونى على لباقتى، وقالوا إن نتيجة هذا الاختبار لن يؤثر على مستقبلى فى قسم المراجعة الحسابية، وانصرفت.

لقـد أثارت تلك اللجنة انتباهى، جعلتنى أعيد التفكير فى بريطانيا من جديد، ليس فقط باعتبارها البلد التى احتلت مصر ما يزيد عن سبعين عاماً، و إنما باعتبارها الدولـة التى منحت إسـرائيل حق الوجود فى الوطن العربـى، فهى صاحبة وعد بلفور، ذلك الوعد الذى انطبقت عليها الحكمة (وعد من لا يملك لمن لا يسـتحق)، كما أن بريطانيا هى الدولة المنتدبة على فلسطين من عصبة الأمم قد سلمت فلسطين لليهود لإنشاء دولة إسرائيل.

كما أن المفاوضات بين بريطانيا وحكومة ثورة الجيش كانت ولازالت ملء الأسماع والأبصـار فى مصـر، والتى انتهت بعقد اتفاقية الجلاء ١٩٥٤ كل ذلك بمثابة هزة جعلتنى أعيد التفكير فى أشـياء كثيرة، لعل أهمها هو ذلك التهديد غير المباشـر مـن اللجنة حينما أكـدوا أن هذا الامتحان لن يؤثر على عملى فى قسـم المراجعة الحسـابية، فمازال شاخصاً فى ذهنى المبدأ البريطانى الشهير (Hire and fire) أى (عين وارفد)، إلا أننى فوجئت بعد ذلك أن استدعانى مدير عام المراجعة الحسابية وكان بريطانياً، طمأننى أن عملى كمراجع لن يتأثر نتيجة لجنة المبيعات.

وقد كانت خطورة قسـم المراجعة الحسـابية تكمن فى رئيسـه، ذلك الشـاب البريطانى فى أفكاره وحماسه وتشجيعه لى، والذى عرض علىَّ منحة دراسية للندن للحصول على درجة علمية يقال لها (محاسب قانونى دولى)، وهى تعادل دكتوراه فى المحاسبة، أنتقل عن طريقها من عملى كموظف محلى فى شركة شل فى مصر إلى موظف دولى فى شركة شل فى أى فرع من فروع العالم.

وتزامنت هذه الأحداث الشـخصية مع توقيع (اتفاقية الجلاء) ١٨ يونيو ١٩٥٤ بعد أن انتهت المفاوضات الشاقة بين رجال الثورة والمسئولين البريطانيين.

وكان مـن دواعى تطبيق بنود هذه الاتفاقية هو تفويض الشـركة فى الإدارة لمدة سبع سنوات تقوم خلالها باستلام أنابيب البترول ومحطات التقوية من السويس إلى غمرة، والتى يملكها الجيش البريطانى فى ذلك الوقت، لتسليمها للسلطات المصرية المختصة بعد انتهاء سبع السنوات.

ولذلك تكوَّن وفد من موظفى الشركة وأنا منهم بمقابلة المسئولين فى القيادة العامة للجيـش البريطانى فى (فايد) من أجل توقيع اتفاق حول المتلكات وعدد الموظفين والخبراء من أجل اسـتلام هذه المتلكات، تمهيداً لإدارتها خلال سبع السنوات، وقـد تم اختيارى لأكون عضواً فى هذا الوفـد، وكنت المصرى الوحيد فى اللجنة، والتـى كانت تضـم اثنين من اليهود من حاملى جوازات سـفر أوربية، وأقمنا فى الإسماعيليـة، وكنا نتحرك كل صباح للقيـادة العامة للجيش البريطانى فى فايد، وظهر لى أن وجود العنصر اليهودى فى اللجنة كان بدافع التجسس ومحاولة جمع أكبر عدد ممكن من المعلومات ليس لنقلها لشـركة شـل، وإنما لنقلها إلى إسرائيل، فرأيـت من واجبى أن أنقل ما حصلـت عليه من معلومات عن (القاعدة البريطانية وعن وفد الشركة) للمسئولين المصريين المختصين، وهو ما حدث بالفعل.

وفى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ حدثت هزة عنيفة غطت على الأحداث، ليس لى، وإنما لمصر والعالم كله، حيث قام عبد الناصر بتأميم شـركة قناة السويس، وكان نتيجة ذلك أن قام العدوان الثلاثى على مصر من قبل بريطانيا وفرنسـا وإسرائيل، حيث احتلت إسرائيل سيناء حتى شرق القناة وتعطلت الملاحة فيها، كما قامت إسرائيل بأسر جنود مصريين وقتلتهم، والقوات البريطانية تمركزت فى مدن القناة.

وتم وضع شركة شل كمؤسسة بريطانية مثل باقى الشركات البريطانية والفرنسية تحت حراسة الحاكم العسكرى المصرى، وتم إيقاف كافة العاملين فى الشركة غير المصريين، والإبعاد الفورى لبعض كبار الشـخصيات البريطانية فى الشـركة، وتم

وضع شـركة شل فى مصر تحت إدارة مصرية صميمة، كما تمَّ إلغاء اتفاقية الجلاء الموقعة مع بريطانيا عامٌ ١٩٥٤ (التى هى حتى الآن من ضمن الأعياد الرسمية التى يحتفل بها فى مصر) مع أن الأولى الاحتفال بإعلان الجمهورية فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ وإلغاء الملكية، وتم فيما بعد انسحاب القوات الفرنسية والبريطانية والإسرائيلية عن طريق الضغط الأمريكى والسوفيتى.

وكان أخطر ما فى العدوان الثلاثى – من وجهه نظرى – وجود إسـرائيل كقوة معتدية، قادرة على أخذ قرار بالقيام بالعدوان على مصر، على رغم أن وجودها غير المشروع على الصعيد الدولى لم يتجاوز ثمانى السنوات (من ١٩٤٨ – حتى ١٩٥٦)، مما أدى إلى إحساسـى بمدى خطورة إنشـاء إسرائيل ليس على فلسطين فحسب، ولا على مصر فقط، وإنما يمتد الأمر لباقى العالم العربى والإسلامى فى المستقبل.

كمـا أنـه برغم ما يبدو فى ظاهـر الأمر من أن أمريكا ضد إسـرائيل فى قرارها بانسـحاب قواتهـا ووقف عدوانها علي مصر عـام ١٩٥٦، إلا أن الأيام أثبتت أن أمريكا تريد أن تسـتأثر بسـيطرتها على إسـرائيل، وبالتالى السيطرة على المنطقة العربية، و إبعاد كل من بريطانيا وفرنسا عن هذا الميدان.

وتعـود بى الذاكـرة إلى العدوان الثلاثـى لأتأمل غرابة السياسـة العالمية، فقد اسـتجابت (بريطانيا – فرنسـا – إسـرائيل) لأمر أمريكا بالانسـحاب من مصر، وبالنسبة لإسرائيل كان قبولها للأمر راجع إلى النفوذ الأمريكى المسيطر على اليهود آنذاك، تنفيذا لما ورثوه عن الرئيس الأمريكى بنيامين فرانكلين الذى قال للشـعب الأمريكى عام ١٧٨٩ عند وضع الدستور الأمريكى أى منذ ١٦٧ عاماً:

أيها السـادة فى كل أرض حل بها اليهود أطاحوا بالمستوى الخلقى، وافسدوا الذمـة التجارية فيها، ولم يزالـوا منعزلين لا يندمجون بغيرهم، إنى أحذركم أيها السـادة أنكم إن لم تبعدوا اليهود نهائياً فلسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم فى قبوركم، إن اليهود لن يصبحوا مثلنا ولو عاشوا بين ظهرانينا عشرة أجيال، فإن الفهد لا يستطيع إبدال جلده الأرقم».

وهنا المفارقة، فهل يستطيع الرئيس الأمريكى الحالى أن يقول ذلك الآن، أو هل يستطيع على أضعف الإيمان أن يأمر إسرائيل بوقف العدوان على فلسطين، أو على أى بلد عربية أو غير عربية، فلا يستطيع أحد أن ينكر أن نفوذ اليهود الآن هو السلطة العليا على الرئيس الأمريكى وحكومته، فضلاً عن أن النظرية الصهيونية تقول: إن أى يهودى من أى جنسية فى العالم ولاؤه الأول لإسرائيل، كما إن أى يهودى فى العالم هو إسرائيلى قبل أن يكون تابعًا لجنسيته من الدولة التى يعيش فيها.

إن أمريكا وإن كانت فى الظاهر - حاليًا - هى المحرك لمجلس الأمن، فإن إسرائيل من وراء الستار الأمريكى تمارس فترة تدريب إلى أن يأتى اليوم الذى تكشف فيها إسرائيل عن نفسها، وهى التى ترأس وتتحكم فى مجلس الأمن، وفى هذا تحقيق لما تنادى به بروتوكولات حكماء صهيون من إيجاد حكومة عالمية يهودية واحدة تحكم العالم كله:

«بكل الوسائل سنضغط المسيحيين، حتى يضطروا إلى أن يطلبوا منا أن نحكمهم دولياً، وعندما نصل إلى هذا المقام سنستطيع مباشرةً أن نستنزف كل قوى الحكم فى جميع أنحاء العالم، وأن نشكل حكومة عالمية عليا وسينقلب مجلس الأمن إلى هذه الحكومة»!!.

وليس كتابى مجالاً لسرد الأحداث والآثار المترتبة على العدوان الثلاثى على مصر إلا أن العدوان عام ١٩٥٦ أول دليل على قوة وجود إسرائيل على العالم العربى والساحة العالمية فيما بعد وهنا يثار سؤال:

هل هناك خطأ فى فكرة أن أمريكا والغرب هم وراء خلق إسرائيل وإلا فكيف تنقلب الآية إلى أن إسرائيل الآن هى المتحكمة فى الغرب وعلى رأسه أمريكا؟

أربعة وثلاثون عامًا دبلوماسيًا

البداية

أثناء عملى بشركة شل نشرت الصحف المصرية أوائل ١٩٥٥ خبر تعيين ٤٢ ملحقاً دبلوماسياً بوزارة الخارجية المصرية كثانى دفعة بعد تعيين ١٤ملحقاً كدفعة أولى أوائل عام ١٩٥٤.

أثار هذا الخبر انتباهى ورغبتى فى أن أكون واحداً من هؤلاء لأن مهنة الدبلوماسية سوف تحقق لى حلمى بالسفر والاحتكاك والانتقال والتعرف على العالم الخارجى لاسيما وأن هذا الاحتكاك كان قد بدأ بالفعل من خلال عملى بشركة شل البريطانية الهولندية، فضلاً عما قدمته لى شركة شل من عرض لدراسة الشهادة العليا للمحاسبة فى لندن كى أصبح محاسبا قانونيا وهى تعادل درجة الدكتوراه، الأمر الذى يؤهلنى لأن أكون محاسبا قانونيا دوليا يحق لى العمل فى أى فرع من فروع شركة شل ليس فى مصر فقط بل فى العواصم العالمية، وبذالك أنتقل من كونى موظفا محليا فى شركة شل إلى موظف دولى فى شركة شل.

وتشاء إرادة الله أن تعلن وزارة الخارجية فى أوائل عام ١٩٥٥ عن امتحان مسابقة تعيين فى وظيفة ملحق دبلوماسى للدفعة الثالثة بعد ثورة الجيش وكان سبب تكرار الاعلان عن دفعات تعيين ملحق دبلوماسى فى خلال ثلاث سنوات على التوالى (٥٣، ٥٤، ١٩٥٥) هو احتياج المسئولين فى وزارة الخارجية بعد الثورة إلى إيجاد كم من الملحقين الدبلوماسيين المصريين لسد الفراغ الموجود بالوزارة بعد ثورة الجيش وكذا لإعداد الكادر الكافى من الدبلوماسيين لمجابهة التوسع فى العلاقات الدبلوماسية المصرية مع العالم بعد ثورة الجيش خاصة وأن التمثيل الدبلوماسى المصرى الملكى كان محدوداً ويحقق أهداف الملكية ومصالحها.

فى هذه الظروف بدأت رحلة استعدادى لخوض امتحان وزارة الخارجية، فى الوقت الذى كنت أعمل فيه فى شركة شل من السابعة والنصف صباحاً وحتى

السابعة والنصف مساءً كل يوم عدا يوم الأحد وكان علىَّ أن أستعد لخوض امتحان فـي مواد القانون الـدولى وتاريخ العلاقات الدولية والاقتصاد السياسـي والجغرافيا الاقتصاديـة وتاريـخ العالم العربى مع التركيز على تاريـخ مصر، فضلاً عن إجادة لغتى الدبلوماسية الإنجليزية والفرنسية، أو إحداهما مع إجادة لغة أخرى.

وكانت إقامتى آنذاك مع عائلة أجنبية تتكون من سـيدة روسـية بيضاء متزوجة من رجل سويسرى عاشت فى مصر ما قبل قيام الثورة الشيوعية الحمراء فى روسيا عام ١٩١٧.

أقول: كانت إقامتى مع هذه الأسـرة التى كانت تقطن بشـقة فى شارع سليمان باشا سبباً مباشراً فى إيجاد الظروف التى سنحت لى أن أواصل استعدادى للامتحان لفترة ثلاثة شهور متصلة حددتها وزارة الخارجية.

وعقد الامتحان التحريرى فى مقر وزارة الخارجية بإشـراف أسـاتذة من جامعة القاهـرة، وظهرت نتيجة الامتحان التحريرى الذى تقدم إليه ٤٥٠ شـخصًا نجح منهم عشـرون كنت ثانى الناجحين ثم بقى الامتحان الشـفوى الذى تحدد موعده بعد ظهور النتيجة بستة أشهر.

كان الامتحان الشفوى يعقد فى السابعة مساء بديوان عام وزارة الخارجية لأربعة ناجحين كل يوم بنفس الترتيب، كنا نمتحن أمام لجنة مشكلة من أربعة سفراء من وزارة الخارجية ورئيس العلوم السياسية بكلية التجارة جامعة القاهرة.

وعندما دخلت على هذه اللجنة فى أحد الصالونات الفاخرة بمبنى الوزارة القديم بميـدان التحرير، دخلت بعد أن طرقت الباب وقلبـى ينبض وجدت تلك اللجنة المهيبة فى أحد أركان هذا الصالون وكان علىَّ أن أمشـى عدة خطوات حتى أصل إليهـم، وهنـا احترت متى أحيىّ اللجنـة؟ هل منذ دخـولى أو عندما أصل إليهم فقـررت أن أحييهم عند وصولى إليهم وعندما وصلت سـحبت الكرسـى المخصص للممتحن وجلسـت، فبادرنى أحدهم قائلاً: من أذن لك بالجلوس، فقمت وأعدت الكرسـى إلى مكانه ثم استأذنت فى طلب الجلوس فسمحوا لى دون أن أفقد توازنى

وتوالت الأسئلة لمدة نصف ساعة بسؤالى عن حياتى الخاصة وعملى بشركة شل وراتبى بها، وأتذكر أننى عندما قلت لهم: إن راتبى ٨٥ جنيها بشركة شل، فأجابنى أحدهم بقوله: هل تعرف أن مرتب الملحق الدبلوماسى ١٢,٥ جنيها فكيف تفسر لنا ذلك.

فقلت: لأننى أحلم بالعمل الدبلوماسى دون النظر إلى النواحى المادية.

وأتذكر أن سؤال الأستاذ الجامعى للعلوم السياسية كان اختيارياً عن طريق سحب سؤال من الأوراق الموجودة أمامى، والغريب أن السؤال كان ما هى أحقية مصر فى تأميم قناة السويس؟

فحمدت الله على هذا السؤال الذى كنت مستعداً له من ترددى على مكتب بجاردن سيتى ينشر مجلة دورية عن قناة السويس وكنت أحد المهتمين بالمشاركة فى هذا المكتب وبقراءة هذه المطبوعة وكانت تعرض مدى أحقية مصر فى تأميم قناة السويس أحسست برضا اللجنة لاسيما من خلال طريقة توديعى بعد انتهاء المقابلة.

بعد مرور شهر تقريباً وبالتحديد أواخر عام ١٩٥٥ أعلن بالجرائد المصرية نتيجة الامتحان وكنت الخامس على العشرين.

وكانت المفاجأة كبيرة لوالدى الذى جاءه المهنئون من كل مكان فى مدينة دمنهور كى يهنئوه على كون ابنه دبلوماسياً فى الوقت الذى لم يكن والدى يعرف أى شىء عن خوض هذه التجربة، ففاجأنى بالزيارة إلى مدينة القاهرة، معبراً عن دهشته وعدم رضاه عن موقفى، لرفض العمل فى دمنهور بعد تخرجى ثم رفض العمل فى مصر كلها بعد دخول وزارة الخارجية دون أن اهتم بعلاقتى وحرصى على أسرتى الخاصة التي تضم والدى وأمى وإخوتى فقلت له إن هذه إرادة الله وطلبت منه أن يسامحنى ويدعو الله لى بالتوفيق، فدعا لى بالتوفيق ثم عاد إلى دمنهور وظل هذا الشعور ملازماً لى حتى أقمت فى دمنهور بعد سن التقاعد فى صحبة والدتى وكان والدى قد توفى إلى رحمة الله، وسألت أمى ألم يشتكِ إليك والدى منى بسبب ابتعادى المستمر عنه وعملى فى الخارجية وتواجدى المستمر فى بعثات دبلوماسية

خـارج مصـر، فأكدت لى أنه كان راضياً عنى تمام الرضا بدليل دعائه المستمر أن يوفقنى الله فى الخارج وعلى رغم تأكدى من حديثى مع أمى عن والدى إلا أن هذا الشعور ظل ملازماً لى حتى الآن.

لم يبق على صدور قرار التعيين سوى الكشف الطبى الدقيق للتأكد من قوة تحمل الشخص للتعرض لأجواء مختلفة وأنحاء مختلفة فى العالم كله، وقد اجتازه العشرون بنجاح ثم جاء دور ديوان عام الموظفين الذى له مكتب باسم إدارة المستخدمين فى قلب وزارة الخارجية وهى إدارة مستقلة تشرف آنذاك على كل تعيينات موظفى الدولة أيا كانت الوزارة التى يلتحقون بها فيما عدا ضباط الجيش وضباط الشرطة توجهنا نحن العشرين إلى هذه الإدارة بأصول المستندات من شهادات دراسية ومؤهلات علمية وتقرير طبى وموقف من التجنيد وهنا فوجئت بالسيد مدير عام إدارة المستخدمين يرفض إدراج اسمى ضمن قرار التعيين الصادر من وزارة الخارجية بتعيين الدفعة الثالثة يناير ١٩٥٦ وذلك بحجة أن مؤهلى الدراسى لا يعترف به للالتحاق بوظيفة ملحق دبلوماسى بوزارة الخارجية حيث كان مؤهلى هو درجة بكالوريوس علوم مالية وتجارية من المعهد العالى للعلوم المالية والتجارية، أحد المعاهد العالية التى أوجدتها الدولة بالقاهرة مثل المعهد الزراعى والصناعى عندما ضاقت جامعة فؤاد (القاهرة) بخريجى الثانوية العامة، واستمرت هذه المعاهد تعمل منذ أوائل الأربعينات حتى منتصف عام ١٩٥٠ حيث أنشئت جامعة إبراهيم لتكون ثالث جامعة فى المملكة المصرية بعد جامعة فؤاد (القاهرة) أوائل العشرينات. والثانية جامعة فاروق (الإسكندرية) أوائل الأربعينات وأصبحت هذه المعاهد هى نواة كلية التجارة وكلية الهندسة وكلية الزراعة بحكم المرسوم الملكى الصادر.

وهنا قررت أن أتقدم بمذكرة لوزارة الخارجية بتاريخ ١٥ يناير عام ١٩٥٦ أعترض فيها على منعى من التعيين وأطالب بحقى فى هذه الوظيفة، وقد بنيت مذكرتى على أسس قانونية كانت كالتالى:

القاهرة فى ١٥ يناير سنة ١٩٥٦.

السيد الدكتور مستشار الرأى لوزارة الخارجية

بعد التحية

بالإشـــارة إلى خطاب الوزارة رقم ٣٠٦ بتاريخ ١٠/ ١ /١٩٥٦ للســـيد رئيس قسم الفتوى والتشريع بمجلس الدولة.

أتشرف بعرض الآتى:

إن كلية التجارة بجامعة عين شمس استمرار للمعهد العالى للعلوم المالية والتجارية من كافة النواحى ســواء فى المنهج الدراســى أو العميد أو الأساتذة أو الطلبة، كل ما هنالك أن الاســم تغير نتيجة لإنشــاء جامعة جديدة والحقائــق الآتية تؤيد هذا الاستمرار بصورة عملية.

بعد صدور المرسوم بإنشاء الجامعة لم تمنح درجة بكالوريوس علوم مالية وتجارية لأى خريــج بمعنــى أن الطالــب الذى كان بالســنة النهائية بالمعهد ســنة ١٩٥٠ ورســب وأعاد الســنة فى العام الدراسى ســنة ١٩٥١ فإنه حصل على بكالوريوس تجــارة بالرغم من أنــه أمضى أربع ســنوات بالمعهد ولــو كان النظامان منفصلين والدراســة تختلف فى المعهد عنها فى الكلية لاســتمرت درجــة بكالوريوس علوم مالية وتجارية تمنح لجميع الطلبة الموجودين بالمعهد وقت صدور المرسوم مهما كان تاريخ تخرجهم ولمنحت درجة بكالوريوس تجارة للذين التحقوا بعد صدور المرسوم فقــط أى خريجى ١٩٥٥ وهذا لم يحدث فمنذ ١٩٥١ حصل جميع الخريجين على درجة بكالوريوس تجارة باعتبار أن المعهد والكلية مدة واحدة متصلة.

عند إنشــاء الدراســات العليا لكليــة التجارة نص فى لائحتهــا على أن درجة بكالوريــوس علــوم مالية وتجارية معادلة تمامًا لبكالوريوس تجارة الكلية وســارت الكليــة على تفضيل الخريجــين الحاصلين على هذين المؤهلــين عند قبولهم بهذه الدراسات على خريجى كليات التجارة بالجامعات الأخرى.

هيئة التدريس بالكلية تشــمل أســاتذة المعهد وخريجــى المعهد الحاصلين على بكالوريوس علوم مالية وتجارية ســواء منهم الذين أرســلوا إلى بعثة علمية بالخارج فعــادوا فى وظيفة مدرســين بالكلية أم الذين بقوا بمصر وعملــوا كمعيدين بالكلية

والتحقوا بالدراسات العليا بها.

لم يكـن المعهد العالى للعلوم الماليـة والتجارية هو الوحيد الذى انضم إلى جامعة عين شمس وأصبح كلية التجارة بل كان هناك عدة معاهد عليا أخرى مثل «المعهد العالى للزراعة»، «المعهد العالى للهندسة» وخلافه كلها اتحدت وكونت جامعة عين شمس بنفس منهج الدراسة ومدتها «أربع سنين» وأساتذتها وعمداؤها ولم يفرق بين الخريجين فى ظل الاسمين بمقتضى التأشيرة رقم ٩٣ لسنة ١٩٥٥.

انفـرد المعهد العالى للعلوم المالية والتجارية بظاهـرة عدم التخصص وظلت هذه الظاهرة سـارية بعد تغيير الاسـم وإنشـاء الجامعة الأمر الذى يخالف بقية كليات التجارة بالجامعات الأخرى وذلك تأييداً لعدم تغيير برنامج ولا منهاج الدراسة.

هـذه هى بعض الحقائق التى رجعت فيها إلى كلية التجارة بجامعة عين شمس وإلى إدارة البعثـات بـوزارة التربيـة والتعليم والتى رأيت مـن واجبى أن أعرضها على سيادتكم.

وإنى على أتم الاستعداد لتقديم شهادة من الكلية تثبت أنى مقيد بالدراسات العليا بها كمسـتند يضاف إلى مسـوغات تعيينى التى بالوزارة (وقد أرسلت فعلاً شهادة بهذا المعنى وتأييداً من الكلية بأنى مقيد بالدراسـات العليا ثم الماجسـتير مما يدل على أن بكالوريوس المعهد يعادل الكلية تماماً وذلك مرفقاً بشكواى لوكيل الوزارة.

وكان الصمـت هـو رد وزارة الخارجية على مذكرتى هذه حتى شـاءت الأقدار أن أرافق والدى أثناء زيارته لأحد الأطباء المشـهورين فى القاهرة للمسـالك البولية الدكتـور/ محمد صفوت، وكان عائداً من بعثتـه فى لندن، وأثناء حديثنا معه بعد أن كشف على والدى سألنى عن عملى، فقلت له أنى أعمل حتى الآن بشركة شل وفى انتظار استلام عملى بوزارة الخارجية كملحق دبلوماسى فى حالة حل مشكلتى مع إدارة المسـتخدمين التابعة لديوان عام الموظفين، فسألنى عن المشكلة فقصصتها عليه، ففوجئت بقوله: أبشـر إن عمى اللواء محمد صفوت أصبح مدير إدارة شئون السـلكين الدبلوماسـى والقنصلى بوزارة الخارجية منذ شـهر فقط بعد إلغاء مكتب ديوان الموظفين، وإنه سـوف يقوم بعرض الأمر على عمه، وطلب منى التوجه إليه بعد يومين فى وزارة الخارجية.

وبالفعـل ذهبت إلى اللـواء محمد صفوت الذى اسـتمع إلى قصتى وأحضر كافة الأوراق التى تتعلق بى ووعدنى بدراسـة الموضوع وإفادتى بما سـيتم، وبعد شهرين تقريبـاً فى أواخر أكتوبـر ١٩٥٦ وصلنى خطاب مـن وزارة الخارجية يرحب بى ويرجو قدومى لاستلام عملى كملحق دبلوماسى بوزارة الخارجية.

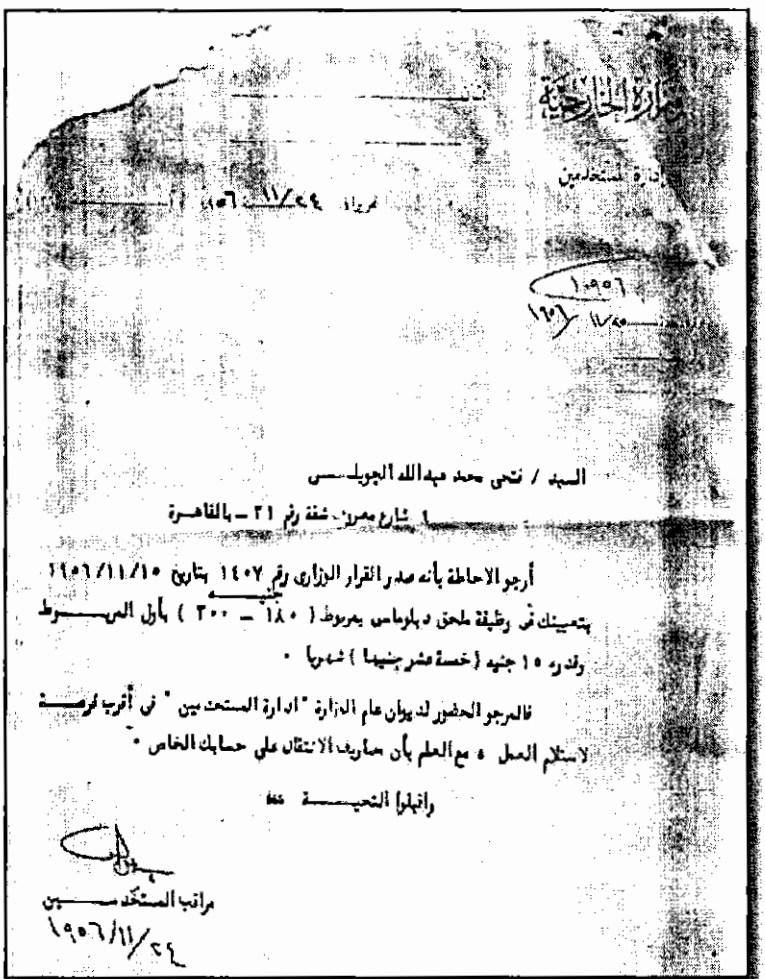

وزارة الخارجية

إدارة المستخدمين

١٩٥٦

السيد / فتحى محمد عبدالله الجويلـــى

شارع معروف شقة رقم ٢١ ـ بالقاهـرة

أرجو الاحاطة بأنه صدر القرار الوزارى رقم ١٤٠٧ بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٥

بتعيينك فى وظيفة ملحق دبلوماسى بمربوط (١٨٠ ـ ٣٠٠) بأول المربـــوط

وقدره ١٥ جنيه (خمسة عشر جنيها) شهريا .

فالمرجو الحضور لديوان عام الوزارة " ادارة المستخدمين " فى أقرب فرصـة

لاستلام العمل ، مع العلم بأن مصاريف الانتقال على حسابك الخاص .

وانتهزا التحيـــة

مراقب المستخدمـــين

١٩٥٦/١١/٢٤

وهـذه لم تكن المـرة الأولى التى جاهدت فيها من أجـل الحصول على حق من أجهزة الدولة، فقد سـبق لى فى سـن العشـرين (١٩٥٠) أن قامت إدارة التجنيد بالبحيرة بطلبى للجيش وأن أسـلم نفسى فى ١/ ٧/ ١٩٥٠ بصفتى خاضعاً لقانون التجنيـد العام الذى صدر مؤخراً بإلزام خريجـى الجامعات المصرية بأداء الخدمة العسـكرية لمدة عام ونصف، فى الوقت الـذى كان قانون التجنيد الذى كان مطبقاً زمن دخـولى الجامعة عام ١٩٤٦ يعطى الطالب الجامعى حق الإعفاء المؤقت يصير نهائياً بحصوله على الشـهادة الجامعية بحكم القانون، مما يجعل قرار استدعائى للتجنيد عام ١٩٥٠ بعد تخرجى غير قانونى، الأمر الذى دفعنى إلى رفع الأمر إلى القضـاء مـن أجل إثبات حقى فى الإعفاء النهائى طبقـاً للقانون وذلك تم بالفعل، وهذا يفسـر كيف كان لأفراد الشـعب آنذاك حرية الدفـاع عن حقوقهم والحصول عليها حتى ولو كان الأمر يتعلق بالتجنيد العسـكرى وهو حق سـيادة للدولة على كل مواطن فيها.

وهنا كانت هناك مشكلة أخرى، وهى كيفية الاستقالة من شركة شل التى كانت قد وضعت تحت الحراسة المصرية نتيجة العدوان الثلاثى على مصر فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦، حيث اسـتدعى الأمر وساطات ضخمة من أجل قبول استقالتى بعد صدور قرار بعدم قبول اسـتقالة أى موظف بالشـركة بعد وضعها تحت الحراسة، وأخيراً قبلت استقالتى وبدأت رحلة عملى بوزارة الخارجية.

وشـاءت إرادة الله أن استلم مهام عملى فى وزارة الخارجية فى نوفمبر ١٩٥٦، عقـب العدوان الثلاثى على مصـر فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦، فبعد أن أعطت بريطانيا اليهود حق إنشـاء الوطن القومى فى فلسطين عن طريق وعد بلفور ١٩١٧، ثم قرار الأمم المتحدة بتقسـيم فلسـطين عام ١٩٤٧، ثم إعلان قيام دولة إسـرائيل ١٩٤٨ وغيرها من الأحداث المتلاحقة التى كانت كل واحدة فيها بمثابة هزة كبيرة للكيان العربى والإسـلامى، ها هى ذى إسرائيل بعد ثمانية أعوام من قرار إنشائها صارت دولة تشـارك فرنسا وبريطانيا (صاحبتى التاريخ الطويل فى احتلال البلاد العربية والإسلامية منذ القرن التاسع عشر) فى العدوان على مصر كنوع من الاعتراض على

تأميـم القناة التى حفرها أبناء مصر بدمائهم الغالية، لقد أصبحت دولة إسـرائيل تهدد أمن المنطقة وتشـارك الـدول الأوروبية الكبرى، التى كانت تقتسـم احتلال البلاد العربية، بحجة أن فلسطين أرض الميعاد وأن اليهود هم شعب الله المختار، وأن مـن حقها تأمين أراضيها وحدودها التى لم تعترف إسـرائيل بتحديدها حتى الآن برغـم تحديد القرارات الدولية؟، وليس غريباً أن تشـارك إسـرائيل بريطانيا وفرنسا فهى من صنعيهما من أيام نابليون وحتى تصريح «وعد بلفور»

وتشـاء الأقدار أن يبدأ عملى الدبلوماسـى فى وزارة الخارجية بإلحاقى بمكتب الوكيل الدائم لوزارة الخارجية، والذى أنشئت به لجنة تسمى لجنة شئون الأعداء، كانت تختص بالانشـغال لمـا ترتب على وقوع العـدوان الثلاثى على أرض مصر، وتعجبت كثيراً من أن المقصود بالأعداء فى تلك اللجنة هما (بريطانيا - فرنسـا)، ولم يكن لإسـرائيل أى ذكر فى أعمال تلـك اللجنة، بالرغم من كونها العدو الأول لمصر، كما احتلت أرضاً مصرية هى سـيناء أثناء العدوان الثلاثى بدون وجه حق، وقد سـبب لى هذا الموقف الكثير من التعجب، وانشـغلت هذه اللجنة أيضاً بشئون اسـتراليا بسـبب تدخل رئيس وزرائها من أجل إقناع عبد الناصر بإعادة النظر فى مسألة تأميم القناة أثناء حضوره للقاهرة من أجل هذا الموضوع، حيث كانت استراليا عضـواً فـى الكومنولث البريطانى تحـت التاج الملكى، لكن عبـد الناصر لم يقبل هذا التدخل وقام بطرد رئيس الوزراء الأسـترالى من مقر الرئاسـة، وكعادتها شنت الصحافة المصرية حملة عنيفة ضد استراليا ورئيس وزرائها.

هذه اللجنة كان من مهام عملها الاهتمام بنتائج قيام فرنسا وبريطانيا بالاعتداء علـى أرض مصر واحتلال جزء من أراضيها، وما اسـتتبع ذلك من قطع للعلاقات مـع هاتين الدولتـين المعتديتين، وإنهاء التواجد الدبلوماسـى لهاتين الدولتين فى مصر، مع إغلاق سـفارات مصر فيهما، ووضع المصالح البريطانية والفرنسية تحت حراسة السلطات المصرية المختصة من منشآت سياحية واقتصادية وثقافية وغيرها، خاصة المدارس التى كانت تتبع هاتين الدولتين، كذلك متابعة نشاط هاتين الدولتين الدبلوماسى فى الأمم المتحدة ضد مصر فى هذا الوقت.

وكنـت أنـا أصغر عضو فـى هذه اللجنـة برتبة ملحق دبلوماسـى، والأغرب مما ذكرت أن اللجنة لم تتناول فى مناقشاتها واجتماعاتها طوال مدة عضويتى بها أى شـىء عن خطورة إسـرائيل، لكن العمل لم يمتد بى فى هـذه اللجنة إلا عدة أشهر، نقلت بعدها للعمل الدبلوماسى بالسفارة المصرية لدى المملكة الليبية المتحدة كما كان يطلق عليها آنذاك على غير ما جرى العمل به ألاً ينقل الدبلوماسى للعمل فى السفارة قبل مرور عامين على العمل فى ديوان عام الوزارة.

المملكة الليبية أولى خطواتى الدبلوماسية

نقلت للعمل الدبلوماسى فى سفارة مصر لدى المملكة الليبية المتحدة آنذاك وعاصمتها طرابلس الغرب فى مارس ١٩٥٧، وكان ملكها الملك إدريس السنوسى، وكان لايزال بها - بالرغم من حداثة استقلالها عن الاحتلال الإيطالى - قاعدة بريطانية ضخمة فى طبرق بولاية برقة، أما طرابلس الغرب فكان بها قاعدة أمريكية جوية خطيرة من أهم وأخطر القواعد الأمريكية الجوية، تسمى قاعدة (هويلس).

وجدت فى العمل الدبلوماسى بليبيا اهتماماً بعيداً عن إسرائيل، ذلك أن اهتمام السفارة المصرية فى ليبيا آنذاك كان يهدف إلى تتبع التواجد البريطانى والأمريكى فى ليبيا، كما كان يهدف إلى المساهمة فى تقديم المساعدة للثورة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسى، والتى اشتعلت فى نوفمبر ١٩٥٤ ووصلت ذروتها فى أوائل، ١٩٥٧ وهو مطابق تماماً لتاريخ وصولى لليبيا، حيث ساعدت مصر الثورة الجزائرية عن طريق ولاية فزان جنوب المملكة الليبية والتى تلاصق صحراء الجزائر. ومن المعروف أن ليبيا فى ذلك الوقت كانت مقسمة إلى ثلاث ولايات، الشرقية برقة وعاصمتها بنغازى، والغربية طرابلس وعاصمتها طرابلس الغرب، والجنوبية فى صحراء فزان وعاصمتها سبتا.

ومن الأمانة أن أقول: إنه كان هناك أمر آخر يشغل بال العاملين بالسفارة المصرية فى ليبيا، وهو وجود انبهار لدى الجيل الجديد فى مملكة ليبيا المتحدة آنذاك بثورة الجيش المصرى عام ١٩٥٢ وإلغاء الملكية وإعلان مصر جمهورية، وكان هذا الانبهار مسار أحاديث وتساؤلات واستفسارات ومناقشات من الجانب الليبى مع أعضاء السفارة، خاصة مع الملحق العسكرى بها، الأمر الذى يمكن اعتباره - من وجهة نظرى - أن ذلك كان تمهيداً لما كان يجرى بين طوائف الشعب الليبى من تمهيد لثورة الفاتح (الأول) سبتمبر١٩٧٠ لإلغاء الملكية الليبية وإعلان الجماهيرية الليبية الشعبية الاشتراكية بقيادة معمر القذافى.

هكـذا كان كل نشـاط العمـل الدبلوماسـي المصـرى فـى ليبيا بكافـة فروعه السياسـية والثقافية والاقتصاديـة بعيـداً تمامـاً عـن موضوع إسـرائيل وذلك من عام (١٩٥٧ – ١٩٥٩) فترة تواجدى بها، أما بالنسـبة لى فإن العدوان الثلاثى كان بمثابة ناقوس خطر يدق دائماً فى رأسـى، ويكشـف خطر الوجود الإسرائيلى منذ مرحلتى الجامعية، ولذلك وفى حدود نشـاطى واتصالاتى الدبلوماسـية المحدودة فى ليبيا مع الدبلوماسـيين العرب ومع الشـخصيات الليبية البارزة كنت أسـعى دائماً لتوضيح خطورة الوجود الإسرائيلى، خاصة بعد ما شعرت به من شعور ليبى مؤازر، كان قد غمر الشـعب الليبى أثناء العـدوان الثلاثى على مصر، فأهل ولاية طبرق وقفوا ضد أن تقوم القوات البريطانية الموجودة فى قاعدة طبرق بالهجوم على مصر من الغرب أثناء العدوان الثلاثى، كما أن بعض البدو من ولاية فزان الجنوبية عبروا عن مشاعرهم المؤازرة عن طريق الصيام والدعاء لله أن ينقذ مصر، وهذا ما كان يملكونه فى ذلك الوقت، لكن كل هذه المشاعر كانت مركزة على بريطانيا وفرنسا، لاسـيما بريطانيا التى ورثت الاحتلال الإيطـالى لليبيا، والذى انتهى بهزيمة دول المحـور (ألمانيا وإيطاليا) فى نهاية الحرب العالمية الثانية (٣٩ – ١٩٤٥)، حيث طردت القوات البريطانية الجيش الإيطالى من ليبيا، وأقامت قاعدة حربية بريطانية ضخمة فى طبرق فى شرق ليبيا المجاورة لمصر، أما فرنسا فمازال الاحتلال الفرنسى للجزائر ملء السمع والبصر فى ذلك الوقت، وكان رئيس وزراء فرنسا أثناء العدوان الثلاثى على مصر يقول: إنى أهزم الجزائر فى بورسعيد المصرية.

وأقـول بصدق: إننـى لم أسمع كلمة واحدة عن خطورة إسـرائيل فى المجتمع الليبـى آنـذاك، بل إن بعض الآراء كانت تذهب إلى أن المسـئول عن وقف الخطر الإسرائيلى هى دول الطوق ويقصد بها (مصر – سوريا – لبنان – الأردن – فلسطين) ولا شأن لدول المغرب العربى بهذا الخطر الإسرائيلى.

كمـا لاحظـت أن تواجد اليهود الليبيين فى التجارة كان لا يزال قائماً ونشـطاً حتـى ذلك الوقت، خاصة فى طرابلـس الغرب دون أن يتأثر بما يحدث فى مصر

وفلسطين، فوجود ليبيين يهود كان أمراً طبيعياً لا ينظر إليه بدهشة ولا يتعامل معه بشك أو حذر، واكتشفت أن من طرابلس الغرب فى ليبيا حتى طنجه فى المملكة المغربية أقصى غرب العالم العربى فى شمال أفريقيا هناك مواطنون يهود لهم منزلتهم واحترامهم ونشاطهم التجارى والسياسى وتواجدهم الاجتماعى الذى لا يعامل بأى شكل من أشكال الحذر أو الشك، ولم يتأثر هذا التواجد اليهودى مطلقاً بما يحدث بالشرق العربى فى فلسطين ودول الطوق، وأعتقد أن هذا التواجد اليهودى فى المغرب العربى يرجع إلى الفترة التى استقبل فيه المغرب العربى مسلمى و يهودى الأندلس بعد سقوط الدولة الإسلامية فى الأندلس فى القرن السادس عشر الميلادى.

كما شعرت أن خطورة تواجد إسرائيل فى أرض فلسطين (٤٨ – ١٩٥٦) لم يكن بعد قد ظهرت آثاره على شعوب الدول العربية فى غرب العالم العربى (ليبيا، تونس، الجزائر، المملكة المغربية، موريتانيا)، خاصة وأن هذه الدول فى ذلك الوقت كانت ما بين حديثة العهد بالاستقلال أو مازالت تكافح من أجل استقلالها وخروج المحتل الأوربى من أراضيها وأعتقد أن ذلك كان عاملاً مهماً فى ذلك الوقت فى عدم مشاركة غرب العالم العربى شرق العالم العربى فى خطورة خلق أوروبا وأمريكا لدولة إسرائيل وهذا الاعتقاد يفسر قبول الرئيس التونسى بورقيبه لقرار التقسيم بارتياح ورضا وهو القائد العربى الوحيد الذى لم يعارض قرار التقسيم.

والشىء الذى حيرنى وجود القاعدة الجوية الأمريكية فى طرابلس الغرب، فمنذ قدومى على طائرة مصر للطيران إلى مطار (طرابلس الغرب) بعد ٨ ساعات طيران من القاهرة وحتى طرابلس بطائرة (٢ محرك) فى (٢ مارس ١٩٥٧) – ٢ رمضان لفت نظرى فى صالة الاستقبال شاشة ضخمة (٢ × ١,٥متر) تذيع برنامجاً نظرياً باللغة الإنجليزية وعندما سألت عن هذا قيل لى إن هذا شاشة تليفزيون يبث برامجه من القاعدة الأمريكية، وكان هذا الرد له وقع غامض على أذنى، فما معنى تليفزيون؟!، ولم تتضح لى هذه الحقيقة طوال إقامتى فى ليبيا (٥٧/ ٥٩) إلا إننى

اكتشفت بمحض الصدفة الغريبة أن هذه القاعدة الجوية الأمريكية في قلب طرابلس الغرب عبارة عن مدينة أمريكية مصغرة يقيم بها العسكريون الأمريكيون وعائلاتهم، وبينها وبين الوطن الأم أمريكا طائرات مدنية فضلا عن الطائرات الحربية، وقد تم تصفية هاتين القاعدتين فيما بعد مع تطور الأحداث.

وبحكم عملي كانت لي صداقات مع الإخوة الليبيين ثم مع الجالية المصرية، ومع الجالية الفلسطينية، وكانوا من الذين لجئوا إلى ليبيا بعد إعلان دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، ولم يكن مضى على لجوئهم إلا سنوات قليلة، ولذلك كانت آثار هروبهم من الوحشية الصهيونية في فلسطين لازالت حية في نفوسهم وإن لم تنتقل إلى الليبيين.

ولقد شاءت الإرادة الإلهية أن تكون هناك صداقة بيني وبين أحد المسئولين الشباب في وزارة الخارجية الليبية ومع شاب مصري يعمل بمنظمة العمل الدولية، ومنتدب للعمل في أحد مراكز التدريب المهني التجاري في طرابلس الغرب، وكذلك مع شاب فلسطيني يعمل كخبير في التعليم – وانضم إلى هذه المجموعة من الصداقة طيار أمريكي يعمل بالقاعدة الجوية (هويلس)، وأتاح الموقف الأمريكي الإيجابي ضد العدوان الثلاثي على مصر فرصة ترحيب هذه المجموعة العربية بالصداقة مع الطيار الأمريكي.

وحدث أن الطيار الأمريكي قام بدعوة هذه المجموعة للعشاء في منزله داخل القاعدة الأمريكية احتفالاً بقدوم (السيدة حماته) ذات الخمسين عاماً، والقادمة من ولاية جورجيا الأمريكية، ولقد أبدت الضيفة دهشتها من أن يكون زوج ابنتها على صداقة بمجموعة عربية من مصر وليبيا وفلسطين، وبعد العشاء الأمريكي – وأعني بذلك أن كل الأطعمة والمشروبات كانت واردة من أمريكا – والأمريكيون بصفة عامة أينما كانوا في أركان المعمورة الأربعة يأتيهم طعامهم وشرابهم من أمريكا – تشعب الحديث مع ضيفة الشرف التي كانت شغوفة بالاستزادة من المعلومات عن مصر وليبيا وفلسطين، ولقد حرصت على أن تبدي اعتذارها العميق لسوء الفهم الذي

كان يسيطر على عقلها والشعور بالخوف الذى سيطر على قلبها فى بداية زيارتها لليبيا، وأرجعت دهشتها وسوء فهمها وتخوفها إلى ما حدث لها ليلة مغادرتها ولاية جورجيا، وقصت علينا ما حدث قائلة إن أقاربها دعوها ليلة المغادرة إلى «كنيسة المدينة»، حيث أقيمت صلاة تحفظها من العرب البرابرة، والعودة سالمة من خطر الوجود فى ليبيا، واستمعت أيضاً إلى نصائح تدعوها إلى تجنب الاتصال بأى عربى، وعدم الخروج من القاعدة الأمريكية «هويلس».

عزيزي القارئ: أذكرك أن هذه الذكريات تعود إلى ٥٠ عاماً مضت، ولا تسألنى عن رد فعل ما سمعناه من «الحماة الأمريكية»، فلقد اكتفينا بقبول اعتذارها الذى أبدته وزادت عليه بأن وعدت بأن تلوم أهلها فى أمريكا على جهلهم! ولم نرغب فى إثارة مناقشات سياسية فى هذا الحفل الاجتماعى، خاصة وأن السيدة الأمريكية اعتذرت بما فيه الكفاية، وكان هذا أول إيحاء أحس به بكره الغرب للعالم العربى وتسميتهم البرابرة من امرأة عجوز لا علاقة لها بالسياسة وإن كانت تدل على تغلغل فكرة الكره على المستوى الشعبى لدرجة إقامة صلاة فى الكنيسة الإنجيلية الأمريكية للحماية من العرب البرابرة، ولعل هذه الصدفة – التى أتيحت لى – تفسر حتى الآن عمق كراهية العرب والمسلمين التى تسود ليس أمريكا فحسب بل كل أوروبا.

مهمة دبلوماسية فى تركيا بلد الخلافة الإسلامية

قضيت سنتين فى العمل الدبلوماسى بليبيا ثم نقلت فجأة وبدون مقدمات إلى قنصلية الجمهورية العربية المتحدة (وهى دولة الوحدة بين مصر وسوريا فى عام ١٩٥٨) فى ميناء مرسين بتركيا، واستمر عملى بقنصلية الجمهورية العربية المتحدة فى ميناء مرسين التركى حتى نهاية الوحدة المصرية السورية التى كانت قد بدأت ٢٢ فبراير ١٩٥٨ والتى انتهت فى سبتمبر عام ١٩٦١، وانضمت القنصلية السورية فى مرسين إلى الجهاز الدبلوماسى والقنصلى للدولة الموحدة، ويرجع سبب إنشاء قنصلية سورية بمرسين إلى كونها على حدود لواء الاسكندرون السورى السليب، والذى ذكرنى بفلسطين السليبة، والذى اقتطع من سوريا عندما كانت تحت الاحتلال الفرنسى، وأهدى إلى جمهورية تركيا ثمناً لوقوف تركيا صاحبة ممرى البسفور والدردنيل اللذين يصلان البحر الأسود بالبحر الأبيض على الحياد فى الحرب العالمية الثانية (٣٩ - ١٩٤٥).

وهكذا سمحت تركيا لسوريا بعد استقلالها بإنشاء قنصلية سوريا فى مرسين، مع أن تركيا كانت تسمح للدول الأجنبية بإنشاء قنصليات فى ميناء الاسكندرون، إلا أن سوريا لم توافق على إنشاء قنصليتها فى لواء الاسكندرون السورى عاصمة اللواء، والمهم أنه بعد الوحدة المصرية السورية أصبحت القنصلية محل اهتمام القاهرة وتم تعيين ثلاثة دبلوماسيين مصريين فى هذه القنصلية كنت واحدا منهم.

وتركيا والأتراك موضوع مثير وشائق ومهم للمسلمين بصفة عامة وللعرب بصفة خاصة ولمصر على وجه الخصوص، وبهذه الروح كنت سعيداً بوجودى للعمل فى قنصليتنا فى مرسين خاصة فى ظروف تاريخية دقيقة لعل أصدق تعبير عنها ما قاله رئيس وزراء تركيا فى ذلك الوقت حيث قال (إن دولة عظمى قد ظهرت فى جنوب تركيا) يقصد دولة الوحدة (مصر- سوريا).

فكان ولابد من إقناع الأتراك بأنه لا توجد خطورة على تركيا من الوحدة المصرية السورية، حيث كانوا يعتقدون أنها خطر على تركيا، انطلاقاً من المقولة

البريطانية والتي تأثرت بها القيادات التركية. التى قالها وزير الخارجية البريطانية (بالمرستون) عام ١٨٤٠.

«ستكون فلسطين اليهودية سداً فى وجه أية محاولات شريرة لإنشاء دولة عربية تضم مصر والشام، وتهدد مصالحنا من جديد».

وغير خافٍ على القارئ العزيز أن أول شىء فعله صلاح الدين من أجل تحرير القدس وفلسطين من أيدى الصليبيين هو توحيد مصر والشام تحت لواء الدولة الأيوبية، ولعل هذا الإحساس التركى المتوجس من الوحدة المصرية السورية هو الذى دفع تركيا فور الوحدة إلى الاتجاه نحو إيجاد علاقات دبلوماسية مع إسرائيل التى أقلقها هى الأخرى الوحدة المصرية السورية.

كما كان لمكانة هذه القنصلية أهمية مؤثرة فى العمل الدبلوماسى الجاد، فبالإضافة إلى كون هذه القنصلية عيناً على لواء الاسكندرون السليب فإنها كانت قريبة من مدينة تركية مهمة يقال لها «أضنه» وبها قاعدة جوية أمريكية قاعدة تسمى (انجيرلك) كانت ولا زالت تستخدم فى التجسس على الاتحاد السوفيتى بطائرات «u» الدولة التى كانت تشارك أمريكا فى كونهما القوتين العظميين، وكانت القاعدة الأمريكية بها كثير من الضباط والطيارين من الأمريكان ومن الألمان الذين كانوا يتقدمون بجوازات سفرهم فى قنصليتنا بمرسين للحصول على تأشيرات زيارة لمصر وسوريا وكانوا يملئون المساحة المخصصة لبيان الديانة فى استمارة طلب التأشيرة بكتابة يهودى بروتستنت – أو يهودى كاثوليك!! وفى هذا الوقت أى منذ ٥٠ عاماً كنت أسألهم عن تفسير هذه التعبيرات على أساس أن الدين إما يهودى وإمَّا مسيحى، فكان ردهم العجيب والغريب الذى أسمعه لأول مرة: إن أى مسيحى هو يهودى والمسيح نفسه يهودى وأمه يهودية!!!؟

ومنذ ذلك الزمان لم أرغب أن أناقش هذا الموضوع معتقداً أن هذا النوع من الفكر نتيجة قوة تأثير وإيحاء الدعاية الصهيونية فى أوربا وأمريكا لكسب تأييد شعوبها بهدف خلق دولة يهودية فى فلسطين، واقتصرت مجابهتى آنذاك لهذا النوع من

الدعاية الصهيونية لدى المسيحيين من أوروبا وأمريكا بأن المسيح فى اعتقادهم وكما يقولون هو الإله أو ابن الإله ولا يصح مع هذا الاعتقاد وصف الإله بأنه يهودى، كما أنه من ناحية أخرى فحسب اعتقادهم أيضاً فإن المسيح جاء بديانة جديدة تنهى وتلغى الديانة اليهودية، وفى هذا تأكيد بأن المسيح لا يمكن أن يوصف بأنه يهودى.

ومع مرور السنين بعد أن غادرت مرسين عام ١٩٦١ أى ما يقرب من خمسين عاماً بعمق الاتصالات والقراءات والتفسيرات اتضح لى أن هذا الاعتقاد مبنى على أساس نظرية المسيحية اليهودية التى نشأت وترعرعت فى أمريكا، بل وتطورت إلى ما يعرف بالمسيحية الصهيونية وذلك لتأكيد حقيقة وجود اليهود فى دولة فلسطين، بل وزاد الأمر تعقيداً أن وجود دولة إسرائيل اليهودية بفلسطين أرض ميلاد المسيح هو تمهيد لما يؤمن به المسيحيون من عودة المسيح إلى أرض فلسطين ووجود مملكة الله، وبذلك يتم الإيمان الراسخ لدى كل مسيحى فى العالم الغربى بالمشروعية الدينية لدولة إسرائيل، وهنا لابد أن أذكر أن للكنيسة المصرية الأرثوذكسية المسيحية الشرقية رأيا يعارض هذا الفكر اليهودى الصهيونى كما سيأتى ذكره فى كتابنا هذا.

إن من يعيش فى تركيا يجد لغة تركية قديمة ولغة تركية حديثة، وتكتب كلتاهما بالأبجدية اللاتينية، بعد إلغاء الأبجدية العربية منذ عهد مصطفى كمال أتاتورك أى (أبو الأتراك) مؤسس الدولة التركية الحديثة، والذى تخلص من كل الظواهر الإسلامية التى كانت سائدة عندما كانت تركيا هى الإمبراطورية العثمانية أو الخلافة الإسلامية كما يطلق عليها، والتى انتهت بنهاية الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨)، والقارئ لكتاب الذئب الأغبر (The Grey Wolf) والمنشور فى بريطانيا يستطيع أن يعرف الجذور اليهودية لمصطفى كمال أتاتورك حيث كان من مواليد (سالونيك) المدينة اليونانية على الحدود التركية اليونانية، وكانت هذه المدينة معقل يهود شرق أوروبا، حيث كان أتاتورك يهودياً وأسلم ظاهرياً، وهذه

ظاهره موجودة فى تاريخ تركيا، منذ الخلافة الإسلامية، حيث كان هناك الكثير من اليهود الذين أسلموا ظاهريا واتخذوا أسماء عربية، أطلق عليهم الأتراك يهود (الدونمه) أى المهتدين فيهود الدونمة هم اليهود الذين أسلموا بعد دخول محمد الفاتح القسطنطينية، وكانوا جزءاً ضمن جالية من الروم والأرمن فى استانبول، انضم إليهم نوعان من اليهود الهاربين من الاضطهاد الكاثوليكى فى روما فى القرن الرابع عشر، وبعض اليهود الذين هربوا مع المسلمين عند سقوط الأندلس الإسلامية فى القرن الخامس عشر (١٤٩٢)، وتمتعوا بالعيش الآمن زمن الخلافة الإسلامية بوصفهم أهل الكتاب، كما تحولت تركية بعد تسلم هتلر الحكم فى ألمانيا وطيلة الحرب العالمية الثانية إلى ملجأ ليهود أوربا الهاربين من النازية، وأخذوا مناصب مالية وجامعية فى تركيا وهم يهود أوروبيون لا علاقة لهم بيهود الشرق.

وجدير بالذكر أن السلطان عبد الحميد الثانى تولى الخلافة الإسلامية فى الفترة ما بين (١٨٧٦– ١٩٠٩)، وهى الفترة التى قررت فيها الصهيونية العالمية الظهور بمملكة بنى إسرائيل من النيل للفرات، ودفعت أحداث ضاغطة بالدولة العثمانية إلى حروب متوالية فى روسيا والبلقان، أنهكت الدولة واستنزفت خزانتها وأثقلتها بالديون، فتقدم عملاء اليهود بالصفقة فى عام ١٩٠٨، يدفعون إلى الخزانة خمسين مليوناً من الجنيه الإسترلينى قرضا سهلاً مريحاً لسداد ما عليها من ديون، ويقدمون إلى خزانة السلطان خمسة ملايين جنيه هدية للسلطان عبد الحميد الثانى نظير سماحه بوطن لليهود فى فلسطين، فكان رده إيذانا بسقوطه وسقوط الخلافة الإسلامية، حيث تواطأت يهود الدونمة مع الدول الأوربية على عزل السلطان عبد الحميد الثانى فى عام ١٩٠٩، والغريب أنه يقال: إن الذى حمل قرار العزل من أوروبا إلى الآستانة هو تيودور هرتزل مؤسس الدولة اليهودية ورئيس المؤتمر الصهيونى الأول فى بازل ١٨٩٧، فما ملك السلطان عبد الحميد – رحمه الله – وهو يوقع على القرار إلا أن يقول: «أما وجد القوم غيرك من يحمل هذا القرار لى».

وفى التاسع والعشرين من أكتوبر عام ١٩٢٣ أعلن مصطفى كمال أتاتورك (أحد يهود الدونمة) قيام جمهورية تركيا العلمانية، وبعد أربعة أشهر أعلن إلغاء الخلافة الإسلامية فى مارس ١٩٢٤، كما أنشأ عاصمة جديده لتركيا العلمانية (أنقرة) فى وسط هضبة الأناضول، وألغى بذلك الدور التاريخى لعاصمة الخلافة الإسلامية (إسلام بول)، أى مركز الإسلام، والتى صارت (استانبول)، كما ألغى أهمية مدينة (قونية) فى قلب هضبة الأناضول، والتى كانت عاصمة للدولة السلجوقية فى ما قبل الخلافة العثمانية، والتى كانت مقراً للفيلسوف الإسلامى المعروف جلال الدين الرومى ومركزاً لنشاطه الإسلامى، حيث قام أتاتورك بإلغاء النشاط الإسلامى وحصره فى احتفال فلكلورى للدراويش بسيدى جلال الدين الرومى، كما قضى أتاتورك على (الأبجدية العربية التى كانت تكتب بها اللغة التركية والتى تتكون مفرداتها من كلمات وألفاظ عربية بنسبة ٧٠٪، واستحدث لغة تركية جديدة تكتب بالحروف اللاتينية، وادخل فى اللغة الكثير من المفردات الإنجليزية والفرنسية، إلا أنه لم يستطع القضاء علي تأثير اللغة العربية فى مفردات اللغة التركية، لدرجة أنه عندما ظهرت آلات التسجيل الحديثة لم تدخل الكلمة الأوربية (رى كوردر) بل دخلت كلمة (تسجل آلة سى) وهى مكونة من كلمتين عربيتين، ويكفى أن أذكر للقارئ العزيز أن أتاتورك عندما أقام الدولة العلمانية فى تركيا وقف يخطب فى البرلمان عام (١٩٢٣) ساخرا من القرآن حيث قال: «نحن الآن فى القرن العشرين ولا نستطيع أن نسير وراء كتاب تشريع يبحث عن التين والزيتون».

كما حول أتاتورك الآذان إلى اللغة التركية (الله بيوك) أى (الله أكبر) وغير زى علماء الدين, وحول الطربوش التركى إلى القبعة، وتم تأليف كتاب باللغة الإنجليزية عنوانه من الطربوش إلى القبعة، كما ألغى المظاهر الإسلامية فى شهر رمضان المعظم، وألغى الحجاب الإسلامى للسيدات، كما أباح المظاهر الأوربية المعارضة للإسلام مثل شرب الخمور والرقص والإباحية، وأعطى للجيش السلطة العليا فى حكم البلاد وحماية المبادئ العلمانية (اللادينية) حتى الآن، وشجع التيار اليهودى

فـــى تركيا، وقد كان الهدف من نقل مقر الحكم إلى أنقرة إبعاد اســـتانبول كمدينة إســـلامية عريقة بمآذنها ومســـاجدها التى يرتبط تاريخها بتاريخ الدولة الإسلامية فى تركيا، وقد كتب أمير الشـــعراء أحمد شـــوقى قصيدةً طويلة يرثى فيها الخلافة الإسلامية قائلاً:

ضجـــت عليـــك مـــآذن، ومنابـــــر ... وبكـــت عليـــك ممـــالك ونـــــــواح
الهنـــد والهـــة ومصـــر حزينـــــة ... تبكـــى عليـــك بمدمـــــع سحـــاح
الشـــام تســـأل والعـــراق وفـــارس ... أمحـــا مـــن الأرض الخلافـة مـــاح؟

ولا شـــك أن زيارة اســـتانبول تثير فى الحال ذكرى القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية المسيحية الشرقية الأرثوذكسية والتى فتحت على يد السلطان محمد الذى لقب بالســـلطان الفاتح وأصبح يطلق عليها (إســـلام بول) أو الأستانة (الباب العالى) بصفتهـــا العاصمة لمختلف عهود ســـلاطين الخلافة العثمانية التى اشـــتهرت دوليا بالخلافة الإسلامية، والتى اختفت من الوجود فى أعقاب الحرب العالمية الأولى.

ولســـت هنا مؤرخاً، ولكن أبرز ما شـــد انتباهى عند زيارتى لاستانبول شعورى بالتعجب لمشـــاهدة كنيســـة أياصوفيا، وقد أضيف إلى مبناها الخارجى من الأركان الأربعـــة مآذن، كما زينت مـــن الداخل بآيات من القـــرآن الكريم، فأصبحت أول مسجد يرمز إلى هذا الحدث التاريخى.

وكان مصدر تعجبى هو ما تذكرته فجأة من موقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، عندما زار مدينة القدس بعد أن دعى للصلاة بعد فتحها، ورفض دعوة البطريرك له أن يصلى فى أى جزء من كنيســـة القيامة، خوفاً من أن يتخذها المسلمون مسجداً، وبذلك أصبح هذا الموقف مبدأ إســـلامى لاحترام دور العبادة، وظلت كنيسة القيامة قائمة إلى وقتنا هذا ولا شـــك أن ما تذكرته عن عمر بن الخطاب قد أثار فى نفســـى تعجباً من عمل الســـلطان محمد الفاتح، ويبدو واضحاً أن هناك اختلافاً كبيراً بين صدى ما قرره عمر بن الخطاب فى الســـنين الأولى من تاريخ الإســـلام وبين ما قرره محمد الفاتح بعد مرور عدة قرون.

وتشاء إرادة الله أن يظهر في تاريخ تركيا مصطفى كمال أتاتورك ليتزعم حركة القضاء على الخلافة الإسلامية ضمن مخطط، وذلك عن طريق القضاء على الخلافة العثمانية التى كانت يطلق عليها الأوربيون وعلى سلطانها تعبير «رجل أوروبا المريض» ولقد استقر لمصطفى كمال الأمر بأن أصبح أول رئيس لجمهورية تركيا العلمانية. (ما بين ٢٢ – ١٩٣٨) التى اقتصر سلطانها وسيادتها على شبه جزيرة الأناضول.

ولست هنا مؤرخاً لكيفية تحول الخلافة العثمانية الإسلامية إلى جمهورية تركيا العلمانية، ولكن ما يهمنى أن أبرزه أن إرادة الله شاءت بأن يصدر أتاتورك (اليهودى الأصل) أمراً بوقف العبادة فى مسجد أيا صوفيا ليصبح متحفا وهكذا انتهى الأمر بكنيسة أياصوفيا التى حولت إلى مسجد بأن أصبحت متحفا، وسوف يكون لقضية كتابة القرآن بحروفه اللاتينية ملف خاص فى فترة المعاش يحمل عنوان (القرآن الكريم ولغتنا الجميلة حول العالم).

والذى يزور المتحف الآن يجد الإرادة الإلهية شاءت أن السلطان محمد الفاتح وهو يحول الكنيسة إلى مسجد قد أبقى على كل صور وزخارف الكنيسة، قام فقط بتغطيتها بطبقة المصيص، وزين هذه الطبقة بآيات من القرآن الكريم وشاءت الإرادة الإلهية مرة أخرى بمرور الزمن أن تسقط بعض أجزاء من هذا الغطاء لتظهر رسوم الكنيسة الأصلية، وظهر ذلك واضحاً فى هيكل الكنيسة، حيث ظهرت صورة القديسة مريم وهى تحتضن الطفل عيسى عليه السلام وبجوار ذلك مباشرة لفظ الجلالة (الله)، وبجواره محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام، والغريب أن كل ذلك اجتمع فى هيكل الكنيسة، وهو نفس محراب المسجد، لأن اتجاه هيكل الكنيسة فى اتجاه القدس، واتجاه القبلة فى محراب المسجد متجه إلى مكة، وكلاهما فى اتجاه الجنوب بالنسبة للقسطنطينية التى أصبحت إسلام بول (أستانبول) ولتسجيل هذه المعلومات رأيت أن أضع صورة توضح ما ذكرته.

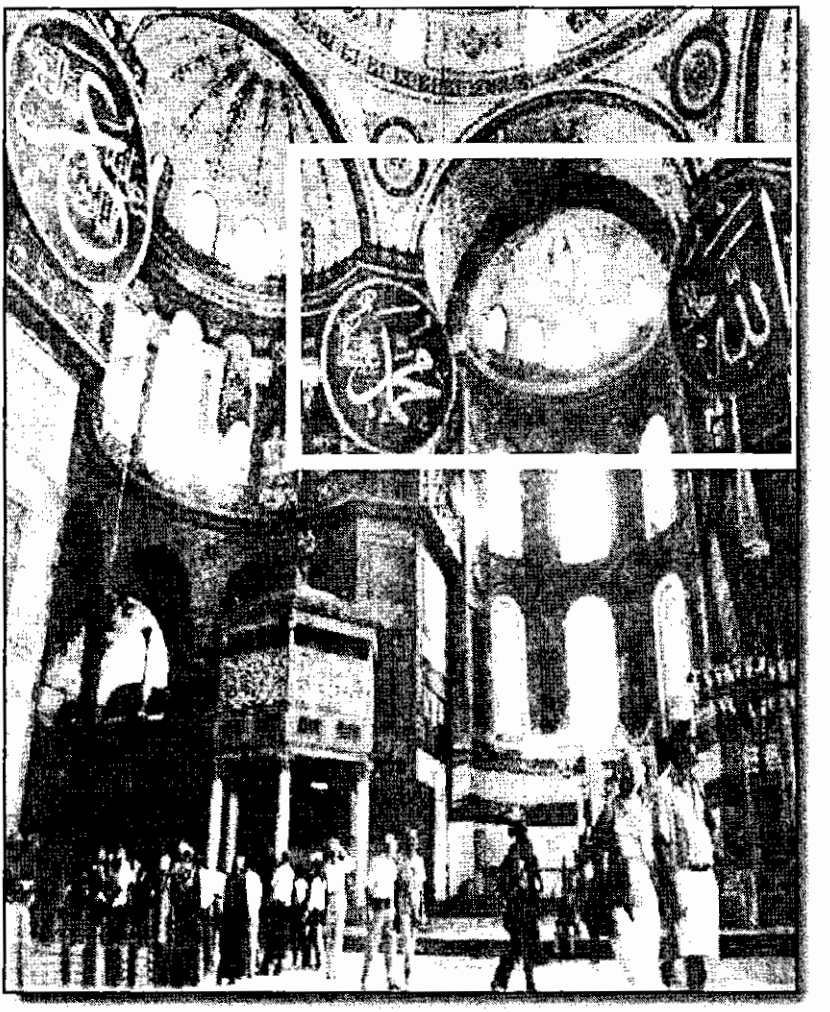

ولقد اهتم الشاعر أحمد شوقى بهذا الحدث بقصيدة جاء فيها:

كنيسة صارت إلى مسجد ... هدية السيد للسيد
كانت لعيسى حرماً، فانتهت ... بنصرة الروح إلى أحمد
شيدها الروم وأقيالهم ... على مثال الهرم المخلد

وقـد كان موقف السـلطان عبد الحميد الرافض للوجود اليهودى مسـيطراً علي فكرى أثناء زيارتى اسـتانبول، مما دعانى أن أتعرف إلى آثار هذا السـلطان العظيم بعد مرور عشـرات السـنين من عزله، فبادرت بزيارة قصر يلدز (أى قصر النجمة) فى اسـتانبول حيث، رافقتنى مرشـدة سـياحية تركية تتحدث اللغة الإنجليزية بطلاقـة، وانتهـى بنا التجـوال إلى قاعة العرش التى كانـت مخصصة للمقابلات الرسمية للسلطان.

ووقفت بى المرشـدة السـياحية على باب الدخول لقاعة العـرش هذه، وبدأت تحكـى لى عن فخامـة وأهمية هذه القاعة، وفـى أثناء حديثها دخـل إلى القاعة مـن باب جانبى فى نهايتها رجلان وسـيدتان، اسـتقر بهما الوقوف فى وسـط القاعة، وعلى أثر ذلك طلبت من المرشـدة أن أجول فى القاعة فاعتذرت لى قائلة: ممنوع دخول قاعات وصالونات وغرف قصور اسـتانبول حرصاً وخوفاً على سلامة السـجاجيد القيمة والأثرية الموجودة فى هذه القصور منذ عهود العثمانيين، والتى يخشى عليها إذا ما سمح للسياح (وهم ملايين) أن يمشوا عليها.

فأبديـت اعتراضى وطلبـت معاملتى مثل هذه المجموعة من الأشـخاص الذين دخلوا إلى وسط القاعة، فاعتذرت لى قائله: من بين هذه المجموعة سيده هى المدير العام المسئول عن كافة قصور السلاطين فى استانبول ومعها أيضاً المدير المسئول عن هذا القصر (قصر يلدز)، ومن الطبيعى أن يكون هناك سـبب مهم لوجودها وسـط القاعة، شـكرت المرشدة على هذه المعلومات، ورجوتها أن تبلغ السيدة المدير العام برغبتى فى أن أجول داخل القاعة مثل من معها بصفتى الدبلوماسية.

فقالت المرشـدة: اسـتأذنك لحظة، بعدها وجدت السـيدة المدير العام تأتى مع المرشدة لتحدثنى قائلة: إنها تأسف لعدم إمكانية تحقيق رغبتى حرصا على تنفيذ القواعد العامة التى لم تستطع أن تطبقها على الزائرين معها لأنهما حفيد السلطان عبد الحميد والسيدة حرمه.

وتصادف مع انتهاء حديث السـيدة المدير العام معى أن اقترب حفيد السـلطان والسيدة حرمه، فقامت بالتعريف بينى وبين حفيد السلطان الذى أبدى لى شعوره

بالسعادة أن يعود إلى وطنه تركيا بعد أعوام قضاها فى أمريكا منذ خروجه وهو طفل مع بقية أفراد عائلات السلاطين العثمانيين بعد زوال الخلافة العثمانية وإعلان جمهورية تركيا عام ١٩٢٢.

فقلت له إنى حرصت على زيارة هذا القصر لموقف جده السلطان عبد الحميد الرافض للوجود اليهودى فى أرض فلسطين، وذكرته بنص الرسالة التى رد بها السلطان عبد الحميد على وزير خارجية بريطانيا ليؤكد فيه رفضه التام لهذا الوجود اليهودى، أبديت سعادتى بهذه المصادفة فى أن نتلاقى معاً فى ظروف متشابهة شكلاً وإن كانت مختلفة موضوعاً.

وأعود مرة ثانية إلى عملى الدبلوماسى كنائب لقنصل الجمهورية المتحدة فى مرسين ما بين عامى (١٩٥٨ - ١٩٦١)، حيث أذكر، أننى كنت موجوداً بالقنصلية بمفردى دون زملائى الذين كانوا فى إجازة، ففوجئت بحارس الأمن المصرى يخبرنى بأنه فى صالة الانتظار خمسة أشخاص يريدون مقابلتى من عرب إسرائيل، فانتابتنى حيرة، هل أقابلهم أو لا، ثم اتخذت قرار مقابلتهم وسألتهم عن سبب الزيارة لتركيا، فأجابوا: حضرنا لزيارة سياحية لتركيا عن طريق الباخرة لأقرب ميناء تركى من إسرائيل وهو مرسين بعد إنشاء العلاقات بين إسرائيل وتركيا، وعبروا عن سعادتهم بوجود قنصلية للجمهورية العربية المتحدة فى أحد أهم شوارع مرسين، وأكدوا رغبتهم فى محادثة القنصل المسئول عن القنصلية، فأبديت ترحيبى بهم، وشكرتهم على مشاعرهم، وأبديت لهم بكل لباقة أنه ليس من مهام عملى أن أبادلهم الحوار بصفتهم قادمين من إسرائيل، ففهموا مقصدى واستأذنوا فى المغادرة، وبعد رحيلهم تبادر إلى ذهنى سؤال: هل أقوم بإبلاغ هذا الحديث لوزارة الخارجية، أو اعتبره حدثاً عابراً ليس له توابع ولا أهمية، وآثرت الصمت.

وبعد مرور الزمن اهتمت وسائل الإعلام المصرية بعرب إسرائيل أو عرب ٤٨، وهم المواطنون الفلسطينيون الذين تشبثوا بأرضهم ولم يهاجروا ولم يتركوا بلادهم

عام ١٩٤٨، وأصبحوا يحملون الجنسية الإسرائيلية ويمثلون – ومعهم الدروز – ما يقرب من ٢٠ ٪ من سكان إسرائيل (حوالى ٢ مليون شخص)، وإن كانوا مواطنين من الدرجة الرابعة فى إسرائيل، إلا أن لهم أعضاء فى الكنيست الإسرائيلى يمثلون بعض الكتل السياسية الإسرائيلية.

وتمارس إسرائيل كل أشكال التمييز العنصرى ضدهم على الرغم من ادعاء الديمقراطية الإسرائيلية، والغريب أن غالبية العرب الإسرائيليين استمر وجودهم فى المناطق العربية المحددة وفق قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧.

والجالية العربية فى إسرائيل حسب إحصائية عام ٢٠٠٤ تشكل ما يقرب من ١٦ ٪ من عدد السكان فى إسرائيل، فإذا أضفنا إليهم الدروز الذين يعيشون فى شمال إسرائيل، والذين انضم إليهم دروز سوريا بعد احتلال الجولان عام ١٩٦٧ فإن المجموع الكلى للعرب والدروز فى إسرائيل يكون ٢٠٪ من سكان إسرائيل.

وتحقيقاً لمبدأ (فرِّق تسُد) تسعى إسرائيل بشكل مستمر لإفساد العلاقة بين العرب والدروز، من أجل فصل الدروز عن العرب بهدف دمجهم فى المجتمع الإسرائيلى اليهودى وليس العربى، كما تسعى إسرائيل أيضاً بشكل مستمر إلى نشر حالة من الشك بين المسيحيين والمسلمين من عرب إسرائيل.

كل هذا يجب أن يدعو العرب وجامعة الدول العربية للقيام بدور أساسى من أجل دعم عرب إسرائيل أو عرب ٤٨، من أجل القضاء على الدعاوى التى تحاول أن تشير إليهم بأصابع الاتهام بالخيانة، فهؤلاء قوم تمسكوا بأرضهم ولم يتركوها برغم ما تعرض له آباؤهم وأجدادهم من قتل وتشريد من قبل عصابات الصهاينة فهم لم يتركوا أرضهم، ولو أن كل الفلسطينيين اتخذوا نفس الموقف ما كان حال فلسطين على هذا الحال؟! وتشاء المقادير أنه بعد ٤٠ سنة من زيارة وفد صغير من عرب إسرائيل ومقابلتى بهم بناء على طلبهم وأنا أقوم بأداء مهمة نائب قنصل الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا)، أن أكتب سطوراً فى جريدة الأهرام أعبر فيها عن سعادتى أن يزور مصر وفد من عرب إسرائيل فى زيارة اتسمت بشبه

رسمية، وأبرزت فى سطورى أننى كنت أول مصرى رسمى يقابل وفدا من عرب إسرائيل، الأمر الذى شعرت معه أن ذلك فضل من الله أن يمد عمرى لأكتب علناً عن عرب إسرائيل بعد أن كنت قد آثرت الصمت منذ ٤٠ عاماً كما ذكرت.

كما أنه فى إحدى المناقشات السياسية بينى وبين أحد كبار المسئولين الأتراك حول اعتراف تركيا كأول دولة إسلامية أو عربية بإسرائيل أذكر أننى قلت له: احذروا فإنه إذا كان الأتراك يعترفون بدولة إسرائيل على أساس أن فلسطين هى دولة اليهود منذ آلاف السنين، وأن إنشاء دولة إسرائيل فى زعمهم!! هو استرداد لأرضهم التى كانت ملكاً لهم منذ آلاف السنين، فإنه بنفس المنطق سيأتى يوم يطالب فيه اليونانيون بهضبة الأناضول (حيث دولة تركيا حالياً)، على أساس أنها أرضهم واحتلها الأتراك القادمون من وسط آسيا، وعندما سمع منى الدبلوماسى التركى هذا المنطق علق على حديثى قائلاً بعصبية: إن هذا لن يحدث ولن يستسلم الأتراك لهذا المنطلق. وكذلك لن يتراجع الأتراك عن الاعتراف بدولة إسرائيل!!

لكن سرعان ما حدث الانفصال بين مصر وسوريا فى ٢٨ سبتمبر عام ١٩٦١، وكانت تركيا أول دولة تعترف بدولة سوريا المنفصلة. وهنا هاج عبد الناصر (وشاتم) الحكومة التركية الفاشية فى أنقرة وعاد كل التمثيل الدبلوماسى المصرى فى تركيا سواء فى مرسين أم أنقرة أم فى استانبول.

إن خلاصة عملى الدبلوماسى فى تركيا (١٩٥٨ - ١٩٦١) قادتنى إلى الاقتناع بأن من يتابع الفكر السياسى الأوروبى فى السيطرة على بقية قارات العالم، ومن يعود فى قراءة التاريخ الأوروبى إلى الماضى.. إلى الحروب الأوروبية التى أشهرها الحرب العالمية الأولى ١٤ - ١٩١٨، وبعدها الحرب العالمية الثانية التى كانت نهايتها عام ١٩٤٥، وأن من يدرس الآن تاريخ وجود الدولة العظمى الوحيدة فى العالم وهى الولايات المتحدة الأمريكية ذات الجذور الأوروبية.

إن من يتتبع ذلك، ويحاول تفسير ما يعنيه ليتعرف على خيوط نسيج السياسة الأوروبية، ومن بعدها السياسة الأمريكية سيجد أن من بينها خيطين أساسيين

فى النسيج السياسى الأوروبى الأمريكى هما فى رأيى من أبرز الخيوط ذات التأثير الخطير على ما يجرى على ساحة السياسة العالمية الحالية، وهذان الخيطان هما: المسألة اليهودية، والمسألة الإسلامية.

ونبدأ بالمسألة اليهودية فهى بالنسبة لأوروبا أقدم وأوغل فى التاريخ وسأترك القارئ ليعود إلى أمهات الكتب التاريخية ليتعرف بنفسه، ويجد أن اليهودية كدين واليهود كبشر كانوا من ألد أعداء الأوروبيين، وكم عانى اليهود – كبشر – جميع أنواع الاضطهاد والاحتقار فى دول ومقاطعات أوروبا كافة على مر العصور منذ الإمبراطورية الرومانية قبل وبعد اعتناق المسيحية، ويمكن القول: إنه لم تشذ أى بقعة فى أوروبا منذ الإمبراطورية الرومانية فى كراهيتها واضطهادها وطردها لليهود، والأمثلة كثيرة وعديدة، نخلص منها إلى أن اليهودية كانت بالنسبة لأوروبا بمثابة عدو لابد من إيجاد وسيلة للتخلص منه، وأصبحت بذلك المسألة اليهودية الشغل الشاغل لنظم الحكم، وشعوب أوروبا المختلفة سواء لاتينية أو جرمانية أو أنجلو سكسونية.

ونأتى للمسألة الإسلامية التى يمكن للقارئ أن يدرس فى أمهات كتب التاريخ تصميم أوروبا وقواتها المتحالفة على تخليص ما يسمونه أرض المسيح «القدس وبيت لحم» من المسلمين البرابرة عن طريق حروب مقدسة قامت خلالها الجيوش الأوروبية بغزو فلسطين واحتلالها فيما عرف بالحروب الصليبية فى بداية الألف الثانية من التاريخ الميلادى، التى استمرت قرنين من الزمان.

كما يمكن للقارئ أن يعرف كيف عملت أوروبا على التخلص من الخلافة العثمانية الإسلامية التي أوصلت المد الإسلامى إلى شرق أوروبا حتى أبواب فيينا عاصمة النمسا (الحالية)، وهكذا كانت توصف بالإمبراطورية الإسلامية والتى أطلقوا عليها وعلى الإمبراطور العثمانى رجل أوروبا المريض الذى يجب القضاء عليه، وتم لهم فى أعقاب نهاية الحرب العالمية الأولى ١٤ – ١٩١٨، حيث تم احتلال الأوربيين لكل أراضى الخلافة العثمانية، وتم إعلان دولة تركيا العلمانية،

وعلى رأسها مصطفى كمال أتاتورك اليهودى الذى تزعم تنفيذ المخطط الأوربى فى تحويل الشعب التركى إلى شعب أوروبى فى معتقداته وفى مظاهر حياته!!

وهكذا كانت المسألة الإسلامية (ليس فقط فى الخلافة العثمانية ولكن التواجد الإسلامى الذى استمر ٨٠٠ سنة فى الأندلس ووصل إلى أبواب باريس فى شكل عدو لأوروبا تعمل جاهدة على التخلص منه والقضاء عليه، وبذلك نجد أن أوروبا كانت فى حرب مع عدو يهودى، وفى الوقت نفسه فى حرب مع عدو إسلامى.. إذن كيف تتخلص أوروبا من هذين العدوين؟ وكيف تقضى على خطر كل منهما؟ الرد على هذا التساؤل كان فى شكل بسيط وهو «فليحارب العدو اليهودى العدو المسلم» فإذا انشغل العدو اليهودى مع العدو الإسلامى استراحت أوروبا وأمريكا واستقر لهما الأمن والسلام!!.

وفى رأيى أن ساسة و مفكرى أوروبا القدامى عملوا وشجعوا على خلق «الصهيونية العالمية» التى تتبنى وتجمع يهود العالم حول فكرة إنشاء وطن قومى فى فلسطين قلب العالم العربى الذى هو قلب العالم الإسلامى، وأنه إن كانت الحروب الصليبية لم توفق ولم تنجح فى خلق مركز أوروبى غربى باسم الصليب، فلتقم «الصهيونية العالمية» ومن ورائها أوروبا بخلق كيان غربى فى فلسطين باسم الوعد الإلهى للشعب المختار، وهكذا تتحقق لأوروبا أهداف أحلامها وهى:

انشغال يهود أوروبا وأمريكا وروسيا بالوطن القومى فى فلسطين وفى هذا خلاص لأوروبا وأمريكا من المسألة اليهودية.

خلق حروب ومنازعات بين الصهيونية العالمية وبين الأمة العربية ومن ورائها الأمة الإسلامية، وتضمن أمريكا وأوروبا عن طريق هذه الحروب أن تضعف العرب والمسلمين وتشغلهم عن أية فرصة للتقدم أو الرقى أو النهضة، وبذلك تكسر أوروبا شوكة الإسلام، وتنهى المسألة الإسلامية التى شغلتها من قبل، وتسيطر على مشكلة قلق الوجود اليهودى فى أوروبا فى الوقت نفسه.

وهنا يثار سؤال: هل فعلاً تخلصت أوروبا وأمريكا من المشكلتين اليهودية والإسلامية، وأمنت مستقبل الأمن والطمأنينة فى بلادهم، أو أن الرياح تأتى

بما لا تشتهيه السفن، فالمشكلة اليهودية ستظل شوكة فى ظهر أوروبا وأمريكا، بمعنى أنه عندما تقوى الصهيونية العالمية إلى المدى الذى تستطيع فيه أن تقف موقف الانتقام من هذه الحضارة الأوروبية التى سامت اليهود العذاب والاضطهاد، وسيطبق مبدأ (علمته الرماية فلما أشتد ساعده رماني)، ويتحقق حلم الصهيونية بإنشاء حكومة صهيونية عالمية.

وعلى جانب آخر ما يحدث للمسلمين والعرب نتيجة عدوان إسرائيل والدعم من أوروبا وأمريكا لإعادة السيطرة على مقادير العالم الإسلامى والعربى ومحاولة تفكيكه، سيؤدى إلى قيام صحوة إسلامية تقوم على فكرة العودة للمجد الإسلامى والسيطرة الإسلامية والوقوف ضد العالم الغربى، حتى يمكن القول إن هناك وحدة محتملة ربما تحدث مستقبلاً بين اليهود والمسلمين للانتقام معاً من أوروبا وأمريكا.

ونتيجة قطع العلاقات الدبلوماسية بين مصر وتركيا على إثر الانفصال السورى رجعت إلى ديوان عام وزارة الخارجية فى أكتوبر ١٩٦١، ولما كانت وزارة الخارجية قد أنشئ بها مؤخراً إدارة لشئون إسرائيل بجانب إدارة شئون فلسطين، حاولت أن ألتحق بالعمل فى هذه الإدارة لكننى لم أنجح، وتم تعيينى فى إدارة العلاقات الثقافية التى ليس لها أية علاقة مباشرة بالصراع العربى الإسرائيلى، إلا أن إدارة الصحافة بوزارة الخارجية أمدتنى بفرصة الإطلاع على الجرائد الأجنبية والعالمية والتى كان ممنوعًا تداولها فى مصر، خاصة وأن عملى كعضو جديد فى إدارة العلاقات الثقافية كان شديد الأهمية بالنسبة لى، إذ لم يسبق لى العمل فى الوزارة داخل مصر إلا ثلاثة أشهر فى لجنة شئون الأعداء كما سبق ذكره، لذا حرصت على الالتقاء بزملائى العاملين فى إدارتى شئون إسرائيل وشئون فلسطين للاطلاع على تقارير سفارتنا فى عواصم العالم عن القضية، ونظراً لغيابى عن مصر ما بين عامى ١٩٥٧ و ١٩٦١، حاولت أن أعرف مدى اهتمام الرأى العام المصرى بالصراع العربى الإسرائيلى وآثار حرب العدوان الثلاثى؟؟ لكننى وجدت الناس فى مصر مشغولة بالنظم والقرارات الاشتراكية التى كانت تسعى حكومة الثورة بكل

ما أوتيت من قوة لدفع البلاد نحوها، فضلاً عن إنشـاء السد العالى وصناعة مصرية بخبرات سـوفيتية! فالهدف من الشـيوعية فى بلادها كان أمرين: الأول سياسى وهو القضاء على القيصرية الروسية كنظام سياسى، والثانى: دينى وهو القضاء على نفوذ الكنيسـة الأرثوذكسية التى تقود المسـيحية فى البلاد الشرقية وامتدت أيضا لمحاربة الدين الإسلامى فيما بعد تطبيقًا للمبدأ الشيوعى (الدين أفيون الشعوب)، كما أمد الاتحاد السوفيتى إسرائيل لتقويتها عند إنشائها بالدعم البشرى والسلاح، كما كانت من أوائل الدول التى اعترفت بإسرائيل واتحدت مع السياسية الأمريكية فى مجال مسـاعدة إسرائيل بالرغم من الاختلاف السياسى والعقائدى بين المعسكر الرأسمالى الغربى والمعسكر الشيوعى الاشتراكى، لكن الساسة المصريين – مع الأسف الشـديد – لم يدركوا فى ذلك الوقت أن التدخل السوفييتى فى السياسة والاقتصاد المصـرى لم ولن يكون من أجل تقوية مصر والعالم الإسـلامى والعربى فى صراعهم مع إسـرائيل، وأن الشـيوعية تحت قناع الاشتراكية معول هدم فى الكيان المصرى والعربى والإسـلامى، وهو ما تأكد فيما بعد فى نكسة ١٩٦٧ بعد ست سنوات من التغلغل الشيوعى السوفيتى فى مصر، ولست هنا مؤرخاً لعلاقة مصر مع السوفيت، ذلك التاريخ الذى أدعو الله أن يوفق الجيل الجديد المشـتغل بالدبلوماسـية والذين يتحملون وسـيتحملون المسـئولية لإعادة صياغة العلاقة بين مصر وبين الدول التى سـتتمخض عنها الأحداث التى مرت بما كان يسـمى رسمياً باتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية، والذى يشار لها بلفظ (السوفيت).

ولسـت فى هذه الذكريات أذيع أسـرار العمل الدبلوماسـى ولكنى أحرص على أن أقول الحقيقة عن نوايا الاتحاد السـوفيتى نحو مصر فى تلك الحقبة والتى كان يعبر عنها الدبلوماسيون السوفيت فى علاقتهم مع زملائهم الدبلوماسيين المصريين، ولعل لدى باقى المسئولين المصريين الذين شاء الله أن يكونوا على اتصال بالمسئولين السوفيت خلال الفترة التى ذكرتها أقول: لعل لدى هؤلاء المسئولين ما يؤكد، ويزيد عما لمسته شخصياً من الدبلوماسيين السوفيت.

كانوا لا يتركون فرصة ولا مناسبة إلا ويذكرون أن مصر بنهاية القرن العشرين، أى مع نهاية الألف الثانية من التاريخ الميلادى ستكون دولة شيوعية تدور فى فلك الاتحاد السوفيتى، وسيكون المصريون كلهم شيوعيين وسيختفى (أفيون الشعب) أى الدين الإسلامى والمسيحى، ولا بد أن تحتل اللغة الروسية المرتبة الأولى فى التعليم الذى لابد وأن يتضمن دراسة نظريات زعمائهم اليهود كارل ماركس اليهودى وأعمال لينين، وسيشرب الدبلوماسيون المصريون الخمر فى الحفلات، وسيأكلون الخنزير فى المآدب، وستتحول المساجد إلى متاحف، وسيعمل الشعب المصرى بدون انقطاع فى مناسبات الصلاة والصوم والأعياد الدينية.

عزيزى القارئ.. أرجو ألا تتعجب من جرأة الدبلوماسيين السوفيت وهم يرددون كل ما سبق أن ذكرته، فلقد كان حجم العلاقات السياسية بين القاهرة وموسكو عميقا، خاصة من خلال تيتو رئيس تشيكوسلوفاكيا العميل الهادئ للنظام الشيوعى آنذاك يسمح لهؤلاء الدبلوماسيين السوفيت أن يقفوا ويتطاولوا بهذا الموقف الجرىء من زملائهم الدبلوماسيين المصريين.

عزيزى القارئ لعلك تتساءل عن موقفى الشخصى أمام هذه التفاهات، لقد كان ردى الوحيد عليها كلمة واحدة، وهذه الكلمة كنت أقولها أولاً باللغة العربية (حتى لو كان من أمامى لا يفهمها) وأترجمها باللغتين الإنجليزية والفرنسية (هما اللغتان الدبلوماسيتان) هذه الكلمة الوحيدة هى (مستحيل) ثم أضيف كلمة أخرى (never) و (Jamais) تعليقاً على هذه التفاهات.

وأخيراً أحمد الله أن أطال عمرى حتى أرى وأسمع ما حدث عام ١٩٩١من انهيارات للشيوعية، ولما يسمى باتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، وإننى وإن كنت لا أمارس العمل الدبلوماسى لبلوغى سن المعاش، إلا أننى كنت أتمنى أن يطول عمرى الدبلوماسى لأقول لزملائى الدبلوماسيين السوفيت: أرأيتم كيف أن مصر على دينها كما أراد الله لها أن تكون عليه دائماً؟ أرأيتم أن نهاية القرن العشرين قد جاء بنهاية الشيوعية ونهاية نظامكم؟؟!! وخاب ظنكم، وتلاشى

أملكم، وحفظ الله مصر وأهلها على دين الإسلام، وظهر على ساحة العالم ست جمهوريات إسلامية – كانت تحت احتلالكم أكثر من سبعين عاماً هى: أوزبكستان – قازاغستان – تركمانستان – قيرغزستان – طاجكستان – وأذربيجان – وانضمت كلها إلى منظمة المؤتمر الإسلامى وإن شاء الله ستتمكن الشعوب المسلمة فيما يعرف الآن بروسيا الاتحادية (التى حلت محل الاتحاد السوفيتى) – ستتمكن هذه الشعوب الإسلامية من إعلان استقلالها وتحررها من سيطرة الروس – وليس ذلك على الله ببعيد، ولقد عايشنا كفاح شعب الشيشان كمثل تبدأ به حركات تحرير الشعوب الإسلامية من روسيا الاتحادية.

وجدير بالذكر هنا أن أذكر ما نشرته جريدة الأهرام يوم الجمعة ٨ أغسطس ٢٠٠١ بصفحة الفكر الدينى تحت عنوان «الرئيس بوتن يعلن رغبة روسيا فى الانضمام إلى منظمة المؤتمر الإسلامى كعضو مراقب» وذلك خلال زيارته لماليزيا معبراً عن رغبة روسيا فى الانضمام للمؤتمر الإسلامى باعتبارها دولة متعددة الأعراق والأقوام، كما أن بها ٢٠ مليوناً من المواطنين المسلمين، ويعتبر الدين الإسلامى الديانة الثانية بعد المسيحية الأرثوذكسية.

وهذا التصريح يستحق الترحيب الكامل من الدول الإسلامية أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامى البالغ عددهم ٥٧ عضواً، وفاتحة خير لمسلمى الشيشان وغيرها من المناطق الإسلامية فى روسيا الاتحادية مثل تاترستان وداغستان وباش قردستان، كما أن قبول روسيا بصفتها عضواً مراقباً فى منظمة المؤتمر الإسلامى يتفق مع ما جرى عليه العمل بالنسبة لعضوية دول أخرى ليست ذات أغلبية إسلامية وترجع خطورة تصريح رئيس روسيا الاتحادية بالنسبة للإسلام أنه أنهى تماماً ما كانت تذيعه أجهزة الاتحاد السوفيتى السابق من أن الدين أفيون الشعوب.

ويعيد ذلك للأذهان فأقول أنه بعد انهيار الاتحاد السوفييتى وظهور الوجه الإسلامى للجمهوريات الست بآسيا الوسطى:

تركمانستان وانضمت إلى المنظمة عام ١٩٩٢ – قرغستان وانضمت عام ١٩٩٢ طاجكستان وانضمت عام ١٩٩٤ – أوزبكستان وانضمت عام ١٩٩٦.

قازخستان وانضمت عام ١٩٩٦، فضلاً عن اذربيجان وهى الدولة التى انضمت إلى منظمة المؤتمر الإسلامى عام ١٩٩٢.

إن تصريحات بوتن تلزمه باتخاذ موقف حاسم من إسرائيل التى تنتهك حرمة المسجد الأقصى - أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى النبى (ﷺ) علماً بأن منظمة المؤتمر الإسلامى ظهرت إلى الوجود بعد حريق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩ على يد الصهاينة المتعصبين.

والأمل معقود بعضوية روسيا الاتحادية لمنظمة المؤتمر الإسلامى أن تنتهى النغمة الغربية المغرضة التى تربط بين الإسلام والإرهاب.

كل هذه الأمور وغيرها من الأهمية بمكان أن تعرض فى اجتماعات منظمة المؤتمر الإسلامى.

إن روسيا والفكر الشيوعى كانا دائماً موضوع تفكيرى واهتمامى، فالفكر الشيوعى أخرج يهود روسيا الذين كانوا ضد القيصرية الروسية والكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، كما أن كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) خرج من روسيا عام ١٩٠٢ بهدف سيطرة اليهود على القيصرية الروسية ونجاح الثورة الشيوعية عام ١٩١٧ ثم على العالم، كما أن الاتحاد السوفييتى كان يضم دول شرق أوروبا وإحدى دولها بولندا معقل يهود شرق أوروبا، فعندما يذكر الشيوعية لابد وان نذكر زعماءها اليهود من أمثال (لينين - ماركس - ستالين) وغيرهم الذين أسسوا مبدأ (الدين أفيون الشعوب) فى الوقت الذي كان بعض زعماء مصر السياسيين يدفعون البلاد دفعاً إلى القرارات الاشتراكية، فضلاً عن تغلغل النفوذ السوفييتى فى الجيش المصرى نتيجة إيفاد ضباط الجيش إلى الاتحاد السوفييتى للتدريب العسكرى والاطلاع على الأسلحة السوفيتية وكان أى ضابط لابد أن يجتاز فى مدة ستة أشهر فى دراسة المذهب الشيوعى، مما حاول صبغ الجيش المصرى باللون الأحمر الشيوعى فى ذلك الوقت كل هذه الأمور عايشتها أثناء عملى بالإدارة الثقافية لمدة عامين التى بدأت (٦١ - ١٩٦٣) وهو ما ظهر بعد ذلك بصورة واضحة فى نكسة ١٩٦٧.

مارسوا الدبلوماسية ولو فى الصين

فى منتصف عام ١٩٦٣ فوجئت بأننى نقلت للعمل فى سفارتنا لدى جمهورية الصين الشعبية برئاسة الزعيم الشيوعى ماوتسى تونج بعد معايشة الفكر الشيوعى طيلة عامين فى بلدى، ولم تكن قضية إسرائيل تشغل سفارتنا فى الصين لسببين الأول: هو موقف حكومة الصين، الرافض لإسرائيل لأنها تدور فى فلك الإمبريالية العالمية بزعامة أمريكا، والثانى: أن الصين كانت فى ذلك الوقت تؤيد الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى، كما اعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية واستقبلت الشقيرى أول زعيم للمنظمة الفلسطينية بعد إنشائها عام (١٩٦٤)، وكان هدف الصين من وراء ذلك أن تتخذ من هذا الموقف مدخلاً للعالم العربى والإفريقى تقضى به على العزلة التى فرضت عليها منذ أن استولى الحزب الشيوعى على الحكم فى الصين عام ١٩٤٩، كما حرصت على الاشتراك فى مؤتمر باندونج لدول العالم الثالث عام ١٩٥٥.

لقد كانت الصين تريد أن توجد علاقات مع العرب وإفريقيا، إذ لم يكن للعالم الغربى أى تواجد فى الصين فيما عدا دولة ألبانيا الأوروبية المسلمة، كما أن أمريكا لم تعترف بها إلا عام ١٩٧٢، فاهتمام الصين بالعالم العربى فى ذلك الوقت لم يكن حباً فى الدول العربية بقدر كونه رغبة فى الخروج من العزلة التامة، حيث بدأت العلاقات الدبلوماسية المصرية الصينية بعد مؤتمر باندونج وتابع مصر بعد ذلك فى تلك العلاقات عدد من الدول العربية مثل العراق وسوريا والجزائر، ذات الميل الاشتراكى، أما بقية الدول العربية آنذاك فلم تكن حريصة على إقامة علاقات دبلوماسية مع دولة تحكمها نظم ثورية شيوعية فيما عدا المملكة المغربية التى حرصت على تواجدها الدبلوماسى فى بكين لأسباب غير مفهومة.

ومن أهم الأحداث التى كانت تشغل السفارة المصرية آنذاك الترتيب لزيارة (شوين لاى) رئيس وزراء الصين لمصر ضمن جولة له شملت بعض الدول الأفريقية

والعربية وألبانيا الدولة الأوربية الوحيدة التى لها علاقة بالصين والطريف أن الصين حتى ذلك الوقت لم تكن عضواً فى الأمم المتحدة، وذلك بسبب معارضة أمريكا للنظام الشيوعى الصينى وتأييدها لما كان يسمى بالصين الوطنية (جزيرة تايوان) وما بين عامى (٤٩ – ١٩٧٢) لم يحدث اعتراف دولى كامل من الغرب بزعامة أمريكا بجمهورية الصين الشعبية الشيوعية ولذاك كانت محاولة الصين الشعبية الشيوعية للوصول للاعتراف والكيان الدولى الكاملين، ومحو صورة الصين الوطنية (ما قبل ١٩٤٩) من ذاكرة التاريخ السياسى، من ثم كانت جولة (شوين لاى) للبلاد العربية والأفريقية ضمن مخططات الصين للخروج من عزلتها عام ١٩٤٩، ولم تستطع الصين أن تصبح دولة دائمة العضوية ضمن الدول الخمس الكبرى آنذاك (أمريكا – روسيا – بريطانيا – فرنسا – جزيرة تايوان ممثلة للصين) إلا بعد الاعتراف الأمريكى بجمهورية الصين الشعبية عام ١٩٧٢ وظهر أن أمريكا اشترطت اعتراف الصين الشعبية بإسرائيل قبل اعتراف أمريكا بجمهورية الصين الشعبية، وكان أخطر ما فى الفترة لعملى (٦٣ – ١٩٦٥) الدبلوماسى بسفارتنا بالصين أن قامت الصين بتفجير أول قنبلة ذرية صينية عام ١٩٦٤، وبذلك فرضت نفسها على النادى الذرى الدولى، والذى كان مقتصراً على أربع دول هى:

(أمريكا – الاتحاد السوفيتى – بريطانيا – فرنسا).

تماماً كما فرضت الصين نفسها على أعضاء مجلس الأمن الدائمين الخمس وأصحاب حق الفيتو بعد طرد جزيرة تايوان من عضوية المجلس فيما بعد.

وتعليقى على قيام الصين الشعبية بتفجير قنبلة ذرية كان فى شكل معادلة ذكرتها عام ١٩٦٧ وأنا فى بلدى مصر مقارناً بين الثورة الشيوعية فى الصين واستيلائها على الحكم فى عام ١٩٤٩، وبين ثورة الجيش فى مصر واستيلائه على الحكم فى ١٩٥٢ والمعادلة تقول:–

١٩٤٩ (الثورة الصينية) + ١٥ سنة أى ١٩٦٤ (تفجير القنبلة الذرية).

١٩٥٢ (الثورة المصرية) + ١٥ سنة أى ١٩٦٧ (النكسة العسكرية)

انتهت فترة خدمتى بالصين فى منتصف عام ١٩٦٥، وأرى ألاَّ أختم ذكرياتى عن هاتين السنتين فى هذه التجربة التى شعرت مدى استفادتى بها بالرغم من أن زملائى أشفقوا على عند صدور قرار نقلى إلى الصين فى ظل الظروف الصعبة التى تعيشها والتى كانت معزولة عن الاتصال بالعالم الخارجى، والتى كانت الطائرة تصل إليها من القاهرة فى ٢٠ ساعة طيران، برغم كل ذلك إلا أن التجربة كانت مثيرة وثرية واعتبرت نفسى محظوظاً أن أمر بها، وأتذكر أن الدبلوماسيين الأجانب وأنا منهم فى الصين كنا نردد ونقول إذا أمضينا شهراً فى الصين نقول يمكننا أن نكتب كتاباً عن الصين، وإذا أمضينا سنةً نقول يمكننا أن نكتب مقالاً عن الصين، أما إذا عشنا أكثر من ذلك نقول نحتاج إلى سنين لنكتب مجلدات عن الصين العظمى (the great china) جغرافياً وإنسانياً وحضارياً وتاريخياً، وهنا أتذكر قول القائل «اطلبوا العلم ولو فى الصين» ولعل من أغرب المواقف التى مرت على خدمتى بسفارتنا فى الصين أن طلبت وزارة الخارجية من السفارة إمكانية استيراد أحذية لرجال الجيش المصرى فى اليمن التى تمكنهم من تسلق جبال اليمن الوعرة وهم يحاربون اليمنيين فى عقر دارهم أثناء ما يعرف فى تاريخ مصر بحرب اليمن فى عهد عبد الناصر بعد انفصال الوحدة السورية المصرية عام ١٩٦١.

وإذا كانت إسرائيل هى محور ذكرياتى عن نشاطى الدبلوماسى فى عواصم العالم فإن قلة المعلومات عن اليهودية والشيوعية الصينية وما بين الصين الشعبية ودولة إسرائيل التى بدت واضحة فى مدة خدمتى سنتى (٦٣ – ١٩٦٥) فى الصين توجب وأنا أكتب كتابى هذا أن الأمور اختلفت تماماً فيما بعد اعتراف أمريكا بالصين الشعبية ودخولها إلى الأمم المتحدة وعضويتها بمجلس الأمن لعضوية دائمة ضمن الدول الخمس الكبرى التى لها حق الفيتو، ووجودها كدولة ذرية قد دفع الصين إلى علاقات مع إسرائيل فى كافة المجالات وتبادل الزيارات والخبرات الأمر الذى قلل إن لم يكن أزال موقف الصين المؤيد للحقوق الفلسطينية الذى تحدثنا عنه فى هذه الذكريات ما بين عامى (٦٣ – ١٩٦٥)، مما جعلنى أتعجب من العلاقات الدولية

بين الأمم، وأن هذه العلاقات تتوقف كثيراً على القوة وتتميز بأن الضعفاء ليس لهم مجال ولا دور على الساحة الدولية، ولعل هذا يفسر و يشرح غموض ما وصل إليه موقف الدول العربية عن الصراع العربى الإسرائيلى.

على غير ما هو منتظر حيث إن هناك مبدأ أن من يخدم فى بلد صعبة المعيشة – والصين فى ذلك الوقت كانت من ضمن هذا التقييم فيكون المنصب التالى فى عاصمة بلد يتسم بالمعيشة فيه تكون مريحة وهذا العرف الدبلوماسى معمول به فى كل وزارات خارجية الدول، وتعبير صعب المعيشة أو مريح المعيشة يتعلق أساسا بتواجد وسهولة مطالب الحياة الأساسية سواء كانت اجتماعية أم صحية أم توفر وسائل التعليم وسهولة المواصلات واعتدال المناخ وما إلى ذلك من أمور تمس حياة الدبلوماسى وعائلته ولا ينظر فى هذا الشأن إطلاقا إلى أمور الرفاهية.

من يدخل كابول يبكى ومن يخرج منها يبكى

أقول: إنه على غير المنتظر تم نقلى مباشـرة من الصين – صعبة المعيشـة – إلى سفارة مصر فى كابول عاصمه أفغانستان عام ١٩٦٥ – وهى مدرجة أيضاً فى البلاد صعبة المعيشة ولم أنظر إلى هذا النقل بهذه الطريقة أنه نوع من العقاب الدبلوماسى غـير المبرر من قبل القيادات بوزارة الخارجية بالرغـم من أن كابول عاصمة لدولة منغلقة تقع على سلسلة من الجبال، وهو ما جعل البعض يطلق المثل الأفغانى الذى يقول نصفه الأول – (من يدخل كابول يبكى).

أما السبب الثانى فكان النظرة العامة لأفغانستان فى الوسط الدبلوماسى أنها منفى وليس لها دور مهم فى السياسـة الدولية آنذاك لكنى سعدت بالعمل فى أفغانستان بصفتها دولة إسـلامية عريقة، وكنت آمل دائماً أن رحلة عملى الدبلوماسى ستتيح لى أن أعمل فى بلاد إسـلامية مختلفة سواء فى آسيا أم إفريقيا، وكانت أفغانستان هى أول محطة إسلامية غير عربية أعمل بها بالإضافة إلى تركيا التى وإن كانت من الدول الإسـلامية تاريخياً إلا أنها فقدت تلك الأهمية الإسلامية أثناء حكم أتاتورك كما سـبق ذكره، وهذا الفكر الشـخصى جعلنى استكشـف نظرة مملكة أفغانستان المسلمة لإنشاء دولة إسرائيل على أرض فلسطين، لكن مع الأسف لم أجد أى صدى سـواء على الصعيد الرسمى أم الشـعبى، بالرغم من مرور ١٧ عاماً على إنشاء دولة إسرائيل على أرض فلسطين عام ١٩٤٨.

وكان التمثيـل الدبلوماسـي الأجنبى لدى دولة أفغانسـتان محصوراً فى أضيق الحـدود، حيث كان ينحصر على المسـتوى العربى فى (مصر والسـعودية) وعلى المسـتوى الإسلامى فى (باكستان)، وعلى المستوى الأجنبى غير العربى والإسلامى فـى الدول الكبرى وبالتحديـد بريطانيا بصفتها حاولت احتلال أفغانسـتان أثناء سـيطرتها على شـبه القارة الهندية، وأمريكا الطامعة فى وضع أقدامها فى وسـط آسـيا، والاتحاد السوفييتى الذى يسعى لمد سيطرته الشيوعية على بقية دول وسط

آسـيا المسلمة والتى كانت تحت الاحتلال السـوفييتى ومن ضمنهم بخارى والذى سعى لإنشاء ممر يخترق جبال الهند «كوش» بهدف أن تمر عليه الدبابات السوفيتية لاحتلال أرض أفغانستان وضمها إلى أراضى بخارى فيما بعد نهر (آمو) الذى يفصل بين أفغانسـتان والدول الإسـلامية فى وسط آسـيا تحت الاحتلال السوفيتى فيما عـرف بممر (سـالانج)، وكانت فترة عملـى فى أفغانسـتان (٦٥ – ١٩٦٧) فترة انبهار بهذا البلد، سـواء على مستوى الثروات الطبيعية التى حباها الله لما لها من ثـروة حيوانية ممثلة فى الأغنام والماعز، أم ثروة نباتية ممثلة فى الفواكه والصنوبر والمكسـرات، حيث كانت أفغانسـتان مشـهورة أيضا بفرو (الاستراكان) من صغار الأغنام والذى كانت تصنع منه أفخر أنواع المعاطف النسـائية التى تصنعها أوروبا فضلاً عن خصال الشـعب الأفغانى الطيبة ومعاملتهم السـمحة وتمسـكهم القطرى بالدين الإسـلامى والقيم الكريمة، وإعجابى الشـخصى بدورهم التاريخى فى نشر الإسـلام فى شـبه القارة الهندية من قديم الزمان كما يتميز جو أفغانستان بالفصول الأربعة (الخريف، الشـتاء، الربيع، الصيف)، كل هذه الأشـياء جعلتنى لا أعتبر أفغانستان منفى دبلوماسياً كما كان يعتبره الآخرون، وإنما اعتبرتها فرصة للتعرف إلى هذا العالم الجميل، وكانت أفغانسـتان أجمل محطات عملى الدبلوماسـى من الناحية الإنسانية.

وفجـأة وبحلول شـهر مايو ١٩٦٧، جاءت فى هذا الشـهر أحداث غلق خليج العقبة أمام إسـرائيل وطلبت مصر سـحب قوات الأمم المتحدة التي كانت متمركزة فـى هـذه المنطقة منذ عـام ١٩٥٦، وأدى ذلك إلى محاولة إبراز القوى العسـكرية المصرية، الأمر الذى قوبل من إسـرائيل «ومن معهـا» باعتبار ذلك إعلانا من مصر للحرب على إسـرائيل، وبالتالى بدأت وسـائل الإعلام الإسرائيلية «وغيرها» تنشر دقـات طبـول الحرب على مصـر، وفى ظل أحداث مايو هـذه تدفقت فجأة على السـفارة المصرية فى كابول جموع هائلة من الشـباب الأفغانـى تبدى رغبتها فى الوقوف مع مصر وتأييد القوات المسلحة المصرية والرغبة فى التطوع للدفاع عن حق مصر فى أية خطوة تتخذها حفاظاً على سيادة مصر ولتحرير فلسطين من العنصرية

الصهيونية، وهنا ظهر لى الانتماء، الدينى للأفغان تجاه قضية فلسطين والذى لم ألحظه فى بداية وجودى بأفغانستان ولم يظهر على الحياة للشعب الأفغانى أنه يحتفظ بهذا الانتماء واستمر هذا الحماس الأفغانى طوال أيام شهر مايو، وبدأ شهر يونيو، وقد تم إعداد كشوف الشباب الأفغانى المتطوع، وتمت الاتصالات مع القاهرة بهذا الخصوص وفجأة وقع العدوان فى ٥ يونيو وكان له صدى أيضا لدى الأفغان، ولدى الشباب الأفغانى الذى زاد تحمسه مطالباً بسرعة تسفيرهم إلى مصر لمشاركة إخوانهم المصريين فى ردع العدوان الإسرائيلى وتحقيق النصر الذى هو ليس فقط لمصر بل لمسلمى العالم ومنهم الأفغان، وفجأة مرة أخرى وافقت مصر بعد أيام معدودة على وقف إطلاق النار ٩ يونيو بعد أن وضح مدى الهزيمة التى لحقت بالقوات العسكرية المصرية، وهنا تدفقت على مبنى السفارة وعلى مسكن السفير المصرى وسكن أعضاء السفارة الآلاف المؤلفة من الشباب الأفغانى ينادى بعدم وقف إطلاق النار وضرورة استمرار الكفاح المسلح ضد إسرائيل حتى النصر أو الشهادة، وعبور الهزيمة العسكرية بمواصلة الحرب، وأن تقبل مصر فوراً المتطوعين المسلمين من الأفغان ومن غيرهم حتى يتحقق النصر أو الشهادة، وكانت هتافات الجماهير من الشباب الأفغانى التى تطالب باستمرار الحرب تختلط بهتافات أخرى تندد بروح الهزيمة والاستسلام الذى ظهرت ظلالها عندما أعلنت الحكومة المصرية قبولها لقرار وقف إطلاق النار، ولما انتهى ما نادى به الشباب الأفغانى بنكسة فى مشاعره، بدأ يرجم السفارة بالهتافات «وغيرها» للإعراب عن غضبه وسخطه وعدم رضائه عن الروح الاستسلامية التى اتسمت بها البيانات والقرارات الرسمية الصادرة من الحكومة المصرية، فضلاً عن موقف السفارة السلبى نتيجة لعدم تسلم أى رد فعل من القاهرة مما أثار الشباب على أعضاء السفارة وأنا واحد منهم.

وأعبر عن أسفى لإخوانى الأفغان أننى فى ذلك الوقت منذ أكثر من ٣٠ عاماً كنت أشعر بأن هتافاتهم وحماسهم لاستمرار القتال المسلح حتى النصر، أو الشهادة هو من قبيل الكلام الحماسى، والهتافات الحماسية التي اعتدنا عليها نحن فى مصر منذ ٤٨ إلى ١٩٦٧، ولكن أثبت الشعب الأفغانى لى ولغيرى أنهم فى سبيل الدفاع عن أنفسهم ووطنهم والإسلام يقاتلون فعلاً حتى النصر أو الشهادة، كما حدث

فعلاً خلال الـ ١٤ عاماً التى قضاها الشعب الأفغانى وهو يكافح الغزو السوفييتى الشيوعى الذى بدأ ببناء السوفيت لمر سالانج الذى قلت عنه: إنه سيكون الممر الذى تدخل فيه الدبابات السوفيتية لاحتلال أرض أفغانستان، هذا الكفاح الأفغانى الإسلامى جعل كلمة (المجاهد) مصطلح أمريكى يدل على الشجاعة، بالرغم من أن أمريكا نفسها هى التى جعلت هذا المصطلح فيما بعد يدل على الإرهاب.

وربما هذه القوة التى أظهرها الشعب الأفغانى فى كفاحه ضد السوفيت هو الذى دفع أمريكا إلى محاولة القضاء علي القوة الأفغانية عن طريق احتلال أفغانستان بعد خديعة أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ اليهودية بمبانى المركز التجارى العالمى فى نيويورك و أسطورة أسامة بن لادن الملفقة التى صنعها الأمريكان ومن ورائهم الصهيونية بهدف تصوير الجهاد الإسلامى على أنه إرهاب وهذا العدوان الأمريكى يحتاج إلى كتاب آخر.

عقب هذه الأحداث جاء شهر يوليو الذى كان الشهر الأخير لى فى أفغانستان ولابد أن أعود إلى الوطن، إلا أن مطار القاهرة الذى كان مغلقاً بسبب النكسة، الأمر الذى اضطرنى أن انزل إلى بيروت حتى يفتح مطار القاهرة، فوجدت آثار النكسة متجسدة فى المصايف الخاوية على عروشها فى لبنان نتيجة توقف السياحة.

وكانت الأيام العشرة التى قضيتها فى لبنان فرصة كى أجلس مع نفسى أتأمل الوجود الإسرائيلى بعد ١٩ سنة من إعلان قيام دولة إسرائيل من (٤٨: ١٩٦٧).

لقد أصبحت إسرائيل قوة مستقلة لا تنتظر بريطانيا وفرنسا كما حدث فى ٥٦ كى تحتل مصر وتهجم عليها، ولكنها الآن تستطيع بمفردها فى ٦٧ أن تحتل سيناء فى مصر والجولان فى سوريا وبقية الأراضى الفلسطينية ممثلة فى الضفة الغربية وقطاع غزة وفى ستة أيام فقط هزمت ثلاث دول مصر وسوريا والأردن بما لهم من حضارة وتاريخ، وفلسطين أرض الأقصى، لدرجة أن هذه الحرب إن كنا نستطيع أن نطلق عليها حرباً لا يزالون يطلقون عليها حتى الآن حرب الأيام الستة، وبذلك اتضح أن إسرائيل لم تعد فقط أرض الميعاد لشعب الله المختار ولكنها

قوة هدفها القضاء على العرب والإسلام سواء كان ذلك لصالح أمريكا لمساندتها إسرائيل، أم لإنشاء إسرائيل من النيل للفرات، ووجودى فى أفغانستان أكد لى العداء الغربى للإسلام، وهو عداء كامن يظهر من حين لآخر.

وهكذا انتهى عامان من العمل الدبلوماسى فى كابول، وشعرت بمعنى النصف الثانى من المثل الشعبى الذى ذكرت نصفه الأول والذى كان يقول (من يدخل كابول يبكى). أما النصف الثانى من المثل فكان خير تجسيد لحالتى النفسية فى ذلك الوقت، حيث كان يقول المثل (ومن يترك كابول يبكى)!!.

لقد كنت منذ وصولى أفغانستان أعرف أنى سأبقى عامين بها، وخططت أن رحلة العودة ستكون (كابول – طهران – عمان الأردن – القدس) لأصلى فى المسجد الأقصى قبل وصولى للقاهرة، لكن كل هذا ضاع مع ما حدث من عدوان إسرائيلى واحتلالها القدس فى حرب الأيام الستة أو نكسة ١٩٦٧، وضاع هذا الأمل حتى الآن، ولم يعد لى أدنى آمل أن أحقق هذا الحلم بعد أن بلغت من الكبر عتيا إلا أن الله قادر أن يهيئ لى هذه الصلاة فى المسجد الأقصى قبل موتى.

وعدت إلى القاهرة من بيروت بعد فتح مطار القاهرة واستلمت العمل بإدارة العلاقات الثقافية للمرة الثانية وأصابتنى حالة من الذهول أن أرى الشعب المصرى فى هذه الحالة بعد النكسة خاصة، وأن إسرائيل قد استطاعت أن تصل إلى الضفة الشرقية لقناة السويس للمرة الثانية، وإذا كان المجتمع المصرى الصغير فى كابول قد بكى بسبب النكسة فإن الفاجعة الكبرى كانت شديدة على جميع مستويات الشعب المصرى حتى على مستوى سائقى التاكسى. ولم أتعجب عندما سمعت رأى الشيخ الشعراوى آنذاك بأن نكسة ١٩٦٧ انتصار للإسلام، فما كانت صلاته الشاكرة لله بعد الهزيمة تشفياً أو شماتة، وإنما لإدراكه كرجل دين أن هذه الهزيمة ناقوس خطر يدق بخطورة التواجد الشيوعى الاشتراكى على الدين الإسلامى فى مصر، فعبد الناصر ونظامه منذ ١٩٦١ كانوا يؤسسون فى مصر ذلك النظام الشيوعى على أعلى مستوى، لذا فإن هزيمة ذلك النظام الاشتراكى الشيوعى السوفيتى معناه انتصار الإسلام.

أمـا على مسـتوى وزارة الخارجية فقد كانت فى حالة مـن الجمود، وأصيب الدبلوماسـيون بصفة عامة بالانهزام النفسى كصدى لحالة الإحباط لدى المصريين، وتقارير الدبلوماسيين فى جميع عواصم العالم كانت تصل للوزارة تعطى صورة قاتمة خاصة على مسـتوى الأمم المتحدة التى تناقش هذا العدوان، والتى انتهت بصدور القرار الشهير رقم ٢٤٢ الذى اقتضى أمرين:

(أ) انسـحاب القـوات الإسـرائيلية مـن الأراضى التى احتلتهـا (فى النص الإنجليزى: «من أراضٍ احتلتها») فى النزاع الأخير.

(ب) أن تنهـى كل دولة حالة الحرب، وأن تحترم وتقر الاسـتقلال والسـيادة الإقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقة، وحقها فى أن تعيش فى سلام فى نطاق حدود مؤمنة ومعترف بها متحررة من أعمال القوة أو التهديد بها.

١ – ويؤكـد القـرار الحاجة إلى ضمـان حرية الملاحة فى الممـرات الدولية فى المنطقة. تحقيق تسوية عاجلة لمشكلة اللاجئين.

ضمان حدود كل دولة فى المنطقة واسـتقلالها السياسى عن طريق إجراءات من بينها إنشاء مناطق منزوعة السلاح.

٢ – يطلب من السـكرتير العام أن يعين ممثلاً خاصاً إلى الشـرق الأوسط لإقامة اتصالات مع الدول المعنية بهدف المسـاعدة فى الجهود للوصول إلى تسـوية سلمية ومقبولة على أساس النصوص والمبادئ الواردة فى هذا القرار.

٣ – يطلـب من السـكرتير العام أن يبلغ المجلس بمدى تقـدم جهود المبعوث الخاص فى أقرب وقت ممكن.

ويمكن القول أن الدبلوماسـية المصرية بذلت كل ما فى وسعها لتغطية الهزيمة العسـكرية وتقليل آثار الخسـائر التـى أصابت الجيش المصرى علـى غير المتوقع ومحاولة إيجاد ضغط دبلوماسـى على إسـرائيل التى كانت فى حالة من النشـوى والانتصار العسكرى الذى سيطرت فيه على سيناء المصرية والجولان السورية وكافة الأراضى الفلسطينية.

وأعتقد أن كتابى هذا ليس مجال تفصيل حجم نكسة ١٩٦٧ ولا تفصيل جهود شعب مصر وجيش مصر وحكومة مصر فى استرداد الكرامة الوطنية التى أصابتها مصيبة كبرى، وأمضيت ثلاث سنوات فى العمل بإدارة العلاقات الثقافية بالخارجية فى ظل هذه الظروف التى تعانيها مصر جراء نكسة ١٩٦٧، وانصب العمل الدبلوماسى على علاقات مصر بالخارج ثقافياً وحضارياً عن طريق اللجنة الثقافية العليا مع دول العالم والتى كانت تتكون برئاسة وكيل وزارة الخارجية ووكلاء الوزارات التى تخدم علاقات مصر مع الدول الأخرى وذلك كان بهدف تغطية الانكسار العسكرى الذى له أثره على قيمة مصر دولياً.

الدبلوماسية الأوروبية فى العاصمة البلجيكية

فى منتصف عام ١٩٧٠ نقلت للعمل فى سفارة مصر لدى بلجيكا والتي كانت مركزاً للصهيونية العالمية المتمركز نشاطها فى ميناء (أنفرس) (أنتوويرب) وهو أكبر مركز للتسويق وتجارة الماس نتيجة احتلال بلجيكا للكونجو مصدر الماس فى أفريقيا الذى يسيطر على تجارته اليهود، وقد كانت العاصمة البلجيكية بروكسل مقراً للتجمع الأوروبى ومقراً لحلف الأطلسى (الناتو)، فضلاً عن كونها مركزاً للمنظمات الصهيونية التى كان لها نشاط صهيونى بارز فى أوروبا بصفة عامة وبر وكسل على وجه الخصوص لاسيما بعد انتصار إسرائيل على الدول العربية (مصر – سوريا – الأردن – فلسطين) فى ١٩٦٧ فى ستة أيام فقط وهذه الفترة التابعة لنكسة العرب وانتصار إسرائيل هى أقوى فترات التأييد الأوروبى للوجود الإسرائيلى والسعادة البالغة بالانتصار على العرب، وهى رؤية أوروبية تتسق مع العقلية الأوروبية (حكومة وشعوباً) التى تتسم باحترام مبدأ القوة، برغم الكره التقليدى الكامن لليهود، وبرغم الإعجاب الأوروبى بصفة عامة والبلجيكى خاصة بعلم المصريات (الايجبتولوجى) وهذا العشق لمصر وآثارها، هذه السعادة تتفق أيضا مع كرههم الكامن للمسلمين والعرب على وجه العموم وتأكيداً لخطة الغرب فى تحقيق قوة قادرة على ضرب العرب والمسلمين والتى تتمثل فى خلق دولة إسرائيل وطبقاً للعرف الدبلوماسى الدولى قامت السفارة بإخطار الخارجية البلجيكية بوصولى واستلامى العمل لسببين: الأول كى تكتب هذه المعلومات فى الكتاب الذى تصدره وزارة الخارجية البلجيكية عن السفارات وأعضائها فى بلجيكا، فضلاً عن اتخاذ الإجراءات اللازمة بشأن تواجدى فى العاصمة البلجيكية، كما يستدعى العرف الدبلوماسى أن تحدد وزارة الخارجية البلجيكية موعداً كى أزور الخارجية البلجيكية، ومقابلة العضو الدبلوماسى البلجيكى المختص بشئون مصر، وبالفعل تحددت لى المقابلة، وأثناء تواجدى بوزارة الخارجية البلجيكية وبعد مقابلة للمسئول البلجيكى قمت بزيارة

مكتبة الوزارة ووجدت كتاباً يتحدث عن تاريخ بلجيكا، وفوجئت أن فى مقدمة هذا الكتاب يفخر البلجيكيون بالقائد (شارل ذو المطرقة) الذى كان قائداً للجيوش الأوربية التى هزمت الجيش العربى الإسلامى فى موقعه «بواتييه» التى تبعد عن باريس بـ (٣٠٠ كم)، وتفتخر بلجيكا بهذا القائد البلجيكى لأنه أنقذ أوروبا الغربية من المسلمين البرابرة الذين وصلت جيوشهم إلى أسبانيا فى القرن السابع وأسست دولة الأندلس، وهكذا اشتهر فى الغرب (شارل ذو المطرقة) فى انتصاره على المسلمين المتجهين نحو فرنسا، كما اشتهر الملك ريتشارد قلب الأسد – ملك بريطانيا – فى الحروب الصليبية على القدس فى الشرق، ووجدت فى المكتبة الكثير من المراجع والكتب التى كتبت بعقول وأقلام ودوافع صهيونية.

كانت هناك حادثتان كشفتا لى تصور العقلية الغربية للإسلام والعروبة والمصرية على المستوى الشعبى، **الحادثة الأولى:** هى لقائى مع إحدى السيدات البلجيكيات والتى قابلتها كى أقوم بتأجير إحدى الشقق فى ذلك المبنى الفاخر القريب من السفارة المصرية الواقعة فى قلب بروكسل والتى تطل على أحد أهم شوارع العاصمة البلجيكية، كانت مديرة هذا المبنى الذى نصحنى زملائى السكن فيه لقربه من السفارة ولرقى مستواه لفترة مؤقتة حتى يتم ترتيب سكنى الدائم وحضور عائلتى، وفى البداية وافقت السيدة على تأجير شقة صغيرة مكونة من (حجرة + صالة + حمام + مطبخ)، وعندما طلبت منى جواز سفرى لتقوم بتسجيل البيانات، فوجئت برفضها الشديد لسكنى عندها وعندما سألتها عن السبب أكدت أنه كونى مسلما، فبادرت بسؤالها: ما الخطأ فى كونى مسلما، فأجابت: أنتم المسلمون تقولون: إننا لن ندخل الجنة، وإنكم أنتم فقط الذين ستدخلونها، فأجبت بابتسامه: إن قرآننا يؤكد أننا نؤمن بكل الأديان السماوية (اليهودية – المسيحية – الإسلام)، كما يؤكد أن مسألة الجنة والنار والثواب والعقاب كلها أمور لا يعلمها إلا الله وقمت بترجمة الآية القرآنية فى سورة الحج «آية ١٧» والتى تقول: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ

﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾

كما أن الآية القرآنية «٦٢ من سورة البقرة» تقول: بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

كـى أؤكد لها أن ديننا الإسـلامى لا يقـول: إن الجنة موقوفة على المسـلمين فحسـب، تفهمت السيدة هذا واعتذرت عن خطأ فهمها، ووافقت على الفور على سكنى بهذا المبنى وصارت بيننا صداقة طيلة فترة عملى ببلجيكا.

لكن ظل هذا الموقف من تلك السـيدة الكاثوليكية العجوز دليلا على مدى سـوء فهم الإسلام فى العقلية الأوربية بصفة عامة.

أمـا الحادثة الثانية: فهى حادثة مرض ابنـى حيث اضطرتنى ظروف مرضه المفاجـئ أن أتوجـه إلى عيـادة طبيب عظام مشـهور بدون موعد سـابق، وعندما اسـتقبلتنى ممرضة الطبيب وعرفتها بنفسى أخبرت الطبيب من التليفون الداخلى قائلة له: إن مستشـار السفارة المصرية موجود بالعيادة لظروف مرضية مفاجئة فرد الطبيب على الفور: إنه يأسف لعدم استطاعته استقبال أى مريض مصرى!!

حقيقة كان رد الطبيب مفاجئاً وغريباً وبعيداً عن آداب مهنة الطب كما كان رده عنصرياً صريحاً وأخيراً كان هذا الرد بالنسـبة لى تحدياً ووضعنى فى موقف المدافع عن مصريتى وعروبتى وإسـلامى، ولقد نسـيت من سـوء تصرف الطبيب آلام مرض ابنى الذى ألجأنى إلى عيادته مع كل هذه المشاعر التى سيطرت على فكرى، ولكنى – كدبلوماسـى – تمالكت نفسـى وبكل هدوء مع ابتسـامة مصطنعة قلت للممرضة: اخبرى الطبيب أنى سـأطلب من هنا وزارة الخارجية البلجيكية لتتدخل. إزاء ذلك

تركت المرضة مكتبها ودخلت إلى الطبيب ومكثت معه فترة طويلة نسبياً وخرجت لتقول لى ببرود أوروبى «حسناً يا سيادة المستشار سيستقبلك الطبيب ولكن بعد أن ينتهى من الكشف على كل المرضى الموجودين» فتبسمت لها شاكراً وجلست انتظر.

بعد أن انتهى من أداء مهمته كطبيب بادرته قائلا «بحزم» إننى لا أستطيع أن أغادر عيادته قبل أن يفسر لى قوله: عدم استطاعته استقبال أى مريض مصرى فرد على قائلا: لأننى أحب مصر ومعجب بتاريخ مصر لكن حدث ما جعلنى أقرر أنه من الأفضل عدم رؤية أى مصرى بعد ما حدث، فازداد تعجبى من أن يكون هذا الطبيب المشهور الكبير فى هذه السن فى حالة نفسية متناقضة نحو مصر والمصريين الأمر الذى أدى بى إلى أن أدعوه على العشاء لنجلس سوياً ونتبادل الحديث فيما حدث.

تقابلنا فى الموعد المحدد كأصدقاء وحكى لى ما حدث قائلا: إن إسرائيل قامت بدعوة الاتحاد العالمى لأطباء العظام لعقد دورته السنوية فى تل أبيب فى ضيافة إسرائيل وذلك فى شهر أكتوبر ٦٧ أى بعد انتصار إسرائيل فى حرب الأيام الستة التى بدأت فى ٥ يونيو ٦٧ واستجاب الاتحاد العالمى لهذه الدعوة وعقب انتهاء الدورة فى العاصمة تل أبيب قامت سلطات إسرائيلية بتنظيم رحلة ترفيهية لكافة الأطباء المشاركين من كافة دول العالم فيما عدا الدول العربية واستقل الأطباء عدة طائرات هليوكوبتر من مطار تل أبيب دون الإعلان عن مكان الرحلة وازداد غموض الرحلة بأن قام الإسرائيليون بإعطاء منديل أسود لكل راكب ليغطى عينيه وبعد فترة وجيزة من الطيران هبطت الطائرات ونزل الأطباء وعينهم مازالت مغطاة وقام المشرفون بمساعدة الأطباء فى التحرك إلى مسافة قصيرة مشياً على الأقدام ثم نادى صوت جهورى «أيها الأطباء الضيوف ارفعوا المناديل السوداء» حيث وجدوا أنفسهم على ضفاف مجرى مائى وعاد الصوت الجهورى قائلاً «أيها الضيوف أنتم الآن على شاطئ مجرى قناة السويس فى آخر حدود آسيا وعلى الشاطئ المقابل تبدأ قارة إفريقيا ولتشربوا معنا نخب انتصار إسرائيل»!!

عندما توقف الطبيب بعد سرد هذه القصة قال معقباً: إنه شعر فى هذه الرحلة الإسرائيلية بالحيرة بين الشعور بالحب لمصر ولتاريخ مصر وبين تعجبه لهزيمة

الجيش المصرى أمام الجيش الإسرائيلى، ولم يكن مصدقاً أن حجم الهزيمة المصرية إلى هذا الحد وعاهد نفسه إزاء هذا التناقض أن يبتعد عن كل ما هو مصرى حتى لا ينتابه الشعور بالضيق والتعجب مما حدث خاصة وأنه لم يسمع أى تفسير مقنع من أى جانب مصرى لهذه الهزيمة ومن هزمهم؟ اليهود الذين يحتقرهم هذا الطبيب من قلبه الاحتقار التقليدى فاكتفيت بأن أعلق قائلا: - سيأتى اليوم الذى تسترد فيه أيها الطبيب حبك لمصر وتستعيد إعجابك بتاريخها وحاضرها.

لكن الموقف أثار تعجبى من ذلك الطبيب الذى يركز على هزيمة مصر دون أدنى إشارة لهزيمة بقية الدول العربية وعلى رأسها فلسطين الضحية الأولى لإسرائيل وسوريا التى ضاعت منها الجولان، فهو يركز على هزيمة مصر لما يحمله تاريخها القديم من تقدير بالغ فى نفسه، وهو الأمر الذى جعله لا ينظر إليها بمنظور عربى، لما تحمله نظرة البلجيكيين للعرب من استهانة وعدم تقدير،الأمر الذى اتضح بصورة لافتة فى تلك النافورة فى أحد الميادين المهمة فى قلب بروكسل عاصمة بلجيكا وهذه نافورة من الضخامة إلى درجة أنها تدهش الناظر إليها سواء فى مبناها الحجرى والرخامى أم كمية الماء التى تتناثر من عيونها، ومما يلفت النظر بصورة أكثر فى هذه النافورة اللوحات المعدنية الضخمة المثبتة فى واجهتها التى تشد النظر وتدعوها إلى القرب من اللوحات ليشاهد ويتحقق من الرسومات المنقوشة والبارزة وكذا يقرأ الكلمات التى تزين هذه الرسومات.

ولقد فوجئت عندما اقتربت أمام هذه اللوحات لاستمتع وأقرأ ما يزينها من كتابات.. أقول: فوجئت بأن عينى وقعت على رسم بارز لإنسان على رأسه عقال عربى وممدد على الأرض، وفوق جسده أرجل تلبس أحذية ضخمة لرجال بملابسهم العسكرية وفى أيديهم بنادق وهم يصوبون «السونكى» إلى صدر وجسد الإنسان ذى العقال العربى.

وعند مشاهدتى هذه الرسومات مر بخاطرى خيالات عما يرمز إليه هذا المنظر وحاولت بسرعة أن استرجع بذاكرتى أحداث التاريخ على مر العصور وهل كانت هناك حرب بين بلجيكا ودولة عربية انتصر فيها البلجيكيون وهزموا فيها العرب

وأن هـذه اللوحـة التى أمامى هى تخليد لهذه الحرب؟ ولم تسـعفنى ذاكرتى بأى حـرب، وأفقت من هذه التخيلات بعد دقائق سـريعة لأقـرأ الكتابات التى تحت الرسومات وإذا بى أجد ما ترجمته «الجندى البلجيكى الشجاع يحرر الكونجو من العرب تجار العبيد».

وأقـول – للحـق – قد أذهلتنى هـذه المفاجأة ولم أجد أمامـى – وكنت أعمل مستشـارًا فـى سـفارة مصر فى بلجيكا – أقـول لم أجد أمامـى – إلا الرجوع إلى زملائى الدبلوماسـيين العرب الموجودين فى بر وكسـل قبلى للاستفسـار منهم عن هذه النافورة.

واستقر الرأى على رفع مذكرة شفهية إلى وزارة خارجية بلجيكا تلفت نظرها إلى التأثير السيئ الذى تتركه هذه النافورة لمن يشاهدها وسوء الانطباع عن العرب وأنه فى سبيل حسن العلاقات يجب العمل على تصحيح هذا الوضع.

وكان رد وزارة الخارجية البلجيكية أغرب وأعجب من كلمات النافورة إذ أبدت أسـفها لعدم إمكانها المسـاس بأثر تاريخى ملك للشعب البلجيكى ومن حقه وحده الاحتفاظ به أو تغييره أو إزالته.

وهكذا تسـتمر هذه النافورة من المعالم السـياحية فى بروكسل وفى رأيى أن هذه النافـورة تخرج من المجال السـياحى لتدخل فى مجال وإطار سياسـى تظل فيه شاهدة على عمق وخطورة الأفكار الإمبريالية الأوربية القديمة.

لقـد جال بخاطرى أنه ربما يكون وراء وضع هـذه النافورة فى مثل هذا الميدان المهم أَيادٍ صهيونية، وربما أكد لى هذا الإحساس إصرار وزارة الخارجية البلجيكية على عدم المساس بالنافورة.

وتعـود بى الذكريات أيضاً إلى ذلك المؤتمر الـذى عقد فى مدينة (بروج) إحدى مـدن بلجيكا الجميلة فى أوائل السـبعينات، كان مهرجانـاً اقتصادياً على درجة عالية من الأهمية تديره جامعة بروج الأوربية، كان المهرجان قد عقد بشأن مناقشة مستقبل المجموعة الأوروبية سياسياً واقتصادياً، كما كانت البحوث مقدمة لما سيتم

عملـه حتى عـام ١٩٩٢، أى بعد مرور ما يقرب من عشـرين عاماً من عقد المؤتمر والمهرجان.

ولما كنت مستشـار السـفارة المختص بالشـئون الاقتصادية والوحـدة الأوروبية الاقتصادية، لذا انتدبت بأمر من وزارة الخارجية المصرية للمشـاركة فى المهرجان كعضو مراقب.

المهـم كان المهرجـان فرصـة اجتماعية عظيمـة حيث حضرته وفـود من كافة الجامعات العالمية ورجال الفكر السياسـى والاقتصادى، وكانت مظاهر الاحتفالات الليلية للمشتركين فى المهرجان فرصة كبيرة للالتقاء والتحدث. وحدث أن تعرفت إلى عمدة هذه المدينة الغربية الجميلة مقر المهرجان وكان ذا شـخصية جذابة مثقفة بالرغـم من أنه كان فوق السـبعين وأبدى سـروره البالـغ، وترحيبه الحار بى ولما تعارفنا اتضح أن أهم أسباب ترحيبه بى أنه عضو مهم فى جمعية «علم المصريات» فـى بلده يحضـر الكثير من النـدوات والمحاضرات عن التاريـخ المصرى القديم، وبالرغم من عضويته هذه، فلم تسـمح له ظروف عمله كعمدة بزيارة مصر لمشـاهدة آثارها مكتفياً بما يراه من آثار فى متاحف عواصم أوروبا المختلفة وانطلاقاً من هذه الزاويـة تواصلت لقاءاتنا خلال المهرجان التى امتدت إلى أسـبوعين كاملين وتناثر الحديث وتنوع وكثرت الأسئلة والتساؤلات.

وكان أحـد الأسـئلة التى وجهها لى عمـا إذا كان لدى أولاد ومـا أعمارهم؟.. وعندمـا عرف أن لـدى ولدا وبنتا وأنهما فى سـن المراهقة ويدرسـان فى مدارس دينية تابعة للكنيسـة الكاثوليكية أبدى تعجبه واسـتغرابه.. وسـألنى سؤالا آخر يقول: كيف أكون مسلماً وأرسل أولادى لمدارس الكنيسة الكاثوليكية وهو يعلم بأن المسـلمين يكرهون الكاثوليكية كرهاً شـديداً، وأن المسـلمين فى هذا متعصبون أشد التعصـب فذكـرت له أن كل ما قاله ليس صحيحاً علـى الإطلاق بدليل أننى فعلاً بعثت بأولادى إلى مدارس الكنيسـة الكاثوليكية بمصروفات باهظة فى الوقت الذى يوجـد فى بلجيكا مدارس حكومية مجانية ولكنها علمانية لا دينية ولقد خشـيت

على أولادى من هذه المدارس وما قد تؤثر عليهم فى تصرفاتهم ومعتقداتهم وفضلت إرسالهم لمدارس الكنيسة لإيماننا الكامل نحن المسلمين بأن المسيح عيسى هو نبى الله وأن الإنجيل رسالته وهو كتاب سماوى نؤمن به وأنى أفضل لأولادى أن يكونوا أكثر أمنا واطمئنانا على معتقداتهم وأفكارهم وتصرفاتهم فيما لو درسوا العلم فى مدارس كاثوليكية وواصلنا حوارنا حول الفرق بين الدين المسيحى والدين الإسلامى وزادت أسئلته وتشعبت ولاحظت أنه يزداد قرباً منى ومن أفكارى ودعانى إلى منزله بصفة شخصية بعد أن أحس بالطمأنينة وأننى أجبت عن أسئلة كانت تلح عليه منذ سنين وشاءت الأقدار أن يكون شخصى هو المجيب عنها وصارت صداقة بينى وبينه امتدت إلى سنوات مدة إقامتى فى هذه العاصمة الأوروبية الغربية وكان لهذه الصداقة صداها فى عملى كمستشار لسفارة مصر.

ولم يقتصر الحوار مع عمدة بروج فيما يخص الجانب الدينى فحسب، فقد فاجأنى بالحديث عن المساعدات البلجيكية لإسرائيل، وحكى تفاصيل دقيقة عن كميات الأسلحة والذخيرة التى ترسلها حكومته لإسرائيل، وأخبرنى عن طرق النقل غير المباشرة لتوصيل هذه المساعدة وتلك الأسلحة والذخيرة وفاجأنى أكثر عندما أبدى تضرره وامتعاضه من موقف حكومته المساعد لإسرائيل وألمح عن تقديم أية مساعدات لمصر التى يعشقها معرباً فى الوقت نفسه عن بغضه العميق لليهود!!

فى الوقت نفسه أبدى استعداده أن يطلعنى على مستندات ووثائق تؤكد هذه المساعدات البلجيكية لإسرائيل، فشكرته على هذه الثقة، وأخبرته أن هذا الموضوع يستدعى منى إخطار وزارة الخارجية المصرية بهذه التفاصيل وبعد انتهاء المؤتمر فى بروج عدت للسفارة المصرية فى بروكسل، وأبلغت السفير بما حدث، فأبرق لوزارة الخارجية المصرية بهذه التفاصيل وعلى الفور قامت الحكومة المصرية بإرسال أحد رجال المخابرات لاستكمال الاتصالات بعمدة بروج فى سرية تامة وبعيداً عن نشاط السفارة، ونتج عن ذلك أن صرح الرئيس السادات فى إحدى خطبه بمجلس الشعب بأنه يعلم تفاصيل وطرق إمداد بلجيكا لإسرائيل بالأسلحة والذخائر فى الوقت الذى

ترفض فيه بيع الأسلحة مقابل المال لمصر، مما أدى إلى استدعاء الحكومة البلجيكية السفير المصرى فى بروكسل كى تبدى استعدادها لإمداد مصر بالأسلحة والذخيرة التى تطلبها.

كانت هذه المواقف كافية كى تجعلنى أدرك مدى التغلغل الصهيونى فى بلجيكا، خاصة وأن عملى الدبلوماسى أتاح لى متابعة ما تنشره أو تذيعه المؤسسات الصهيونية فى بلجيكا من تضليل إعلامى، وحاولت كثيراً التركيز على الكره الغربى التقليدى الكاثوليكى لليهود والذى يعود إلى أيام الرومان الذين كرهوا إليهود لإيمانهم بالإله الواحد وتأكد كرههم بعد أن آمنوا بالمسيح وتسبب اليهود فى صلب المسيح على أيدى الرومان - كما يزعمون - واسترجاع صورة اليهودى (القذر - القبيح - التائه) فى التاريخ الأوربى وتلك الأوصاف لليهود لم يستخدمها المسلمون مطلقاً فى كل العصور وفى كل البلاد وذلك من حسن الأخلاق ومن احترام اليهودية كدين سماوى وهذا أمر نابع من الشريعة الإسلامية التى تحظر سب الأديان مما يدل على أنه من سمو الأخلاق والترفع عن الصغائر وبذلك عاش ويعيش اليهودى داخل المجتمعات الإسلامية محتفظاً بكرامته الدينية والإنسانية. وهنا أعترف كمسلم أن هناك تقليدا بين المصريين للتعبير عن أى شخص بخيل فيقال له «ده يهودى» على أساس أن إليهود يتصفون بحب وكنز المال وليس هذا التعبير من قبيل الذم ولكنه تعبير عن حرص وحب المال. كما أنه من ناحية أخرى فإنه منذ خلقت دولة إسرائيل فى قلب فلسطين وما تقوم به من قتل وتدمير واغتصاب وانتهاك وتشريد واعتقال وارتكاب الجرائم وحروب ضد الفلسطينيين والعرب فلم ولن يغير المسلمون أخلاقهم تجاه اليهود كدين ولم يقابل رد على كل ما قامت به إسرائيل إلا بوصفها دولة صهيونية عنصرية وأنها فى خدمة الإمبريالية الغربية وعلى رأسها أمريكا، وأذكر أننى كنت على صلة وثيقة مع سكرتير عام وزارة الخارجية البلجيكية، هذه الصلة كانت تسمح بوجود علاقات عائلية معه، وصلت لمرحلة ذكرت لى فيها زوجته ذكرياتها عندما نقل زوجها للعمل فى سفارة بلجيكا بتل أبيب، حيث

أتاح لها هذا العمل بصفتها زوجة سفير بلجيكى لدى إسرائيل العديد من الزيارات للأرض المقدسة (تعبير كاثوليكى لكل متدين مخلص) وأهمها القدس تلك المدينة المقدسة التى كانت تنعم بالأمن والاستقرار فى أيدى العرب منذ استردادها العرب من الصليبيين حتى جاءت الحرب التى شنتها إسرائيل على العرب واحتلت فيها سيناء من مصر والجولان من سوريا وبقية فلسطين بما فيها القدس ١٩٦٧، فقد أزعجتها كإنسانة كاثوليكية، كما أن هذه الحرب من الناحية الدينية – ولكون السيدة كاثوليكية المذهب – قد اعتبرتها بداية لنهاية العالم، وذلك لأنها تؤمن كما يؤمن الكاثوليك المتدينون فى أوروبا أن احتلال اليهود وسيطرتهم على القدس وما حولها من أراضٍ مقدسة تنتسب إلى السيد المسيح هو نذير شؤم وعلامة من علامات نهاية العالم.

الأمر الذى دعاها أن تطلب من زوجها نقله إلى وزارة الخارجية فى بروكسل، وظلت فى حالة من التشاؤم والاكتئاب ومتابعة الأحداث حتى وقت لقائنا أواخر عام ١٩٧٠ فى بروكسل، ولم يمر وقتها على أحداث نكسة ١٩٦٧ إلا ثلاث سنوات، كما أبدت لى بصفة شخصية رفضها وتضررها من التغلغل الصهيونى فى بلجيكا بصفة خاصة وفى أوروبا بصفة عامة.

شجعنى موقف هذه السيدة أن أقوى علاقتى مع سكرتير عام وزارة الخارجية ليس من الناحية الرسمية فقط بل على مستوى العلاقة الشخصية مما أفادنى فعلاً فى معرفة حقيقة الشعور نحو إسرائيل خارج نطاق الرسميات.

ومما يدل على الأثر الإعلامى الصهيونى فى الإعلام الأوروبى والبلجيكى ما حدث فى يناير عام ١٩٧١، حيث قطعت الاحتفالات بالعام الجديد وأذاع راديو بلجيكا أن عام الحسم الذى يدعيه السادات قد أتى ولم يحدث شىء فى شكل تهكمى. مؤكدا أنه لا يوجد شىء اسمه العرب وأن إسرائيل وجدت لتبقى، وأن حرب ١٩٦٧ قضت على العرب لمدة ٥٠ سنة على الأقل، وقد تكرر الأمر فى بداية عامى ١٩٧٢، ١٩٧٣ وفى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ أذاع التليفزيون البلجيكى فجأة وبدون مقدمات أن حرباً قامت بين مصر وإسرائيل، عارضاً صورا لهزيمة الجيش المصرى

وصورا لأسرى مصريين وقعوا فى أيدٍ إسرائيلية، وعلي الرغم من إحساسى بأن هذه الصور صور قديمة إلا أننى شعرت بحالة من الذهول لا سيما فى ضوء عدم وصول أية أخبار من القاهرة، لكن بعد ساعات قليلة اكتشفت وسائل الإعلام البلجيكية أن إسرائيل قد خدعتها، وأنها أعطتها أنباء كاذبة وصورا قديمة لنكسة ١٩٦٧، وأعلن التليفزيون البلجيكى اعتذاره عن نشر الصور القديمة وأكد خبر انتصار القوات المصرية وعبور قناة السويس وتحطيم خط بارليف الذى ادعت إسرائيل أنه لا يقهر ونقلت الأخبار التى أذاعتها القاهرة عن تأكيد النصر المصرى.

كانت هذه المواقف كافية كى تجعلنى أدرك مدى التغلغل الصهيونى فى بلجيكا، لكن على قدر الكذب الإسرائيلى كان التحول البلجيكى، الذى بدأ يصف السادات بالداهية، لكن برغم ذلك وتحت تأثير الصهيونية ربطت وحذرت بعض الصحف البلجيكية الأوروبية بين نصر ١٩٧٣ وبين دخول العرب بالفتح الإسلامى فى أسبانيا، ووصف الفكر الأوروبى الصهيونى العرب بأنهم كالكلاب يجب ألا يشموا رائحة النصر!!.

لكن على رغم كل ذلك بدأت وسائل الإعلام البلجيكية تبرز النصر المصرى، رافضة ما قامت به إسرائيل من كذب وتضليل وخيانة لرجال الإعلام البلجيكيين وكان هذا أكبر خطأ فادح قامت به إسرائيل نتيجة هزيمتها العسكرية على يد القوات المصرية، فلقد أصاب إسرائيل الدوار والذعر لهزيمتها، الأمر الذى أدى بها إلى الوقوع فى هذا الخطأ الفادح إعلامياً وهى تنكر انتصار القوات المصرية وتدعى هزيمتها.

وكان صدى خسارة إسرائيل العسكرية لا يقل عن خسارتها الإعلامية فى بلجيكا وأوروبا حيث إنه بنهاية يوم ٦ أكتوبر تأكد العالم كله أن القوات المصرية انتصرت واستطاعت عبور قناة السويس واختراق خط بارليف فى ساعات معدودة أذهلت إسرائيل والعالم من حولها، حيث كانت إسرائيل قد نجحت منذ نكسة ١٩٦٧ فى إقناع العالم الأوروبى أن مصر والعرب لن تقوم لهم قائمة وقوة عسكرية لمدة ٥٠ عاماً على الأقل.

وهكـذا تمكنـت عظمة الجيش المصـرى، وعظمة مصر مـن أن تقضى على هذه الدعاية الإسرائيلية وأن تقضى أيضاً على حسابات أكثر من دول العالم التى كانت قد سايرت وصدقت الادعاء الإسرائيلى بأن مصر لن تقوى على أى انتصار عسكرى ولن تتمكن من هزيمة الجيش الإسرائيلى الذى صورته الدعاية الإسرائيلية على أنه جيش لا يقهر وأن ذراعه طويلة.

وعندمـا تأكد العالم من انتصار القوات المصرية بدأت أجهزة الإعلام الغربية فى نشر الحقائق وأصبحت لأول مرة فى موضع الثقة، وتصديق كل البيانات العسكرية التـى تصدرها القيادة العامة للقوات المسـلحة المصرية، بـل وأكثر من ذلك بدأت الصحـف والمجـلات البلجيكية الغربية تتحدث عن جنـرالات الجيش المصرى، وعن براعة الجندى المصرى وشـجاعته، وإقدامه، وكان التكتيك العسكرى المصرى محل انبهار كافة المؤسسات العسكرية البلجيكية وأصبحت النظرة العامة لمصر نظرة تقديـر واحترام مما أنعكس أثـره الواضح على المصريين المغتربين والمهاجرين الذين شعروا بالعزة والكرامة التى نعلم جميعاً أنها أغلى ما يملكه المصرى فى الخارج.

كلنا نعلم كيف كانت سـوريا شـريكة لمصر فى حرب أكتوبر، كما نعلم أيضاً أن الـدول العربية البترولية قد وضعت هذه الثروة فى خدمة انتصار أكتوبر، ولا يمكن أن أنسـى جولة وزير البترول السعودى يرافقه وزير البترول الجزائرى وهما يمثلان جناحى الأمة العربية من شـرقها إلى غربها والممتدة من قارة آسـيا إلى قارة أفريقيا وينتميان إلى دولتين من منتجى البترول، أقول لا يمكن أن أنسى مظاهر جولة هذين الوزيرين فى أوروبا الغربية وزيارتهما دولة بلجيكا ضمن هذه الجولة، وكان الهدف الرئيسـى مخاطبة الرأى العام فى أوروبا عن طريق وسائل الأعلام المرئية والمسموعة والمقروءة أن اسـتخدام سـلاح البترول فى معركة العرب مع إسـرائيل ليس موجها ضد الشعوب الأوروبية بقدر ما هو موقف يقتضيه حق العرب فى استرداد حقوقهم التي اغتصبتها إسرائيل من فلسطين، واسترداد الأراضى التى احتلتها إسرائيل من مصر وسوريا فى حرب ١٩٦٧، ولعل من المهم فى هذا المجال أن أوضح أن انتصار

أكتوبر قد أعاد للبترول العربى قيمته الحقيقية حيث ارتفع سعر برميل البترول إلى أضعاف أضعاف سعره قبل أكتوبر ١٩٧٣.

ولا يمكـن أن أصور كتابة مدى قـوة الصدى الذى اجتاح الدول الأوروبية عندما أعلنت مصر وهى فى أوج انتصارها العسكرى على إسرائيل أن الهدف الأسمى هو «السلام» واسـترداد الحقوق المشروعة وليست حرب أكتوبر إلا وسيلة لهذا الهدف النبيـل، وليس من سياسـة مصر الحـرب للحرب، أو إبادة إسـرائيل ورميها فى البحر، وقد كان لهذه الاسـتراتيجية آثارها الناجحة فى القضاء على كل افتراءات إسـرائيل، وإرغامها على الحد من أطماعها التوسـعية وحب اغتصاب الأراضى، ولقـد انتهى الأمر باسـترداد مصر للجزء العزيز الغالى من الوطن وهو شـبة جزيرة سـيناء وذلك أحسـن ثمرة لانتصار حرب أكتوبر، وإن لم يعيد الحقوق الفلسطينية وهضبة الجولان السورية.

ولم أنـسَ فى غمرة فرحتى بانتصار القـوات المصرية فى حرب أكتوبر أن أدعو طبيـب العظـام البلجيكـى الذى كان حزينـاً على هزيمة مصر فى نكسـة ١٩٦٧ والعاشـق لمصر وتاريخها وآثارها الفرعونية، لم أنسَ أن أدعوه على العشاء لنحتفل سـوياً بما وعدته فى مقابلتى الأولى بأنه سـيأتى اليوم الذى يسـترد فيه حبه لمصر وإعجابه بتاريخها ثانيةً.

وكان مـن نتائـج اسـتخدام العرب للبـترول فى حرب ٧٣ أن بعـض المفكرين والساسة والصحفيين والكتاب فى أمريكا وأوروبا كانوا ينادون علناً بتدويل البترول العربى وكانت حجتهم فى ذلك وهى حجة كانت وستظل حجة باطلة – تقول:

إن للعرب من التأخر العلمى والتكنولوجى ما يحول بينهم والبحث عن البترول واستخراجه وتكريره ونقله وتسويقه واستغلاله فهذه المراحل كلها هى من اختصاص الـدول ذات العلم، والتكنولوجيا، والعرب ليسـوا منهم فـلا يحق لهم أن يمتلكوا البـترول ويتحكموا فى إنتاجه وتسـعيره، فالبترول وجد فى رأيهم بالصدفة تحت الأرض التى يعيش فوقها هؤلاء العرب المتأخرون!! (على حد وصفهم).

وكانـوا يؤكدون أن الصدفة ليسـت سـنداً للملكية ولا يترتـب عليها حقوق ! ! والأولى به من يكتشفونه ، ومن يستخرجونه ، ومن يكررونه ، ومن ينقلونه ، بل ومن يستخدمونه ! ! .

وهكـذا صـورة الماضى التـى تحتفظ بهـا الذاكرة وتعيدها الأحـداث بين حين وآخـر إلى الوجدان والتفكير ، فلا يمكن لأى دبلوماسـى أو سياسـى أن يغفل عن أن أمريـكا وأوروبـا يحتفظون – فـى ذاكرتهم – بمبادئ تنـادى بتدويل البترول العربـى ، وليأخذ العرب نصيباً مقابل وجودهم بالصدفـة على أرض البترول عملاً بمبدأ حق الارتفاق !

هـذه الذكريـات أهديها للعرب ليحافظوا على البـترول الذى أوجده الله تحت أرضهم ، فليس فى الكون صدفة تصنع بترولاً ! ! ولا يسمحون مستقبلاً بكل ما أوتوا من قوة بسيطرة القوة الأجنبية على منابع بترولهم بأية حجة كانت.

فالبترول حق أساسـى لأصحابه أينما وجدوا سواء أكان تحت أرض عربية فهو ملـك للعرب أم تحت أرض إفريقيا فهو ملك لنيجيريا أم تحت بحر الشـمال فهو ملك لبريطانيا أم تحت أرض تكساس فهو ملك لأمريكا.

ولابـد مـن النظر إلى البـترول على أنه مادة خـام مثله مثل بقيـة المواد الخام الأخرى كالذهـب والماس والقطن والمطاط والكاكاو والخشـب والبن والقمح وغيرها مـن الخامات ، وتحكمها كلها قوانين التجارة الدوليـة التى لها أصولها وتقاليدها ومعاهداتها واتفاقياتها ، ويعمل بها دوليا منذ بدء الخليقة على الأرض.

لقد قلقـت الصهيونية العالمية من هذا التحول الإعلامـى البلجيكى ، والذى بدأ يظهر ميله للعرب والمصريين الذين حققوا النصر فى ١٩٧٣ ، وقد تجسـد هذا القلق فيما قام به مجموعة من الشبان اليهود بتقطيع البانوراما التى كانت عليها رسوم من القاهرة القديمة فى القرن التاسـع عشـر بمساجدها ومآذنها ذات الطابع الإسلامى ، وكانت هذه البانوراما موجودة فى داخل مبنى على هيئة مسـجد بقبته ومئذنته فى قلب العاصمة البلجيكية بروكسـل ويحيط به حديقة واسـعة تشمل مبنيين لمتحف

تاريخـــى والآخر حربى، وقصة هذا المبنى أن الحكومـــة البلجيكية أهدته للجالية الإسلامية فى بلجيكا ليكون المسجد تقام فيه صلاة الجمعة فقط، على أن يظل بقية أيام الأسبوع كمتحف لهذه البانوراما، هذا المتحف الذى كان قد بناه أحد البارونات البلجيكيين فى القرن التاسع عشر بعد زيارته للقاهرة وتأثره بالفن والمعمار الإسلامى، وكانـــت الحكومة البلجيكية قد منحته للجالية الإســـلامية فى بلجيكا لتؤدى صلاة الجمعـــة فقط، حيث يمنع زيارتـــه يوم الجمعة كمتحف، وتفرش الســـاجيد فى بهو المبنى الذى تعلوه قبة المســـجد لتؤدى فيه الصلاة وفجأة وبدون مقدمات فوجئ حراس المتحف أن هذه البانوراما ممزقة، وقامت الصحافة الموالية للنفوذ الصهيونى بتأكيد أن ذلك من عمل المسلمين الذين أهدت إليهم الحكومة البلجيكية هذا المكان، وبررت ذلك بسعيهم كى يستأثروا بالمكان طوال الأسبوع وليس الجمعة فقط، إلا أن الشـــرطة قبضت على مجموعة من الشبان اليهود الذين اعترفوا بقيامهم بهذا العمل الإجرامـــى، الأمر الذى جعل الحكومـــة البلجيكية تهدى المـــكان بالكامل للجالية الإســـلامية، ليتحول بذلك هذا المتحف إلى مسجد ومركز إسلامى للجالية الإسلامية لمدة ٩٩ عاماً فى بر وكسل، وأصبح المتحف مسجداً رئيسياً شكلا وموضوعاً، وعهد بشـــئونه إلى مجلس سفراء المسلمين المعتمدين لدى بلجيكا، وكان هذا الحدث نقطة تحول فى الاتجاه نحو إقناع السلطات البلجيكية بالاعتراف بالدين الإسلامى، الأمر الذى يقتضى تعديل الدســـتور البلجيكى بإضافة الدين الإســـلامى إلى بند الاعتراف بالديانات الأخرى وهى (المسيحية – اليهودية – البوذية).

وقصـــة ذلك أنه عند مناقشـــة هذا الاعـــتراف فى البرلـــان البلجيكى وما قالت بـــه الصحافة من تعليقات وما كتبه المؤرخون والفلاســـفة ورجال القانون حول هذا الاعتراف كان اللفظ المســـتخدم هو تســـمية المسلمين بأتباع محمد وأن دين المسلمين هو دين محمد، وبذلك كان اللفظ المستخدم هو (المحمديين).

ولكن مجلس سفراء الدول الإسلامية – وكنت سكرتيرًا لهذا المجلس الذى كان يضم إمام مسجد بروكسل – صمموا على ضرورة استخدام النص على لفظ (الإسلام)

عنـد الاعتراف تنفيذاً لقول الله تعالى فى سـورة آل عمران: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴿١٩﴾ ﴾

ولقوله تعالى فى سورة المائدة: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴿٣﴾ ﴾

وقوله تعالى فى سـورة آل عمـران: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾

وهكـذا أضيفت مـادة فـى الدسـتور البلجيكى تنـص على الاعـتراف بدين «الإسلام».

ولقد كان من الواضح تماماً أن بعض المستشرقين البلجيكيين يريد عدم استخدام لفظ «الإسـلام» لكون ذلك يتمشـى مع الإدعاء – الباطل – بأن محمداً ليس رسولاً مـن عنـد الله وأنه كتـب وألف القرآن الأمـر الذى يوجب فى رأيهـم إطلاق لفظ «المحمديون» على أتباع محمد: ومن جهة أخرى كان التمسـك بلفظ «المحمديون» يتمشـى أيضاً مع ما اعتاد عليه واقع الأمر من تسمية أتباع المسيح عيسى ابن مريم عليه السـلام بأنهم «المسـيحيون» وباللغة الفرنسـية chretiens وباللغة الإنجليزية christians – نسبة إلى لفظ christ أى المسيح.

وهـذا الاعتراف أدى إلى قيام الحكومة والمؤسسـات البلجيكية بمنح المسـلمين حقوقهم الدينية كاملة أسوة بالبلجيكيين المسيحيين وأيضًا واليهود.

وأعتقد أن هذا الحدث التاريخى الذى يرمز إلى التواجد الإسـلامى فى العاصمة بروكسـل إلى جانب تواجد مقر حلف الناتو الذى يضـم دول أوروبا وأمريكا وكندا ومقر الاتحاد الأوروبى الذى يضم ٢٥ دولة أوروبية شرقية وغربية ومقر للصهيونية العالمية يعتبر من أهم الإنجازات التاريخية فى تواجد مركز إسلامى فى قلب العالم

الغربى الأوروبى ولا أنسى فى هذا المجال أن أشيد بالدور الهام الذى قام به السيد محمد توفيق عويضة بصفته رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية آنذاك.

وقبل انتهاء فترة تواجدى فى سفارة مصر فى بلجيكا التى دامت أربع سنوات، وقرب عودتى إلى وطنى قمت بتقديم اقتراح لوزارة الخارجية كى تقوم بتوجيه دعوة للفرنسى (كلود شيسون) عضو الأمانة العامة للمجموعة الاقتصادية الأوروبية ومركزها بروكسل المسئول عن تقديم المساعدات للدول والمنظمات، تنشيط المعونات التي تقدم للفلسطينيين، أسوة بالوكالة الدولية لغوث وتشغيل اللاجئين والتابعة للأمم المتحدة والمعروفة بـ (أونروا).

هذا فضلاً عن أن كلود شيسون كان قائداً عسكرياً بالجيش الفرنسى أثناء احتلال الجزائر، كما كان من كبار مؤيدى الرئيس الفرنسى شارل ديجول لاستقلال الجزائر، فضلاً عن إجادته للغة العربية واللهجة الجزائرية وعشقه لها واحترامه وتقديره لدور مصر فى المنطقة العربية، وأنهى حياته الدبلوماسية وزيرا لخارجية فرنسا فيما بعد ولم تتحقق زيارته لمصر إلا بعد عودتى للوزارة عام ١٩٧٤، وقد اختارنى السيد وزير الخارجية المصرى آنذاك إسماعيل فهمى أن أكون مرافقا خلال زيارته للقاهرة بصفتى صاحب اقتراح الزيارة للضيف. وعادةً كان برنامج الزيارة المعتاد خمسة أيام عمل ويومين زيارة الأقصر وأسوان, ولما كانت الزيارة قد تمت فى أواخر ٧٤ أى بعد ما يقرب من عام على انتصار حرب أكتوبر ١٩٧٣، فاقترحت أن تستبدل زيارة الأقصر وأسوان بزيارة خط بارليف ومنطقة القناة وما تم تحريره فى حرب أكتوبر١٩٧٣.

فوافق الوزير على اقتراحى بعد استئذان الجهات العسكرية المسئولة وتمت الزيارة بمرافقة أحد لواءات الجيش الذى كان يجيد التحدث باللغة الفرنسية، والذى قام بدور الشرح الكامل للخطة المصرية للاستيلاء على خط بارليف الذى كان لايزال فى حالته التى أعقبت الانتصار وإجلاء قوات الاحتلال الإسرائيلى، فضلاً عن مراكز التحصينات الموجودة على طول خط القناة وكيف تم تدميرها، وفى طريق

عبورنا إلى سيناء عبر قناة السويس تم مرورنا على أحد الكبارى التى كانت لاتزال قائمة والتى عبرت عليها قواتنا المسلحة المصرية وكان من أكبر الوقائع الموجودة فى شرق قناة السويس تأثيراً على نفسية الضيف مقابر الشهداء المصريين على أرض سيناء، حيث اظهر الضيف الخشوع والاحترام والتقدير للشهداء واضعاً يده على قلبه، فى الوقت الذى قمنا فيه أنا واللواء بقراءة الفاتحة على أرواح شهدائنا.

وكان لهذه الزيارة أثر كبير على نفسية الضيف لسببين.

الأول: أن التحصينات العسكرية التى أقامتها إسرائيل على طول شرق القناة قد أدت إلى توقف الملاحة فى هذا المجرى المائى الدولى (قناة السويس) فى الفترة ما بين عامى (٦٧ حتى ١٩٧٣) فى الوقت الذى لم تغلق فيه القناة منذ إنشائها عام ١٨٦٩، برغم حدوث حربين عالميتين الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) والثانية (١٩٣٩– ١٩٤٥) وحرب العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ إلا وقت سيطرة إسرائيل على الشاطئ الشرقى للقناة.

الثانى: أن انتصار القوات المصرية على الجيش الإسرائيلى، ليس فقط انتصاراً عسكرياً، وإنما انتصار معنوى أيضاً، أبطل أسطورة الجيش الإسرائيلى الذى يوصف بالجيش الذى لا يقهر، وقد عبر الضيف عن هذا بنفسه، مؤكداً على هذا الانتصار العسكرى العظيم، والذى يجب أن يصوره هو بنفسه فى كل اتصالاته ولقاءاته فى أوروبا بعد عودته

وقد أسعدنى ذلك جداً، لأننى تأكدت من صحة اقتراحى وأهمية وخطورة الزيارة وتغيير الرحلة من الأقصر وأسوان إلى خط بارليف كى يدرك الضيف بنفسه عظمة الانتصار المصرى تطبيقاً لمبدأ (فما رأى كمن سمع) ليس من رأى كمن سمع خاصةً وأنه رجل عسكرى قبل كل شىء.

إن تجربة العمل فى بلجيكا قلب أوربا الغربية ومقر للتجمع الأوربى السياسى والاقتصادى ومقر حلف شمال الأطلنطى أثبتت لى أن إسرائيل فى وضعها فى قلب العالم العربى ما هى إلا مؤسسة عسكرية تخدم مصالح الغرب وأن النظرة الأوربية للعرب نظرة تحكمها التفوق والتعالى وأوروبا وأمريكا هم سادة العالم.

وأن العرب كانوا ومازالوا من البدو الرحل لا وزن لهم إلا أن الإسلام يمثل من وجهة نظر الأوروبيين خطورة على المجتمع الأوروبى كحضارة وتاريخ وعقيدة بالإضافة إلى أن هذه القوة الإسلامية وصلت فى يوم من الأيام إلى غرب باريس وشرق فيينا، وهذا أمر لن ينساه الأوروبيون ولن يسمحوا بأن يتكرر ذلك مرة أخرى. كما أن هناك شعوراً قوياً بضرورة الانتقام لفشل الحروب الصليبية التى قامت بها أوربا الموحدة وهزمت. والعودة مرة أخرى لأرض المسيح المقدسة فى فلسطين وتخليص قبر المسيح من أيدى العرب البرابرة، وتلك النقطة ساعدت على تأكيدها إسرائيل حيث وصفت العرب بالوحشية وصورت الإسلام فى كل العالم على أنه دين إرهابى لم ينتشر إلا بحد السيف وأن العرب جماعة يعبدون أحجاراً يلتفون حولها ويبكون عليها.

إن فترة العمل الدبلوماسى فى بر وكسل بلورت حقيقة الخاطر الصهيونى وارتباطه العضوى بالإمبريالية الغربية، وأساس هذه الفكرة أن أوربا منذ أن أصبحت مسيحية كاثوليكية ومنذ فكرة تأسيس الأب الروحى (بابا الفاتيكان حالياً) لأوروبا بدأت العداوة التامة لليهود بصفتهم غير مؤمنين بالمسيح وموقفهم من المسيح فى قصة صلبه فى فلسطين ومن الحاكم الرومانى وما جاء فى الإنجيل عن اليهود وأن دم المسيح على كتفهم، لكن الصهيونية العالمية سعت إلى تحريف الأناجيل بما يخدم مصالحها لا سيما فى مسألة صلب المسيح من خلال البروتستانتينية وأذكر أنه فى عام ١٩٧٢ حصلت على إجازة من عملى ببلجيكا وتوجهت إلى إيطاليا فى طريقى لمصر، والجميع يعرف أن إيطاليا تشتهر بكثرة معالمها السياحية التي تغرى السياح فى أن يتجولوا فى مدنها المختلفة للتمتع بكثرة الآثار التاريخية فضلاً عن الاستمتاع بالطبيعة الجميلة وبالمأكولات الإيطالية اللذيذة المشهورة.

وبإيطاليا مدينة بيزا الإيطالية لها شهرة عالمية لوجود برج نسب إلى المدينة واشتهر فى العالم ببرج بيزا المائل وهو أحد عجائب الدنيا السبع التى لازالت موجودة.

وعندما قمت بزيارة سياحية لمدينة بيزا هذه توجهت إلى مبنى البرج حيث وجدت أنه برج لكنيسة قديمة مقامة على البحر مباشرة.

وتقابلت مع راعى الكنيسة للتعارف والحديث معه وكان من بين ما سمعت منه: أن هذه الكنيسة بنيت فى بداية الألفية الثانية من التقويم الميلادى، وأن هذه الكنيسة وهذا البرج قد أقيما تخليداً لإبحار جيوش أوروبا الموحدة والتى تجمعت فى ميناء بيزا لتستقل المراكب الحربية لتعبر البحر الأبيض المتوسط فى طريقها إلى فلسطين الأرض المقدسة فيما عرف فى التاريخ بالحروب الصليبية!

شكرت راعى الكنيسة لهذه المعلومات التى تحكى ذكريات حروب مضى عليها ما يقرب من ألف عام وعدت إلى الفندق حيث أخذت حقائبى وغادرت ميناء بيزا.

وهكذا يظل هذا البرج المائل ماثلاً أمام الجميع فى أوروبا وزوارها تخليداً لذكرى الحروب الصليبية التى قامت بها أوروبا ضد المسلمين فى فلسطين، ولعمرى لماذا لا نعلن دائماً عن قلعة صلاح الدين بالقاهرة كرمز لانتصار المسلمين على الفرنجة تأكيداً للأجيال المتعاقبة من المسلمين فى الدفاع عن أرض الإسلام وفى فلسطين خاصة بعد أن عادت الهجمة الصليبية تحت شعار نجمة داود بدلاً من الصليب وتم خلق دولة يهودية باسم إسرائيل كرأس جسر لإمبريالية أوروبا وأمريكا.

وهذا يؤكد لى أنه من الضرورى إبراز الارتباط الفكرى والعضوى بين الحروب الصليبية المباشرة والهجمة الصهيونية التى تتخذ نجمة داود شعاراً بدلا من الصليب.

هكذا كانت فترة عملى الدبلوماسى ببلجيكا من أكثر فترات حياتى الدبلوماسية ثراءً، لا سيما فى التعرف على الملامح الصهيونية وارتباطها بالإمبريالية الغربية وتأثير ذلك على العالم العربى والإسلامى.

وأعتقد أنه إذا كانت قد أتيح لى العمل فى سفارات مصر فى الدول الأوروبية وعلى وجه الخصوص (بريطانيا وفرنسا ودولة الفاتيكان) وأيضا لو كان أتيح لى العمل فى سفارتنا فى الولايات المتحدة الأمريكية لكان لكل هذا إضافة وإيضاح أكبر وأوسع وأشمل لمعرفة ارتباط الصهيونية بالإمبريالية الغربية.

وأعتقد عزيزى القارئ أنه ممكن لك هذه المعرفة إذا ما تم لك الاطلاع على مؤلفات الزملاء الدبلوماسيين الذين خدموا فى سفارات مصر فى هذه الدول على وجه الخصوص.

كما أنه من المثير والمفيد فى الوقت نفسه الاطلاع على مؤلفات وذكريات الزملاء الدبلوماسيين الذين خدموا فى سفارة مصر فى إسرائيل أقصد الكيان الصهيونى قبل توقيع اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩.

العمل الدبلوماسى فى بلد المليون شهيد

فــى أواخــر عام ١٩٧٤ أنهيت مهمتى فى بروكســل وعــدت إلى الوزارة حيث التحقت بإدارة الشئون الاقتصادية بسبب خبرتى بالعمل الاقتصادى التى اكتسبتها أثناء عملى ببلجيكا وتابعت قضية إسرائيل فى مجال اختصاص هذه الإدارة وكذا من خلال الوثائق والمســتندات والتعليقات الصحفية، فضلاً عن اتصالى المستمر بإدارتى شــئون فلسطين وشئون إســرائيل بالوزارة، وأذكر أنه من ضمن النشاط الاقتصادى لــوزارة الخارجية اهتماماتها بتجمع إقليمى اسمه منظمة الدول الأمريكية (O.A.S). تضم دول أمريكا اللاتينية (الجنوبية) فيما عدا كوبا وعلى رأسها الولايات المتحدة وكندا (كعضو مراقب) وتمكنت إســرائيل مــن أن تكون هى الأخرى عضواً مراقباً، ممــا أدى إلى تفكير وزارة الخارجيــة أن تحصل مصر على صفة عضو مراقب بهذه المنظمــة الإقليميــة، فى عام ١٩٧٥ كان هناك اجتماع لــوزراء اقتصاد هذه المنظمة بواشنطن، وقررت الحكومة المصرية التقدم بعضوية عضو مراقب وإيفاد وفد لحضور والاشــتراك فى هذا المؤتمــر، وكان المفروض ألا يقبل هــذا الطلب إلا بتوضيح دور مصر الاقتصادى فى التعاون مع دول أمريكا اللاتينية (حيث كانت مصر تقدم مِنَحًا وتســتقبل متخصصين فى الشــئون الزراعية من هذه الــدول)، وتم اختيارى بصفة عضو فى الإدارة الاقتصادية وزميلى المســاوى لى فى الدرجة وكان أحد أعضاء وفد مصر لدى الأمم المتحدة فى نيويورك والمختص بشئون المجلس الاقتصادى ليشترك معى برئاسة سفير مصر بواشنطن فى الحضور فى هذا المؤتمر الذى بقيت بسببه فى واشنطن لمدة شهر ونصف.

فى هذا المؤتمر الذى عقد فى واشــنطن والذى تم فيه بحث ودراســة طلب مصر بالانضمــام للمنظمــة بصفة مراقب لم يعلن قبول مصر إلا فــى اجتماع لاحق لنفس المؤتمــر الذى عقد فيما بعد بدولة ســان دومنيكن (إحــدى دول أمريكا اللاتينية)، والذى حضره عضو الســفارة المصرية فى واشــنطن المتخصص فى شئون دول أمريكا

اللاتينية ، وكان هذا نجاحًا للسياسة المصرية فى تعقب النشاط الإسرائيلى أينما كان والذى ظهر لى مدى وجود الأخطبوط الصهيونى فى هذه القارة الأمريكية شمالها وجنوبها واستعداد دولها لقبول النشاط اليهودى مما يؤكد الارتباط العضوى بين الجانبين.

وفى منتصف عام ١٩٧٦ انتقلت للعمل فى سفارة مصر فى الجزائر وكانت سعادتى شديدة بتواجدى فى ذلك البلد العربى الشقيق رمز الكفاح ضد المحتل الفرنسى الذى يشبه الاحتلال والاستيطان اليهودى فى فلسطين والذاكرة تختزن ما حدث للمستوطنين الفرنسيين الذين استوطنوا الجزائر العربية لمدة تقترب من ١٣٠ سنة يدعمهم احتلال فرنسى عسكرى ديكتاتورى عنصرى حاول فرنسة الجزائر لمدة تزيد على أكثر من قرن من الزمان وزعموا وأطلقوا على الجزائر أنها فرنسا وراء البحار، أو فرنسا المسلمة ، أو فرنسا الأفريقية ، وظل هذا الوضع إلى أن بدأ الجزائريون بتحرير وطنهم من الاحتلال الفرنسى ١٩٥٤ ، وهنا ثار التساؤل بالنسبة لأحقية المستوطنين الفرنسيين فى البقاء على أرض الجزائر العربية المسلمة المستقلة عام ١٩٦٢ وكان الحل من جانب الثوار الجزائريين ليس فقط قبول بقائهم بل والاعتراف بالمستوطنين الفرنسيين كجزء من شعب ومواطنى جمهورية الجزائر المستقلة لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات كالمواطنين الجزائريين الأصليين أهل البلد دون ما تفرقة بين جنس أو دين أو لون وهكذا أعيدت إلى خريطة العالم جمهورية الجزائر المستقلة ، وذلك إجابة على سؤال فى حالة استقلال الجزائر، أين يذهب المستوطنون الفرنسيون؟.

تجربة الجزائر هذه أوجدت لى ما كان يدور فى عقلى وفكرى مقارنة بفلسطين التى أعلنت فيها دولة إسرائيل من المهاجرين اليهود الإشكنازى والسفا رديم واستوطنوا تحت علم دولة إسرائيل الأراضى الفلسطينية بعد عام ١٩٤٨ بقرار التقسيم الصادر من الأمم المتحدة، الأمر الذى أدى بأجيال من اليهود الذين ولدوا فى إسرائيل ويطلق عليهم اليهود (الصابرا) ومدى أحقية وجودهم فى فلسطين

فى المستقبل بعد تحريرها طال الزمن أم قصر الذى يمكن أن تؤدى فيه الظروف الدولية فى وجود دولة فلسطين العربية الديمقراطية وعاصمتها القدس يتعايش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود كأصحاب ديانات سماوية تضمهم أرض فلسطين العربية التاريخية.

وليس هذا الأمر بغريب أو مستبعد فالتاريخ يذكرنا بتجربة أعمق هى تجربة الحروب الصليبية التى احتلت فيها قوات أوروبا الموحدة تحت شعار الصليب وبحجة حماية قبر المسيح من العرب البرابرة واحتلت فلسطين وأنشأت ممالك تعرف بدولة الفرنجة ما يقرب من مائتى عام بعدها خرجوا مهزومين بعد سلسلة من الحروب والمنازعات أعادت للعرب فلسطين وعاصمتها القدس التى عاشت فيها سلالة أوروبية من بقايا الاحتلال والحروب الصليبية وتم الاحتفاظ بكافة المقدسات الإسلامية والمسيحية بمختلف طوائفها.

وهناك مثل آخر تختزنه الذاكرة عن كفاح المواطنين الإفريقيين فى جنوب أفريقيا التى كان يحكمها الرجل الأبيض العنصرى لعدة قرون ويتحكم المستوطنون البيض فى الأغلبية من المواطنين الزنوج وتحتفظ الذاكرة بأن زعماء الأغلبية الإفريقية وعلى رأسهم منديلا نادوا وكافحوا من أجل نظام ديمقراطى فى جنوب إفريقيا يتساوى فيه المواطنون الإفريقيون مع المستوطنين الأوروبيين واستمر بقاء البيض كمواطنين، وتم إعلان جمهورية جنوب إفريقيا المستقلة يعيش فيها المستوطنون مع المواطنين تحت حكومة الأغلبية الزنجية أصحاب البلد.

إن سنة الله فى الأرض تؤكد أن اليوم آت لا ريب فيه حين يعود الحق للمواطنين الفلسطينيين ويومئذ فإن مشكلة المستوطنين اليهود يمكن أن تستوعبها دولة فلسطين العربية الديمقراطية عاصمتها القدس ويتعايش فيها كما كانت دائما المسلمون والمسيحيون واليهود ويسود السلام أرض السلام على الأرض العربية ويؤكد لى ذلك السابقة التاريخية عن الجزائر وتاريخها مع الاحتلال الفرنسى الذى بدأ عام ١٨٣٠ وممارسة الرجل الأبيض الفرنسى كل فنون وأساليب الإبادة الجماعية

للشـعب الجزائرى تماماً كما نراه الآن فى فلسطين مما أدى إلى هروب الجزائريين من أراضيهم السـاحلية الجميلة ليحتموا بسلسلة جبال أطلس بالجنوب، ويقاوموا مع مرور الأعوام ما قام به الغزاة الفرنسيون من احتلال الأرض الجزائرية الطاهرة، وإبادة وتهجير الشـعب الجزائرى، وطمس هويـة الجزائريين الذين نجوا من هذه الحرب حيث فرضوا على بقية الجزائريين هجر اللغة العربية، وفرنسـة اللسـان الجزائرى ومنع الشـعائر والعبادات الإسلامية إلى حد أن جعلوا الإجازة الأسبوعية الأحد وليس الجمعة ولقد وصل الأمر بهؤلاء الفرنسـيين المحتلين المسـتوطنين أن استوردوا جماعات من الأوروبيين البيض الفقراء نسبياً من أسبانيا والبرتغال ليقوموا بالأعمال التى يأنف منها الفرنسـيون وأطلقوا عليهم (أصحاب الأرجل السـوداء)، وإمعاناً فى طمس هوية الجزائر المسـلمة، فقد اشـتغل معظم هؤلاء فى زراعة أرض الجزائـر المغتصبـة خاصة بالكـروم ليصنع منه النبيذ الفرنسـى ذائع الصيت بين محتسى الخمور فى العالم أجمع.

والغريب فى الموضوع أن فرنسا كانت تحتل جزءًا هاماً من شمال إفريقيا امتداداً من حدود ليبيا إلى المحيط الأطلسـى ويشـمل دولة تونـس والجزائر والمغرب وكذا وسـط إفريقيا شمال الصحراء الكـبرى فيما عرف بالدول الإفريقيـة الفرانكوفونية ولكنهـا اختصت الجزائر بنـوع من التفضيل والتكريم!! لتكـون جزءًا أفريقيا من فرنسا العظمى.

ولكن شـعب الجزائر تحت راية الإسـلام والعروبة استطاع بعد سنين طويلة من الكفاح بلغت ١٣٠ عاماً والألوف المؤلفة (بلد المليون شـهيد) من الشـهداء أن ينال استقلاله وسيادته على ترابه الوطنى وأن تكون الجزائر دولة للشعب العربى المسلم وأبدع ما فى سـنوات الكفاح الطويلة أمران مارسـهما الشـعب الجزائرى **أولهما**: ممارسة حرب التحرير على الأرض والجلوس مع الفرنسيين على مائدة المفاوضات.. **والأمر الثانى**: هو ترحيب المسـئولين عن تحرير الجزائر بالإبقاء على الفرنسـيين وغيرهم من الأوروبيين المسـتوطنين كمواطنين جزائريين تحت علم الجزائر المستقلة

المسلمة العربية الإفريقية كما ذكرنا من قبل، وهم بهذا الترحيب كانوا فى منتهى الذكاء والحكمة للرد على التساؤل الذى أثير فى المفاوضات أين يذهب الفرنسيون المستوطنون إذا ما حصلت الجزائر على استقلالها؟؟

والمتتبع للاستعمار الصهيونى لفلسطين يمكنه أن يكتشف وجوه الشبه بين ما تعرض له الجزائريون وما يتعرض له الفلسطينيون، وليس هناك شك لحظة واحدة فى أن الفلسطينيين سيحصلون هم الآخرون على استقلالهم، وسيادتهم على تراب وطنهم ، مهما طال الأمد، ومهما كانت الصورة الحالية قاتمة، مليئة بقوة وغطرسة الصهاينة ومن ورائهم أمريكا والغرب.

كل هذه الذكريات طافت بذهنى لأننى أعتقد أن الجزائريين هم الأقرب للفلسطينيين بحكم تماثل المحنة التى مر بها الشعب الجزائرى والتى يمر بها الشعب الفلسطينى وأن النهاية ستكون كما حدث فى الجزائر بعد ١٣٠ عاماً من الاحتلال الفرنسى أو ما سبق فى فلسطين نفسها بعد ٢٠٠ سنة من الاحتلال الصليبى لفلسطين مع دعائى إلى الله ألا تطول المدة إلى هذا الحد.

وقد لاحظت منذ وصولى إلى العاصمة الجزائرية أن على مسرح الأحداث السياسية لم يكن هناك أى حوار أو اهتمام بإسرائيل والقضية الفلسطينية، كل ما يشغلهم مشاكلهم الداخلية: اللغة وهى مشكلة التعريب والعمل والبناء الداخلى، فقد كان الجزائريون مشغولين بقضاياهم الداخلية.

لم يمهلنى القدر الاستمتاع بالعمل الدبلوماسى فى الجزائر الشقيقة، حيث حدث فى ١٧ نوفمبر ١٩٧٧ هزة عنيفة عندما أعلن السادات أمام مجلس الشعب بأنه على استعداد للذهاب إلى آخر العالم من أجل الحفاظ على دم كل عسكرى مصرى، بل إنه على استعداد للذهاب إلى الكنيست الإسرائيلى نفسه من أجل هذا الهدف.

ومما زاد الأمر إثارة أن وجهت إسرائيل الدعوة للسادات كى يزور القدس ويلقى خطاباً داخل الكنيست الإسرائيلى وسط ذهول من العالم والبعثات الدبلوماسية الأجنبية الموجودة فى الجزائر، الأمر الذى تحقق فى ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧، الموافق

١٠ ذى الحجة ١٣٩٧ (عيد الأضحى المبارك)، ولا شك أن خطاب السادات أمام الكنيست احتوى على نقاط عدة وموضوعات مختلفة تخص الصراع العربى الإسرائيلى لكنى أرى أن من أهم هذه النقاط التى ترتبط بموضوع كتابى ما يلى:

إننى لم أجىء إليكم لكى أعقد اتفاقاً منفرداً بين مصر وإسرائيل.

فلو تحقق السلام بين دول المواجهة كلها وإسرائيل، بغير حل عادل للمشكلة الفلسطينية فإن ذلك لن يحقق أبداً السلام الدائم الذى يلح العالم كله اليوم عليه.

إننا نقبل بالعيش معكم فى سلام دائم وعادل، ولا نريد أن تحيطونا بالصواريخ المستعدة للتدمير، أو بقذائف الأحقاد والكراهية، إن إسرائيل أصبحت حقيقة واقعة اعترف بها العالم، وتحملت القوتان العظميان مسئولية أمنها وحماية وجودها.

إن التراب الوطنى والقومى يعتبر لدينا فى منزلة الوادى المقدس طوى الذى كلم فيه الله موسى عليه السلام.. ولا يملك أى منا، ولا يقبل، أن يتنازل عن شبر واحد منه أو أن يقبل مبدأ الجدل والمساومة عليه.

هناك أرض عربية احتلتها - ولا تزال تحتلها - إسرائيل بالقوة المسلحة ونحن نصر على تحقيق الانسحاب الكامل منها بما فيها القدس العربية.. القدس التى حضرت إليها باعتبارها مدينة السلام.. والتى كانت وسوف تظل على الدوام التجسيد الحى للتعايش بين المؤمنين بالديانات الثلاثة.

إن الانسحاب الكامل من الأرض العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ أمر بديهى لا نقبل فيه الجدل ولا رجاء فيه لأحد أو من أحد.

أما بالنسبة للقضية الفلسطينية، فليس هناك من ينكر أنها جوهر المشكلة كلها، وليس هناك من يقبل اليوم فى العالم كله شعارات رفعت هنا فى إسرائيل تتجاهل وجود شعب فلسطين بل وتتساءل أين هو هذا الشعب؟.

إن قضية شعب فلسطين وحقوق شعب فلسطين المشروعة لم تعد اليوم موضع تجاهل أو إنكار من أحد.

إنها واقع استقبله المجتمع الدولى، غرباً وشرقاً، بالتأييد والمساندة والاعتراف فى مواثيق دولية، وبيانات رسمية لن يجدى أحد أن يصم آذانه

عن دويها المسموع ليل نهار أو أن يغمض عينيه عن حقيقتها التاريخية وحتى الولايات المتحدة الأمريكية، حليفكم الأول التى تحمل قمة الالتزام لحماية وجود إسرائيل وأمنها والتى قدمت - وتقدم إلى إسرائيل - كل عون معنوى ومادى وعسكرى.

ولعل تجارب التاريخ القديم والحديث تعلمنا جميعاً أن الصواريخ والبوارج والأسلحة النووية لا يمكن أن تقيم الأمن، ولكنها على العكس تحطم كل ما يبنيه الأمن.

أقول حتى الولايات المتحدة اختارت أن تواجه الحقيقة والواقع وأن تعترف بأن للشعب الفلسطينى حقوقاً مشروعة وأن المشكلة الفلسطينية هى قلب الصراع وجوهره، وطالما بقيت معلقة دون حل، فإن النزاع سوف يتزايد ويتصاعد ليبلغ أبعاداً جديدة، وبكل الصدق أقول لكم إن السلام لا يمكن أن يتحقق بغير الفلسطينيين وإنه لخطأ جسيم لا يعلم مداه أحد أن نغض عن تلك القضية أو أن ننحيها جانباً.

ولن استطرد فى سرد أحداث الماضى منذ صدور وعد بلفور لستين عاماً خلت، فأنتم على بينة من الحقائق جيداً وإذا كنتم قد وجدتم المبرر القانونى والأخلاقى لإقامة وطن قومى على أرض لم تكن كلها ملكاً لكم. فأولى بكم أن تتفهموا إصرار (الشعب) شعب فلسطين على إقامة دولته من جديد فى وطنه وحين يطالب بعض الغلاة والمتطرفين أن يتخلى الفلسطينيون عن هذا الهدف الأسمى، فإن معناه فى الواقع وحقيقة الأمر مطالبة لهم بالتخلى عن هويتهم، وعن كل أمل لهم فى المستقبل ولذلك، فإننى أقول لكم أيها السيدات والسادة: إنه لا طائل من وراء عدم الاعتراف بالشعب الفلسطينى وحقوقه فى إقامة دولته وفى العودة.

أعود لأقول: إننى كنت فى زمن هذا الخطاب فى مهمة غير رسمية لتونس، وعدت على الفور إلى الجزائر، وتوقفت عن ممارسة الواجبات الاجتماعية الدبلوماسية خشية السؤال عن تفسير ما قام به السادات، وأنا لا أملك أى تفسير، وخشيت من الحرج إذ إننى كنت لا أترك فرصة ولا مجالاً إلا وأبرز فيها خطورة

إسرائيل، الأغرب من ذلك أن وزارة الخارجية المصرية نفسها لم تقدم لنا أى تفسير أو تنويه عن هذه الزيارة، وفكرت وقتها فى الاستقالة من العمل الدبلوماسى، لأنى قد اعتبرت هذه الخطوة اعترافاً بالوجود الإسرائيلى على أرض فلسطين، وهذا أمر لا أؤمن به إطلاقاً من واقع إيمانى كمسلم، لكن أولادى وزوجتى حذرونى من هذه الخطوة، فلم أملك إلا أن أهمس لنفسى بنبرة حزينة (كم أذل الحرص أعناق الرجال)!!

وهنا لابد أن أسجل ما آمنت به منذ سماع هذا الخطاب، لقد كان هذا الخطاب طلباً للسلام مع دولة معتدية لم تطلب هى السلام بل كانت ولا زالت حتى كتابة هذه السطور دولة معتدية تقتل وتدمر، تحتل أرض الفلسطينيين وأرض سوريا، ولعل هذا يرد على أبواق الدعاية التى قام بها البعض من لوى ذراع النص القرآنى فى (سورة الأنفال): ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾

التزمت الصمت حتى أنقذتنى الأحداث المتوالية بسرعة عجيبة، حيث شاركت الجزائر بقيادة (بو مدين) كلاً من سوريا واليمن ومنظمة التحرير الفلسطينية وبزعامة العراق فى جبهة الصمود والتصدى الرافضة لرحلة السادات إلى القدس والسلام مع إسرائيل والتى اجتمعت فى بغداد متهمة السادات بالخيانة.

الأمر الذى دفع السادات إلى سحب سفرائه للتشاور، فردت جبهة الصمود بتجميد العلاقات الدبلوماسية مع مصر، فأعلن السادات قطع العلاقات مع هذه الدول وضرورة عودة أعضاء السفارات إلى مصر خلال ثلاثة أيام وأرسلت الحكومة إلينا طائرة خاصة لتحمل الأعضاء، وتركت السفارة بالجزائر خاوية على عروشها ليس بها إلا حارس إدارى لحماية الممتلكات المصرية بالسفارة.

ولقد تعجبت كثيراً من موقف الجزائر حكومة وشعباً والذى لم أكن انتظره ضد مصر، لا سيما بعد التأييد المصرى والدور الكبير الذى قدمته فى ثورة الجزائر والذى أعلمه جيداً منذ فترة عملى الدبلوماسى فى ليبيا خاصة أن تركيز الاهتمام

الجزائـرى على العالم العربى كان مركزاً على دول المغرب العربى، أما فيما يخص دول المشـرق العربى فلم يكـن عليها اهتمام كبير ولذلك أعتقـد أن موقف الجزائر كان نتيجة الشعور بالصدمة أن يتخذ رئيس مصر قرار زيارة إسرائيل دون استشارة زملائـه زعماء الـدول العربية حيث إن تداعى هذه الزيارة سـيؤدى إلى الوقوع فى براثن الصهيونية والإمبريالية دون اتخاذ احتياطات تقلل إن لم تمنع هذه الخطورة، وهـذا أمر أعتقد أن الرئيس الجزائرى بومدين. (أحد أبطال حرب تحرير الجزائر) لم يوافـق عليـه وجاهر بهذا الرفض علانية حتى ولـو كان يتعلق بمصر التى أدت دورها فى حرب الجزائر ضد فرنسا.

دبلوماسية غير عادية فى بلاد خليجية

عدت إلى القاهرة فى جو توتر العلاقات مع الدول العربية، نتيجة رحلة السادات والتى وصلت إلى درجة قطع العلاقات مع دول جبهة الصمود والتصدى بزعامة العراق وعضوية الجزائر واليمن وفلسطين، ثم نقلت للعمل بسفارة مصر بالكويت كقائم بالأعمال بالنيابة بهدف متابعة تطورات العالم العربى وطلب العراق التى تزعمت دول الصمود والتصدى بعقد مؤتمر بغداد يحضره جميع ملوك ورؤساء الدول العربية لاتخاذ موقف جماعى ضد مصر والسادات، لكن كل هذه الدعاوى لقطع العلاقات لم تمنع السادات من الاستمرار فيما عزم عليه من إقامة سلام مع إسرائيل على رغم العروض المادية العربية لتعويض خسائر مصر فى الحروب مع إسرائيل.

فى هذه الأثناء استدعتنى وزارة الخارجية الكويتية ممثلة فى مدير الإدارة القانونية للاستفسار عن الوضع الدبلوماسى فى حالة اتخاذ قرار نهائى بقطع العلاقات مع مصر، متسائلاً عن الإجراءات والتدابير الدبلوماسية التى تتخذ فى هذه الحالة حيث لم يسبق للكويت أن قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع دولة ما. فأخبرته أنه بالنظر إلى أن مصر والكويت دولتان عربيتان شقيقتان وأن قرار قطع العلاقات، قرار استثنائى أتمنى ألا يتم، إلا أنه لابد وأن تتخذ بعض الإجراءات الدبلوماسية فى حالة القطع هى:

١ - نزول العلم المصرى من على سفارة مصر بالكويت ورفع علم دولة أخرى راعية تختارها الحكومة المصرية ويتم نفس الإجراءات بالنسبة للسفارة الكويتية فى مصر.

٢ - عودة السفراء كل إلى بلده ويتم تخفيض التمثيل الدبلوماسى بينهما إلى مستوى بعثة رعاية المصالح ويرأسها دبلوماسى مصرى تحت غطاء سفير الدولة الراعية.

٣ - انحصار العلاقات بين بعثة رعاية المصالح والدولة فى إطار الوزارات الفنية كالتعليم والصحة والعدل والثقافة استمرارا للعلاقات بين الشعبين وتنقطع

الاتصالات المباشـرة مع رئيس الدولة ووزيـر خارجيتها كل دولة حيث يقوم بهذه الاتصالات سفير الدولة الراعية فى حالة هذه الاتصالات.

وهكذا لم تكن هناك مشـاكل دبلوماسـية بعد أن قرر مؤتمر ملوك ورؤساء العرب فى بغداد عام ١٩٧٩ قطع العلاقات مع مصر.

ولم يكـن قطـع العلاقات مع كل الدول العربية حيث رفضت كل من السـودان وسلطنة عمان والصومال تنفيذ هذا القرار.

وضمـن سلسـلة الأحداث المفاجئـة العامة والخاصة والتـى أدت إلى انتقالى من الجزائـر إلى الكويـت فتكرر نقلى من الكويت إلى الدوحة حيث أتولى رئاسـة بعثة رعاية المصالح المصرية بالدوحة عاصمة قطر تحت علم السودان.

وفور وصولى إلى الدوحة عاصمة دولة قطر بعثت وزارة الخارجية القطرية بمذكرة رسميـة رقـم ٢٦٦٣ بتاريـخ ٢٥ /٤ /١٩٧٩ تفيد بقطع العلاقـات – مع مصر – وتسـجيلاً للتاريخ أضع فى كتابى هذا صورة طبق الأصل من هذه المذكرة والخطاب الصادر من رئيس دولة قطر والذى يتحدث عن هذا الحدث.

وهنا لابد أن أسـجل شعورى الشخصى بأن إسرائيل هى السبب، فلقد تمكنت من أن ترغم أكبر دولة عربية وهى مصر من أن تقيم معها سلامًا وعلاقات دبلوماسية كاملـة أدت إلى أن غالبيـة الدول العربية تقطع علاقاتهـا مع مصر. وأن ينخفض مسـتوى التمثيل الدبلوماسـى إلى مسـتوى بعثات رعاية المصالح تحت أعلام دول أخرى وصلت إلى أن تضطر الدول العربية الاحتماء لأعلام الدول الغربية الأوروبية، وقد حدث فعلاً بالنسبة لدولة قطر التى رفعت بعثة رعاية مصالحها علم فرنسا فى قلب سماء القاهرة التى كان قد ارتفع معها لأول مرة فى التاريخ علم إسرائيل بشعار نجمـة داود، وإن كانـت بعثة رعاية مصالح مصر فى قطر قد رفعت علم السـودان التى لم تقطع علاقتها مع مصر وكان هذا بالنسبة لى راحة نفسية.

بدأت العمل فى بعثة رعاية مصالح مصر فى الدوحة وأنا أشعر بخطورة إسرائيل التى اسـتطاعت أن تهزم قضية القومية العربية إلى حد انتقال مقر الجامعة العربية

إلى تونس وتغيير أمينها العام، وبذلك فقدت مصر أمانة الجماعة ومقرها الدائم بالقاهرة بالرغم من أن هذين الأمرين هما ركيزة لوجود جامعة الدول العربية، وهذا مخالف لما جرى عليه العرف ومن ناحية أخرى لمست عن قرب التغير الجوهرى لإحساس الجاليات المصرية فى قطر وبقية الدول العربية التى اهتزت الأرض من تحت قدميها بقطع العلاقات العربية مع مصر ووجهوا اتهاما إلى مصر لأنها خانت القضية العربية باعترافها بوجود دولة إسرائيل وإقامة العلاقات الكاملة معها، وهكذا كان حال الجاليات المصرية المهددة فى أرزاقهم وأموالهم فى بلد قطعت علاقاتها مع وطنهم الأصلى وكان عليهم الصمت لأنهم بين أمرين أحلاهما مُرّ، هل يعودون لبلدهم ويفقدون عملهم أو يستمرون فى هذا العمل فى دولة قطعت علاقاتها مع وطنهم وتوجه وسائل إعلامها مهاجمة رئيس مصر وسياسته رداً على وسائل إعلام القاهرة التى فى الوقت نفسه تهاجم بشدة الأنظمة العربية.

وكان الأمر أكثر خطراً بالنسبة لموقف المصريين العاملين بصحافة وإذاعة قطر فكانوا مكلفين بكتابة وإذاعة ما تمليهم عليهم حكومة قطر من هجوم على رئيس مصر واتهامه بالخيانة، وكان ذلك موقفا شديد الخطورة والحرج للعاملين المصريين فى هذا المجال.

وهكذا كان حال الجالية المصرية العاملة فى البلاد العربية ومصدر ذلك كله هو وجود دولة إسرائيل وبداية تغلغلها، وبالنسبة لى كرئيس رعاية مصالح مصر فقد تعرضت إلى كثير من الحرج لموقف السفارات العربية الأخرى فى العاصمة الدوحة التى قاطع سفراؤها وتحاشونني فى الحفلات العامة الأمر الذى أدى إلى مقاطعتى لأى تجمع عام، وأصبحت غريباً فى الوسط الدبلوماسى كل ذلك بسبب إسرائيل، فأنا مصرى عربى مسلم دبلوماسى أصبحت معزولاً فى عاصمة عربية مسلمة.

ولا يفوتنى هنا أن أذكر ضمن هذه الذكريات الدبلوماسية موقف السفير الأمريكى لدى قطر (أندرو كيلجور)، والذى كان يتعرض لنفس الإحساس بالعزلة التى كنت أشعر بها آنذاك، ولم يكن سبب هذا الشعور لدى السفير الأمريكى هو العلاقة مع إسرائيل، وإنما كان بسبب ثورة الخمينى الإسلامية واستيلائها على الحكم

فـى دولة إيران، والتى تقع على الضفة الشـرقية من الخليج العربى وبمقابلها فى الضفة الغربية للخليج قطر والكويت والسـعودية والبحرين والإمارات، ونتيجة هذه الأحداث خضع السـفير الأمريكى للحراسـة التى أقامتها السلطات القطرية بوضع مقر البعثة وسـكن رئيس البعثة تحت حراسـة قوات الأمن خوفاً من أى تعرض، وكنت أقول لسـفير أمريكا كلانا فى قارب واحد (we are in the same boat) وأدى تماثل الموقفين لكلانا إلى تحجيم نشـاطنا الدبلوماسـى وأتاح لنا زيادة لقاءاتنا غير الرسمية مما أتاح مساحة كبيرة من الحوار والنقاش فى أمور لا تسمح لنا بها المواقف الرسمية وانتهزت الفرصة وسألته عن رأيه كمواطن أمريكى فى موقف بلاده الداعم لإسـرائيل وإلى متى ستظل هذه العلاقة الخاصة بين أمريكا وإسرائيل وتساءلت عن موقف السفراء والدبلوماسيين الأمريكيين الذين يعملون فى الدول العربية والإسلامية وتتكون لديهم قناعة بضرورة تغيير تأييد أمريكا المطلق لإسرائيل وقد يكون فى رأى هؤلاء الدبلوماسيين اقتناع أن هذه السياسة ليست فى صالح أمريكا فى المدى البعيد فأجاب السـفير الأمريكى، أنه ليس هناك وسـيلة فالضغط اللوبى الصهيونى على استمرار تأييد أمريكا لإسرائيل قوى جداً وفى الظروف الحالية لا تأثير للتغيير وقد يأتى اليوم فمن المؤكد فى رأيه أن الاتجاهات العامة لدى السـفراء والدبلوماسـيين الأمريكيين الذين عملوا ولازالوا يعملون فى الدول العربية والإسـلامية لديهم اقتناع داخلى غير معلن بأن الموقف الأمريكى حيال الدول العربية والإسلامية غير مناسب لصـالح أمريكا وأشـاد إلى نقطة مهمة أن الأمر لا يتوقف علـى أمريكا فقط فهناك أوروبـا وموقفها فى تأييد خلق دولة لليهود أقدم وأعمق، ولابد أن يتم التغير أيضا من أوروبا خاصةً بريطانيا وفى رد السفير الأمريكى على محاولتى فى نقاش معه أن أصل به إلى الاعتراف بأن إسرائيل ما خلقت إلا لمصالح أوروبية أمريكية ضد العرب والمسـلمين علـى رغم ظاهر الدعاوى بأنها أى (إسـرائيل) خلقـت لمنع الاضطهاد اليهودى؟! إلا أن السـفير الأمريكى لم يعترف بذلك بقوله لا اعتقد؟ فلم أناقشـه بأن هذا حقه.

وللقارئ العزيز أن يعود إلى موضوع رسالة الدبلوماسيين البريطانيين والأمريكيين بكتابى هذا.

والأمانة تقتضى أن أبرز فى كتابى هذا قصة ذلك الرجل الذى كان له دور واضح فى استقرار كيان الجالية المصرية المضطرب فى قطر آنذاك، هو الدكتور حسن كامل رحمة الله عليه والذى كان دبلوماسياً بوزارة الخارجية المصرية وأسقط اسمه من قائمة ضم الدبلوماسيين المصريين والسوريين بقرار جمهورى من رئيس الجمهورية العربية المتحدة دولة الوحدة. حيث حدثت الوحدة المصرية السورية عام ١٩٥٨ انتهزت حكومة النظام المصرى بالاستغناء عن بعض العناصر الدبلوماسية المصرية غير المرغوب فيها من وجهة نظر النظام، فى الوقت الذى كان فيه الدكتور حسن كامل من أوائل الجيل الدبلوماسى المصرى الذى حصل على درجة الدكتوراه من جامعة السوربون الفرنسية فى العلوم السياسية فى نهاية الخمسينات عن حق تقرير المصير للشعوب لقد اضطر الرجل بعد هذا الموقف الغريب من الحكومة المصرية أن يعمل بالحكومة القطرية منذ ١٩٥٩ وعين بعد ذلك مديراً لمكتب أمير دولة قطر بعد استقلالها عام ١٩٧٢.

وبسبب وطنيته لبلده مصر أقام معى اتصالات على المستوى الشخصى على رغم كونى غير مؤهل كرئيس لبعثة رعاية المصالح للاتصال لا بالأمير ولا بديوان الأمير بمن فيهم مدير المكتب نتيجة قطع العلاقات الدبلوماسية وكان لهذه العلاقة آثارها فى ناحيتين، **الأول** اطمئنان الجالية المصرية التى شعرت أننى على اتصال بالأمير من خلال مدير مكتبه، **الأمر الثانى** احتجاج علنى من سفراء الدول العربية فى قطر لا سيما سفراء دول جبهة الصمود والتصدى.

ولقد استثمرت علاقتى مع هذا الرجل الوطنى فى أمر كان سيؤدى إلى عواقب وضجة عندما تناول السادات فى إحدى خطبه التى كان يهاجم ويرد فيها على الدول العربية لموقفها منه، أنه ذكر قطر وأميرها قائلاً: «الأمير بتاع قطر» مما اعتبره الأمير نوعاً من السخرية به وبدولته، وكان من لباقتى أن طلبت من الدكتور حسن كامل أن يشرح للأمير أن كلمة (بتاع) هى كلمه شعبية مصرية تعنى باللغة العربية الملكية، وهذا تعبير شائع ومعروف حتى أوساط الأسر المصرية عندما

يختلف المصريون بمن فيهم الأطفال حول ملكية شـيء كلٌ يقول هذا الشيء بتاعي (أى ملكـي)، لـذا فإنها تعنى الملكية ولذا فإن الأمير بتاع قطر أى مالك أو صاحب قطر، وأبلغنى الدكتور حسن كامل بارتياح الأمير وسروره لسماعه هذا التفسير.

لهذا الحد من الحساسية والشك والترقب والتربص كانت علاقات مصر مع بقية الدول العربية، مما يدل على عمق الأثر الذى أحدثه خلق دولة إسـرائيل فى قلب العالم العربى بما فيها فلسطين هذا وامتد الأمر أن حاولت جبهة الصمود والتصدى بزعامـة العراق إبعاد مصر عن كافة المحافل الدولية والإقليمية، بل وصل الأمر إلى أن مبنى بعثة رعاية المصالح المصرية بقطر وسـكن رئيس البعثة كان محاطاً بقوات من الجيش القطرى لحمايتها من غضب الشـعور المضاد لمصر وشـعبها ورئيسـها، لاسيما الجالية الفلسطينية بقطر، لدرجة جعلت حرس القسم القنصلى يقوم بتفتيش القادمين خوفا من أى عمل تفجيرى.

انتهى عملى الدبلوماسى بقطر فى نوفمبر ١٩٨٠، بذلك أكون قد أمضيت أربعة أعوام متصلة (٧٦ – ٨٠) فى ثلاث دول عربية هى بالترتيب: الجزائر – الكويت – قطـر وقـد كان بقائى فى هذه الدول أو رحيلى عنها نتيجة الأحداث التى كانت على المسـرح السياسى منذ أن أعلن السـادات استعداده للذهاب إلى إسرائيل مروراً بخطابه أمام الكنيست الإسرائيلى وانتهاءً بعقد اتفاقية ومعاهدة السلام كامب ديفيد عام ١٩٧٩ التى كانت بتوجه وضغط أمريكا برئاسة كارتر (المسيحى الأصولى) الذى وضـح دوره الهـام فى هذه الاتفاقية كما يظهر من كتابه الذى ألفه تعليقاً على هذه الاتفاقية تحت عنوان فلسطين سلام.. لا تمييز عنصرى.

كما مارس الضغط على مصر بصفتها أكبر دولة عربية للاعتراف بحق وجود دولة لليهود فى فلسـطين باسـم إسـرائيل والتى أدت إلى فتنة كبرى بين الدول العربية ومصر ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾(سورة الأنفال).

كمـا أن الأمـر أدى إلى رفع العلم الإسـرائيلى فى سماء القاهـرة ونزول الأعلام العربية لأول مرة، وانتقال مقر جامعة الدول العربية إلى تونس، بالرغم من أن ميثاق الجامعـة العربية يؤكد على أن المقر الدائم هو القاهرة وتولى لأول مرة منذ إنشـائها منصب الأمين العام شخصية غير مصرية.

والقارئ العزيز يسـتطيع أن يقرأ اتفاقية كامب ديفيد واتفاقية السـلام بين مصر وإسـرائيل فى الكتاب الأبيض الذى أصدرته وزارة الخارجية فى هذا الشأن فليس من أهداف كتابى هذا تقديم الاتفاقية للقارئ.

فى طريق عودتى إلى القاهرة قمت بأداء العمرة واستلمت العمل بالوزارة نائباً لمدير الإدارة العربية التى كانت مشغولة ومهتمة بنتائج قطع العلاقات مع الدول العربية ومحاولـة عزل مصر عن بعض المنظمات الدولية والإقليمية مثل اليونسـكو وجامعة الدول العربية والمؤتمر الإسلامى بحجة أن مصر خانت القضية العربية.

ثـم اختارنى وزير الخارجية مستشـارًا سياسـيًا لوزير الإعـلام لتهدئة المواقف الإعلامية المتبادلة بين العرب ومصر وللحق أذكر أن الفضل فى هذه السياسة لوزير الخارجية كمال حسن على أحد أبطال حرب أكتوبر ومدير المخابرات ووزير الدفاع ثم رئيس الحكومة فيما بعد حيث كان هذا الرجل شخصية هادئة حريصا على عدم تدهور العلاقات بين مصر والدول العربية.

كان من أهم وأطرف التجارب التى خضتها أثناء عملى مستشـارا سياسيا لوزير الإعلام اختيارى عضوًا لوفد مصر فى الدورة الاستثنائية الرابعة للمؤتمر العام لهيئة اليونسكو فى باريس عام ١٩٨٢، واليونسكو هيئة تابعة للأمم المتحدة ومسئولة عن (العلوم – والثقافة – والتربية) كأنشطة إنسانية، وفى عام ١٩٨٢ تم عقد هذه الدورة الاستثنائية بباريس (المقر الرئيسى) لليونسكو لمناقشة إضافة (الاتصالات) كى تكون ضمن أنشـطة منظمة اليونسـكو، وقد شـاءت إرادة الله أن يختارنى وزير الإعلام ضمن الوفد كى أكون ممثلا وزارة الإعلام مع مشـاركة لأعضاء الجهاز التابع لوزارة التعليم العالى والمختص بأنشطة مصر فى منظمة اليونسكو، وقد ألقيت خطابا باسم

وزيـر الإعلام أكدت فيه خطورة دور الاتصـالات (communication) فى العلاقات الإنسانية بين الدول، وتقرر فى نهاية الدورة إضافة الاتصالات كى تكون ضمن أنشـطة اليونسكو دون أن يتغير مسمى هذه المنظمة (اليونسكو) (unesco) والتى ترمز حروفها:

UN United Nations
E Education
S Science
C Culture
O Organization

وهكـذا انحصر اهتمامى فى محاولة رأب الصدع قدر الإمكان بين مصر والعرب بصفتـى عضوا من الخارجية ومنتدبًا فى مكتب وزير الإعلام وظل هذا العمل ثلاث سنوات حتى عام ٨٣ وفى هذه الفترة حدث أمر شديد الخطورة وهو اغتيال الرئيس السـادات مما كان صدمة شـديدة الخطورة والمباغتة للعالم كله وقد تم اختيارى مع عدد من السفراء لنكون فى استقبال رؤساء الوفود الذين حضروا الجنازة.

وكان للسـادات هالة كبيرة فـى العالم كله تصوره أنه صانع السـلام بين مصر وإسـرائيل ومـا كان يحظى رئيس مصر بهذا الاهتمـام العالمى فى جنازته وتوديعه إلا لهذا السـلام الموهوم بين مصر وإسـرائيل وأرى أن حضور هؤلاء الرؤساء والوفود لتوديع السـادات كان نتيجـة حتمية لما قام به من مباحثـات ومعاهدات منحت إسرائيل حق الوجود الأبدى. ولو أن السادات قتل قبل زيارته للكنيست أو معاهدة كامب ديفيد ما كان يحظى بهذا التواجد العالمى فى جنازته وبعد اغتياله فى ذكرى نصر مصر بحرب أكتوبر ٧٣ وكان السادات بطل هذه الحرب.

ومما أكد لى أن المشـاركة الدولية لجنازة السـادات كان نابعاً من المعاهدات التى عقدها مع إسـرائيل حضور وفد من إسـرائيل على رأسه مناحم بيجن إذ إن هناك سـؤالاً كان يدور فى ذهن الجميع وعلى رأسـهم الإسـرائيليون هل مقتل السادات ينهى السلام مع إسرائيل؟ هل مقتل السادات يزيل الاعتراف بالوجود الإسرائيلى؟ هل مقتل السـادات نابع من معارضة مصرية للسـلام مع إسرائيل؟ وعلى رغم أنى ضد مبدأ القتل بصفة عامة واسـتخدامه وسـيلة لانتقام أو لتغير الأوضاع، لكن كان

دائما يدور فى ذهنى سـؤال هل مقتل السادات عقاب من الله لما فعله من سلام مع اليهود؟

وهل تفسير السادات ووسائل الإعلام للآية القرآنية ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾(سورة الأنفال).

كان تأويلاً شخصيا لمعنى النص القرآنى فمن الذى جنح للسلام هم أو نحن؟ كلها أسئلة أبحث لها عن إجابة منذ أكثر من ربع قرن.

جـاء اختصاصى بأن أرافق رئيس برلمان (سـريلانكا) الذى شـارك فى الجنازة بصفته الشخص الثانى بعد رئيس جمهورية هذه الدولة الذى أبدى عزاء دولته مع التعبير عن شـعوره بالحزن لهذا الحادث الخطير، كما أبدى أيضا أسفه لان تكون زيارته إلى مصر التى كان يأمل فيها منذ زمن بعيد تقترن بهذه المناسبة الحزينة.

ولسـت فى هذه الذكريات أسجل وقائع جنازة الرئيس الراحل السادات ولكنى أبـرز أن الضيف وكان مسـلماً فاجأنى بعد انتهاء مراسـم الجنازة بأنه يتمنى أن يصلى فى الجامع الأزهر الشريف فلم اجرؤ على الرفض، أو أشعره بأنه يلزم لذلك أخذ موافقة سـلطات الأمن فى هذه الظروف التى تمر بها مصر، ولكنى ابتسـمت وقلت له: إن شاء الله.

وطبيعى كان من واجبى أن أبلغ هذه الرغبة لفريق الحراسـة المخصص للضيف ففوجئـت بأن تعليمات الأمن العليا تتضمن عدم تحرك أى ضيف من الضيوف من مقر الإقامة بعد انتهاء مراسـم الجنازة إلا فى حالـة واحدة، وهى مغادرة الضيف إلى مطار القاهرة.

كان موعد مغادرة الضيف الذى أرافقه اليوم التالى ليوم الجنازة وعلى هذا لم يكن أمام الضيف إلا صلاة العشـاء فى اليوم نفسه لتحقيق رغبته فى الصلاة فى الجامع الأزهر الشريف.

بالرغم من كل هذه الظروف العصيبة وبالرغم من شعورى التام من خطورة ما قد يحدث إلا أن نفسـى لم تطاوعنى بإبلاغ الضيف بعدم إمكانية الصلاة فى الجامع

الأزهر وقررت أن آخذ مسئولية اصطحاب الضيف المسلم بطريقة شخصية – وعلى مسئوليتى وبحماية الله فى سيارتى الخاصة للتوجه إلى جامع الأزهر الشريف وأداء صلاة العشـاء جماعة، وكم كانت سـعادة الضيف بأداء هذه الصلاة وبعدها زيارة معالم القاهرة العريقة حول الجامع الأزهر الشريف وكان طريق العودة إلى مقر إقامته كله حمدا لله وشكراً منه ومنى على إتمام هذه الرغبة فى أمان الله وحفظه ورعايته والله خير الحافظين.

وختاماً أقول: إنه قد يكون من الأسرار التى لا تفسير لها أن انفراد هذا الاحتفال بذكرى ٦ أكتوبر ١٩٨١ بحادث خطير وهو اغتيال الرئيس الراحل أنور السـادات حيـث كما هو معلوم ارتبط هذا الحادث بهذه الذكرى ارتباطا عضويا فازداد ارتباط حكم الرئيس السادات بقرار حرب أكتوبر.

وداع الدبلوماسية فى غانا الإفريقية

شاءت إرادة الله أن أعمل فى أحداث ومناخ دبلوماسى مغاير، حيث فى يوليو ٨٣ انتقلت للعمل فى غانا كسفير لمصر بعد أن عملت بمكتب وزير الإعلام كمستشار سياسى، وتعجب زملائى كيف أكون قريباً من السلطة ولا أنتقل إلى دولة أوروبية مثلاً، فكان ردى أننى لا أسعى إلى ذلك ولا أقبله على نفسى.

وفى حقيقة الأمر كنت سعيدًا بالعمل فى غانا إحدى الدول الأفريقية جنوب الصحراء إذ لم يسبق لى طيلة عملي الدبلوماسى أن وطئت قدماى جنوب صحراء أفريقيا الكبرى كما أن معظم هذه الدول الأفريقية كانت قد قطعت علاقتها مع إسرائيل منذ أحداث ٦٧ تضامناً مع مصر بالإضافة إلى أننى عندما كنت شاباً كنت من المعجبين برئيس دولة غانا نكروما أحد زعماء حركة عدم الانحياز وقد تأكد هذا الإحساس لدى لأن المجتمع الدبلوماسى هناك لا يشمل سفيراً لإسرائيل حيث كانت العلاقات بين غانا وإسرائيل مقطوعة منذ عدوان إسرائيل على مصر عام ١٩٦٧، كما أن غانا اعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينى كممثل شرعي للفلسطينيين ١٩٨٤ واستقبلت ياسر عرفات ثانى رئيس لمنظمة التحرير استقبالاً رسمياً لرئيس دولة، وانتهزت فرصة مقابلتى لأسأل عرفات عما يدور فى ذهنى من تساؤلات حول قضية فلسطين، فقد لاحظت فعلاً بنفسى مدى الصعوبات التى يواجهها حاملو الوثائق المصرية الفلسطينية وسوف يأتى ذكر ذلك فى ملف ياسر عرفات.

أهم شىء فى أكرا عاصمة غانا أنى لاحظت أن إسرائيل كانت تسعى بقوة لإعادة علاقات دبلوماسية مع الدول الإفريقية التى تحررت من أى احتلال ومما يذكر أن الدول الكبرى من أمثال بريطانيا وفرنسا كانت تشترط على الدول التى تحتلها من ضمن شروط الاستقلال أن تقيم علاقات مع إسرائيل فوراً وكنت دائماً فى أحاديثى مع أهل غانا أربط بين سياسة التفرقة العنصرية فى جنوب أفريقيا وبين ما تفعله إسرائيل فى فلسطين ونظرتهم العنصرية باعتقادهم الكامن بأنهم شعب الله المختار وأن بقية البشر قد خلقوا من أجل خدمتهم.

كانت غانا قد قطعت علاقاتها مع إسرائيل منذ ١٩٦٧ عقب العدوان الإسرائيلى على مصر وسوريا وفلسطين كما كان فى هذه الفترة من الزمان تقارب سياسى بين عبد الناصر ونكروما الرئيس الغانى، فكلاهما كان من رموز حركة عدم الانحياز فضلاً عن تيتو الزعيم اليوغسلافى ونهرو الزعيم الهندى وسوكارنو الزعيم الإندونيسى، وكانت هذه المجموعة من الرؤساء تعطى انطباعًا بالتأييد لحق الفلسطينيين وموقفهم الرافض لإسرائيل، إلا أن كل هذا تغير بعد اتفاقيات السادات فى كامب ديفيد، واعتراف مصر بإسرائيل وتبادل التمثيل الدبلوماسى الكامل معها كل هذا جعل الدول الأفريقية ومنها غانا تقيم أو تعيد علاقات دبلوماسية مع إسرائيل كان هذا الموقف السياسى قبل أن أصل إلى غانا فى يوليو ١٩٨٣.

وأثناء ممارستى العمل الدبلوماسى فى أكرا عاصمة غانا تأكد لى أن شعور حكام هذا البلد وأهله معادٍ للرجل الأبيض لدرجة من التعصب وصلت إلى حد تفضيل الرجل الأسود على الرجل الأبيض وكأنما أصبح للتفرقة العنصرية وجهان!

وجه أبيض متعصب ضد الأسود. ووجه أسود متعصب ضد الأبيض وهكذا التعصب يولد تعصباً.

فى هذا الجو انشغل السفراء المعتمدون لدى هذه الدولة بنظرية التعصب بصفته مشكلة داخلية يهتم بها السفراء الأجانب.

وكان مجال الحديث والمناقشات بين السفراء يدور فى إطار من البحث التاريخي والجغرافى والاجتماعى والاقتصادى لموضوع التفرقة العنصرية نتيجة التعصب.

وأثناء حديثى مع أحد السفراء البيض – وكان يشتهر بالعصبية فى المناقشات والتعصب الحاد للرجل الأبيض – أقول فوجئت به وهو يجادلنى ويرد على دفاعى عن الرجل الأسود، وضرورة القضاء على التفرقة العنصرية بأن قال: (إن القرآن الذى يؤمن به المسلمون عبر باللون الأسود عن الكفر و أضفى على المؤمنين اللون الأبيض).

وقد فهمت من قوله هذا أنه يشير إلى الآية القرآنية التى يقول الله تعالى فيها:

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ

إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (آل عمران ١٠٦ – ١٠٧).

وكان لابد لى أن أشرح له إضافة لهذه الآية ما جاء بالقرآن فى آيات أخرى من التعبيرات عن الوجوه الناضرة والناعمة والمسفرة والضاحكة والمستبشرة ويقابلها وجوه باسرة خاشعة عاملة ناصبة عليها غبرة ترهقها قترة.

وكل هذه التشبيهات استخدمت فيها نظرية التضاد حتى يظهر الفرق بين الإيمان، والكفر وهكذا جاء ذكر اللون الأبيض، وضده اللون الأسود فى أقصى درجات اللون المتضادة ليبرز الفرق بين الكفر والإيمان علماً بأنه لا يوجد إنسان أبيض فى أقصى درجات البياض ولا يوجد إنسان أسود فى أقصى درجات السواد وإنما هى تشبيهات استخدمها الفرنجة وذلك أوجد ما يعرف بالتفرقة العنصرية وأن الإنسان الأبيض أرقى من الإنسان الأسود مع أنه لا فضل لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى والعمل الصالح.

ومع اتساع اتصالاتى الدبلوماسية فى غانا مع السلطات الحكومية لاسيما رجال الجيش، حيث كانت الحكومة الغانية حكومة عسكرية بعد تولى الملازم أول طيار (رو لنجز) الحكم إثر ثورته التى أطاحت بالنظام القديم الذى كان قد أسسه نكروما.

وقد طلب منى وزير الدفاع الغانى آنذاك أن أتصل بحكومتى للاستفسار عن الترتيبات التى تتخذها الحكومة المصرية مع الضباط المحالين للاستيداع، وهل هناك وظائف يعهد بها إليهم، خاصة الذين لم يبلغوا سن المعاش.

كانت هذه فرصة لتتعمق الصلات بينى وبين رجال الجيش فى كثير من المناسبات، مما أدى إلى دعوتى لإلقاء محاضرة بنادى الضباط الغانى عن قضية الصراع العربى الإسرائيلى، وبعد استئذان وزارة الخارجية المصرية قمت بإلقاء محاضرة ركزت فيها على البعد الدينى فى العلاقة ما بين الإسلام والمسيحية واليهودية، ابتداءً من سيدنا إبراهيم عليه السلام، كما ركزت على البعد التآمرى من الغرب بصفة خاصة (أوروبا

وأمريـكا) لخلـق دولة تابعة لهم فـى قلب العالم العربى أى فى فلسـطين لتحقيق أهدافها والسيطرة على العروبة والإسلام وذلك بتشجيع الفكر الصهيونى بإنشاء وطن لليهود باسم دولة إسرائيل.

أما النقطة الثانية فهى الحروب الصليبية على فلسطين واحتلالها لمدة قرنين من الزمان من حيث الأسباب والنتائج.

وفى نهاية المحاضرة ومن واقع أسـئلتهم واستفسـارات الضباط شعرت بمدى استيعابهم لما أوجزت فى محاضرتى وأننى أوضحت لهم الكثير مما كانوا يحتاجون فهمه عن حقيقة وجود إسرائيل.

خلال إقامتى فى غانا لمدة أربع سـنوات كاملـة قمت بزيارة أربع دول محيطة بها، وهى نيجيريا وبنين وساحل العاج والتوجو.

حقيقـة أن التجربـة عميقة أثـارت الكثير من المعلومـات وصححت الكثير من المفاهيم، كما أظهرت – وهذا هو المهم إبرازه فى هذه الذكريات – هذه التجربة مدى أهمية التعاون العربى الأفريقى فى موجة المد الصهيونى الإسرائيلى فى أفريقيا.

إذا حصرنـا عدد الدول فى قـارة أفريقيا نجد أنها ٥٤ دولة الأعضاء فى منظمة الوحـدة الأفريقية «اتحاد أفريقيا» بعد أن تخلصت دولة جنوب أفريقيا من حكومة التعصـب والتفرقة العنصرية التي كانت تسـيطر بها الأقليـة البيضاء على غالبية الشعب الأفريقى أصحاب البلد لمدة ثلاثة قرون.

مـن بين هذه الدول الـ٥٤ هناك ١٠ دول أعضاء أيضاً فى جامعة الدول العربية وهـى: مصـر – ليبيا – تونس – الجزائـر – المغرب – موريتانيا – السـودان – الصومال – جيبوتى – جزر القمر.

ذلـك يعنى حسـابياً أن حـوالى $\frac{١}{٥}$ أعضاء منظمة الوحـدة الأفريقية فى نفس الوقت هم أعضاء فى الجامعة العربية التى بها أيضاً ١٢ عضوا عربيا من «قارة آسيا» التـى تضم ٢٢ دولة نصفها كما رأينا أعضاء فى منظمة الوحدة الأفريقية بمعنى أن $\frac{١}{٥}$ أعضاء منظمة الوحدة الأفريقية يمثلون نصف أعضاء الجامعة العربية هذا يدل على مدى ترابط المنظمتين

إن هذا التشابك الجغرافى السياسى الإنسانى عنصر هام ورئيسى وملزم بالتعاون العربى الأفريقى بحكم طبيعة الأشياء.

ولست فى هذه الذكريات مؤرخاً للتداخل والامتزاج التاريخى بين الشعب الأفريقى الزنجى، والشعب العربى فليست هذه الذكريات مجال ذلك وعلى من يرغب من السادة القراء فى الاستزادة أن يعود إلى أمهات الكتب عن تاريخ هذه المنطقة من العالم.

فضلاً عن انتشار الدين الإسلامى فى الدول الأفريقية إنتشاراً سلمياً وليس بحد السيف كما يزعم الغرب و يزيد من عمق العلاقات وإذا كان البعض يقول: إن الصحراء الأفريقية الكبرى تفصل ما بين الدول العربية فى شمال أفريقيا والدول الأفريقية فى الوسط والجنوب، فإننى كنت أقول: إن نهر النيل يربط ما بين دولة مصر العربية الإسلامية ودول أفريقيا فى الوسط والجنوب.

أنه من المهم بمكان العمل على زيادة التعاون العربى الأفريقى لأن ذاكرتى تحتفظ من تجربة مهمتى الدبلوماسية فى غانا السنوات الأربع – أن هناك مخاطر ومحاولات من إسرائيل للقضاء على أى نجاح للتعاون العربى الأفريقى الأمر الذى وصل إلى حد قيام بعض المفكرين والساسة ورجال الحكم فى بعض الدول الأفريقية بدعم إسرائيل فى جنوب الصحراء الكبرى بالمناداة بالتفرقة بين شعوب الدول الأفريقية من الزنوج وبين الشعوب الأفريقية من العرب ويحددون منطقة الصحراء الأفريقية الكبرى كمنطقة تعزل بين نوعى الشعوب الأفريقية وبالتالى يطالب هؤلاء بإنشاء منظمة وحدة إفريقية مستقلة تقتصر عضويتها فقط على دول القارة من الجنس الزنجى جنوب الصحراء.

وهذا الاعتقاد لا ينبع من فراغ، فهو يرجع إلى فكر أوروبى استغلته الصهيونية، حيث ابتدع ساسة أوروبا هذه الفكرة للتفرقة بين شعوب القارة فى الوقت الذى كانت أوروبا تحتل القارة من شمالها إلى جنوبها – بشعوبها مختلفة الألوان لعدة قرون فمثلاً كانت مصر تحت الاحتلال البريطانى وكانت غانا تحت الاحتلال البريطانى أيضاً، وكما كانت الجزائر مستعمرة فرنسية كانت ساحل العاج تحت

الاحتلال الفرنسى أيضاً ولم يفرق بين شعوب القارة ويخلق فكرة التمييز العنصرى إلا هؤلاء المحتلون الأوروبيون الذين استباحوا فى وقت من الأوقات كل قارة إفريقيا حتى لفظ أنفاسه الأخيرة فى جنوبها حيث كان يتحكم الرجل الأبيض ويسيطر على الزنوج لمدة ٣٠٠ سنة.

إن صحراء إفريقيا الكبرى فى رأيى لم تكن ولن تكون أداة للتفرقة بين شمال القارة ووسطها وجنوبها كما أنه من ناحية أخرى يربط نهر النيل بين شمال القارة ووسطها.

وباعتبارى مسلماً قبل أن أكون مصرياً عربياً دبلوماسياً وجدت من دورى أن أقوم بتنشيط المساعدات الإسلامية لمسلمى غانا، فسعيت أنا وزملائى السفراء من دول (السعودية - باكستان - العراق - سوريا - لبنان - ليبيا - الجزائر - المغرب)، حاولنا أن نجمع نشاطنا من أجل إشعار مسلمى غانا بالدعم المعنوى والمادى والعلمى والثقافى، لاسيما على مستوى البعثات العلمية من الأزهر الشريف، فضلاً عن العمل على إقامة جمعية خريجى الأزهر الشريف بغانا تمهيدًا لجمعية دولية مستقبلاً.

وقد سعيت من خلال زميلى المسيحى عضو السفارة دعم تبادل وجهات النظر وتوثيق العلاقات بين مسيحى غانا والكنيسة المصرية، فإن مسيحى غانا يتبعون الكنيسة البريطانية وكانت إسرائيل تدعو مسيحى القارة الإفريقية إلى زيارة الأراضى المقدسة المسيحية فى القدس وبيت لحم بإسرائيل، بل أكثر من هذا كانت بعض شركات السياحة اليهودية تدعو لزيارة سيناء أرض التوراة اليهودية التى تلقى عليها موسى التوراة وتربط بالزيارة بين المسيحية واليهودية على أساس المبدأ الصهيونى (المسيحية اليهودية) التى أصبحت الآن المسيحية الصهيونية.

كل هذا يجعلنى أن أقول: إن العمل الدبلوماسى بغانا كان من أثرى مراحل عملى الدبلوماسى برغم رثاء زملائى لى قبل رحيلى إلى غانا، ذلك لأنه عمل قصدت فيه وجه الله قبل كل شىء.

وقد كنت دبلوماسيا مصريا عربيا مسلما مدركاً الدور الذى تلعبه إسرائيل والصهيونية فى أفريقيا تطبيقاً لمبدأ اللعب على الحبلين، الأول هو توطيد العلاقة مع أفريقيا بادعاء وحدة الاضطهاد، اضطهاد اليهود واضطهاد السود الأمر الذى يجمع الدول الأفريقية روحانياً مع اليهود الذين حصلوا مؤخراً على دولتهم.

والثانى هو توطيد العلاقة بين إسرائيل والرجل الأبيض الغربى الذى بفضله وقوته أمكن لليهود أن يستولوا على فلسطين لتكون وطناً ودولة لهم والذى هو كان يحتل إفريقيا ويتزعم فكرة التفرقة العنصرية ضد السود وأحمد الله أنى غادرت غانا قبل أن تنجح إسرائيل فى إعادة العلاقات الدبلوماسية مع غانا بعد اتفاقية كامب ديفيد واعتراف مصر بحق وجود دولة إسرائيل.

عدت فى أواخر ١٩٨٧ لوزارة الخارجية، فضلت أن أختم عملى الدبلوماسى بالعمل ضمن مجموعة الدبلوماسيين المشرفين على المعهد الدبلوماسى المسئول عن تدريب الدبلوماسيين الجدد بعد تعيينهم وقبل إلحاقهم بالإدارات، وكان مشرفاً على المعهد وزير الدولة للشئون الخارجية بطرس غالى والذى رفض بدون أسباب تعييني ضمن هيئة المعهد كنائب مدير كما لم يعارض رغبتى فى أن أكون محاضراً للدبلوماسيين فى المعهد.

وقد ركزت فى هذا العمل الذى كنت أنهى به حياتى الدبلوماسية على توضيح الصورة الصهيونية والخطر الصهيونى لهؤلاء الشباب الجدد الذين سوف يكونون فى يوم من الأيام سفراء لمصر فى مختلف بقاع العالم، وتركز موضوع محاضراتى فيما حدث فى ١٩٧٩ إلى ١٩٨٩ عن قطع العلاقات المصرية العربية بعد مبادرة السادات وتوقيع اتفاق سلام مع إسرائيل والاعتراف بها وأوضحت لهؤلاء الشباب معلوماتى عن اليهود وإسرائيل منذ أن كانت إسرائيل غير موجودة على الخريطة العربية حتى صارت أقوى دولة فى المنطقة.

وقد أبرزت فى محاضراتى أن قطع العلاقات بين الدول الأخرى ببعضها البعض يسبب تلاحم الشعوب العربية رغم قطع العلاقات، ولقد كانت هذه الظاهرة على

وجـه اليقين مثار بحث واسـتقصاء وتحليل من جميع دول العالم، وعلى رأسـها إسرائيل التى كان يهمها تعميق آثار قطع العلاقات العربية إلى حد يصل إلى فصل مصر، وعزلها عن الأمة العربية، وليست هذه الذكريات هى مجال سرد تفصيلات هذا الأمر.

ولا شـك أن عمق العلاقات بين الدول العربية على مسـتوى الشـعوب لم يتأثر بقطع العلاقات الذى اسـتمر عشر سـنوات، مما يدلل على أن الوحدة العربية أمر أصيل مهما اختلفت سياسـات الحكومات، ومهما تعرضت شـعوب الأمة العربية لهزات فنسيج العالم العربى متشابك ومتحد الجذور والفروع وتأكيداً لذلك فإنه من المهم أن أذكر أنه من خلال مدة إقامتى فى دولة قطر التى قاربت على سنتين (أى خمـس فترة قطـع العلاقات) بين العرب ومصر لم تنقطـع اتصالاتى كرئيس لبعثة رعايـة مصالح مصر مع الكثير من الوزراء المسـئولين عن التعليـم والصحة والعمل والإعلام حرصاً على بقاء العمالة المصرية، وكذا مع الوزراء من هم من عائلة آل ثان عائلـة أمير قطر، وذلك للعمل والحفاظ على نمو العلاقات بين مصر وقطر فى كافة المجـالات، ولم يحدث أن انقطعت أى من مجالات التعاون فى خدمة الشـعبين بالرغم من حدة وشدة الدعايات المضادة، والمعادية لمصر فى ذلك الوقت.

وضربت أمثلة على مدى التعاون الشـعبى بين البـلاد العربية ومصر بالرغم من قطع العلاقات الرسمية بدولة قطر التى كانت من الدول العربية الرائدة التى تفكر، ولم تتخذ أى إجراء يضر بمصالح الجالية المصرية التي كانت وما زالت موجودة فى قطر، كما لم يؤد قطع العلاقات إلى تقليل طلبات جديده للخبراء والعمال المصريين، كما تجدر الإشـارة إلى أن الاسـتثمارات القطرية الخاصة فى مصر لم تتأثر إطلاقاً بقطع العلاقات.

ولم يحدث إطلاقاً أى تأثير لقطع العلاقات على هذا المنصب رفيع المستوى، بل على العكس لم تنقطع صلتى الرسمية والشخصية مع الدكتور حسن كامل، ولم تتأثر العلاقات الرسمية بين رئيس بعثة رعاية مصالح مصر مع مستشـار أمير دولة قطر

طوال سنين قطع العلاقات الأمر الذى يدلل على أن الفكر والوجدان والمصلحة العامة كلها واحد، ومتناسقة بين المواطنين فى العالم العربى من المحيط إلى الخليج، ولا توجد إطلاقاً أى حساسية فى أن يقوم مسئول من دولة عربية معينة بمسئوليته عن دولة عربية أخرى مما ظهر على سطح الأحداث من خلافات ومشاكل.

وهكذا نرى الحقيقة التاريخية فى العالم العربى تبرز من واقع استقراء المتغيرات التكتيكية التى لا تؤثر إطلاقاً على القيم والمبادئ الاستراتيجية للعالم العربى.

وبذلك يحدونا الأمل دائماً فى أن سحابة الخلافات الموجودة حالياً بين بعض الدول هى سحابة صيف ليس بالتعبير المجازى اللغوى، ولكن من واقع التجربة التاريخية التى سادت العالم العربى من ١٩٧٩ إلى عام ١٩٨٩ التى يمكن أن نطلق عليها سنوات القطيعة العجاف.

وفى محاضراتى ذكرت أيضاً أن الصحف المصرية نشرت لى مقالاً على أثر إنهاء هذه السنوات العجاف نبضات قلب دبلوماسى مصرى عاش وقضى من هذه السنوات العشر العجاف خمس سنوات متصلة بين عواصم دولة الجزائر ثم دولة الكويت ثم دولة قطر.

لقد سعيت خلال فترة عملى بالتدريس فى المعهد الدبلوماسى إلى التأكيد على خطورة دور الدبلوماسى فى حياة الإنسان العادى، مستشهداً بتلك السنوات العشر العجاف التى قطعت فيها العلاقات بين مصر وبقية الدول العربية.

وسعيت إلى أن ألفت النظر لأشياء ربما لم يلتف إليها غيرى، ومنها ضرورة إتقان الدبلوماسى للغة العربية، وحفظه وفهمه للكثير من آيات القرآن الكريم والإنجيل والتوراة، وهى أدوات وآليات تساعد الدبلوماسى فى مناقشة الكثير من الدعاوى الباطلة التى كانت إسرائيل ولا زالت تلفقها من خلال ادعاءاتها بحقها المقدس فى أرض الميعاد وإذا وضعت إسرائيل فى مفاوضتها السياسية تضع على مائدة المفاوضات التوراة والتلمود، فلابد وأن يقوم المفاوض العربى بوضع القرآن والإنجيل على الطاولة نفسها، كما يبرز أهمية إعداد المعهد الدبلوماسى مجموعة من الدورات

اللغوية لتعليم اللغة العربية للدبلوماسيين الأجانب العاملين فى سفارات دولهم فى مصر بإضافة إلى ما تقوم به وزارة الثقافة فى هذا الشأن.

وأخيرًا فى ٤ مارس ١٩٩٠ صدر قرار بإحالتى للمعاش ببلوغى سن التقاعد وهو سن الستين وإنهاء رحلتى الرسمية مع العمل الدبلوماسى بحلوها ومرها ورغبتى أن يكون أحد أولادى وهو أصغرهم امتداداً لى فى العمل الدبلوماسى وفى الهيئات التابعة للأمم المتحدة.

وهنا أود أن أبرز أنه خلال رحلتى الدبلوماسية التى استمرت ما يزيد عن الثلاثين عاما ٥٦ – ١٩٩٠ أننى لم أفرق فى عملى الدبلوماسى بين عاصمة وأخرى من عواصم العالم لأننى أؤمن أن مسئولية العمل الدبلوماسى واحدة فى كل عواصم دول العالم على اختلافها سواء أن كان فى أروقة الأمم المتحدة فى نيويورك أم كان على قمم الجبال فى سفارة كابول.

موضوعات سياسية ودولية ودبلوماسية متنوعة

١ - السلاح النووى

عندمـا كنت عضواً فى سـفارة مصر ببكـين (٦٣ – ٦٥) دار حديث بينى وبين عضو دبلوماسى من سفارة نيبال (دولة بين الهند والصين)، كان الحديث عن نبوءة يرددهـا كهنـة المعابد البوذية فى نيبال مؤداها أن الكرة الأرضية سـتحترق عندما يصل عدد الشموس فى الكون إلى عشرة شموس.

وعلى رغم مرور عشـرات السـنين بل مئات على هذه النبوءة إلا أن شـخصاً لم يسـتطع أن يفسـر كيف يمكن أن يوجد فى هذا الكون عشر شموس، اللهم إلا أن تكون هذه النبوءة وسـيلة يستخدمها الكهنة البوذيون لبث شعور الخوف بين أتباع الإله بوذا.

كان هـذا الحديث عـام ١٩٦٤ عندما نجحت الصين فى امتلاك وتفجير الطاقة النووية، وقد سبق وأن ذكرت المعادلة التى قلتها منذ سنوات عن المقارنة بين حالنا وحال الصين حين قلت:

ثورة الصين ١٩٤٩بعد مرور ١٥سنة أى ١٩٦٤ (تفجير أول قنبلة ذرية صينية)

ثورة الجيش المصرى ١٩٥٢ بعد مرور ١٥ سـنة أى ١٩٦٧ (النكسـة) على كل حـال أعـود إلى الحديث عن النبـوءة البوذية، فعندما انضمـت الصين إلى النادى الـذرى دعانـى ذلك إلى تفسـير النبـوءة بأن كلمة الشـمس هى الطاقـة النووية، والتى سـبقت أربع دول الصين فـى امتلاكها هى: (أمريكا – الاتحاد السـوفيتى – إنجلترا – فرنسا).

وبذلك أصبح النادى الذرى مكوناً من خمس دول، هذه الدول هى نفسها أعضاء مجلس الأمن الدائمين، وهى الدول التى تملك قرار الفيتو، وبذلك وحسـب النبوءة البوذية يكون فى الكون خمس شموس آنذاك (١٩٦٤).

فإذا أضفنا إلى هؤلاء الخمس الهند وباكستان وإسرائيل، فضلاً عن كوريا الشمالية التى أعلنت بجرأة متناهية عن قيامها بتشغيل المفاعل النووى لإنتاج قنابل ذرية فإن عدد الدول «أى الشموس» تصبح تسعاً، وإذا استطاعت إيران أن تصل إلى تنفيذ برنامجها النووى على رغم معارضة أمريكا وأوروبا ومن ورائها إسرائيل، فستصبح الشموس عشراً، وهنا وحسب النبوءة البوذية ستحترق الأرض.

جدير بالذكر أن على رغم وجود هذه الترسانة العالمية النووية والتى تبلغ ما يقرب من ٣٠ ألف رأس نووى، تأتى الولايات المتحدة الأمريكية على رأس الترسانات النووية العالمية تليها روسيا، أقول برغم ذلك إلا أن السلاح النووى لم يستخدم بشكل عملى إلا فى الحرب العالمية الثانية من خلال تلك القنبلة الأمريكية التى ألقتها القوات الأمريكية علي مدينتى هيروشيما وناجازاكى اليابانيتين، وهذه هى المرة الأولى والأخيرة التى استخدم فيها السلاح النووى حتى الآن.

أما إسرائيل والتى تملك (٢٠٠ – ٥٠٠) رأس نووى على أقل تقدير فلم تهدد باستخدام ذلك السلاح إلا فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ عندما هددت جولد مائير رئيسة وزراء إسرائيل أمريكا باستخدام السلاح النووى ضد مصر إذا لم تقم بمساندة إسرائيل والتقليل من خسائرها فى حرب أكتوبر.

ولا تنسى الذاكرة العربية ما قامت به إسرائيل فى ٧/ ٦/ ١٩٨١، عندما قامت أربع عشرة طائرة (اف F١٦) و (اف F١٥) من سلاح الجو الإسرائيلى بتدمير المفاعل الذرى العراقى فى بغداد، وقد ساهمت الاستخبارات الإسرائيلية فى هذا الهجوم، فقد كان الموساد يراقب منذ اللحظة الأولى مساعى العراق لبناء قوة نووية عربية مسلمة.

ولا تنسى الذاكرة أصابع الاتهام الموجهة إلى الموساد الإسرائيلى فى مقتل الدكتور/ يحيى المشد متخصص علوم الذرة النووية والأستاذ السابق بجامعة الإسكندرية والذى بدأ التعاون مع العراق فى مشروعها النووى منذ عام ١٩٧٥، وقد قتل الدكتور/ يحيى المشد فى غرفته بفندق الميريديان بباريس حيث كان المشد

قد وصل للعاصمة الفرنسية للإشراف والكشف عن بعض المواد النووية التى سوف تصدر للعراق ، وكان ذلك عام ١٩٨٠ أى قبل عام واحد من ضرب المفاعل النووى العراقى بالطيران الإسرائيلى والغريب أنه بعد الاحتلال الأمريكى للعراق توجد الآن قوات إسرائيلية خاصة ترتدى الزى الأمريكى وتتركز فى الصحراء العراقية العربية (منطقة H ٣) أى نفس المنطقة التى انطلقت فيها صواريخ السكود SCUD الأربعون التى أطلقها العراق عام ١٩٩١ نحو إسرائيل؟ بل أكثر من ذلك تطالب إسرائيل أمريكا بضرورة إخضاع الصحراء الغربية العراقية لإشرافها العسكرى المباشر؟!.

هكذا قامت إسرائيل بتدمير المفاعل النووى العراقى (أوزيراك) عام ١٩٨١ تنفيذاً لسياستها منع أية دولة عربية من الوقوف على عتبة العصر النووى، برغم أن العراق دولة موقعة على معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية، وبرغم أن مفاعلها كان مخصصاً للأغراض السلمية وكان خاضعاً لتفتيش الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وقد عكس ذلك عدم وجود أى تعهد دولى بحماية الدول غير المالكة للأسلحة النووية من تعرض منشأتها النووية السلمية لأية مخاطر، كما لم تعاقب إسرائيل دوليا بسبب هذه الضربة .

كما لا تنسى الذاكرة ما قام به الموساد الإسرائيلى ولا زال من قتل أو شراء عباقرة الذرة المسلمين والعرب، وتضم قائمة شهداء علماء الذرة المصريين على حد علمى كلا من (د/ سميرة موسى – د/ أحمد الجمال – د/ سميرة نجيب – د/ يحيى المشد – د/ سعد بدير) وما خفى كان أعظم .

كما لا يخفى على أحد إصرار إسرائيل على عدم التوقيع على المعاهدة الدولية بمنع الانتشار النووى والتى تتبناها وتشرف على تنفيذها الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وهى الوكالة المنوط بها الإشراف على الطاقة النووية فى العالم وكيفية تحويلها من طاقة مدمرة إلى طاقة نافعة للإنسان، وقد شرفت مصر بأن يكون مديرها هو الدكتور/ محمد البرادعى، والذى حاولت أمريكا ومن ورائها إسرائيل إقصاءه من منصبه نتيجة استقلالية آرائه، وعلى رغم ذلك لازال البرادعى العربى

المسلم المصرى يلقى تقديرا عالميا الأمر الذى أدى إلى انتخابه لفترة ثالثة كمدير للهيئة، والغريب أنى استمع إلى بعض الآراء التى تتعجب من الموقف السلبى لأوروبا وأمريكا تجاه السلاح النووى الإسرائيلى، والعكس تماما من الموقف المتشدد من قبل العالم الحر من رغبة إيران فى تنمية وتنشيط قوتها النووية، ولا عجب فى هذا لأن الذى قدم السلاح النووى لإسرائيل هما أوروبا وأمريكا، فقد أمدت فرنسا إسرائيل بمفاعل ديمونة من خلال اتفاقية سيفر عام (١٩٥٦)، تقديرا لاشتراكها فى العدوان الثلاثى (إنجلترا – فرنسا – إسرائيل) على مصر عام ١٩٥٦، كما كشفت المخابرات البريطانية فى وثائقها الصادرة عن تلك الصفقة التى حدثت عام ١٩٦٤ والتي تم من خلالها نقل كميات كبيرة من اليورانيوم المشع من الأرجنتين إلى إسرائيل عن طريق ألمانيا الغربية.

كما كانت بريطانيا (صاحبة وعد بلفور) وراء تزويد إسرائيل بشحنة من الماء الثقيل وهو المكونات الرئيسية لصناعة الأسلحة النووية والغريب أن كل هذه المعونات النووية جاءت دون علم أمريكا، وقد شكل ذلك قلقاً للرئيس الأمريكى الأسبق كيندى والذى كان يخشى من سباق تسلح فى منطقة الشرق الأوسط، مما دعا أمريكا إلى اتخاذ قرار التفتيش على مفاعل ديمونة فى ١٨ يونيو ١٩٦١، لكن إسرائيل رفضت هذا التفتيش وتم التمويه على الأمر وأصر كيندى على الصمت التام عن البرنامج النووى الإسرائيلى والأغرب من ذلك قتله فى ظروف غامضة لم يكشف عنها حتى الآن، بل أكثر من ذلك بدأ سيل الدعم الأمريكى للنشاط النووى الإسرائيلى والذى تجاوز مليارات الدولارات فضلاً عن الدعم العلمى، بل ساعدت أمريكا على تعميق سياسة الغموض النووى الإسرائيلى والتى انتهجتها إسرائيل منذ بداية برنامجها النووى وحتى الآن وقد صدر عن أرشيف الأمن القومى التابع لجامعة جورج تاون بواشنطن أنه بالاطلاع على الوثائق السرية لبرنامج التعاون النووى المشترك بين إسرائيل وجنوب إفريقيا تحت الحكم العنصرى للرجل الأبيض قبل إلغائه، والوثائق السرية لتجربة الانفجار النووى الذى أجرته

إسرائيل على شواطئ قارة (انتركاتيكا) بالمحيط الأطلنطى بالتعاون مع دولة جنوب إفريقيا، وهكذا ظهر السر الذى كانت تخفيه وتنكره إسرائيل طوال سبعة وعشرين عاماً، وقد التقطت أقمار التجسس الأمريكية صورا لعملية التفجير فى ٢٢سبتمبر عام ١٩٧٩، وقد منع الرئيس الأمريكى جيمى كارتر نشر هذا النبأ لقرب معركة الانتخابات الأمريكية عام ١٩٨٠، وبرغم تصاعد القدرة النووية الإسرائيلية بشكل مطرد كماً ونوعا إلا إنها مازالت تصر على عدم التوقيع على معاهدة حظر انتشار السلاح النووى (ملحق التفتيش الفجائى) والتى وقعت عليها ١٨٩ دولة منها مصر وكافة الدول العربية، مما يصَّعد من التفوق العسكرى الإسرائيلى على كافة الدول المجاورة فى ضوء استمرار البرنامج النووى الإسرائيلى خارج النظام الدولى مما يشكل تهديداً خطيراً للأمن الإقليمى العربى والإسلامى، لاسيما فى ضوء التهديد الذى يمثله مفاعل ديمونة بوقوع كارثة على المنطقة خاصة بعد أن أثار تقرير الأمم المتحدة والذى صدر مؤخراً حول تزايد نسبة الإشعاعات من مفاعل ديمونة مؤكدة تهالك المفاعل وهو ما يعنى أن المنطقة مهددة بكارثة نووية لاسيما فى صحراء النقب مكان المفاعل، والأمر الذى أكده الخبير النووى الأمريكى (هارولد هاو) والذى لم يستبعد حدوث انهيار فى المفاعل فى أية لحظة، وقد أعد تقريره بعد حصوله على وثائق من داخل المفاعل، وعلى صور التقطتها طائرة تجسس روسية فى عام ١٩٨٥مما أدى إلى حدوث تسرب إشعاعى كبير لكن الأغرب من ذلك هو رد الحكومة الإسرائيلية والتى أعلنت اعتزامها البدء فى بناء محطة جديدة للطاقة النووية فى صحراء النقب بتكلفة حوالى مليارى دولار، فى الوقت التى تسعى فيه إسرائيل بكل قوتها لتقوية الضغط الأمريكى والأوروبى على إيران للتنازل عن استكمال برنامجها النووى، بل وهددت إسرائيل بالاشتراك فى عمل عسكرى ضد إيران إذا لزم الأمر حفاظاً على الأمن القومى الإسرائيلى.

كل هذا يحدث ومصر كانت بعيدة تمامًا عن مبدأ امتلاك سلاح نووى كقوة رادعة أوحتى استخدام الطاقة النووية فى الأنشطة السلمية، فى الوقت الذى كان هذا

الأمل معقودًا على هيئة الطاقة الذرية، وبالرغم من تخصيص أرض على الساحل الشمالى بالضبعة لبناء مفاعل نووى مصرى الذى لا يزال خاويًا على عروشه.

وإذا كانت الظروف هى التى دفعت مصر لتعليق برنامجها النووى إثر حادث تفجير مفاعل تشير نوبل الروسى ١٩٨٦، فإن الظروف أيضا قد تغيرت بظهور أنواع جديدة من المفاعلات النووية التى يتوفر فيها أنظمة أمان تجعل تكرار ما حدث فى تشير نوبل فى إطار المستحيل.

لقد آن الأوان أن تبدأ مصر إحياء برنامجها النووى «وهذا ما حدث بالفعل» لسد احتياجاتها المستقبلية من الطاقة خاصة بعد أن أصبحت محطات الطاقة النووية هى الأكثر اقتصادًا، وربما تكون الخطوة الأولى إحياء اجتماعات المجلس الأعلى للطاقة النووية الذى يرأسه رئيس الجمهورية ويشارك فى عضويته عدد من العلماء والمختصين وخبراء الطاقة، ثم إعادة تجميع القدرات البشرية والخبرات المصرية العالية التى هاجرت لتعمل فى بقاع كثيرة من عالمنا بعد توقف البرنامج المصرى، فضلاً عن استغلال الدراسات الضخمة التى جرت بالتعاون مع الوكالة الدولية للطاقة والتى حددت بشكل نهائى موقع الضبعة ليكون محلاً مختارًا لبناء أول محطة نووية. وتجهيز جزء مهم من البنية الأساسية للمكان، وعدم الاستجابة لدعاوى رجال الأعمال الذين يريدون أن يحولوا أرض المفاعل النووى المصرى فى الضبعة إلى قرى سياحية ولا حول ولا قوة إلا بالله؟!

علماً بأن موقع الضبعة تابع لقرار جمهورى لهيئة الطاقة الذرية ولا يمكن التصرف فيه إلا بقرار جمهورى آخر.

وهكذا لا يمكن تحقيق أهداف رجال الأعمال فى اتخاذ موقع الضبعة لإنشاء منتجعات سياحية خارج سور المحطة وإنشاء مطار قطاع خاص وفنادق وحدائق ومصانع وكازينوهات لتكون هذه المشروعات حائط صد ضد إنشاء المحطة النووية.

كما أرجو وأدعو الله ألاً يكون هناك ضغط أمريكى على مصر للتخلص من فكرة إنشاء محطة مفاعلات نووية بمنطقة الضبعة بالساحل الشمالى.

وألا يكون لإسرائيل سعى وتدخل لتعطيل البرنامج النووى المصرى حتى لا تكون هناك أية قوة نووية بالمنطقة خارج نطاق إسرائيل أو تحت إشرافها.

كما أنه هناك أنباء تتردد أن فى إسرائيل اتجاهًا نحو بناء محطة نووية مشتركة (مصرية إسرائيلية) فى سيناء تحت رقابتها.

هذا علماً بأن الرئيس جمال عبد الناصر أصدر قراراً بإنشاء لجنة الطاقة الذرية فى ١٧ فبراير عام ١٩٥٥.

ثم صدر قرار من الرئيس محمد أنور السادات عام ١٩٧٥ باستقلالها كهيئة للطاقة الذرية تتبع وزير الكهرباء إشرافياً وكانت الهيئة وقتها تضم قسماً للمفاعلات منذ عام ١٩٧٦

كما أن مشروع المحطة النووية فى الضبعة لتأمين مستقبل الطاقة فى مصر علاوةً على تحلية مياه البحر واستخدامها فى زراعة الصحراء الغربية.

وفى هذه الحالة تصبح المعادلة أكثر صعوبة هل نقيم المحطة هنا ونضمن هذه المشروعات؟ أم نقيمها على أرض سيناء بعيداً عن الخسائر للمشروعات القائمة؟ مما يتوافق مع فكرة إسرائيل فى إنشاء محطة نووية مشتركة مصرية إسرائيلية فى سيناء السابق الإشارة إليها وبذلك تظل قرارات إسرائيل النووية فى المنطقة هى الوحيدة ويظل اختلال التوازن الاستراتيجى قائماً ولتكون إسرائيل موجودة دائماً فى سيناء وهى الوحيدة التى لديها هذه الطاقة النووية تهدد بها جميع البلاد العربية بل وما حولها من دول تطلق عليها أمريكا الشرق الأوسط الجديد.

٢ - الإسلام ومؤتمرات وبروتوكولات حكماء صهيون

فى ١٩٩٦ تم عقد مؤتمر بكين الذى اشتهر بمؤتمر المرأة (الرابع) تحت شعار المساواة والتنمية والسلام (هو الشعار الذى ارتفع عام ١٩٧٥ عام المرأة) وفى حقيقته كان خطوة أخرى ومرحلة ثالثة بعد مؤتمر السكان الذى عقد فى القاهرة عام ١٩٩٤ الذى سبقه مؤتمر حقوق الإنسان الثانى عام ١٩٩٣ فى فيينا بعد مرور ٢٥ عاماً على المؤتمر الأول الذى عقد فى طهران ١٩٦٨ ودارت كل هذه المؤتمرات الثلاثة حول محور أساسى هو – فى رأيى – القضاء على الشريعة الإسلامية مهما حاول المؤتمرون والمنظمون إخفاء ذلك تحت تفرعات متنوعة.

من خبرتى الدبلوماسية لمدة ٢٢ عامًا قضيتها خارج مصر فى ممارسة الجدال والمناقشة والحوار والقراءة والاستماع إلى ما يردده المفكرون والساسة والكتاب والدبلوماسيون من مختلف الدول الأوربية ومن ورائها أمريكا ومن ورائهم الصهيونية – وكذا ما تروجه الأيدلوجيات اليهودية التى ظهرت فى هذه الدول وأخص بالذكر وأقصد بالتحديد أيدلوجيات الإلحاد والكفر وإنكار الأديان والدعوة إلى هدم قيم الإنسانية وحضارتها الماضية.

أقول: إن خبرتى تؤكد لى أنه بالنسبة لنا فإن هناك حربًا فكرية تؤكد وتدعو وتنادى منذ زمن بعيد إلى إنكار نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – وتدعى أنه هو الذى كتب القرآن وأن الإسلام انتشر بالسيف وهذا عدوان على حقوق الإنسان والجزية غرامة اقتصادية لقهر الإنسان غير المسلم والجهاد هو الإرهاب والقتل وسفك الدماء غير المسلمة.

وبالنسبة للحدود فإن قطع يد السارق وإعدام القاتل ومعاقبة الزانى والزانية والمرتد إجراءات غير إنسانية وتحريم شرب الخمر ومنع أكل لحم الخنزير ونبذ الشذوذ الجنسى هى قيود على حرية وحقوق الإنسان وإلى غير ذلك من الحدود.

ومن ناحية أخرى فإن فرض اللغة العربية على المسلمين – غير العرب – استعمار ثقافى ومنع غير المسلم من زيارة مكة والمدينة هو تمييز عنصرى وعدم السماح ببناء كنائس! ومعابد! فى أرض الحجاز هو تعسف فى استخدام الحق.

وبالنسبة للمرأة فهى فى رأيهم مضطهدة فى الإسلام حيث لاحق لها فى الزواج من غير المسلم ولا حق لها فى تعدد الأزواج وهى نصف إنسان فى الميراث والشهادة ومفروض عليها الحجاب – وهى خاضعة للطلاق التعسفى من جانب الرجل كما أنها جزء من حريم الرجل الذى يتزوج أربعًا فى وقت واحد.

ولا يمكن إغفال حقيقة أخرى وهى أن هذه المؤتمرات تدعو أيضا إلى هدم معتقدات وقيم ثابتة قامت عليها حضارات إنسانية فى شتى بقاع العالم على مدار تاريخ البشرية وأخص بالذكر مناداة هذه المؤتمرات إلى هدم الأسرة كنواة أمينة للمجتمع وكذا إباحة العلاقات الجنسية بشكل بهيمى حيوانى يتسم بشذوذ ضد طبيعة الإنسان أرقى وأكرم المخلوقات فى الأرض وأخيراً إنكار المثل العليا التى وصل إليها الفكر الإنسانى بعد التاريخ الطويل.

ويجب أن نسأل أنفسنا من هم وراء عقد هذه المؤتمرات وما تنادى به من أفكار؟ فى الظاهر هى الأمم المتحدة حيث تعقد هذه المؤتمرات تحت مظلة وباسم الأمم المتحدة! ! والحقيقة كما – أعتقد – أن الأمم المتحدة هى ستار بل هى جهاز لتنفيذ مقررات بروتوكولات حكماء صهيون التى تنادى وتدعو إلى نفس المبادئ والأفكار لهذه المؤتمرات وما سيعقد من مؤتمرات قادمة وبذلك يهدف إفساد البشرية – غير اليهودية – وتحتفظ الأخيرة بديانتها التى أساسها شعب الله المختار! !

القارئ العزيز مدعو لقراءة ما نشر عن بروتوكولات حكماء صهيون ودور الكتب والمكتبات ودور النشر فى كافة أنحاء العالم أصدرت وبمختلف اللغات العديد والكثير من بروتوكولات حكماء صهيون وبالنسبة لى كان مرجعى هو كتاب – بروتوكولات حكماء صهيون وأصولها التوراتية والتلمودية.

تأليف د/ أحمد حجازى السقا والصحفى هشام خضر وتقديم الدكتور/ على جمعة أستاذ علم أصول الفقه بجامعة الأزهر (مفتى مصر الحالى). الناشر/ مكتبة النافذة (٢٠٠٣).

ليطلع بنفسه مما أنا متأكد منه وليعلم أن الصهيونية العالمية التى بزغت فى أوروبا قبل نهاية القرن التاسع عشر دخلت فى مرحلة تحقيق أهدافها ووضع مقررات البروتوكولات موضع التنفيذ فى بداية القرن الواحد والعشرين بعد أن تحققت السيادة اليهودية على كافة أجهزة منظمة الأمم المتحدة التى بدأت أعمالها منذ ستين عامًا بإعلان دولة إسرائيل – دولة يهودية تقوم على معتقدات دينية توراتية على أرض الميعاد أرض فلسطين!!

وليست هذه الذكريات تحليلا لبروتوكولات حكماء صهيون فذلك موضوع يطول ويحتاج إلى جهود كافة المؤمنين بالمسيحية وبالإسلام فى العالم لوقف تيار سيادة «شعب الله المختار»!!

وبهذه المناسبة ترجع الذاكرة إلى الآيات القرآنية التى أورد الله لنا فيها ما هى حقوق الإنسان وواجباته نحو نفسه ونحو أخيه الإنسان وكذلك نحو ما يحيط به من كون ومخلوقات.

ولا شك أن كل مسلم مهما كانت درجة ثقافته وعلمه يستشعر تماماً ما فى الآيات القرآنية من حقوق الإنسان وواجباته منذ نزول القرآن قبل أربعة عشر قرناً من الزمان حينما كانت الإنسانية غير المسلمة على غير هدى من حقوق وواجبات الإنسان بالرغم من حقيقة وجود كتب سماوية وهى الإنجيل والتوراة وما فيهما من تعاليم وتنبيهات عن حقوق الإنسان وواجباته.

وتعود الذاكرة أيضا إلى عام ١٩٤٨ حيث أصدرت المنظمة الدولية ميثاقاً لحقوق الإنسان بعد أشهر معدودة من قرارات صدرت من المنظمة نفسها أهدرت فيها المنظمة بعينها حقوق الشعب الفلسطيني بتقسيم فلسطين فى أواخر عام ١٩٤٧ ومنذ ذلك التاريخ حتى الآن جرت الأحداث فى العالم تحت سمع وبصر هذه المنظمة الدولية وكلها مآس وأحداث جسام لانتهاك حقوق الإنسان فى فلسطين وفى كثير من شعوب العالم، تلك الشعوب التى تميزت عن غيرها من الشعوب بأنها من العالم الثالث كما يقولون! وتعود الذاكرة أيضا إلى دور منظمة المؤتمر

الإسلامى. ففى أغسطس ١٩٩١ تم إعلان ميثاق حقوق الإنسان فى الإسلام حتى يعلم الجميع الحقيقة. وللقارئ العزيز أن يعود إلى نص الإعلان إذا أراد أن يستزيد. ويمكن الحصول عليه من مقر منظمة المؤتمر الإسلامى ومقرها جدة – المملكة العربية السعودية.

ومن المفيد هنا التساؤل: علام هذه الضجة الكبرى لمؤتمر حقوق الإنسان و المرأة وغيره؟. فى رأيى أن الإجابة عن هذا التساؤل هى بكل بساطة أن القوة العظمى فى العالم تتوهم – واكرر – تتوهم أنها تسيطر على شعوب العالم وتريد أن تخضع كل الشعوب بالقوة لما تراه من مبادئ ونظم حياة تتمشى مع أهداف هذه القوة العظمى التى من ورائها الصهيونية العالمية، وتستخدم فى ذلك حججا مختلفة وتحت ستار شعارات مثل حقوق الإنسان أو الديمقراطية أو الاقتصاد الحر وما إلى ذلك من ذرائع ومسميات تتمكن عن طريقها من فرض السيطرة على هذه الشعوب المستضعفة والتدخل فى الشئون الداخلية لهذه الشعوب.

وبعيدًا عن حقيقة البروتوكولات باعتبارها وثيقة معترفا بها تتضمن استراتيجية اليهود فى حكم العالم أو ما يقال: إنها من صنع البوليس السرى فى عهد روسيا القيصرية بهدف تأجيج مشاعر البغض ضد اليهود، فإن الحقائق تؤكد أن الصهاينة يسيرون على نهجه سواء أن كانوا مؤلفيه أم منفذيه ولاشك أن الضجة التى أثيرت مؤخرا بشأن عرض (مكتبة الإسكندرية) لكتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) نسخة قديمة لأول ترجمة عربية لهذا الكتاب فى فاترينة بمدخل المكتبة، وبجانب الكتاب تم وضع خريطة نادرة قديمة لفلسطين قبل قرار التقسيم، والضغوط التى مورست من قبل سفارة و قنصلية إسرائيل فى القاهرة والإسكندرية من أجل رفع الكتاب والخريطة من الفاترينة، ثم صدور قرار المكتبة برفع الكتاب والخريطة بعد أن وصلت احتجاجات من دوائر غربية متعددة، أقول لعل فى كل ذلك دليل على خطورة هذا الكتاب فى توضيح إستراتيجية اليهود فى حكم العالم، ولم تكن هذه الضجة أقل من الضجة التى أثارتها الصهيونية ضد مسلسل (فارسٌ بلا جواد)

لمحمد صبحى الذى عرض فى التلفزيون المصرى والذى حاول فيه كشف بعض من تلك المخططات التى أسسها اليهود فى بروتوكولات حكماء صهيون، الأمر نفسه الذى حدث فى مسلسل (الشتات) الذى عرض فى تليفزيون سوريا بعد عام من مسلسل (فارس بلا جواد).

وربما لا أكون مبالغاً إن قلت: إن أغلب هذه البروتوكولات قد تم تحقيقها بالفعل لاسيما فى وجود حكومة صهيونية عالمية تكون مسيطرة على العالم، وقد سبق وقلت فى كتابى: إن مجلس الأمن الحالى هو بداية لحكومة اليهود العالمية، وما خفى كان أعظم؟!

ولا يفوتنى أن أذكر فى كتابى هذا أن أشير إلى أهمية كتاب عنوانه «الخطر اليهودى» - بروتوكولات حكماء صهيون الذى أصدرته دار الكتاب العربى فى بيروت عاصمة لبنان - وترجع أهمية هذا الكتاب أنه أول ترجمة عربية كاملة مع مقدمة تحليلية وتقديم للكاتب المرحوم الأستاذ عباس العقاد، حيث يشرح الكتاب البروتوكولات وفقاً للصيغة التى قامت بتسجيلها عصابات اليهود، وكلمة البرتوكول ذاعت وانتشرت نظراً لتداولها فى جميع اللغات الأجنبية التى اهتمت بدراسة أصول اليهود والصهيونية، ذلك هو المعنى الذى يهمنى أن أشير إليه فى هذا المجال، لأن لها معنى فى الأوساط السياسية والدبلوماسية بمعنى الأصول أو الأعراف أو الرسميات أو آداب السلوك الدبلوماسى، كما أنها تعنى أيضاً البنود أو النقاط أو النصوص فى الاتفاقيات والمعاهدات بين الدول.

٣ - سور إسرائيل غير العظيم

من يبقى فى الصين يومًا يدعى أنه يستطيع أن يكتب كتاباً عن الصين وإذا ظل بها شهراً قال لا أستطيع أن أكتب إلا مقالاً صغيراً عن الصين أما إذا بقى بها عاماً فأكثر فإنه يقول لا أعرف كيف أكتب كتاباً عن الصين العظمى.

عندما بنى الإمبراطور الصينى «سيى هونج دى» سور الصين العظيم منذ سنين طويلة قبل الميلاد والذى يبلغ طوله ٧٣٠٠ ك حول الإمبراطورية الصينية مترامية الأطراف لحمايتها والتى سمح لى شرف العمل الدبلوماسى فى سفارتنا بها فى العاصمة بكين (١٩٦٣ – ١٩٦٥) أن أزور وأرى بعينى رأسى جزءًا من هذا الجدار الذى يحمى منطقة بكين العاصمة وهذا الجزء كان هو المنطقة الوحيدة من السور التى تسمح بها الحكومة الصينية فى ذلك الوقت أن يقوم الدبلوماسيون المعتمدون لديها بزيارتها، وخطر بذهنى فى زيارتى هذه أن أقول بينى وبين نفسى إن هذا السور يطلق عليه العظيم كما يطلق على الصين نفسها العظمى.

لم يدر بخلد الإمبراطور الصينى أن دولة اسمها إسرائيل ستأتى فى الألفية الثالثة الميلادية لتبنى جدارًا حول وداخل الضفة الغربية متحدية العالم والأمم المتحدة والشرعية الدولية.

وفكرة الجدار العازل أو الفاصل ليست بجديدة على العقلية الإنسانية، فقد وجد سور برلين الذى أقامته جمهورية ألمانيا الديمقراطية (الشيوعية) لتفصل بين عاصمتها القسم الشرقى من برلين وبين القسم الغربى من برلين عاصمة ألمانيا الغربية بعد أن زادت عمليات اختراق الألمان الشيوعيين لخط الحدود والهرب إلى برلين الغربية وكان ذلك عام ١٩٦١ وتم هدم هذا السور عام ١٩٨٩ بمناسبة اتحاد الألمانيتين فى دولة واحدة أكتوبر عام ١٩٩٠ التاريخ الذى أصبح عيداً رسمياً لألمانيا الموحدة، وأذكر أن من أهم الآثار التى زرتها فى برلين الشرقية قصر حوله حديقة

كبيرة فى منطقة يطلق عليها سان سوسى أى (بلا ألم)، وقد تم اتخاذ هذا القصر متحفاً لذكرى توقيع اتفاق استسلام ألمانيا بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية (٣٩ - ١٩٤٥) والمشاهد لهذا المتحف يرى غرفة مكتب فى وسطها مائدة حولها خمسة كراسٍ فخمة لجلوس قادة الدول المنتصرة فى الحرب وهى أمريكا - إنجلترا - فرنسا - الاتحاد السوفييتى (دول العالم الحر كما كان يطلق عليهم والذين انتصروا على دول المحور)، أما الكرسى الخامس لدولة ألمانيا المنهزمة وكان معها فى الحرب (إيطاليا، اليابان) تحت اسم دول المحور.

وكانت مناسبة تجمع هذه الدول الخمس فى هذا المتحف هو مراسم التوقيع على وثيقة استسلام ألمانيا، وصورة هذه الوثيقة كانت تزين الجدار الرئيسى داخل هذا المتحف وأصبح هذا المكان سان سوسى الذى يتواجد فى مدينة صغيرة يقال لها بوتس دام الضاحية لبرلين الشرقية التى كانت (عاصمة لدولة ألمانيا الشرقية سابقاً) الخاضعة للنفوذ السوفييتى، والتى فى بداية ١٩٩١ انضمت إلى برلين الغربية وأصبحت برلين الموحدة عاصمة لألمانيا الموحدة.

كما وجد خط ما جينو الدفاعى الذى أقامته فرنسا بين عامى ١٩٣٠ - ١٩٣٤ على طول الحدود السويسرية والبلجيكية ونسب إلى وزير الحربية الفرنسى أندريه ما جينو، أيضاً وجد خط سيجفريد الدفاعى الذى أقامته ألمانيا على حدودها لصد القوات الأمريكية عام ١٩٤٤ - ١٩٤٥.

ومن يتأمل النص القرآنى عن اليهود يتأكد أن فكرة الجدار نابعة من العقيدة الصهيونية التى قامت على الاحتماء خلف جدران وقد تجسد ذلك فى قوله تعالى:

﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

(سورة الحشر).

وليس الأمر يقف عند هذا الحد فهو مرتبط أيضاً بفكرة الجيتو أو حارة اليهود التى ظن اليهود على مر العصور أنها سوف تحل لهم مشكلة الإحساس الدائم

بالخوف والقلق وعدم الأمان، لاسيما فى أوروبا أثناء تعرض اليهود للاضطهاد على مر العصور من قبل ظهور المسيحية وبعد ظهورها.

ولا ننس أن نتذكر جميعاً أن الدافع الأول الذى دعا إسرائيل إلي إقامة خط بارليف على طول الشاطئ الشرقى لقناة السويس بعد عدوان إسرائيل فى حرب ١٩٦٧ هو نفسه الدافع الذى جعل إسرائيل تقوم ببناء الجدار العازل على أرض فلسطين المحتلة، لكن خط بارليف الذى ادعت إسرائيل أنه لا يقهر سقط بفكرة بسيطة لم تخطر على بال أحد نبعت من سلاح المهندسين بالجيش المصرى إنها فكرة استخدام قوة، دفع المياه لهدم الرمال أسفل الجدار، وبذلك حطم الماء أسطورة إسرائيل الكاذبة.

فضلا عن قوة اقتحام الجيش المصرى وتحطيمه لهذا الخط فى حرب ١٩٧٣.

ولم يكن أمام الفلسطينيين إلا اللجوء إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة من أجل وقف استكمال بناء هذا الجدار العنصرى الذى سوف يقتطع فى حالة الانتهاء من بنائه ٢٠ ٪ من مساحة الضفة الغربية المحتلة كل ذلك لا لشىء إلا لادعاء إسرائيل بحماية المواطن الإسرائيلى والحد من تسلل الفدائيين الفلسطينيين داخل إسرائيل، وكان الأولى أن يبنى هذا الجدار على الأراضى المخصصة لإسرائيل طبقاً لقرار التقسيم.

ولا نود الدخول فى تفاصيل الأضرار السلبية التى ستترتب على بناء هذا الجدار فى حياة المواطن الفلسطينى التى لا تكتفى إسرائيل بسرقة وطنه وأرضه ولكن نكتفى بأن نذكر بعض التفاصيل التى تدل على تناقضات السياسة العالمية التى تديرها إسرائيل والصهيونية ببراعة فائقة على المستوى العالمى، فقد سبق أن صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة فى أكتوبر ٢٠٠٣ بأغلبية ١٤٤ صوتا مقابل ٤ أصوات وامتناع ١٢ دولة والذى أدان إسرائيل وطالبها بوقف بناء الجدار وإزالته باعتباره انتهاكاً لخط الهدنة ١٩٤٩، إلا أن إسرائيل أكدت على أنها عازمة على استكمال الجدار دون أى قرارات دولية. مما أدى هذا الأمر إلى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ديسمبر ٢٠٠٣ بإحالة مسألة الجدار إلى محكمة العدل

الدولية تحت عنوان تصرفات إسـرائيل غير المشـروعة فى القدس الشرقية المحتلة وسـائر الأراضى الفلسطينية المحتلة، إلحاقًا بالقرار السابق للدورة الطارئة العاشرة فى ٢١ أكتوبر ٢٠٠٣ ومشـيرًا إلى القرارات السـابقة للجمعية العامة بما فى ذلك القرار ١٨١ نوفمبر ١٩٤٧ م والذى قسم فلسطين تحت الانتداب إلى دولتين: واحدة عربية والأخرى يهودية، وإلى قرارات مجلس الأمن ذات الصلة وأهمها ثلاثة عشر قراراً يتقدمها القراران ٢٤٢ فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ م و ٣٣٨ فى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ وآخرهـا القـرار ١٥١٥ فى ١٩ نوفمـبر ٢٠٠٣ وكلها تؤكد على الأسـس والمبادئ المسـتقرة فى القانون الدولى وأهمها مبدأ عدم جواز الاستيلاء على الأراضى بالقوة، وانطبـاق أحكام اتفاقية جنيف الرابعة والبروتوكـول الإضافى الأول على الأراضى الفلسطينية المحتلة بما فى ذلك القدس الشرقية.

ولما كانت الجمعية العامة للأمم المتحدة قد انتخبت السفير المصرى نبيل العربى عضوًا فى محكمة العدل الدولية اعتباراً من ١٢ أكتوبر ٢٠٠١ ليشغل مكان القاضى محمـد بدجاوى رئيس محكمـة العدل الدولية، وهو الأمر الذى اعتبرته إسـرائيل محاولـة للتأثير على محكمة العدل الدولية مـن أجل صدور قرار مضاد لهذا القرار كعادتها حاولت ترويج شائعات مسبقة تؤيد الدعاوى الكاذبة التى ترودها لكن قرار محكمـة العدل الدولية كان قائماً على الشـرعية الدوليـة والاتفاقات العالمية حيث أصدرت المحكمة حكمها فى التاسع من يوليو ٢٠٠٤ بعدم مشروعية قيام إسرائيل ببناء الجدار العازل فى الأراضى الفلسـطينية وكذلك عدم شـرعية بناء المستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى المحتلة بما فيها القدس وكذلك تعويض الفلسطينيين الذين تضـرروا من بناء الجدار ولقد كان قـرار المحكمة قائماً على اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩.

لكن حكم المحكمة انضم إلى قائمة القرارات الدولية التى تضرب بها إسـرائيل عرض الحائط كعادتها وظلت إسـرائيل عازمة على بناء جدار طوله ٦٢٠ كم يقسـم الضفة إلى ثلاثة أقسـام ويقتطع ٢٠٪ من مسـاحتها، وبسـمك من ٦: ١٠ أمتار

وبارتفاع يصل إلى ٨ أمتار كل هذا على مرأى من العالم الذى أصبح لا يحرك ساكناً تجاه إسرائيل، والأكثر من ذلك راحت إسرائيل تستنكر الطلب الفلسطينى للمحافل الدولية من أجل وقف الجدار ذاكرة أنها تتعجب من أن يقبل طلب من منظمة إرهابية طاعنة فى ولاية المحكمة وصلاحيتها لنظر القضية متطاولة على المحكمة ونزاهتها بالتشكيك فى موضوعية حكمها بوقف الجدار نتيجة وجود قاضى عربى مسلم من بين قضاتها البالغ عددهم ١٤.

بل إن إسرائيل لم تكتف بالسخرية والاستهزاء من الهيئات الدولية بل أيضاً من الرموز الدينية فعندما أدان بابا الفاتيكان الراحل الجدار العازل وسياسة إسرائيل مؤكداً على أننا فى حاجة إلى جسور محبة وليس جدارًا فاصلاً رد رئيس الوزراء الإسرائيلى بسخرية وتهكم على البابا الراحل وعلى الجدار الذى يلف حاضرة الفاتيكان ويعزل من فيه ومنهم البابا عن رؤية حقائق الدنيا.

ولقد بقى الوضع كما هو عليه ولم يكن حكم المحكمة ملزماً لإسرائيل كما حدث فى قضية استرداد مصر لطابا، كما أن الفلسطينيين وقفوا موقفاً اعتادوا عليه منذ ١٩٤٨ وهو الرضوخ الذى ليس لديهم بديل له للقوة الإسرائيلية التى تؤيدها أمريكا أقوى دولة فى العالم حالياً.

إن تلك الفتوى القانونية بعدم شرعية الجدار الإسرائيلى والصادرة من أعلى جهة اختصاص بالعالم وبناء على قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة بتحويل قضية بناء إسرائيل للجدار العازل بداخل الأراضى الفلسطينية لتلك المحكمة الدولية لتصدر فيها حكماً استشاريا غير ملزم وفق صلاحياتها بموجب ميثاق الأمم المتحدة، أقول إن هذا القرار يمثل تحرك من المجتمع الدولى فى حدود المتاح أو المسموح بالعمل به لاسيما فى إطار عدم قدرة مجلس الأمن (الهيئة التنفيذية الوحيدة بالأمم المتحدة) على تنفيذ أى قرار ضد إسرائيل باسم استخدام أمريكا الدائم لحق الفيتو.

إن حكم المحكمة لم يخص مسألة الجدار وحدها، ولكنة تجاوز ذلك كثيراً، وكأنه صدر فى النزاع الفلسطينى الإسرائيلى برمته، و إقرار من قبل محكمة

العدل الدولية بأن الأرض الفلسطينية المحتلة خارج ما يسمى بالخط الأخضر هى بالفعل أرض فلسطينية محتلة غير معترف باحتلال إسرائيل لها والعجيب أنه صدر فى ٢٠٠٥ حكم عن محكمة العدل العليا بإسرائيل بعدم شرعية هذا الجدار وبشطب أحد مقاطع الجدار تحت مبرر انعدام النسبية.

والأعجب أن جدار إسرائيل لم يمنع الفدائيين الفلسطينيين من الكفاح المسلح والقيام بعمليات استشهادية داخل العمق الإسرائيلى ذاته.

وأعتقد أن الجدار ليس هو المدافع عن وجود إسرائيل بل إن أمريكا هى الجدار العازل الإسرائيلى!!

٤ - بين وعد بلفور ووعد آل بوش اختفت فلسطين

فـي الثانى من نوفمـبر ١٩١٧ خلال الحرب العالمية الأولى أرسـل اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا إلى اللورد روتشيلد أحد أقطاب الطائفة اليهودية البريطانية خطاباً شهيراً يخطره فيه أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية تنظر بعين العطف لموضوع إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين على ألا يؤثر ذلك على حقوق الطوائف غـير اليهودية فى فلسـطين أو على حقـوق اليهود فى بريطانيـا، وكان ذلك منذ ما يقرب من تسـعين عاماً فيما عرف تصريح – وعد – بلفور وهو فى حقيقة الأمر وعد من لا يملك لمن لا يستحق.

ولا ننـس أنه بعد أسـبوع واحد أى فى ٩ نوفمـبر ١٩١٧ دخل الجنرال اللنبى (قائـد القـوات البريطانية التى احتلت فلسـطين) القدس، وقال عبارته الشـهيرة «هـا قـد عدنا يا صلاح الدين»، ومما يذكر أنه أصبح الحاكم العسـكرى على مصر والسودان من (١٩١٩ إلى ١٩٢٥)، وبعد أن تشكلت عصبة الأمم فى نهاية الحرب العالمية الأولى (١٤ – ١٨) اتخذت قراراً بانتداب بريطانيا على فلسطين، وبعد ذلك عينت بريطانيا هر برت صمويل مندوباً سامياً على فلسطين وكان يهودياً بريطانياً فأغدق على اليهود المنح والعطايا والحقوق واضطهد الفلسطينيين اضطهادا شديداً، كما غض الطرف عن القتل والتشـريد والإبادة الذى مارسـه اليهود ضدهم وأخيراً تخلـت الدولة المنتدبـة (بريطانيا) من قبل عصبة الأمم عـن مهمتها، حيث غادر مندوبها السـامى فلسطين فى ١٤ / ٥ /١٩٤٨ وتركها لليهود ليعلنوا دولة إسرائيل فى اليوم الثانى من رحيل بريطانيا أى فى ١٥ /٥ /١٩٤٨.

هذا هو الدور البريطانى المؤسس لدولة يهودية على أرض فلسطين العربية.

ويذكرنـى وعد بلفور بمـا قرأته فى كتـاب (ديزرائيلـى) D,israel عن الصبى اليهودى فى المجتمـع البريطانى عندما كان اليهود يضطهدونه، وكفاحه للانتقام من ظلم الاضطهاد اليهودى حتى وصل إلى رئيس وزراء بريطانيا، والغريب أنه نجح

فى شراء نصيب مصر من أسهم للشركة العالمية لقناة السويس، وبذلك خرجت مصر من كونها مساهماً فى هذه الشركة بالرغم من مصرية قناة السويس، ولم تستردها مصر إلا عام ١٩٥٦ بقرار التأميم ودفعت مصر الثمن بالعدوان الثلاثى على مصر من قبل (انجلترا – فرنسا – إسرائيل).

وهو دور متسق مع الفكر الأوروبى الغربى الذى بدأ منذ أن دعا نابليون بونابرت يهود العالم فى أواخر القرن الثامن عشر لإقامة دولتهم فى فلسطين، والتى كانت من أهم الدوافع وراء حملته على مصر والشام عام (١٧٩٨) ويرجع ذلك فيما أعتقد أن كتب التاريخ تتحدث عن السيطرة اليهودية على الثورة الفرنسية التي أوجدت فيما بعد نابليون القائد والمحارب الشهير كما سبق ذكره فى ملف الجامعة بكتابى هذا.

وقد سبق وأن ذكرت الدوافع الغربية (أوروبياً وأمريكياً) وراء خلق إسرائيل فى العالم العربى والإسلامى، تلك الدوافع التي ترتبط بما عرف فى الأمثال الشعبية (ضرب عصفورين بحجر واحد)، حيث يتم التخلص من تواجد القلق الغربى من اليهود وفى الوقت نفسه يضمن الغرب عدم تنامى القوة الإسلامية بسبب انشغالها الكامل بحروبها وخلافاتها مع المنافس الإسرائيلى وبالتالى يكون الغرب قد ارتاح من القلقين الإسلامى واليهودى، وها هو ذا الرئيس الأمريكى جورج بوش الابن يكمل حلقة فى منظومة الدور الغربى الداعم للكيان الإسرائيلى، وذلك حين أعلن فى ١٤ / ٤ /٢٠٠٤ وعد بوش الجديد، أو وعد المتناقضات كما أطلقوا عليه.

حيث أعلن بوش رفض مبدأ عودة اللاجئين الفلسطينيين إلي داخل الأراضى التي ستقام عليها الدولة الفلسطينية، كما أكد على أنه من غير الواقعى توقع العودة إلى حدود ١٩٤٩ فى إطار سلام بالشرق الأوسط وأكد الرئيس الأمريكى أن أية تسوية نهائية للقضية الفلسطينية يتعين أن تضع فى اعتبارها عناصر جديدة على الأرض وأن إسرائيل لها مطالب بشأن بعض أراضى الضفة الغربية التي يقول الفلسطينيون: إنها أراضيهم على حد تعبيره، ومضى بوش فى تصريحاته قائلاً إن

هناك وقائع جديدة على الأرض تشمل وجود تجمعات سكانية (يقصد المستوطنات) الإسرائيلية فى الضفة الغربية، وتحدث بوش عن الدولة الفلسطينية مؤكداً أنه على الفلسطينيين محاربة الإرهاب إذا كانوا يريدون أن تكون لهم دولة، وفيما يتعلق بالجدار العازل قال بوش: إن هذا الحاجز حاجز أمنى وليس سياسياً، وتمنى أن يكون مؤقتاً وليس دائماً، كما أكد بوش على إعطاء إسرائيل الشرعية لبناء عدد من المستوطنات الكبيرة فى الضفة الغربية ! ! .

جاءت تصريحات الرئيس الأمريكى ضمن المؤتمر الصحفي الذى عقده مع رئيس الوزراء الإسرائيلى فى البيت الأبيض معلناً بذلك تحولاً جوهريا فى السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربى الإسرائيلى ضارباً بعرض الحائط القرارات الدولية وقرارات الأمم المتحدة وعلى رأسها قرار التقسيم الذى قامت على أساسه دولة إسرائيل وقرار عودة اللاجئين والذى يقضى بالسماح فى أقرب وقت ممكن للاجئين الراغبين فى العودة إلى ديارهم بالعودة ودفع تعويضات لمن لايختارون العودة.

فضلاً عن دعم إسرائيل المادى والمعنوى فى ممارسة سياسة القمع والاحتلال والتشريد على الأراضى الفلسطينية وتحقيق مزيد من السيطرة على الأرض العربية.

وهكذا جاء الوعدان ،وعد بلفور ١٩١٧ ووعد بوش ٢٠٠٤ ليزيدا آلام الفلسطينيين ويكملا سلسلة ضياع الحقوق وازدواجية المعايير لا سيما بعد أن أعلن الرئيس الأمريكي بتأجيل إعلان الدولة الفلسطينية إلى ٢٠٠٩ بعد أن كان قد التزم من قبل أن يكون ذلك فى ٢٠٠٥

وبرغم تصريحات الرئيس الأمريكى جورج بوش الابن إلا أنها لم تكن مفاجئة بالنسبة لى، فهل لنا أن نتوقع أن يصدر من حفيد جورج بوش الجد أحد كبار الواعظين والباحثين فى أمور اللاهوت واللغة العبرية التوراتية والبروفوسير للعبرية والآداب الشرقية فى جامعة نيويورك التى خصصت أول منصب لهذا القسم له تحديداً عام ١٨٣١ ، وصاحب كتاب (حياة محمد مؤسس الدين الإسلامى وإمبراطورية المسلمين) والذى يحتوى على تشنيع وشتائم للعرب والمسلمين باعتبارهم أعراقاً

منحطة وحشـرات وجرذان وأفاعى، والذى دعا إلى تدمير إمبراطورية (السارزان)، فـإذا لم يتم تدمير هذه الإمبراطورية لن يكتمل تمجيد الرب بعودة اليهود إلي وطن آبائهم وأجدادهم.

والسـارزان هنا تعنى المسلمين وتطلق على الشـعوب المتخلفة والمنحطة فى نظر الرومان قديماً، لكن جورج بوش الجد استخدمها تعبيراً عن المسلمين.

وكتاب جورج بوش الجد يدل على علم بالقرآن والحضارة الإسـلامية، كما يدل على ذكاء شـديد، فبرغم بعض العبـارات التى قد توحى للقارئ بإعجاب الكاتب بمحمـد والدين الإسـلامى، إلا أنه تخفى خلف تلك العبـارات كثيراً من الدعاوى المسـيئة للرسول وللإسلام، حيث يرى أن محمداً إنسان الخطية الذى يظهر ويعلو قبل المجيء الثانى للمسيح عليه السلام ، والذى سمح الرب بظهوره و نشر دعوته فقـط كـى يكون أداة تأديب وعقاب كى تفيق الكنيسـة الضالـة، وهو يجتهد فى التلفيق كى يثبت أن إنجازات محمد هى من أعمال الذكاء الإنسانى الذى قدر الرب نجاحهـا علـى رغم أنها من أعمال الهرطقة عندما تمكن محمد من بناء إمبراطورية إسلامية استطاعت فى غضون ٨٠ عاما أن تبسط سلطانها على ممالك أوسع مساحة من إمبراطورية روما التى استغرق إنشاؤها ٨٠٠ عام نكايةً فى ضلال الكنيسة، وقد كان جورج بوش الجد وكتابه من مؤسـسـى المسـيحية الصهيونية فى العالم الغربى بصفة عامة وأمريكا على وجه الخصوص ومن ناحية أخرى ورث الابن جورج بوش الاب صاحـب مؤامرة العراق فيما عرف بحرب تحرير الكويت بما فيها من أصابع يهوديـة أمريكيـة، والتى اكتملت حلقاتها بحرب احتـلال العراق فى ٢٠٠١ بعد أحـداث ١١ سـبتمبر ذات الأصابع اليهودية الخفية هـى الأخرى وبذلك اكتملت حلقة الجد بالابن بالحفيد تحت نفس المسمى (آل بوش).

وخـلال ممارسـتى للعمـل الدبلوماسـى من منتصـف الخمسـينات إلى أوائل التسعينات أتيحت لى العديد من الفرص لمناقشة الدبلوماسيين الأمريكيين والغرب حول قضية فلسـطين التى كانت – ولا تزال – محوراً وبندًا رئيسـيًا للدبلوماسـية

المصرية, حيث وجدت إجماعًا من الدبلوماسيين الأمريكان عن سيطرة اليهود على السياسة الأمريكية، وأن تلك نقطة ضعف فى كيان الإدارة الأمريكية تعود إلى هجرة المسيحيين واليهود من أوروبا خلال القرن الخامس عشر إلى قارة أمريكا بعد اكتشافها وبناء وتأسيس ما يعرف الآن بالولايات المتحدة الأمريكية.

ويفسرون ذلك بأن يهود أوروبا كانوا عنصرًا هامًا من الهجرة الأوروبية إلى أرض أمريكا ذلك العالم الجديد new world الذى تم اكتشافه منذ قرون.

وهجرة يهود أوروبا كانت أساسًا هربًا من اضطهاد الأوروبيين بصفة عامة لليهود فى تلك الحقبة من الزمن التى سبقت اكتشاف أمريكا والأمر الذى جعل هؤلاء المهاجرين اليهود يعملون على أن تكون الدولة الأمريكية الجديدة هى دولة يهودية التفكير والتأثير تحفظ لليهود كرامتهم وشخصيتهم بل الأمل فى امتداد التأثير اليهودى الأمريكى للضغط على أوروبا لوقف اضطهاد من لم يهاجر من اليهود وعملوا على نشر دين جديد يسمى «اليهودية المسيحية» والزائر للمتحف التاريخى فى واشنطن يستطيع أن يتأكد أن العنصر اليهودى كان فعلاً جزءًا هامًا من الهجرة الأوروبية للعالم الجديد.

وانتهى الأمر بيهود أمريكا أن يسيطروا على النواحى الدينية والتعليمية والقانونية والإعلامية من صحافة وإذاعة وتليفزيون بالإضافة إلى تملك رأس المال عصب النشاط الاقتصادى كل ذلك بطريقة يصعب معها حالياً التخلص من هذا النفوذ اليهودى فى كل هذه المجالات والذى انعكس على السياسة الخارجية الأمريكية وضياع القرار فى الإدارة الأمريكية ويضيف الدبلوماسيون الأمريكان أن الشعب الأمريكى فى ظل هذه السيطرة غير قادر علي التحرير وتخليص الإدارة الأمريكية من هذه السيطرة والنفوذ اليهودى على رغم الحقيقة البارزة من أن نسبة اليهود ضئيلة فى نسيج المجتمع الأمريكى فالأغلبية العظمى من الشعب الأمريكى يدينون بمعتقدات أخرى غير اليهودية بل يسود الشعب الأمريكى شعور بالكراهية الدفينة لليهود هذه الكراهية كانت لها مظاهر علنية، وقد تمثلت هذه الكراهية فى خطاب الرئيس

الأمريكى فرانكلين والذى وجهه للشعب الأمريكى يحذرهم فيه من تغلغل اليهود فى المجتمع الأمريكى عام ١٧٨٩ عند وضع الدستور الأمريكى قائلاً:

أيها السادة فى كل أرض حل بها اليهود أطاحوا بالمستوى الخلقى، وافسدوا الذمة التجارية فيها، ولايزالون منعزلين لا يندمجون عند وضع الدستور الأمريكى أى منذ ١٦٧ عاماً: بغيرهم، إنى أحذركم أيها السادة أنكم إن لم تبعدوا اليهود نهائياً فلسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم فى قبوركم، إن اليهود لن يصبحوا مثلنا ولو عاشوا بين ظهرانينا عشرة أجيال، فإن الفهد لا يستطيع إبدال جلده الأرقم «وقد سبق أن أشرت إلى هذا الخطاب الهام فى ملف دمنهورى فى الصحافة وشركة شل.

كما أن اليهود فى أمريكا – وعددهم ما يقرب من ٦ ملايين يهودى (وهو عدد أكثر من عدد سكان يهود إسرائيل) – متمركزون فى نيويورك عاصمة المال والسياسة الأمريكية كما لم يغادروا أمريكا إلى الوطن الأم كما يدَّعون وهو ما يسقط أن إسرائيل دولة الرب لشعب الله المختار، إذا كيف يتركون مقر الأمم المتحدة (نيويورك) ويذهبون إلى عاصمة الرب؟!

وقد تجسد خطورة التغلغل الصهيونى فى المجتمع الأمريكى فى مقتل الرئيس كيندى الكاثوليكى بيد (خفية إسرائيلية) وإلصاق التهمة لشخصية عربية حينما فكر كيندى فى التفتيش على السلاح النووى الإسرائيلى.

كما أن بعضًا من الدبلوماسيين الأمريكان اشتركوا مع بعض الدبلوماسيين البريطانيين فى تقديم كل منهما إلى حكومته للاهتمام بقضية فلسطين كما هو واضح فى موضوع رسالة الدبلوماسيين البريطانيين والأمريكان بكتابى هذا ومن أخطر الشخصيات التى لمست خطورتها وزير الخارجية اليهودى كيسنجر الذى لا يزال هو المحرك من وراء ستار للإدارة الأمريكية والذى كان له دوره فى اتفاقية كامب ديفيد مع مصر.

وأود أن أقول للإدارة الأمريكية إنه إذا وجد الأصل بطل الظل والظل هنا هو إسرائيل، فمتى نرى الخطوة الجريئة من الإدارة الأمريكية (الأصل)، حتى

تعلـن على العالم كله أن الضرورة التى دعت إلى خلق كيان إسـرائيلى (الظل) فى قلب العالم العربى للدفاع عن المصالح الغربية وعلى رأسـها المصالح الأمريكية، إن هذه الضرورة انتهت بسـيادة أمريكا نفسـها، خاصة بعـد احتلالها للعراق علنا، وأمريكا بهذه السياسـة الجديدة تسـتطيع أن تقضى على التواجد الإسـرائيلى فى فلسـطين فلا حاجة للظل أن يسـتمر فى دوره ويحل الأصـل محله، وهكذا يكون وضع فلسـطين – كما هو الحال بالنسـبة للعراق أيضا – أن يتخلص من الاحتلال العسـكرى الأمريكى مهما طال الزمن فقد احتلت فرنسا الجزائر ١٣٠ عاما وانتهى الاحتلال واحتلت بريطانيا مصر ٨٠ عاما كما احتلت هونج كونج الجزيرة الصينية لمـدة ٩٩ عاما وانتهى احتلال بريطانيا لمصر وهونج كونج واحتلت القوات الصليبية فلسـطين ٢٠٠ عـام وانتهى الاحتـلال، أما أن يتحول الأمر إلى اسـتيطان اليهود لفلسـطين وتكوين دولة يهودية بقرار إلهى يقول أرض الميعاد لشـعب الله المختار فتلك هى الطامة الكبرى على الوطن العربى بل والعالم كله.

ختامـا أكـرر إذا حضر (الأصـل) بطل (الظـل) أو إذا حضر المـاء بطل التيمم فلا لإسـرائيل ولكن يمكن القول لأمريكا مصيرك الرحيل عن أى بلد يخضع لقواتك العسكرية مهما طال الزمن.

٥ - رسالة الدبلوماسيين الأمريكيين والبريطانيين

عنـد الحديث فى كتابى هذا عـن ذكرياتى فى دولة قطر حيث تناولت موضوع علاقتـى وتماثل موقفى مع موقف سـفير أمريكا لدى قطر (المسـتر اندرو كيلجون) عندمـا كنت أنا أمارس مهمة رئيس بعثة رعاية المصالح المصرية فى قطر وذلك بعد قطع العلاقات الدبلوماسـية بين السدول العربية ومنها قطر مع مصر ويمكن للقارئ العزيـز أن يعود لهـذه الذكريات لأننى أعتقد أنه من قبيـل المصادفة غير المنتظرة وغير المتوقعة أن يكون لى لقاء آخر مع نفس السفير الأمريكى بعد مرور ما يقرب من ربع قرن ولكن الاتصال هذه المرة كان عن طريق المراسلات.

نشـرت الصحف ووكالات الأنباء فى النصف الأول من عام ٢٠٠٤ نص الرسالة التى بعث بها حوالى خمسـين سفيراً أمريكياً سابقاً للرئيس بوش وكذا رسالة أكثر من خمسين سفيراً بريطانياً سابقاً لرئيس الوزراء بلير وكان موضوع هاتين الرسالتين هو موقف البلدين بالنسـبة للشـرق الأوسـط وقد اتضح أن السـفير الأمريكى سابق الإشـارة إليه يرأس مجموعة السـفراء الأمريكيين، الأمر الذى رأيت من واجبى أن أوجه له رسـالة من القاهرة على صفحات إحدى الجرائد اليومية عن طريق السفير الأمريكى المعتمد لدى مصر.

ونظراً لأهمية هذا الموضوع بالنسـبة لقضية فلسـطين فقد رأيت أن أضع ترجمة الرسـالتين كما نشرتهما الـ BBC باللغة الإنجليزية لهاتين الرسالتين ليكون كتابى هذا حفظاً لهذا العمل الدبلوماسى المعلن بالنسبة لقضية العرب قضية فلسطين.

كما رأيت أن أضع فى السـطور القادمة نص رسـالتى الشـخصية التى وجهتها للسفير الأمريكى السابق فى الدوحة عاصمة قطر (المستر/ أندرو كيلجون).

رسالة إلى السفير الأمريكى

عزيـزى السـفير/ أندروكيلجور (سـفير أمريـكا لدى دولة قطر مـا بين ١٩٧٧ إلى ١٩٨٠)

آثار اهتمامى ما أذاعته وكالات الأنباء العالمية حول الرسالة التى وجهها أكثر من خمسين دبلوماسيا أمريكيا سابقا للرئيس جورج بوش الابن حول سياسة أمريكا فى الشرق الأوسط فى ٦/ ٥/ ٢٠٠٤ وأسعدنى أنى وجدتك يا صديقى العزيز على رأس الموقعين على هذه الرسالة، فأعاد ذلك إلى نفسى ذكريات تعود إلى ما يقرب من ربع قرن عندما كنت رئيساً لبعثة رعاية مصالح مصر لدى دولة قطر بعد قطع العلاقات بين غالبية الدول العربية ومصر بسبب (اتفاقية كامب ديفيد).

أتذكر يا صديقى تلك الظروف المتشابهة التى كنا فيها، كنا فى مركب واحد، حيث كنت أنت فى ظروف مقاربة لظروفى نتيجة احتجاز عدد من الرهائن الأمريكيين فى مبنى السفارة الأمريكية فى طهران عام ١٩٧٩ على أثر قيام ثورة الخمينى الإسلامية، هذه الفترة العصيبة التى كنت أنا وأنت خلالها نعيش تحت حراسة قوات الأمن القطرية نتيجة التوتر الحادث فى المنطقة لبلدينا (مصر وأمريكا)، الأمر الذى ساعد على ازدياد مساحة الحوارات غير الرسمية بيننا، تلك الحوارات التى تتسم بالصراحة والشفافية وقد زاد على زيادة مساحة هذه الحوارات أيضاً تقلص نشاطنا الدبلوماسى الرسمى فى تلك الفترة نتيجة الظروف.

أتذكر أنى خلال هذه الحوارات أكدت لك على ضرورة وجود رؤية جماعية من السفراء الأمريكيين القدامى الذين عملوا ولازالوا لدى الدول العربية والإسلامية، بحيث تكون هذه الرؤية قادرة على توجيه الإدارة الأمريكية من أجل اتخاذ موقف متزن وسياسة حكيمة تجاه الأطراف المتنازعة فى الشرق الأوسط، خاصةً وأن أمريكا سبق لها أن قامت بدور إيجابى مع مصر تجسد فى تدخلها ضد العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ من قبل إنجلترا وفرنسا وإسرائيل فأجبرتهم على الانسحاب من سيناء بالكامل، كما كان لها دورها البارز فى اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩ بصرف النظر عن سلبيات أو إيجابيات المعاهدة.

صحيح أن رسالتكم هذه جاءت تابعة لرسالة أكثر من خمسين دبلوماسيا بريطانيا سابقا لرئيس الوزراء البريطانى تونى بلير تجاه نفس القضية ونفس الموضوع، رافضة

لسياسات رئيس الوزراء البريطانى حول الشرق الأوسط خاصةً العراق والقضية الفلسطينية واصفة السياسة البريطانية بالتبعية المطلقة لسياسة الرئيس بوش، صحيح كل ذلك، لكن رسالة الدبلوماسيين الأمريكيين تؤكد حكمة (وشهد شاهد من أهلها)، لأنكم كدبلوماسيين سابقين أظهرتم قلقكم الشديد من سياسة أمريكا تجاه الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية، تلك السياسة التى تضر بالمصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط، كما أظهرتم قلقكم من تصديق الإدارة الأمريكية على خطة شارون أحادية الجانب والتى تتجاهل حقوق ثلاثة ملايين فلسطينى وتتجاهل حق العودة للاجئين الفلسطينيين إلى وطنهم، كما تبقى المستوطنات غير الشرعية فى الضفة الغربية المحتلة، مؤكدين على أن تلك الخطة تتجاهل القوانين الدولية والشرعية كما تنتهك قرار الأمم المتحدة رقم ١٩٤ الصادر عام ١٩٤٨ والذى يؤكد حق اللاجئين فى العودة إلى ديارهم، كما أنها تنقض خطة خريطة الطريق التى أعدتها اللجنة الرباعية والتى تضم (أمريكا - روسيا - الاتحاد الأوروبى - الأمم المتحدة)، وهى أخيراً تمثل تحولاً للسياسة الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط.

لقد رفضت يا صديقى القديم أنت وزملاؤك الدبلوماسيون إصرار الرئيس بوش على استبعاد الجانب الفلسطينى من مفاوضات السلام، الأمر الذى أدى إلى وفاة عملية السلام وإغلاق باب المفاوضات واستبعاد إمكانية قيام دولة فلسطينية مستقلة، بل وأثبت ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية شريك غير محايد.

وكم كنتم شديدى الموضوعية حينما أكدتم للرئيس الأمريكى أنه وضع دبلوماسية فى الخارج (لاسيما فى الدول العربية والإسلامية) فى موقف لا يمكن الدفاع عنه، بل وفى موقع الخطر نتيجة الدعم الأمريكى لاغتيالات إسرائيل غير العادلة لخطة السلام، وتأييد السياسة الأمريكية لجدار إسرائيل الذى يشبه حائط برلين, ولإجراءات إسرائيل العسكرية فى المناطق المحتلة، الأمر الذى يفقد أمريكا مصداقيتها وسمعتها وأصدقاءها إنكم بهذه الرسالة الهادئة المتزنة تؤكدون أن الوقت لم يفت لإعادة التأكيد على مبادئ العدالة الأمريكية والعالم الحر والتى يجب أن

تقوم عليها علاقات الولايات المتحدة مع الجميع لاسيما فى الشرق الأوسط خاصة بعد أن طالبتم الإدارة الأمريكية بدعم سبيل التفاوض بين الفلسطينيين والإسرائيليين عن طريق قيام الولايات المتحدة بدور الوسيط الأمين.

إن التوافق الفكرى بين رسالتكم ورسالة الدبلوماسيين البريطانيين جاءت بمثابة إنذار مبكر يحذر من تفاقم الهوة بين الغرب والشرق, تأكد استمرار تصوير أمريكا وبريطانيا (صاحبة تصريح بلفور) فى العالمين العربى والإسلامى كشركاء فى احتلال غير قانونى ووحشى للعراق أدى إلى حدوث فوضى لبلد عريق ولا يعرف أحد ماذا ستسفر عنه الأحداث فى المنطقة فى المرحلة القادمة.

وأعرفك يا صديقى أنى بصفتى عضوًا فى المجلس المصرى للشئون الخارجية قد دعوت إلى ضرورة التواصل مع هذه الدعوات وهذه الآراء الهادئة والعاقلة من أجل بلورة رأى عام دولى يخدم القضايا الحقيقية للسلام والاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط.

وأخيرًا اسمح لى يا صديقى أن اقدم لكم أنت وزملاءك الدبلوماسيين خالص تقديرى وإعجابى بهذه الرسالة العاقلة والتى اتسمت بمصداقيتها وشفافيتها، أما المصداقية لأنها صدرت عن أناس لهم خبرة بالعمل الدبلوماسى عامة وبأوضاع الشرق الأوسط على وجه الخصوص, وأما الشفافية فلأنها جاءت بخطاب جديد لم يألفه العرف الدبلوماسى علانية من قبل، وهو ما دعانى أستخدم نفس الأسلوب العلنى فى خطابى إليك عبر الصحافة المصرية اتساقًا مع مبدأ الشفافية الذى أقررتموه فى علانية رسالتكم.

وإلى أن نلتقى مرة أخرى إن شاء الله لك أطيب الأمنيات.

صديقك القديم

فتحى الجويلى

أولا - ترجمة رسالة الدبلوماسيين الأمريكيين نقلاً عن مجلة الدبلوماسى بالعدد الصادر فى مايو ٢٠٠٤.

سيادة الرئيس:

نحن دبلوماسيون أمريكيون سابقون نحيى زملاءنا البريطانيين الاثنين والخمسين الذين وجهوا رسالة إلى رئيس الوزراء البريطانى تونى بلير تحمل انتقادهم لسياسته فيما يتعلق بالشرق الأوسط، ومطالبتهم لبريطانيا بممارسة تأثير أكبر على الولايات المتحدة.

ونحن، كرجال سابقين فى السلك الدبلوماسى، نهتم اهتماماً كبيراً بسياسة بلادنا الأمنية الخارجية، كما نهتم بمصداقية الولايات المتحدة أمام العالم.

ونحن أيضاً قلقون للغاية من تصديقكم يوم الرابع عشر من نيسان على خطة رئيس الوزراء الإسرائيلى، أرييل شارون، أحادية الجانب، والتى تتجاهل حقوق ثلاثة ملايين فلسطينى، وتتجاهل حق العودة للاجئين الفلسطينيين إلى وطنهم، كما تبقى المستوطنات غير الشرعية الخمس الكبرى فى الضفة الغربية المحتلة.

هذه الخطة تتجاهل قوانين دولية تعتبر بناء هذه المستوطنات أو الإبقاء عليها عملاً يفتقد إلى الشرعية.

كما أنه تنتهك قرار الأمم المتحدة رقم ١٩٤، الصادر فى ١٩٤٨، والذى يؤكد حق اللاجئين فى العودة إلى ديارهم، أو استحقاقهم تعويضات كبديل عن العودة، وكذلك استحقاقهم للمساعدة فى الاستقرار فى بلد آخر إذا ما اختاروا ذلك كما أنها تنقض خطة خريطة الطريق التى أعدتها اللجنة الرباعية، والتى تضم الولايات المتحدة، وهى أخيراً تمثل تحولاً للسياسة الأمريكية الثابتة فى منطقة الشرق الأوسط وقد جاء اجتماعك مع شارون بعد سلسلة من جلسات المفاوضات المكثفة بين الإسرائيليين والأمريكيين، ولكنها مفاوضات لم يمثل فيها الجانب الفلسطينى، والحقيقة هى أنك ورئيس الوزراء الإسرائيلى، أرييل شارون، قد دأبتما على استبعاد الفلسطينيين من مفاوضات السلام. وقد عبر ياسر عبد ربه، وزير الإعلام

الفلسطيني السابق، عن رد الفعل العالمي الساحق عندما قال: إنه يعتقد أن الرئيس بوش قد أعلن وفاة عملية السلام اليوم.

وبإغلاق باب المفاوضات مع الفلسطينيين، واستبعاد إمكانية إقامة دولة فلسطينية مستقلة، تكون قد أثبت أن الولايات المتحدة شريك غير محايد في عملية السلام.

لقد وضعت الدبلوماسيين والمدنيين والعسكريين الذين يعملون في الخارج في موقع لا يمكن الدفاع عنه، بل وفي موقع الخطر.

إن دعمك بغير أي تحفظ لاغتيالات شارون غير العادلة، وتأييدك لجدار إسرائيل الذي يشبه حائط برلين، ولإجراءات إسرائيل القاسية في المناطق المحتلة، ثم تصديقك على خطة شارون أحادية الجانب يفقد بلادنا مصداقيتها وسمعتها وأصدقائها.

إن الوقت لم يفت بعد لإعادة التأكيد على مبادئ العدل والإنصاف الأمريكية التي تقوم عليها علاقاتنا مع الجميع في الشرق الأوسط، ونطالبك بدعم سبيل التفاوض بين الفلسطينيين والإسرائيليين، عن طريق قيام الولايات المتحدة بدور الوسيط الأمين.

إن العودة إلى تقاليد العدالة الأمريكية الأصلية سيغير اتجاه الوضع الحالي المتمثل بغياب الثقة في أوروبا والشرق الأوسط، بل وحتى في العراق.

وحيث إن الصراع الإسرائيلي الفلسطيني يمثل مشكلة المشاكل في الشرق الأوسط، فإن الارتياح سيعم المنطقة والعالم مع الفلسطينيين والإسرائيليين إذا ما توقفت عمليات القتل، وعادت عملية السلام إلى مسارها.

المخلصون:

- أندرو آي كيلجور، سفير إلى قطر، ١٩٧٧ – ١٩٨٠.
- ريتشارد إتش كيرتس، كبير مفتشين سابق، وكالة المعلومات الأمريكية.
- كولبيرت سي هيلد، متقاعد إف إس أو ومؤلف.
- توماس جي كارولان، مستشار عام في استانبول ٨٨ – ٩٢.

- سى ادوارد بيرنير، مستشار السفارة والمعلومات والثقافة، إسلام آباد.
- دونالد كروس، القنصل الأمريكى فى القدس.
- السفير إدوارد إل بيك، رئيس بعثة سابق فى العراق وموريتانيا .
- جون باول ، مستشار إدارة فى بيروت ٧٥ - ٧٦.
- جون جانثر دين، كان آخر مناصبه هو السفير الأمريكى إلى الهند.
- جريج ثيلمان، مدير، مكتب للانتشار الاستراتيجى والشئون العسكرية، مكتب المخابرات والبحوث.
- جيمس أكينز، سفير إلى المملكة العربية السعودية.
- تالكوت سيبل، سفير إلى سورية.
- يوجين بيرد، مستشار السفارة فى المملكة العربية السعودية.
- ريتشارد إتش نولت، سفير إلى مصر.
- راى كلوز، رئيس المحطة بالمملكة العربية السعودية ١٩٧١ - ١٩٧٩.
- شيرل ماكارثر، ملحق تجارى، بانكوك.

ثانيا - ترجمة رسالة الدبلوماسيين البريطانيين نقلاً عن مجلة الدبلوماسى بالعدد الصادر فى مايو ٢٠٠٤

السيد رئيس الوزراء، نحن – الموقعين – أدناه، السفراء والمندوبون السامون والحكام والموظفون وكبار الموظفين الدوليين سابقا، بعضنا يمتلك خبرة طويلة فى منطقة الشرق الأوسط والبعض الآخر اكتسب خبرته فى أماكن أخرى، نلاحظ بقلق بالغ السياسات التى اتبعتها فى المشكلة العربية الإسرائيلية والعراق، فى إطار تعاون وثيق مع الولايات المتحدة، وفى أعقاب المؤتمر الصحفى الذى عقدته فى واشنطن والذى أعدت فيه أنت والرئيس بوش تأكيد هذه السياسة، نشعر أن الوقت قد حان لإعلان قلقنا، على أمل مواجهتها فى البرلمان وإجراء إعادة تقييم أساسية، إن قرار الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى وروسيا والأمم المتحدة لإعلان «خريطة طريق» لتسوية النزاع الإسرائيلى – الفلسطينى عزز الأمل بأن القوى العظمى ستبذل، فى النهاية، جهدًا جماعيًا ومحددًا لحل المشكلة التى أدت، أكثر من أى شىء آخر، لتسميم العلاقات بين الغرب والعالمين الإسلامى والعربى، لعقود، إن المبادئ القانونية والسياسية التى يمكن لمثل هذه التسوية الاعتماد عليها كانت واضحة: فقد تعامل الرئيس كلينتون مع المشكلة خلال رئاسته، والعناصر اللازمة لمثل هذه التسوية مفهومة جيداً كما تم التوصل إلى العديد من الاتفاقيات غير الرسمية حول العديد منها، ولكن الآمال كانت واهية لم يجر أى شىء فعال سواء لدفع المفاوضات إلى الأمام أو الحد من العنف، إن بريطانيا وغيرها من الدول الراعية لخريطة الطريق انتظرت القيادة الأمريكية، ولكن بدون طائل، إن الأسوأ لم يأت بعد، فبعد كل هذه الشهور الضائعة واجه المجتمع الدولى إعلان أرييل شارون والرئيس بوش للسياسات الجديدة أحادية الجانب وغير القانونية التى ستؤدى إلى إراقة مزيد من الدماء الفلسطينية والإسرائيلية، يزيد استياؤنا من هذه الخطوة للوراء أنك أيدتها فيما يبدو متخليا عن المبادئ التى استرشدت بها على مدى نحو أربعة عقود الجهود الدولية لإقرار السلام فى الأراضى المقدسة،

هذا التخلى عن المبدأ يأتى فى وقت يجرى تصويرنا، سواء بحق أم بغير حق فى العالمين العربى والإسلامى، كشركاء فى احتلال غير قانونى ووحشى للعراق، إن إدارة الحرب فى العراق أوضحت أنه ليست هناك خطة فاعلة للتسوية فى مرحلة ما بعد صدام كل هؤلاء الذين يملكون خبرة فى شئون المنطقة كانوا يتوقعون أن احتلال العراق من قبل قوات التحالف سيواجه بمقاومة خطيرة وعنيدة، وهذا ما ثبت فعلا، أما وصف المقاومة بأنها تقاد من إرهابيين ومتطرفين وأجانب فأمر غير مقنع وغير مفيد، ينبغى أن تأخذ السياسة فى الاعتبار طبيعة وتاريخ العراق، البلد الأكثر تعقيدا فى المنطقة، مهما كان كبيراً عدد العراقيين الذين يتطلعون إلى إنشاء مجتمع ديمقراطى، فإن الاعتقاد أن بوسع الائتلاف إنشاء هذا المجتمع يعتبر ضربًا من السذاجة، فهذا هو رأى كل الخبراء المستقلين والمتخصصين فى شئون الشرق الأوسط فى كل من بريطانيا وأمريكا. نود أن ننوه بارتياح هنا بترحيبكم والرئيس بوش بالمقترحات التى طرحها الأخضر الإبراهيمى يجب أن نكون على استعداد لتقديم الدعم الذى يطلبه الإبراهيمى ومنح الأمم المتحدة الصلاحيات اللازمة للعمل مع العراقيين أنفسهم. بمن فى ذلك العناصر التى تشارك الآن بنشاط فى مقاومة الاحتلال، للخروج من الفوضى يجب أن يكون العمل العسكرى لقوات التحالف منقادا بالأهداف السياسية ومتطلبات المسرح العراقى نفسه وليس المعايير البعيدة عن ذلك ليس من الكافى القول بأن استخدام القوة أمر متروك للقادة العسكريين المحليين، فالأسلحة الثقيلة التي لا تتناسب مع المهمة المطروحة واللهجة الحادة والمواجهات الحالية فى كل من النجف والفلوجة ساعدت فى مجملها فى بناء المعارضة بدلا من عزلها، العراقيون الذين لقوا حتفهم على يد قوات التحالف يتراوح عددهم بين ١٠ و ١٥ ألف شخص لعله من المخزى ألا تكون لقوات التحالف نفسها إحصائية تقريبية فيما يبدو، كما يبدو أن عدد العراقيين المدنيين الذين قتلوا فى الفلوجة وحدها خلال شهر قد بلغ عدة مئات بمن فى ذلك رجال ونساء وأطفال، عبارات مثل «نحزن لفقدان كل روح إننا نحييهم ونحيى أسرهم

علـى شـجاعتهم وتضحيتهم»، التى تشـير فيما يبدو فقط إلى أولئـك الذين قتلوا فى صفوف التحالف، لا تسـاعد فى تهدئة الغضب والانفعالات التى أثارها قتل هؤلاء، نشارككم الرأى فى أن للحكومة البريطانية مصلحة فى العمل عن كثب مع الولايـات المتحدة فى هذه القضايا وفى ممارسـة نفـوذ حقيقى كحليف موال لها، نعتقد أن ثمة حاجة ملحة وعاجلة إلى مثل هذا النفوذ. أما إذا بات هذا الأمر غير مقبول أو غير مرحب به، فليس هناك مبرر لتأييد سياسات محكوم عليها بالفشل.

السير غرا هام بويس (سفير بريطانيا لدى مصر ١٩٩٩ – ٢٠٠١).

– السير تيرنس كلارك (سفير بريطانيا لدى العراق ١٩٨٥ – ١٩٨٩).

– فرانسيس كورنيش (سفير بريطانيا لدى إسرائيل ١٩٩٨ – ٢٠٠١).

– السير جيمس كريغ (سفير بريطانيا لدى السعودية ١٩٧٩ – ١٩٨٤).

– ايفوار لو كاس (سفير بريطانيا لدى سوريا ١٩٨٢ – ١٩٨٤).

– ريتشارد موير (سفير بريطانيا لدى الكويت ١٩٩٩ – ٢٠٠٢).

– السـير كـر يسـبين تيكيـل (سـفير بريطانيـا الدائم لـدى الأمـم المتحدة ١٩٨٧ – ١٩٩٠).

– السـير هارولد ووكر (سـفير بريطانيا لدى العراق ١٩٩٠ – ١٩٩١) بالإضافة إلى ٤٤ آخرين.

وأود أن أنهى هذا الموضوع بفكرة راودتنى كثيراً كحلم لكنى أومن بأن كل حقيقة وفكرة عظيمة كانت فى البداية حلماً.

الفكرة تتركز فى تكوين رابطة أو جمعية أو انتماء للدبلوماسيين والمسلمين العرب القدامى ويكون أعضاؤها السفراء العرب والمسلمين المحالين إلى المعاش «التقاعد» بعد أن أتموا رسالتهم ببلوغ سن التقاعد وأهم أهداف هذا التجمع للدبلوماسيين القدامى تبادل المؤلفات والمذكرات الشخصية للسفراء الذين سجلوا تجربتهم وآراءهم – وذلك خلال اجتماع دورى يعقد مرة كل سنة فى عواصم العالم العربى والإسلامى على أن يكون هناك مقر دائم لسكرتارية أو أمانة عامة وأعتقد وبكل جدية أن يكون المقر فى

الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية والتى هى بحق وبحكم التاريخ الوطن الأم للعروبة والإسـلام خاصةً وأن جدة هى المقر الدائم لمنظمة المؤتمر الإسلامى، ويمكن النداء والدعوة إلى هذه الفكرة تمهيداً لتنفيذها بالشـكل الرسمى أثناء انعقاد المؤتمر الإسـلامى فى اجتماعه القـادم، حيث يفتح باب الدعوة للسـفراء القدامى العرب والمسـلمين للاجتماع للتباحث وتقرير كيفية إعلان قيام هذا التجمع «رابطة السفراء القدامى العرب والمسـلمين» ويتم جمع الأعمال والمؤلفات المقدمة سنوياً وتنشر كنوع من سلسـلة «الموسوعة الدبلوماسية العربية والإسـلامية» وتشرح للعالم الدبلوماسى العالمى موقف الدبلوماسية العربية الإسلامية من القضايا العالمية.

٦ - إسرائيل ونهر النيل

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (سورة الأنبياء)

نعم الماء سر الوجود، سر الحياة، سر البقاء، بدونه تنعدم الحياة، ومن غيره لا يستطيع الإنسان أن يعيش، لذا يظل موضوع المياه وخاصة في منطقة العالم العربى وعلى رأسه مصر واحداً من الموضوعات التى تحمل آمالاً بالتعاون المستقبلى، كما تحمل احتمالات أكبر بالنزاع.

ولم يكذب هيرودت عندما قال: إن مصر هبة النيل، فلولاه ما وجدت الحضارة المصرية القديمة بكل عظمتها وسموها وتحديها للزمن، وهذا أمر رعاه المصريون منذ الوهلة الأولى، لذا جعلوا (حابى) النيل مصدر الحياة والنماء والخصوبة، قدروه لدرجة وصلت إلى مرحلة التقديس والتأليه، ولم لا وهو فى عيونهم وعيوننا سر البقاء والخلود؟. وربما يكون ذلك هو الذى دعا أمير الشعراء شوقى إلى أن يقول عن النيل:

من أى عهد فى القرى تتدفق ... وبأى كف فى المدائن تغدق
ومن السماء نزلت أم فجرت ... من عليا الجنان جداولاً تترقرق
تابوت موسى لا تزال جلاله ... تبدو عليك له وريًا تنشق
وجمال يوسف،لايزال لواؤه ... حوليك فى أفق الجلال يرنق
ودموع إخوته، رسائل توبة ... مسطورهن بشاطئيك منمق
وصلاة مريم فوق زرعك لم يزل ... يزكو لذكراها النبات ويسمق
وخطا المسيح عليك روحاً طاهراً ... بركات ربك والنعيم العندق
وودائع الفاروق[1] عندك دينه ... ولواؤه وبيانه والمنطق

(١) الفاروق هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى دخل الإسلام مصر فى عهده.

وفى وصف عروس النيل ذكر الشاعر أحمد شوقى فى القصيدة نفسها :

ألقت إليك بنفسها ونفيسها وأتتك شيقة حواها شيق

خلعت عليك حياءها وحياتها أأعز من هذين شيء ينفق

وقد كانت مصر ولا زالت حريصة على تعظيم علاقاتها بشركائها فى حوض النيل فعقدت اتفاقية مع السودان عام ١٩٥٩ قبل بدء العمل فى السد العالى ومضمونها اقتسام المياه التى سيحتجزها السد.

ثم بعد سنوات فكرت مصر فى أن تنشئ منظمة لدول حوض النيل تكون معنية بأموره، وكان أول اجتماع لها فى الخرطوم فى نوفمبر عام ١٩٨٣، وقد أطلق على هذه المنظمة اسم الإندوجو وتعنى بالإفريقية الإخاء (مصر – السودان – أوغندا – أثيوبيا – كينيا – تنزانيا).

جدير بالذكر أنه قد سبق كل ذلك اتفاقية عام ١٩٢٩ بين مصر ودول حوض النيل، والتى كانت بين مصر وأوغندا وكينيا وتنجانيقا (تنزانيا حالياً) وبريطانيا نائبة عن السودان.

ويهمنى كمؤلف للكتاب أن أنوه وأسجل بأهمية البحث الذى صدر عن معهد الدراسات الدبلوماسية بوزارة الخارجية – الدورة ٢٤ فى عام ١٩٩٢ – عن الأطماع الإسرائيلية فى المياه العربية مع التطبيق على نهر النيل ونقلاً عن هذا البحث أقول: إن النيل العظيم لم يسلم من المخططات الصهيونية منذ أن دعا هرتزل إلى إقامة وطن قومى لليهود، فمحاولات الصهيونية للحصول على مياه النيل قديمة قدم محاولات الاستيلاء على فلسطين، وهو الأمر الذى ظهر فيما تقدم به هيرتزل للحكومة البريطانية والحكومة المصرية عن طريق المعتمد البريطانى فى مصر اللورد كرومر (حيث كانت مصر تحت الاحتلال البريطانى ١٨٨٢– ١٩٥٤) بمشروعه الذى كان يهدف إلى تحويل مياه النيل إلى سيناء بهدف إنشاء مستعمرة يهودية فى شبه جزيرة سيناء، وقد أحيط المشروع بسرية تامة من المنظمة اليهودية والحكومة البريطانية واللورد كرومر، وقد قوبل المشروع بالموافقة من قبل لندن، كما أراد

هيرتـزل الحصول على تعاقد لمدة ٩٩ عاماً قابلة للتجديد بحق امتياز اليهود للقناة الموصلـة للمياه، بل والحظر على الحكومة المصرية التصرف فى بقية سـيناء، وقد كـون هيرتزل بعثة فنية تضم خبراء جيولوجيـين وزراعيين ومهندس رى يهوديا بغرض زيارة سيناء فى شهرى فبراير ومارس ١٩٠٣ لتدرس الموقف على الطبيعة.

وقـد قابل هيرتزل بطرس باشـا غالى رئيس نظارة الخارجيـة المصرية حينذاك من أجـل المشـروع، وقـد وافق بطرس غالى باشـا من حيث المبدأ ولكن سـأله عن مسار القناة.

لكن المعتمد البريطانى اللورد كرومر رفض أن يعطى هيرتزل ردًا على هذا المشروع إلا بعد أن يقدم وكيل نظارة الأشـغال المصرية آنذاك (السير/ جارستين) تقريرًا عن إمكانيـة المشـروع، لكن التقرير جاء مخيباً للآمـال الصهيونية، حيث أكد التقرير الأضرار السـلبية التى سـتقع على مصر وأراضيها بسبب هذا المشروع، مؤكدًا على الأنفاق المقترحة تحت قناة السويس ستثير مصاعب فنية ومشاكل ضخمة لأن تمرير ٥٠ مـترا مكعبـا فى الثانية من خلال النفق يتطلب علـى الأقل مد ثمانية أنابيب قطـر كل منها متران مما قـد يؤدى إلى تعطيل الملاحة فى القناة ونفهم من ذلك أن رفض اللورد كرومر للمشروع لم يكن بهدف الدفاع عن أراضى مصر ومياه نيلها وإنما الخوف على المصالح البريطانية الممثلة فى الملاحة فى قناة السـويس ولهذا السبب قامت بريطانيا باحتلال مصر بالكامل عام ١٨٨٢.

وقد تجددت محاولات تيودر هيرتزل على يد المهندس اليهودى إليشـع كيلى، والذى دعا إلى تحويل مياه النيل إلى صحراء النقب بدلاً من سيناء،وقد نشر المشروع فى صحيفة معاريف الإسـرائيلية فى ٢٧سـبتمبر ١٩٧٨، حيث اقترح كيلى لنقل الماء بواسـطة أنابيب تحت قناة السويس بجانب الإسماعيلية، وفى الجانب الآخر تصب المياه فى قناة مبطنة بالخرسـانة تقع فى الشـمال الغربى بالقرب من طريق العريش حتى خان يونس، وفى خان يونس يتشعب مجرى المياه إلى طريقين واحد لقطاع غزة وآخر نحو بئر سـبع، ولهذا تكون القناة من الإسماعيلية إلى خان يونس بطول ٢٥٠ كم.

وأكد كيلى أن حصة مصر من مياه النيل لن تضار إذا حصلت منها إسرائيل على ١٪، فهذا المقدار لا يعنى شيئاً لمصر، لكن الاقتراح لقى رفضاً من الحكومة المصرية والرأى العام المصرى.

وبعد اتفاقية (كامب ديفيد ١٩٧٩ ومعاهدة السلام مع إسرائيل) تقدمت إسرائيل إلى السادات بعدة مشاريع بهدف الحصول على ١ ٪ من حصة مصر من مياه النيل، والغريب أن السادات وافق على الاقتراح وأمر بدراسة مشروع يصل مياه النيل بالقدس (وليس سيناء أو النقب كما كان يحلم الإسرائيليون).

وقد أشارت مجلة أكتوبر العدد ٤٦ فى ٢٤/ ١٢/ ١٩٧٩ إلى أن الرئيس السادات أعلن يوم ٢٧ نوفمبر ١٩٧٩ أنه أعطى إشارة البدء فى حفر ترعة السلام بين فارسكو والتينة عند الكيلو ٢٥ طريق الإسماعيلية وبورسعيد لتتجه نحو قناة السويس لتروى نصف مليون فدان، وقد التفت الرئيس السادات إلى المختصين وطلب منهم عمل دراسة علمية كاملة لتوصيل مياه النيل إلى القدس لتكون فى متناول المؤمنين المترددين على المسجد الأقصى وقبة الصخرة وكنيسة القيامة وحائط المبكى وبعد حوالى عام نشرت الصحف فى (١٨ أغسطس ١٩٨٠) نص خطاب الرئيس السادات للملك الحسن – ملك المغرب – الذى أشار فيه أنه وانطلاقاً من هذا المفهوم فقد ذهبت إلى أبعد مدى مع رئيس الوزراء الإسرائيلى فى إقناعه بالتسليم بضرورة احترام حقوق العرب والمسلمين فى القدس وبوجوب وقف النشاط الاستيطانى فى الضفة الغربية وغزة والبدء بإزالة المستوطنات القائمة وكحافز للجانب الإسرائيلى عرضت عليه إمداد إسرائيل بجزء من مياه النيل لاستخدامها فى إعادة تسكين المستوطنين فى منطقة النقب بعد إجلائهم عن المستوطنات من الضفة الغربية وغزة وعلقت هذا الموضوع على شرط تعاون إسرائيل معنا فى حل مشكلتى القدس والمستوطنات.

وقال السادات بالحرف الواحد «نحن نقوم بالتسوية الشاملة للقضية الفلسطينية والصراع العربى الإسرائيلى سيجعل مياه النيل مساهمة من المسلمين تخليداً لمبادرة

السلام؟! باسم مصر وأزهرها العظيم تصبح مياه النيل هى آبار زمزم لكل المؤمنين بالأديان السماوية الثلاثة، ستكون مياه النيل دليلاً جديداً على أننا دعاة سلام وحياة وخير!؟

لكن الرأى العام المصرى فجر حملة قوية ضد اقتراحات السادات الداعية لاستخدام مياه النيل وسيلة تقارب وسلام مع إسرائيل، لاسيما فى الصحافة المصرية، وأثير اقتراح السادات فى مجلس الشعب، وقد أثاره إبراهيم شكرى رئيس حزب العمل، ورد عليه كل من رئيس الوزراء مصطفى خليل ووزير الرى عبد الهادى سماحه نافين وجود الفكرة من الأصل، وبعد وفاة الرئيس السادات أسرعت السلطات المصرية المختصة فأوصدت الباب فورًا أمام استمرار الحديث فى أى مشروع مماثل لنقل المياه خارج الحدود المصرية.

وغير خاف على الجميع ما تبذله إسرائيل من مؤامرات خفية داخل دول منابع نهر النيل وعلى رأسها أثيوبيا أكبر المنابع، فلقد أوعزت إسرائيل لأثيوبيا بأن تبنى خزانا لها على نهر فينشا من خلال صندوق النقد الدولى بدعم صهيونى، لكن البنك الدولى رفض المشروع لارتفاع تكلفته. وهبت أثيوبيا وإسرائيل إلى البنك الإسرائيلى للتنمية الذى علق موافقته على موافقة حكومتى مصر والسودان.

وغير خافٍ أيضاً وجود ٨٥ ألف أثيوبى من الحبشة يقيمون داخل إسرائيل، واتخاذ إسرائيل عام٢٠٠٣ باستقدام باقى اليهود الأثيوبيين الإسرائيليين ولاسيما الفئة المعروفة (بالفلاشا موريا) (الحبشة) وهم أثيوبيون يهود تحولوا إلى المسيحية فى وقت سابق خوفًا من الاضطهاد، فضلاً عن سعى إسرائيل ونجاحها فى فصل الكنيسة المسيحية الأثيوبية عن الكنيسة المصرية، كما نقلت مسئولية الإشراف على دير سلطان التابع للكنيسة المصرية فى القدس إلى الحبشة وإعلان سيلفان شالوم وزير الخارجية الإسرائيلية فى أديس أبابا فى ٨ يناير ٢٠٠٤ أن إسرائيل وأثيوبيا سترتقيان بموافقتهما المشتركة داخل الساحة الدولية لحماية مصالحهما المشتركة، وهو الأمر الذى اتضح فى قضية الجدار العازل، حيث كانت أثيوبيا

الدولة الإفريقية الوحيدة من بين ٨ دول التى صوتت ضد قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتحويل قضية الجدار العازل إلى محكمة العدل الدولية للبت فى مشروعية إقامته وذلك مقابل ٩٠ دولة صوتت لصالح القرار فى ٨ ديسمبر ٢٠٠٣ ولا يقتصر الأثر الصهيونى على أثيوبيا ولكن ما يحدث فى جنوب السودان يؤكد وجود أصابع صهيونية تسعى لفصل الجنوب، فضلاً عن دعم الحركات الانفصالية فى إرتريا وكل هذه الدول فى جنوب شرق إفريقيا تقابل اليمن والسعودية وتتحكم فى مضيق باب المندب.

واستمرارًا لسياسة الأطماع الإسرائيلية فى المياه العربية اتجهت إسرائيل بتحويل واستخدام مياه نهر الأردن وحاولت فعلاً الاستيلاء على مياه نهر الأردن ونهر الحصبانى ونهر بانياس وتجفيف بحيرة الحولة لإقامة مستوطنات إسرائيلية، فضلاً عن تحويل نهر الدان ونهر اليرموك وكلها أنهار عربية حاولت إسرائيل ولا زالت تحاول تحويل واستغلال هذه الأنهار لمصالحها الشخصية.

واعتقد أن خطورة هذه الأطماع الإسرائيلية للمياه العربية تستوجب علي الأجيال العربية القادمة مسئولية إحباط المحاولات الصهيونية الطامعة فى المياه العربية، وعلى المصريين على وجه الخصوص إحباط محاولات إسرائيل للنيل من النيل شريان الحياة فى مصر.

وفى رأيى أن هذا الموضوع يجسد إلى أى حد خطورة إسرائيل التى تهدد مصر من الشرق عبر شبه جزيرة سيناء، وهو الطريق الذى اتخذه من قبل غزاة مصر عن طريق الشرق فى مختلف العصور.

٧ - وداعًا عرفات

تعـود ذاكرتـى إلى أيام أن كنـت عضواً فى السـفارة المصرية لـدى جمهورية الصين الشـعبية، حيث اعترفت الصين بمنظمة التحرير الفلسـطينية التى أنشئت عام ١٩٦٤ كما استقبلت الصين الشقيرى أول رئيس للمنظمة فى مظاهرة سياسية فى العاصمة بكين، حيث أعلن (شوا ين لآى) رئيس وزراء الصين فى كلمة رسمية أن ٧٥٠ مليون صينى (تعداد الصين آنذاك) يقفون وراء منظمة التحرير فلسطين وعودة الفلسـطينيين إلى أرضهم وديارهم المغتصبـة، كان ذلك فى حفل رسمى دعت إليه الحكومة الصينية جميع الدبلوماسـيين الذين يمثلون دولهم لدى الصين، وكان من بينهم أعضاء السفارات العربية وهى «مصر – سوريا – الجزائر – العراق – المملكة المغربية»، وكان لهذا الحدث السياسـى آثاره الإيجابية على السـاحة الدولية فى التأييد الدولى للفلسطينيين خاصةً وأن موعد هذا الاستقبال السياسى كان عقب قيام الصـين بامتلاك الطاقة النووية وتفجـير القنبلة الذرية عام ١٩٦٤ وأصبحت عضوًا فـى النـادى الذرى الذى اقتصر أعضاؤه آنذاك على (أمريكا – الاتحاد السـوفيتى – إنجلترا – فرنسا)، وأصبح للصين قدر عالى مميز منذ ذلك الحين.

لقد تركز هذا اللقاء فى وجدانى حتى عام ١٩٨٤ أى بعد مرور عشرين عاماً من لقاء الشـقيرى أول رئيس للمنظمة، حيث كنت سـفيرًا لدى دولة غانا التى قامت حكومتها بالاعتراف بمنظمة التحرير الفلسـطينية واسـتقبلت ياسر عرفات رئيس المنظمة استقبالاً رسمياً تمثل فى مظاهرة سياسية لا تعلن فقط تأييد ودعم دولة غانا للمنظمة وإنما تبرز أيضاً تأييد دول إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى لكفاح الشـعب الفلسطينى لاسترداد أرضة وتحريرها من الاحتلال الإسرائيلى.

وما بين عامى ١٩٦٤ (لقاء الشـقيرى) وعام (١٩٨٤) لقاء عرفات كنت حريصاً على متابعة نشاط ذلك الشاب الفلسطينى اليافع محمد عبد الرءوف القدوة الحسينى وشـهرته عرفات، ذلك الشـاب الذى ولد فى حى السكاكينى بالقاهرة عام ١٩٢٩ والمتخرج من مدرسـة مصـر الثانوية الخاصة ثم من كلية الهندسـة جامعة القاهرة

والمنشئ لرابطة الخريجين الفلسطينيين والتى حظيت باهتمام كبير آنذاك، ثم المشترك فى المقاومة الشعبية للعدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦، والمؤسس لحركة فتح عام ١٩٦٢.

كنت معجباً بذلك المناضل الذى له الفضل فى تحويل الكفاح الفلسطينى وتغيير نظرة كل دول العالم إلى كفاح الشعب الفلسطينى الذى كان فى نظرهم مجرد أناس لاجئين إرهابيين، لقد تولى عرفات رئاسة اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية التى اعترفت بها القمة العربية فى الرباط ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الفلسطينى فى أكتوبر عام ١٩٧٤.

وفى ١٣ نوفمبر عام ١٩٧٤ ألقى ياسر عرفات خطابه التاريخى الشهير أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة الدورة ٢٩ أكد فيه أن القضية الفلسطينية قضية شعب يناضل مثل الشعوب التى ناضلت وتناضل ضد الاحتلال والاضطهاد، وقال جملته الشهيرة: [**جئتكم بغصن الزيتون مع بندقية الثائر، فلا تسقطوا الغصن الأخضر من يدى، الحرب تندلع من فلسطين والسلم يبدأ من فلسطين**]، أعلن ذلك فى مقر الأمم المتحدة بجنيف المقر الأوربى لمنظمة الأمم المتحدة بعد أن رفضت أمريكا منحه تأشيرة الدخول لنيويورك!!

ومن المعروف أن الأمم المتحدة قد قبلت الدولة الفلسطينية بصفتها عضواً مراقباً ثم تغير وضع فلسطين فى الأمم المتحدة من عضو مراقب إلى عضو لا يصوت فى ٧/٨ /١٩٩٨ ويعنى هذا العضوية الكاملة فى منظمة الأمم المتحدة ولكن ليس لها الحق فى التصويت على القرارات سواءً بالقبول أم الرفض أم الامتناع.

كانت هذه الكلمات جديرة بأن تزيد إعجابى بهذا الرجل الذى يقيم كفاحه من أجل شعبه على محورين أساسيين لاغنى لأحدهما عن **الآخر الأول**: هو الكفاح المسلح على الأرض، **والثانى** هو الحوار على مائدة المفاوضات كما فعلت الجزائر كما سبق ذكره، ظل هذا الإعجاب حتى جاءت لحظة مقابلتى مع عرفات فى غانا ١٩٨٤.

ووجدتها فرصة ربما لا تتكرر كى أدير حواراً طويلاً مع ذلك الزعيم، ربما يكون أخطر ما جاء فيه من وجهة نظرى هو ذلك السؤال الذى وجهته مباشرة

لعرفات عن مدى إمكانية منح جوازات سفر دولة فلسطين لجميع الفلسطينيين – ليؤكد أنهم رعاياها – سواء فى الأراضى المحتلة أم فى خارج فلسطين، حيث تستضيفهم بعض الدول العربية وتمنحهم وثيقة سفر اللاجئين وعلى رأس هذه الدول مصر أو تستضيفهم دول عربية وأجنبية ويحصلون على جنسية جوازات سفر هذه الدول مثل الأردن فتبسم ساخراً وقال سأزيد آلام ومتاعب ومصائب ومشاكل الفلسطينيين إذا ما حملوا جوازات سفر فلسطينية فيجدون كل الصعوبات من قبل دول العالم ولا سيما الدول العربية وقال لى: أنت كسفير مصر تعلم تماماً كيف تعامل الحكومة المصرية الفلسطينيين الذين يحملون وثائق سفر لاجئين صادرة من مصر وحكومة مصر فما بالك يا سيادة السفير إذا حملوا جواز سفر فلسطينى؟! وإزاء هذه الابتسامة والكلمات الحزينة والحاسمة لم أجرؤ على إضافة أى استفسار آخر فى هذه المقابلة مع ياسر عرفات والتى كانت بالنسبة لى الأولى والأخيرة تابعت بعد هذا اللقاء باهتمام نشاط وكفاح ياسر عرفات، وقد كانت سعادتى بالغة عندما أعلن فى الجزائر فى ١٥ نوفمبر ١٩٨٨ دولة فلسطين فى المنفى استنادا إلى قرار التقسيم ١٨١ حيث عقد المجلس الوطنى الفلسطينى، كما تابعت بشغف رحلته الطويلة فى مفاوضاته مع إسرائيل منذ عام ١٩٩٣ حينما وقع عرفات مع اسحق رابين وفى وجود الرئيس الأمريكى كلينتون اتفاق أوسلو الذى كان له نتائج مهمة على مسيرة القضية الفلسطينية لعل أهمها: اعتراف إسرائيل بمنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعى لفلسطين واعتراف المنظمة بشرعية وجود إسرائيل وفى اعتقادى أن اعتراف عرفات بإسرائيل نتيجة سياسة الأمر الواقع وما يلاقيه الشعب الفلسطينى من تعنت ولفرض شرعية وجود دولة فلسطين بموجب قرار التقسيم نفسه الذى تحاول إسرائيل إلغاءه لغيرها وتأكيده لنفسها، كما وقع عرفات فى ١٩٩٤ مع رئيس الوزراء الإسرائيلى اسحق رابين الاتفاق حول الحكم الذاتى الفلسطينى وتم منح عرفات فى العام ذاته مع شيمون بيريز وزير خارجية إسرائيل جائزة نوبل للسلام وعاد عرفات بعد ٣٣ سنة للأرض الفلسطينية ١٩٩٤ لأول مرة وانتخب رئيساً للسلطة الفلسطينية وقد قاد عرفات النضال الفلسطينى من أجل حقوق الشعب الفلسطينى من داخل فلسطين، مؤكداً فى كل مفاوضاته على المحافظة على الحقوق

الفلسطينية وحقوق عودة اللاجئين وحق العرب والمسلمين والفلسطينيين فى القدس (الانتفاضة)، وبدأ عرفات يجوب العالم كرئيس للمنظمة ويستقبله رؤساء الدول فى احتفالات رسمية من أجل دعم الكفاح الفلسطينى حتى قال البعض: إن عرفات يقيم فى الطائرة؛ كما استطاع بنشاطه الدبلوماسى من كافة وسائل الإعلام العالمية لنفى ما كان يتهم به من أنه إرهابى وأصبح يعامل كمعاملة رؤساء الدول وأشهد أن عرفات كان له كثير من الكلمات والمواقف التى تدل على جرأته؛ ألم يعلن أمام الوفود العربية والأجنبية المشاركة بمناسبة الاحتفال بعيد الميلاد المجيد عام ١٩٩٤ فى مدينة بيت لحم مولد المسيح وموقع كنيسة المهد حيث كان عرفات مشاركاً فى الاحتفال لأول مرة بصفته رئيساً للسلطة الفلسطينية، أقول ألم يعلن أمام الجميع (أن المسيح فلسطينى).

كما أعلن أكثر من مرة أن الفلسطينيين هم القوم الجبارون الذين كانوا فى فلسطين عندما خاف اليهود زمن موسى أن يدخلوها مع موسى لأن بها قوماً جبارين وفى هذا تقول الآية ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (سورة المائدة).

هذه المواقف أدت إلى أن يحاصر الجيش الإسرائيلى عرفات فى مقره فى رام الله فى ديسمبر ٢٠٠١ لإدراك إسرائيل أن عرفات كان وسيظل نقطة الشرارة التى تلهب الحماس الفلسطينى من أجل الدفاع عن الوطن فى عقل واتزان كانت دائماً ابتسامته تسبق فكره وقوله حتى لما طلب شارون أن يشارك فى القمة العربية فقال البعض إن شارون سيشارك فى هذه القمة (قمة بيروت) تحت مسمى جديد هو اسم (شر وفات) لقد ظل الحصار الإسرائيلى لعرفات فى رام الله يمثل تهديدا بمنعه من الخروج من فلسطين لأن إسرائيل أكدت أن خروج عرفات هذه المرة معناه ألاَّ عودة وهو الأمر الذى منعه من المشاركة فى القمم العربية من ٢٠٠١ حتى ٢٠٠٤ وفى ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٤ تدهورت صحة ياسر عرفات بصورة مقلقة ومفاجئة بعد أن قضى فى الحصار ثلاثين شهراً وأعلن الأطباء ضرورة نقله للعلاج بالخارج بعد أن زاره أطباء

مصريون وتونسيون وفى مستشفى بيرسى العسكرى غرب باريس تدهورت حالته بشكل غير مفهوم جعل الكثير من المعلقين يتحدثون عن احتمالات تعرضه للسم من قبل الإسرائيليين أثناء تواجده فى رام الله حتى وافته المنية فى الحادى عشر من نوفمبر ٢٠٠٤ وتحققت للأسف جملة إسرائيل بأن خروج عرفات معناه ألاّ عودة وهو ما يؤكد وجود الأيدى الإسرائيلية الخفية وراء موت الزعيم لكن عرفات كما كان بطلا فى حياته كان بطلاً فى مماته حيث أقيمت له ثلاث جنازات اثنتان رسميتان الأولى فى باريس بوداع حكومى رسمى ممثل فى الرئيس جاك شيراك حيث تم عزف السلامين الفلسطينى والفرنسى ورفع العلمين الفلسطينى والفرنسى وهو بمثابة اعتراف دولى فرنسى وهى الدولة الضاربة بجذورها فى أعماق التاريخ الأوروبى والعالمى.

أما الجنازة الرسمية الثانية فكانت فى القاهرة حيث شاءت إرادة الله أن يخرج عرفات إلى مثواه الأخير من البلد نفسها التى كانت مسقط رأسه والتى كان عشقها ساكنا فى قلبه وهى مصر وبالتحديد القاهرة حيث حضر العديد من الزعماء العرب يتقدمهم الرئيس محمد حسنى مبارك وأيضا رفع العلم الفلسطينى وعزف السلام الوطنى الفلسطينى، أما الجنازة الثالثة فكانت جنازة شعبية مهيبة فى رام الله حيث حمله الفلسطينيون على أعناقهم إلى مثواه الأخير وكأنهم يعلنون للعالم أن الفلسطينيين بجميع فصائلهم متفقون على شخص الرئيس عرفات وأيضا يردون على تلك الدعاوى والشائعات الكاذبة التى أطلقتها إسرائيل والصهيونية حول الثورة والمال والمليارات الفلسطينية التي كانت فى الحساب الشخصى لعرفات.

وأقول فى النهاية: إنه إذا كان جثمان عرفات قد دفن فى رام الله فهو دفن مؤقت لحين دفن جثمان الرئيس الراحل والزعيم المناضل ياسر عرفات فى القدس العربية عاصمة فلسطين إن شاء الله.

وكتابى هذا لن يتناول الأوضاع الفلسطينية فيما بعد الزعيم عرفات.

٨ - هنود حمر هذا الزمان

إنــه من المتوقع أن تطفو على مائدة المفاوضات العربية الإســرائيلية إذا ما تمت الكثير من الإسرائيليات التى شغلت وأغرقت العلاقات الدولية فى بحر من الحيرة والبلبلة وتعود لذاكرة الشعوب إلى ماض سحيق تحاول إسرائيل – بعد قيامها – أن تبعثه حيًا فى أوائل القرن الواحد والعشرين بعد ميلاد السيد المسيح.

أوحــت الصهيونية العالمية إلى العالم الغربى المســيحى بأن كل مســيحى أصله يهودى فالديانة اليهودية بناءً على ذلك هى الأصل، ولها الحق فى أرض المســيح أى: فلسطين، وإنه لابد من بناء هيكل سليمان، وقيام مملكة ديفيد «داود»، ووجود دولة إسرائيل هو الحجر الأساسى لهذه المملكة، ثم أوحت إلى المسيحيين بالإيمان بأن عودة المســيح إلى الأرض كما يعتقدون وإيجاد مملكة الرب قد قرب حدوثه بعد أن تحقق وجود دولة إسرائيل على أرض فلسطين.

يتحدث الإســرائيليون عن الضفة الغربية، بأنها جزء من أرض الميعاد المقدسة، ويطلقون أسماء توراتية: يهودا وســامراء، ويرسمون خرائط سامراء لدولتهم الكبرى الموعــودة، حدودهــا من الفرات إلى النيل، وخدعوا العالم كله بأن فلســطين أرض بلا شعب وأن اليهود شعب بلا أرض، وأن فلسطين كانت أرضًا قاحلة، ولم يعمرها ويزرعها سوى يهود إسرائيل، ويتمسك المفاوض الإسرائيلى بأن القدس هى أورشليم عاصمة اليهود، وستظل لهم عاصمة أبدية.

يطلقــون على النجمة الســداســية نجمة داود، واتخذوها شــعارًا لهم، ووضعوها على علم دولتهم، وبذلك أصبح هذا الرســم الهندســى الــذى يوجد على كثير من المبانى والآثار المســيحية والإســلامية القديمة أصبح يدل على أن اليهود هم الذين بنوا وشيدوا هذه المبانى والآثار التاريخية ذات الحضارة التى يحاولون أن ينسبوها لأنفسهم ويجد القارئ العزيز تفاصيل ذلك فى ملف نجمة داود بين الصليب الأحمر والهلال الأحمر.

وإسـرائيل منـذ وجودها تنـادى بأنها دولة بلا حدود بمعنـى: أنه أينما وجد يهـودى فـى أى بقعة فى العالم فهى أرض إسـرائيلية، وزادوا الأمـر تعقيدًا بأن قالـوا: إن اليهودى الموجود ضمن رعايا أية دولة أخرى، ولم يهاجر إلى إسـرائيل عليـه واجب الولاء الأول للدولة اليهودية إسـرائيل قبـل الولاء للدولة التى يعيش فيها بصفته إسرائيليًا يحمل جنسية البلد الذى يعيش فيه، كل هذه الإسرائيليات تتناقلهـا أجهزة الإعلام العالمية الصهيونية فـى كافة أرجاء المعمورة بطريقة تخدم مصالح الصهيونية العالمية وعلى العرب أن يجابهوا هذه الحملة الإعلانية.

وقـد اسـتندت الصهيونية فى دعواها إلى أن فلسـطين أرض الميعاد التى وهبها الرب لبنى إسرائيل أى: لأولاد يعقوب – الشعب المختار – فهى أرض ملك ليهود العالم المعاصر وبذلك يكون لهم الحق فى أن تكون لهم دولة باسـم إسـرائيل على الأرض الموعودة فلسـطين وعلى ذلك فإذا كانت الدولة التوراتية ستضع على مائدة المفاوضات: التوراة والتلمود كسـند تاريخـى يعطيهم الحق فى الأرض فهل لى أن أتساءل: هل سيضع الفلسطينيون والعرب القرآن الكريم والإنجيل؟

ويرتبط بتلك الأكاذيب الصهيونية ما تدعيه الصهيونية العالمية من أن فلسطين كما يقولون كانت أرضًا بلا شعب، جرداء لا زراعة فيها ولا صناعة ولا مدنية ولا تاريخ حتى رجع إليها أصحابها الحقيقيون الذين لهم سند تاريخى فى هذه الأرض وهم اليهـود, كما تدعى الصهيونية العالمية أن الاسـم الحقيقى للأرض الفلسـطينية هو إسرائيل ويهودا وسامراء وأن العبرانيين وبنو إسرائيل هم أجداد رعايا دولة إسرائيل أى الإسرائيليين، كما تدعى الصهيونية أن الفلسطينيين ليسوا هم أصحاب الأرض فهم ينحدرون من قبائل فينيقية، وأن القدس هى أرض معبد سـليمان الذى هدمه الغزاة ولابد من إعادة بنائه لتكون القدس عاصمة إسـرائيل ويعاد فيها بناء الهيكل الثالـث، كمـا تروج الصهيونية العالمية أن الفلسـطينيين هم جماعة من الإرهابيين وليسوا من المحاربين ومشكلتهم مشكلة لاجئين.

وبالنسـبة لمنظمة التحرير الفلسـطينية فقد فرضت الدوائر الصهيونية على كافة وسـائل الإعلام اسـتخدام تعبير (P L O) حتى لا تذكر فلسطين فى سياق الحديث بهدف محو اسم فلسطين من التردد فى وسائل الإعلام فى العالم.

وأخـيرًا وليس آخرًا تؤكد الصهيونية العالمية أن الفلسـطينيين كالهنود الحمر، قبائل بلا حضارة أو تاريخ يجب القضاء عليها وطردها من أرض الميعاد إسـرائيل، أرض شعب الله المختار.

وأعتقد أن هذه المقارنة بين الفلسـطينيين والهنود الحمر ستسـيطر على الفكر الإسـرائيلى الذى مارسـه المهاجرون من أوروبا، وكان من بينهم الكثير من اليهود – الذين هاجروا إلى القارة الجديدة التى اكتشـفت منذ عدة قرون فيما وراء المحيط الأطلسـى، ولكننا نعلم، وقرأنا عما فعله المسـتوطنون البيـض، بمن فيهم اليهود بالسـكان الأصليين لهذه القارة «أمريكا» وما قاموا بـه لإبادتهم, أعنى بهم الهنود الحمر الذين شاءت الإرادة الإلهية أن تبقى سلالة منهم لتشهد حتى يومنا الحاضر على أنه كان لأمريكا أهلها، وسكانها الأصليين من الهنود الحمر الملونين، وأعتقد دون الحاجة إلى إثبات أن هذه العقيدة – وأقصد بها إبادة شعب – ستكون مسيطرة على عقل وتصرفات الإسـرائيليين, ولابـد وأن تجابه هذه العقيدة بإيمان أقوى من العرب بأن الفلسطينيين ليسوا ولن يكونوا هنودًا حمرًا.

ألم تصبح فلسطين – إسرائيل، والخليل – حبرون – وعسقلان أشكول والقدس أورشـليم؟. ألم يحلم كريستوفر كولبوس مكتشف أمريكا بقيادة حملة صليبية يحرر بها قبر المسيح ويعيد بها الأرض المقدسة إلى أحضان الكنيسة المقدسة؟.

كل مـا أخشـاه أن يتحـول الفلسـطينيون إلى هنود حمر هذا الزمـان إذا ما لم ينتبه العرب والمسـلمون فى كل أنحاء العالم أن ذلك يعنى إذا ما حدث أن يصبح الفلسـطينيون هنودا حمرا أن يمتد هذا التحول تدريجيًا لكل عرب ومسـلمى العالم فليس الفلسطينيون وحدهم هم المستهدفين ولكن هم بداية مرحلة تؤدى بكل العرب والمسلمين أيضًا إلى أن يكونوا الهنود الحمر لهذا الزمان.

٩ - القرآن الكريم ولغتنا الجميلة حول العالم

لا يقتصر دور الصهيونية العالمية على الاستيطان فى الأراضى العربية فى فلسطين والجولان وجنوب لبنان فحسب، بل تسعى إلى إيجاد حقيقة، محو خاصية هذه المنطقة من صفتها وكونها العالم العربى.

ومن المعلوم أن اللغة العربية لم تستخدم كإحدى اللغات الرسمية فى الأمم المتحدة ومنظماتها إلا بعد انتصار ١٩٧٣، حينما نجح العرب بكفاحهم وتوحدهم وتضامنهم أن يفرضوا احترام العالم وتقديره للعرب وللغة العربية والتى تحتل الترتيب السادس من بين ١٦٠ لغة من اللغات الأم وفقًا لأحدث دراسة أجرتها منظمة اليونسكو بصفة عامة، حيث تأتى العربية فى المرتبة السادسة بعد الصينية والإنجليزية والفرنسية والأسبانية والروسية على الترتيب والمعترف بها والمستخدمة فى المنظمة الدولية للأمم المتحدة وأجهزتها ومطبوعاتها.

أقول كل هذا لأوضح أن يد العنصرية الصهيونية تمتد لتحارب اللغة العربية لغة القرآن.. وذلك بهدف.. إلغاء استخدامها كلغة رسمية فى المنظمات الدولية على مختلف كياناتها وتخصصاتها وتستغل فى هذا الوضع ما تنادى به أمريكا من ضرورة تخفيض ميزانية الأمم المتحدة فأمريكا المسئولة عن خمس ميزانية الأمم المتحدة فهى بحجة القيام بإصلاحات إدارية ومالية لهذه المنظمة وفروعها ومن هنا تجد الصهيونية العالمية فرصة للمطالبة بتقليص اللغات الرسمية المستخدمة بحجة تحقيق تخفيضات مالية تتحقق بالاستغناء عن أعداد من المترجمين وتقليل التكاليف المترتبة على تحرير الوثائق بعدة لغات ومن هذا المدخل وتحت ستار الإصلاحات المالية يكون من السهل على الصهيونية العالمية المطالبة بإلغاء اللغة العربية على مستوى المنظمة الدولية وفروعها بحجة حداثة استخدام اللغة العربية وبزعم عدم أهميتها وأخشى أن تجد هذه المطالبة استجابة لضعف الأصوات التى

يمكـن أن تدافـع عن ضرورة الإبقـاء على اللغة العربية خاصـةً فى هذه الظروف السياسـية العالميـة وتأثير القوة العظمـى الوحيدة حاليًا أمريكا ومسـاندتها لكل طلبات الصهيونية العالمية – ويكون تركيز هذه الحملة الصهيونية مستندًا إلى نظرية الاقتصار على اللغات الرسمية المستخدمة منذ إنشاء المنظمة الدولية وهى كما ذكرنا الإنجليزية – الفرنسـية – الروسية – الأسبانية – والصينية، وأعتقد أنه من المهم علـى الدول العربية أن تبذل جهـودًا قوية لإبقاء اللغة العربيـة ضمن لغات الأمم المتحدة حتى لو التزمت هى بالتسيد والمساهمة فى النفقات اللازمة.

ومما يؤيد وقوف أمريكا وراء إسـرائيل فى هذا الموضوع أنها هى نفسـها تحاول التدخـل فى المناهج التعليمية للدول العربية المختلفـة ومنها مناهج التعليم للأزهر الشريف بمعاهده وكلياته.

ولا يقتصر الأمر على ذلك، بل تسعى الصهيونية العالمية لترديد نغمة فى العالم كلـه هـذه النغمة تردد أن اللغة العربية تفرض نفسـها فى شـكل غزو ثقافى على شعوب دول العالم الإسلامى غير العربى، وكذلك على أى إنسان غير عربى يرغب فى دخول الإسـلام، مستشهدين على ذلك بأن الصلاة لا تصح إلا بالتلاوة العربية للقـرآن الكريم، وتضيـف الصهيونية العالمية أن العرب يقومون عن طريق هذا المبدأ بغزو واسـتعمار ثقافى لشـعوب العالم ليتعلموا اللغة العربية ويتحدثوا بها ويفكروا بواسـطتها وبذلك يتحقق هدف زيادة عدد المتحدثين باللغة العربية وأن هذا يحقق مبـدأ «إن كل مـن يتكلم اللغة العربية هو عربى وهـذا يضيف عنصراً هاماً إلى ثقل العرب فى ميزان القوى العالمى».

ومن الخطورة بمكان أن هذه النغمة الصهيونية تركز فى دعواها أن تمسك العرب بعروبة القرآن هو محور الغزو الثقافى العربى.

وأرى واجبـاً علـى أن أدعو زملائى فـى الوطن العربى العاملين بالدبلوماسـية والمشـتغلين بالسياسـة الدولية الاهتمام بهذه النغمـة الصهيونية والرد عليها حتى لا يتأثر بها المسـلمون من غير الناطقين بالضاد وحتى لا يبعد هؤلاء المسـلمون عن

القرآن الكريم كما أنزله الله بلسانٍ عربى مبين وحتى لا يكون هناك – أبداً – قرآن بلسان أعجمى، والقرآن لا يكون قرآنًا إلا كما أنزله الله باللغة العربية وأى ترجمة لمعانى القرآن بأى لغة أجنبية ليست قرآنًا، ولكن هناك تفسيرات وشرحاً باللغات الأعجميـة لمعانـى آيات القرآن الكريم وهنا يلزم على كافة دور النشـر الإسـلامية التى تطبع معانى القرآن الكريم بلغة أعجمية أن توضح للقارئ بوضوح تام أن هذه الترجمة ليست قرآناً.

ويجدر الإشـارة هنا إلى أن بعض الدول الإسلامية غير العربية تقوم بطبع القرآن الكريـم كما أنزلـه الله باللغة العربية وبجوار النص القرآنى تفسـير المعانى بلغتها المحلية مما يعنى ويؤكد أن تفسير المعانى ليس قرآناً.

وأعتقـد أن هذه أفضل طريقة فى تأكيد أن القرآن هو بلسـان عربى، ولعل الـدول العربيـة الغنية يمكنها أن تفـرض هذه الطريقة علـى نفقتها الخاصة لتأكيدها.

وبصفتى مسلماً كنت فى هذا المجال دائماً اردد أن اختلاف لغات الإنسان هو أية من آيات «الله» فى خلقه كما جاء بالآية الكريمة: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (سورة الروم).

ولا يسـتطيع أحد أن يفضل بين آية مـن الآيات وأخرى بمعنى لا يفضل لغة على لغة فكل لغة هى من آيات الله فالمسلم يؤمن بأن كل اللغات هى معجزة من الله، ولا فضل لإحداهما على الأخرى وفى هذا رد على من يدّعون أن المسـلمين العرب يفرضون اللغة العربية على غيرهم من المسـلمين ولكن الحقيقة أن القرآن معجزة من الله ورسـالة بلغة عربية تعتبر من المعجزات ولا يمكن أن يكون القرآن بأيـة لغـة أخرى مختلفة عن لغتهـم الأم وتعلم اللغات الأجنبيـة غير اللغة الأم يزيد من الأفق الثقافي ويسـاعد على زيادة التعارف والتفاهم بين الجنس البشـرى ويحضرني بهذه المناسبة مثل تركى يقول: «بير لسان بير إنسان» أى إن كل لغة

يتحدثها الإنسان هى إضافة لشخصيته وإنسانيته فمن يتحدث التركية والعربية والإنجليزية مثلاً هو ثلاثة أشخاص وليس شخصاً واحداً – فكل لغة تساوى إنساناً وهذا المثل الشعبى التركى مكون – كما ترى – من ثلاثة كلمات: كلمة تركية هى بير «أى واحد» وكلمتين عربيتين هما لسان وإنسان ولسان هنا يقصد بها اللغة.

إن على العرب واجب الحفاظ وحماية ونشر لغة القرآن الكريم مهما كلفهم ذلك من أموال وجهد، ومهما كانت قوة ضراوة هذه النغمة الصهيونية ولابد من العمل على وقف نجاح هذه النغمة التى استطاعت فى الماضى – مع كل أسف – أن ترغم شعوباً كثيرة من المسلمين على نبذ اللغة العربية كلغة وكذلك ترغمهم على عدم استخدام الأبجدية العربية لكتابة لغتهم الوطنية ونجح الأمريكيون والأوربيون فى أن يفرضوا الحروف الأبجدية اللاتينية لتحل محل الأبجدية العربية وفى هذا ما فيه من قطع الصلة بين العالم العربى والعالم الإسلامى خاصة فى تلاوة القرآن الكريم وأبرز مثال على ذلك ما حدث للغة التركية التى تحولت كتابتها إلى حروف اللاتينية بدلاً من الأبجدية العربية بعد القضاء على الإمبراطورية الإسلامية العثمانية واضطر رئيس تركيا أتاتورك يهودى الديانة أن يوجد أبجدية جديدة مشتركة ما بين الأبجدية العربية والأبجدية اللاتينية سميت بأبجدية تلاوة القرآن الذى يطبع الآن فى تركيا بالأبجدية اللاتينية المعدلة بإمكانية نطق القرآن نطقًا عربيًا صحيحًا ولتوضيح ذلك فإن الأبجدية اللاتينية ليس فيها حروف تنطق بالحروف العربية مثل الـح والـع والـغ والفرق بين الـك و الـق .....إلخ، وهذا الموضوع يحتاج إلى دارس متخصص، ولكنى أعلم مدى مشقة هذا الموضوع عندما كنت أعمل نائباً لقنصل الجمهورية العربية المتحدة (بعد وحدة مصر وسوريا) فى ميناء مرسين جنوب تركيا، وفيما يلى شرح لهذه الأبجدية اللاتينية التى تنطق حروفاً عربية.

KUR'ÂNI KERİYM ELİFBASI VE TECVİD

Arabî harfleri

VE KARŞILIĞI TÜRK HARFLERİ

Harfler, aşağıdaki lavhada yazılıdır. Kur'ân elifbası sırasıyladır. Yukardan aşağıya okunur:

'	أ	ḫ	خ	ş	ش	ğ	غ	n	ن
b	ب	d	د	s̄	ص	f	ف	v	و
t	ت	z̄	ذ	d̄	ض	k	ق	h	ه
ṡ	ث	r	ر	t̄	ط	k̈	ك	y	ى
c	ج	z	ز	z̄	ظ	l	ل		
ḥ	ح	s	س	'	ع	m	م		

Yukarda görüldüğü üzere, Kur'ân elifbasında 28 harf vardır. Bunlardan; 16 tanesi Türk alfabesindeki harflerin aynıdır.

1 — Bu 16 harf, aynen Türk harfleri gibi okunur. Sunlardır: b, c, d, f, ğ, h, l, m, n, r, s, ş, t, v, y, z.

2 — Kalan 12 harf, Türk alfabesinde yoktur. Bu 12 harfin nasıl okunduğu, arka sahifede yazılıdır.

Harfler ve adları

Kur'ân elifbâsındaki harflerin adları aşağıdaki lavhada yazılıdır. Yukardan aşağıya okunacaktır:

'	أ	hemze elif	d	د	dal	đ	ض	dad	k	ك	kef
b	ب	be	z	ذ	zel	t	ط	tı	l	ل	lâm
t	ت	te	r	ر	rı	ż	ظ	zı	m	م	mim
ŝ	ث	se	z	ز	ze	ğ	ع	ayın	n	ن	nun
c	ج	cim	s	س	sin	ğ	غ	gayın	v	و	vav
h	ح	ha	ş	ش	şun	f	ف	fe	h	ه	he
h	خ	hı	ŝ	ص	sad	k	ق	kaf	y	ى	ya

12 HARF

Türk alfabesinde bulunmayan 12 harf ve okunuşları, misallerile birlikte gösterilmiştir:

1 : (') Adı **hemze** elifdir. Bir kelimenin arasında bulunduğu vakit, o kelimeyi ikiye böler gibi okutur. Meselâ (mü'min) kelimesi bir kelimedir. Fakat **mümin** gibi okunmaz **mü min** diye okunur.

2 : (ŝ) Adı **se** dir, ince okunur: **ŝevâb** kelimesindeki gibi.

3 : (ŝ Adı **sad** dır, kalın okunur: **ŝavâb** kelimesindeki gibi.

4 : (ĥ) Adı **ha** dır, okunurken boğazdan getirilerek kalınca **ha** gibi okunur: **evĥad** daki gibi.

5 : (ĥ) Adı **hı** dır, gırtlaktan gelir, **hı** sesi verir: **âhıret** deki gibi.

6 : (ż) Adı **zel** dir, ince okunur: **żikir** deki gibi.

7 : (ż) Adı **zı** dır, kalın okunur: **nâżım** daki gibi

8 : (ţ)) Adı **tı** dır, kalın okunur: **bâtın** daki gibi.

9 : (đ) Adı **dad** dır, **fâdıl** daki gibi.

10 : (ğ') Adı **ayın** dır, boğazdan gelir, kalın **ı** sesi verir **nâğım** daki gibi

فالذاكرة لا تنسى ما حققته اللغة العربية من انتشار أثناء المد الإسلامى لا سيما فى تركيا وجمهوريات وسط آسيا التى استخدمت الأبجدية العربية، فضلاً عن باكستان وبنجلاديش (ألباشتو والأوردو) واللغات الإفريقية (السواحيلى والهوسا).

كما لا تنسى الذاكرة ما قام به اليهودى مصطفى كمال أتاتورك من قضاء على استخدام الأبجدية العربية فى اللغة التركية وتحويلها إلى الأبجدية اللاتينية من أجل إحداث قطيعة معرفية بين الشعب التركى وبين تاريخه الإسلامى العظيم الذى استمر عدة قرون والذى كان يؤرخ بالأبجدية العربية وأصبح التاريخ الإسلامى لتركيا مجهولاً للأجيال التركية الحديثة، الأمر الذى حدث مع الأسف فى الجمهوريات الإسلامية التى كانت تحت السيطرة الروسية (أوز باكستان – طاجكستان – تركمانستان – كازخستان – قرغيستان فضلاً عن تركستان الشرقية) التى احتلتها الصين وغيرت معالمها الإسلامية واللغوية وأطلقت عليها (الصين الجديدة) وكذلك الدولة القوقازية المسلمة أزر بيجان.

أهدف من كل هذا ألا ينشغل العرب فى كل أقطارهم ودولهم عن الدفاع بكل الوسائل عن لغتهم فى أروقة الأمم المتحدة وعلى الصعيد العالمى، لاسيما فى ضوء تلك الحملة الصهيونية التى تعرف جيدًا ارتباط اللغة العربية بالإسلام والعروبة.

كما أنه لا يغيب عن المسلمين فى كل العالم محاولات أمريكا وإسرائيل نشر وطبع مصاحف تحت اسم الفرقان تحتوى على تحريف خطير للآيات القرآنية وحذف الآيات القرآنية التى تتحدث عن تاريخ اليهود وانحرافهم وتحريفهم للتوراة التى أنزلها الله على موسى، كما أن هناك نسخًا باللغة العبرية للقرآن الكريم يحررها الحاخامات اليهود تحاول إسرائيل بها تحريف آيات القرآن وتضع فيها آيات باللغة العبرية للتضليل والتشويه دون أن يؤكدوا ويذكروا أن هذا لا يعتبر قرآنًا ولكن يعتبر تفسيرا الآيات القرآن باللغة العبرية تأكيداً للمبدأ أن نزول القرآن باللغة العربية.

كما تقوم إسرائيل بطبع القرآن الكريم كما هو باللغة العربية ولكن تحذف منه الآيات التى تتحدث عن مساوئ اليهود بعد انحرافهم وتحريفهم التوراة وتخفى

الآيات التى تتحدث عن محاربتهم لأنبياء الله ورسله وعلى رأسهم محمد صلى الله عليه وسلم.

كل هذا يستوجب اهتمام الهيئات الإسلامية فى كافة الدول الإسلامية وعلى الأخص الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، وأقترح شخصياً أن تقوم بالاهتمام لنشر المصحف المرتل بصورة جماعية لصعوبة تحريف القرآن المسجل على أشرطة، كما على الدول الإسلامية أن تستخدم المنابر الدولية فى الأمم المتحدة لإصدار قرارات دولية تمنع محاولات تحريف القرآن الكريم فالدفاع عن اللغة لا يقل أهمية ولا قدسية عن الدفاع عن الأرض والعرض.

وأختم حديثى هذا أن اردد الحمد لله الذى قال فى كتابه الكريم: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (سورة الشعراء).

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (سورة يوسف).

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (سورة الحجر).

صدق الله العظيم

١٠ - ولايات الشرق الأوسط المتحدة (USME)

ترجع أهمية هذا الملف إلى ظهور هذه الفكرة من وجود ولايات الشرق الأوسط المتحدة أو بتعبيراته الأخرى الشرق الأوسط الجديد أو الشرق الأوسط الكبير أو الشرق الأوسط الحديث حيث تعود الذاكرة إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ – ١٩١٨م والتى تزامن معها القضاء على الإمبراطورية العثمانية وأعقبها ظهور جيل من رجال الفكر والسياسة فى أوروبا الذين قاموا بتقسيم العالم العربى الذى كان جزءًا من هذه الخلافة، وأقاموا حدودًا داخلية اتفقت عليها دول الغرب فى ذلك الوقت بريطانيا وفرنسا فيما يعرف باتفاقية (سايكس بيكو).

ومع هذه الحقبة من التاريخ ظهرت أيضاً أفكار أوروبية عن تقسيم شرق العالم إلى شرق أقصى، وشرق أدنى وشرق أوسط، ووضعوا هذا التقسيم موضعًا للحوار والمناقشة ولأبحاث وكتب ملأت المكتبات وشغلت العالم بما وراء هذا التقسيم ومغزاه وأهدافه حتى الآن.

وفيما يخصنا نحن العرب أدخلنا بعض الساسة فى الشرق الأدنى، والبعض الاخر – وهم الأهم – أخرج العالم العربى، وطمس حقيقة وجوده كجزء مستقل من تقسيمات العالم الجغرافى والسكانية والحضارية.

وحدث جدال كبير ونقاش طويل حول تحديد ماهية الدول التى يطلق عليها وتكون الشرق الأوسط وهم فى هذا كانوا يضيفون مرة ويحذفون مرة أخرى دولاً خارج نطاق الدول العربية بما أسموه الدول الهامشية مثل: أفغانستان، وإيران، والباكستان وبنجلاديش (وحتى الهند نفسها)، وتركيا، وقبرص، والحبشة.

كما كانوا يتعمدون دائماً أن يسقطوا من «الشرق الأوسط» شمال إفريقيا، والتى تبدأ من تونس وتنتهى بالمملكة المغربية على المحيط الأطلسى هذا الجزء من العالم فى رأيهم منطقة لها خصائص، وتاريخ يبعدها عن المنطقة العربية كما تقضى بذلك

المفاهيم الأوروبية بأن شـعوب هذه الدول ليسـوا عرباً أصليين ثم قام بين المفكرين والساسـة الأوروبيين جدال حول ما هى الدولة التى تعتبر نواة الشـرق الأوسط هل هى شـبه الجزيرة العربية أو الشام؟ وبالنسـبة للعراق «أرض ما بين النهرين» فقد جادلوا أكثر وأكثر فى مدى حقيقة عروبة العراق كما أنه بالنسبة لدولة لبنان زعموا أن أهلها من الفينيقيين وليسوا عرباً وأخطر من ذلك قاموا بالتشكيك فى عروبة مصر بزعم كونها دولة فرعونية ذات حضارة مصرية قديمة لا تمت بصلة إلى العروبة.

كل ذلـك وكان عقب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) وتعود بى الذاكرة أيضاً إلى نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ – ١٩٤٥م حيث قاموا أى: الأوروبيون وانضمت إليهم أمريكا فى أعقابها بتأييد الحركة الصهيونية العالمية فى إقامة دولة يهودية فى الشرق الأوسط أسكنوا فيها يهوداً من كل جنسيات دول العالم المختلفة وبمختلف انتماءاتهم كاليهود الإشـكيناز واليهود السـفراديم تحت اسم «إسرائيل» وذلك تحقيقاً للتخلص من مشكلة اليهود والمسلمين.

تعـود بى الذاكرة إلى كل هذه الذكريات لتوضح فكرة إقامة مفاوضات بين الدول العربية وبين إسـرائيل سـتكون فى رأيى مناسـبة أوجدها الغرب ليعود إلى الحياة تحقيق وتنفيذ الأفكار القديمة عن ماهية منطقة الشرق الأوسط، وعدد ونوعية الدول التي يشـملها هذا الشرق الأوسـط وأتصور – وأرجو أن أكون مخالفاً للحقيقة – أن فى جعبة السياسـة الأمريكية أن ينشـأ مستقبلاً تجمع إقليمى تحت اسم «ولايات الشرق الأوسط المتحدة».

ولإشـباع حب الأمريكان فى اختصار الاسـم إلى حروف يكون اسم هذا التجمع بالحروف اللاتينية المختصرة USME، وفى اعتقادى أيضاً أن هذا الكيان السياسى الجديد سـتكون ركائزه تجمعاً اقتصادياً «شرق أوسطى» مبنياً على أساس أن الدول العربية وشـعوبها هى الأرض، والقوة العاملة، ورءوس الأموال، وأن إسـرائيل هى ممثـل الغرب فى الخبرة والتخصص، والإبـداع والتكنولوجيا – ويكون لها القيادة والريادة فى كل المنطقة تحت زعامة أمريكا.

وهكذا يمكن تصور ولايات الشـرق الأوسـط المتحدة USME بأنها كيان سياسى واقتصادى يحقق أهداف العالم الغربى فى الأمور الآتية:

أولاً: إنهاء حالة الصراع القائم بين إسـرائيل وجيرانها العرب ودمج إسـرائيل ككيان معترف به ضمن كافة دول الشرق الأوسط، وتكون بمثابة الرأس الذى يسيطر ويحكم المنطقة بشكل ديموقراطى غربى!!.

ثانيًا: إيجاد حالة من الطمأنينة فى الشـرق الأوسط فى خدمة الاقتصاد الغربى عامة، ولأمريكا بصفة خاصة بدون أية مشكلات أو تناقضات أو صراع وتأكيد قبضة التحكم الأمريكى فى البترول العربى كمًا وقيمة لاسيما فى العراق والسعودية.

ثالثـاً: القضاء على أى تخوف مما قد يحدث فى المسـتقبل مـن تطور القومية العربيـة، مما يسـتوجب العمل علـى اختفاء «جامعة الـدول العربية» من خريطة العلاقات الدولية، وبذلك تنتهى المشـكلة التى تـؤرق العالم الغربى من احتمالات بعث القوة والحضارة العربية الإسـلامية والتى سـبق الغرب محاولة التخلص منها عن طريق حرب صليبية مع بداية الألفية الثانية والتى اسـتمرت لمدة مائتى سـنة وبعدها ظل العداء الدفين فى قلوب وعقول الغرب، الأمر الذى لا يتناول كتابى هذا تفاصيل هذه الحقبة من التاريخ.

وتعود الذاكرة بى إلى عضويتى فى سفارة مصر فى بروكسيل عاصمة بلجيكا ومقر التجمع الأوروبى حيث أمضيت ٤ سنوات من (٧٠ – ١٩٧٤) دار خلالها مباحثات واجتماعات الحوار العربى الأوروبى على أساس أن جامعة الدول العربية هى المقابل للمجموعة الأوروبية الاقتصادية آنذاك «التى كانت تسمى من قبل السوق الأوروبية المشتركة وأصبحت اليوم تسمى الاتحاد الأوروبى» وأن الحوار بين هاتين المنظمتين الإقليميتين يهدف إلى تحقيق اتفاق أو معاهدة تنظم شكل العلاقات الاقتصادية بين أوروبـا الغربية وبين العالم العربى لتأكد حيادها تجاه الصراع العربى الإسـرائيلى وإيجاد علاقة متوازنة بين علاقتها مع إسـرائيل وعلاقتها مع العرب وهى خدعة لم تتحقق حتى الآن.

وشعار الحوار العربى الأوروبى أطلقته أوروبا الغربية عندما كانت فى ذلك الوقت تنظم علاقاتها الاقتصادية مع الدول الإفريقية ودول الكاريبى كمجموعات إقليمية.

وفـــى ذلك الوقت أيضاً كانت المجموعة الأوروبية تعقد مع كل دولة عربية على حدة اتفاقاً تفضيلياً أو انتســاباً حســبما تراه مصلحة أوروبا فى الوقت نفسه كانت ترتبــط هذه المجموعة الأوروبيـــة مع الدول العربية البترولية باتفاقيات وصفقات مستقلة – أساسها من الجانب العربى سلعة واحدة هى البترول.

وفى الوقت الحالى وبعد أن دخل الحوار العربى الأوروبى فى طى النســيان منذ مــدة طويلــة واقتصر على عقــد دورة أو دورتين من المباحثات انتهت إلى لا شــىء – تقول: إن هناك حالياً مشــاورات لعدة أشــكال من العلاقات ظهرت على مسرح العلاقات الأوروبية العربية منها إنشاء مجموعة حوض الأورو متوسطي وليس الأورو العربى المتوسطى حتى تدخل إسرائيل ضمن الاتفاقية ويقصد به دول حوض البحر الأبيض المتوســط مع إلغاء العالم العربى وعقد اتفاقيات مشاركة وأخيراً تم الإعلان من جانب دول أوروبية محددة هى أسبانيا – وإيطاليا وفرنسا.. الخ.

بإنشــاء قوة انتشار سريع فى البحر المتوســط دونما إشارة إلى السبب أو أهداف معلنة ودون توضيح عن مشــاورة مع دول جنوب وشــرق البحر الأبيض! أى الدول العربية بما فى ذلك إسرائيل.

حيث تتلخص فى شعار أوروبى يقول باللاتينى nostra mare أى «بحرنا»

ويرجع تاريخ هذا الشعار إلى زمن الإغريق والرومان ويعنى أن أوروبا التى هى فى شمال البحر الأبيض هى التى لابد وأن يكون البحر الأبيض كله تحت سيطرتها بل وملكها حسب نص الشعار دونما حساب لدول جنوب وشرق هذا البحر أى الطرف العربى فى جنوب وشرق البحر المقابل للطرف الأوروبى فى شمال البحر.

كما أتذكر دائماً مبدأ أوروبياً يقول: إن مياه البحر المتوســط الدافئة محرمة على الاتحاد السوفيتى سابقاً «الذى انحصر فى روسيا الاتحادية حالياً».

وكذلك كانت أوروبا تنظر دائماً بطرف خفى إلى الأسطول الأمريكى الذى يتجول فى موانئ البحر الأبيض المتوسط بنظرة عدم الرضا والأمل فى إجلائه فى المستقبل (وإن لم يتحقق ذلك).

فأين مصر والعرب من كل هذا خاصة وأن إسرائيل أصبحت من دول شرق البحر المتوسط القوية والتى تهم أمريكا حمايتها.

وأخيراً لا ننسى اقتراح بريطانيا الأخير من خلق وإيجاد منظمة التعاون والأمن لمنطقة الشرق الأوسط على غرار وتقابل منظمة التعاون الأمنى الأوروبى ولعل هذا يكون فى هذا التوقيت مؤشراً إلى تصميم أوروبا على أحكام وربط السيطرة على جنوب وشرق البحر المتوسط بمعاونة إسرائيل!!

بل أكثر من هذا هناك سياسات ترسم لمد مظلة حلف شمال الأطلسى على منطقة العالم العربى التى يعبرون عنها بالشرق الأوسط ، وتوسيع الشرق الأوسط إلى ما يقال له الشرق الأوسط الكبير!!!

١١ - هل مجلس الأمن هو حكومة اليهود العالمية ؟!

يـدور فى خلدى دائمـاً ما أتوقع أن يحدث مسـتقبلاً للمنظمـة العالمية (الأمم المتحدة)، وعلى الأخص جهازها الرئيسى مجلس الأمن، الذى يقوم بدوره فى حكم العالم من خلال القوى العظمى صاحبة حق الفيتو .

(أمريكا - روسـيا - إنجلترا - فرنسـا - الصين) إلا إن المشـاهد فى السـنين الأخـيرة وبعد أن ظهرت أمريكا القوة العظمى الأولى إن لم تكن الوحيدة فى العالم وسـواء، أكان ذلك واقعاً أم غير واقعى، كما أن الظاهر على الساحة العالمية حالياً أن إسـرائيل تحكـم وتتحكم فى أمريكا وسياسـتها الخارجية وذلـك الأمر تثبته وقائـع ومجريات الأحـداث منذ عهد ترومان إلى عهد بوش كما لا يسـتطيع أحد - ومنهم الدبلوماسـيون الأمريكيـون الذين عرفتهم خلال عملى فى الدبلوماسـية المصرية - أقول لا يستطيع أحد من هؤلاء الدبلوماسيين أن ينكر أن نفوذ الأمريكان اليهود (اللوبى اليهودى) هو السلطة العليا على الرئيس الأمريكى وحكومته، وهذا أمر أصبح علنياً وانتشـر عالميـاً بعد أن قام عدد من السـفراء الأمريكيين بمخاطبة بوش برسـالة يسـتطيع القارئ العزيز أن يعلم تفاصيلها من خلال ما تضمنه ملف رسالة الدبلوماسيين الأمريكيين والبريطانيين فى كتابى هذا، فضلاً عن أن النظرية الصهيونية تقول: إن أى يهودى من أى جنسـية فى العالم ولاؤه الأول لإسرائيل. كما إن أى يهودى فى العالم إسـرائيلى هو من مواطنى دولة إسرائيل قبل جنسيته من الدولة التى يعيش فيها!! وبهذا المنطق فإن كل اليهود فى أمريكا هم مواطنون إسرائيليون ولاؤهم الأول لإسـرائيل ويعملون لحساب ومصلحة إسرائيل بالرغم من حملهم الجنسية الأمريكية.

أعود فأقول: إنه - وإن كان فى الظاهر أن أمريكا هى المحرك حالياً - لمجلس الأمن - فإن إسرائيل من وراء الستار الأمريكى تمارس فترة تدريب إلى أن يأتى اليوم

– وفى ظنى وخيالى أنة سيكون قريباً – حين تكشف إسرائيل عن نفسها بأنها هى التى ترأس وتتحكم فى مجلس الأمن وفى هذا تحقيق لما تنادى به بروتوكولات حكماء صهيون من إيجاد حكومة يهودية عالمية واحدة تحكم العالم كله!!!

لعل القارئ العزيز يتعجب ويتساءل كيف ولماذا أعتقد بهذا وأتخيل هذه الأحداث؟!

وعلى رغم اعتقادى أن الغرب (أوروبا وأمريكا) هو الذى أوجد فكرة الصهيونية العالمية وصنع دولة إسرائيل فى قلب العالم العربى والإسلامى لإنهاء «المسألة اليهودية» – «والمسألة الإسلامية» – والتخلص منهما إلا أن اليهود استغلوا ذلك وأصبحوا قوة داخل أوروبا وأمريكا لهم سلطة التأثير والتحكم فى دول هذا الغرب كما أن الصهيونية لا تنسى أن تنتقم من الغرب عما ارتكبه من اضطهاد لليهود عبر القرون الماضية وهذه فرصتها بعد أن قويت واستحكمت.

وربما لا أكون مبالغاً إن قلت: إن تكوين منظمة الأمم المتحدة كان من أهدافه المستترة الرئيسية هو انفراد هذه المنظمة بقرار إنشاء دولة لليهود، وسبق لليهود أن قاموا بدور عالمى فى إنشاء عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) والتى من خلالها تمكنوا من السيطرة على فلسطين خلال الانتداب البريطانى وتنفيذ وعد بلفور ١٩١٧ وهذا القرار هو قرار التقسيم، وهو من أخطر وأغرب القرارات التى يمكن أن يصدر فى تاريخ البشرية، ذلك لأنه قرار إنشاء دولة على أسس دينية نادت بها منظمة صهيونية عالمية، وجرت الأحداث التاريخية أن الدول تنشأ بوجود شعب على أرض محددة الحدود وأن الجيوش لا تخلق دولاً ولكن الدول توجد الجيوش.

إن ما يؤكد لى أن هناك ارتباطاً بين إنشاء أمم متحدة وإنشاء دولة يهودية على حساب أرض وشعب عربى هو ذلك التقارب الفكرى والزمنى بين إنشاء المنظمة سنة ١٩٤٥ وصدور قرار تقسيم فلسطين سنة ١٩٤٧.

إن من أراد أن يتأكد من كل هذه الأفكار التى ترى أن مجلس الأمن هو حكومة اليهود العالمية المقبلة عليه فقط أن يتصفح بروتوكولات حكماء صهيون التى تؤكد

فـــى كل نصوصهـــا أمـــل اليهود فى أن يكون لهـــم حكومة عالميـــة تحكم وتتحكم فى مصير العالم وشـــعوبه وخيراته بصفتهم شعب الله المختار وأن بقية الشعوب هم خدم لليهود.

أدعو الله أن ينقذ شـــعوب العالم كلها مـــن هذه الحكومة، حكومة اليهود الذين يدَّعون ظلماً وبهتاناً أنهم شـــعب الله المختار، مع ملاحظة أن إســـرائيل فى الآونة الأخيرة بدأت تتحرك لتكون إحدى الدول العشر غير الدائمة فى مجلس الأمن حيث إنهـــا حتى الآن ليس لها الحـــق لأنها غير مرتبطة بمنطقة جغرافية، فمن المعروف أن مجلس الأمن يتكون من الخمســـة عشـــر عضواً خمســـة دائمين هم أصحاب حق الفيتو وعشرة غير دائمين تكون مدة عضويتهم فى المجلس عامين، ويمثلون مناطق جغرافية على سطح الأرض وهى قارات (آسيا، إفريقيا، أوروبا، أمريكا اللاتينية، أمريكا الشـــمالية، والعالم العربى ومجموعة الدول الإســـلامية) وتعتبر هذه الخطوة الإســـرائيلية بداية لتحقيق هدف اليهود الأسمى فى وجود دولة لهم تحكم وتتحكم فى العالم وكل الشـــواهد الحالية فى العالم تؤكد أن اليهود ســـيصلون إلى هدفهم، ولكن الله خالقهم قادر على أن يزيل قوتهم وبأسهم بمظاهر لا يعلمها إلا الله، وهذا هو إيمانى الشـــخصى كما أومن بأن الله تعالى ســـيحمى المسجد الأقصى من غدرهم ومحاولاتهم هدمه بحجة إعادة بناء الهيكل الثالث وليس ذلك على الله بعسير.

ولقد حمى الله المســـجد الأقصى من خطر أكبر من الصهيونية العالمية وهو خطر الحملات الصليبية.

١٢ - دور النكات والمسلسلات والأفلام والمسرحيات مع إسرائيل

لا أريد أن يخلو كتابي هذا من ذكريات عن النكات والمسلسلات والأفلام والمسرحيات، فكل هذه المظاهر من سلوك الإنسان هى بالتأكيد لها أهدافها ودوافعها ولا يخلو أى مجتمع إنسانى منها لذلك يجد القارئ فى صفحات من كتابى هذا بعض ما تذكرته.

النكتة السياسية

النكتة بصفة عامة والنكتة السياسية على وجه الخصوص هدف وغاية، «شر البلية ما يضحك كما يقولون»، تستخدم للتعبير والنقد عن المعتقدات والأفكار السياسية والاجتماعية، تلجأ إليها الشعوب تنفس عن طريقها ما لا تستطيع أن تبوح به ومن ذكرياتى الدبلوماسية أننى استمعت لأول مرة إلى نكتة سياسية (بعنوان الشيطان مستشار سياسى) ألقاها دبلوماسى لزملائه الدبلوماسيين، وكان ذلك فى عاصمة إحدى الدول الإفريقية جنوب الصحراء عام ١٩٨٣ وقالها سفير دولة الفاتيكان (ويطلق عليه قاصد رسولى) لدى هذه الدولة وكان راهباً كاثوليكياً من أصل هندى يتمتع بشخصية مرحة وواسع الاطلاع على الرغم من حداثة سنه بالنسبة لمنصب سفير، وكان له رأى خاص لا يخفيه عن «دولة إسرائيل» وهو يؤمن بضرورة الاعتراف بها كدولة علمانية وليست دولة يهودية، وكانت النكتة تقول:

قررت حكومتا كل من القوتين العظميين – آنذاك وهما: الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى – قررتا التعاون مع «الشيطان» بدور المستشار السياسى لكل منهما، ويقدم لكل منهما نصائحه فى الأمور السياسية الدولية، كما يقدم لكل منهما الخطط التى يجب على كل منهما – على حدة – اتخاذها إزاء المشكلات الدولية بما يتفق ومصالح كل منهما ويتمشى مع استراتيجية التحكم فى

العـالم بصفتهما القوتين العظميين فى هذا العـالم – وأنه يكفى أن يقوم كل منهما بتقديم طلب رسمى للشيطان – الذى وافق على تقديم خدماته واستشاراته السياسية بالمجان وبدون مقابل لكل طرف إلا فى حالة طلب الاستشارة مستعجلاً عن طريق الاتصالات التليفونية – وفى هذه الحالة فقط يقدم الشيطان فاتورة حساب المكالمات التلفونية إلى كل طرف فى نهاية كل عام.

وفى نهاية إحدى السـنوات بعث الشـيطان بفاتورة الاتصـالات التليفونية عن الاتصال مع «البيت الأبيض فى واشـنطن» بمبلغ مليـون دولار أمريكى وبعث عن المدة نفسها بفاتورة التليفونات عن الاتصالات مع «الكرملين فى موسكو» بمبلغ ألف روبل «تعادل مائه دولار أمريكى» فقط!.

وفوجئ الشـيطان باتصـال تليفونى عاجل من الكرملـين وكان رئيس الكرملين يتحدث بلهجة غاضبة ساخطة قائلاً: «لقد علمنا يا شيطان أن اتصالاتكم التليفونية مـع البيت الأبيض تكلفـت مليون دولار وهذا يعنى مقارنـة بفاتورتك لنا ومبلغها مائـة دولار فقـط – أنك تتحـدث تليفونياً مع البيت الأبيض أكثـر وبالتالى فهذا يعنـى أنك تقـدم للأمريكان خدمات أكثر ونصائح وخططـاً تتطلب وقتاً طويلاً فى المكالمـات معهم، وذلك فى الوقت الذى لم تتكلف اتصالاتك معنا هنا فى الكرملين أكثر من مائة دولار فقط طوال السـنة، وهذا المبلـغ الزهيد يدل على عدم اهتمامك بتقديم نصائح للكرملين، وهذا أمر نرفضه يا شـيطان، وسكت رئيس الكرملين عن الحديث منتظراً رداً وتفسـيراً من الشـيطان الذى كان هادئاً طوال سماعه لحديث رئيس الكرملين الساخط الغاضب.

بعد برهة صمت قال الشـيطان بصوت رزين: «سيدى رئيس الكرملين أنا أخدم الاتحـاد السـوفيتى بكل إخلاص وبطريقـة فعالة، والصلة معكـم أكثر من الصلة بالبيت الأبيض هذه حقيقة يا سـيادة رئيس الكرملـين ولكنك تعلم أن الاتصالات بيننا وبينكم هنا فى الكرملين عن طريق (خط داخلى بيننا) يا سيادة الرئيس بينما اتصالاتنا مع البيت الأبيض فى أمريكا عن طريق خط دولى!!!!.

وفيما يخص سياق كتابنا هذا تتعدد النكات التى تعكس وجهة النظر العربية تجاه القضية الفلسطينية بصدق وأمانة، وجهة نظر ربما يعجز عن ذكرها الدبلوماسيون والسياسيون.

ولعل لا شيء أدل على ذلك من نكتة ذلك الرجل العربى الذى وجد مصباح علاء الدين فى الصحراء، وعندما خرج له المارد وقال له شبيك لبيك فطلب منه العربى بناء كوبرى يربط بين القطبين الشمالى والجنوبى، نظر المارد إلى العربى فى ذهول يعبر عن العجز قائلاً: مستحيل، فقال له العربى ساخراً: إيه، ألم تقل: إنك سوف تنفذ أى أمر، فرد المارد، أطلب شيئا معقولاً، هرش العربى فى رأسه وقال: هناك أمر آخر، رد المارد: هذه المرة أنا تحت أمرك، قال العربى: حاول أن تقيم سلاماً بين العرب وإسرائيل، هنا رد المارد على الفور: سيدى: الكوبرى الذى تريده بين القطبين الشمالى والجنوبى اتجاه واحد أو اتجاهان!!.

وبرغم ما تتسم به الحوارات الدبلوماسية من جدية وحزم ودقة تعبيرات وحسابات كثيرة، إلا إن هذه الحوارات لا تخلو من النكات كنوع من التخفيف لحدة وصرامة هذه الحوارات، فضلاً عن عدم خلوها من المغزى السياسى من هذه النكات التى تخص تعليق المجتمع على شخصية الإسرائيلى تلك النكتة التى تصف اللقاء الذى جمع سفراء بريطانيا وفرنسا وإسرائيل فى بلد إفريقى يتكلم الفرنسية، وعندما جاء ميعاد العشاء اجتمع السفراء الثلاثة وعلى مائدة العشاء جاء السفرجى ليسألهم وفى يده زجاجتان الأولى نبيذ أحمر والثانية نبيذ أبيض، جدير بالذكر أن هناك كلمتين فرنسيتين تتحدان فى النطق وتختلفان فى الحروف والمعنى هما: (vin) بمعنى نبيذ، وكلمة (vingt) بمعنى عشرين، وعندما سئل السفير الفرنسى عما يفضل طلب (vin rouge) أى (نبيذ أحمر) أما السفير البريطانى فطلب (vin planc) أى نبيذ أبيض أما السفير الإسرائيلى فنظر إلى السفرجى قائلاً إنى أفضل (le vight pour,cent) أى أفضل نسبة العشرين فى المائة.

نكتة أخرى عن ليفى أشكول رئيس الوزراء الإسرائيلى فى الستينات تقول: إن وزير الزراعة جاءه حزيناً، فسأله ليفى ماذا حدث؟ فأجاب هناك كارثة اقتصادية فى إسرائيل، فأجاب ليفى على الفور: الحمد الله أنها مش فى أمريكا.

نكتة أخرى عن عبور موسى عليه السلام مع اليهود إلى سيناء شمالاً فى اتجاه إلى أرض الميعاد، حيث عبَّر أحد خبراء الطاقة الإسرائيليين عن أسفه وندمه على الخطأ الاقتصادى والاستراتيجى الذى وقع فيه موسى باتخاذه طريق الشمال الشرقى وكيف أن الوضع كان يمكن أن يصبح أفضل لإسرائيل لو اتخذ اتجاه الجنوب الشرقى حيث بترول منطقة الخليج.

نكتة أخرى، يروى فى عصر الخرافات: إنه فى يوم من الأيام قال الثعلب للأسد: إن الحيوانات جميعها تخاف منى.

قال له الأسد: كيف ذلك وأنت لست أقوى حيوان فى الغابة؟!

قال الثعلب: امشى معى فى الغابة وسترى بنفسك.

فمشى الأسد مع الثعلب فى الغابة: وعندما ترى الحيوانات الأسد والثعلب تخاف وتهرب لا من الثعلب ولكن خوفاً من الأسد.

فيقول الثعلب للأسد: الآن صدقت أن الحيوانات كلها تخاف منى، ومغزى هذه القصة تعكس موقف إسرائيل وأمريكا على الساحة الدولية.

ونكته أخرى عن استخدام علم الجبر فى السياسة، سأل الأستاذ التلميذ وقال له: كيف تفسر النص الجبرى ٢ ص؟ فأجاب التلميذ هى أن، ٢ ص تعنى حاصل جمع (١ص + ١ص) فسأله الأستاذ ماذا تعنى الـ (ص)، فأجاب التلميذ: أن الـ (ص) الأولى هى رمز الصهيونية والـ (ص) الثانية هى رمز للصليبية.

هكذا تصبح النكتة وسيلة للتعبير المباشر عن المعتقدات والأفكار السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتعتبر فى أوضاع أخرى وسيلة للتعبير عن آمال وآلام الشعوب.

هذه أمثلة للنكات عن إسرائيل رأيت أن أضمها فى كتابى هذا كنوع مما يدور حول اليهود دون أن يعتبر ذلك هجومًا أو معاداة لليهودية كدين، وغيرها كثير جدًا من النكات يحتاج إلى كتاب كما فعل الصحفى المصرى عادل حمودة فى الكتاب الذى أصدره بعنوان «النكتة اليهودية».

ومن الملاحظ أن عادل حمودة اعتمد على عدد من الكتب والمراجع لكتاب يهود وجمع مادته من عشرات المراجع التى عنيت بالنكتة اليهودية وبالأخص حين لفت نظره كتاب ذائع فى أمريكا بعنوان «موسوعة النكتة اليهودية» لمؤلفه اليهودى (هنرى سبالدنج) جمع فيه كل ما سمعه من حكايات ونكات من اليهود وعنهم، بالإضافة إلى عشرات من الكتب الأخرى ليقدم كتابه هذا.

وقد كان للشاعر الإنجليزى شكسبير وعالم النفس المشهور سيجموند فرويد رأى خاص فى هذه القصة ليس هنا مجال سرده.

والنكات التى تهمنى فى هذا الكتاب هى النكات التى تعبر عن المشكلة الأساسية والتى تتركز فى اغتصاب وطن عربى هو فلسطين واحتلاله بقوات إسرائيلية بدعوى حق اليهود الإلهى لأرض الميعاد للشعب المختار.

وإضافة إلى ملف النكات، من المفيد أيضاً استعراض الأفلام السينمائية، والمسلسلات التليفزيونية، والكتب، والمسرحيات، الأمر الذى أشير به فى كتابى هذا ليس على وجه الحصر ولكن على وجه الأمثلة.

أولاً: المسلسلات التليفزيونية والأغانى:

المسلسل السورى (الشتات) عرضته قناة المنار التابعة لحزب الله اللبنانى هذا المسلسل تراه إسرائيل أنه يعمل على ترويج دعائى معادٍ للسامية من شأنه أن يزيد العنف فى المنطقة ضدها بينما يقول منتجو المسلسل: إنه قائم على وثائق وحقائق تاريخية، وتؤكد صحة ودقة المعلومات التى وردت فى المسلسل فهو يزيد على ٢٥٠ مرجعاً تاريخياً وطبعاً أمريكا أيدت إسرائيل فى رفض المسلسل لأن حزب الله بالنسبة لها منظمة إرهابية.

والمسلسل المصرى (فارس بلا جواد) عرض بالتليفزيون المصرى وأرى أنه من المفيد ربط أحداث هذا المسلسل مع أحداث المسلسل السورى ونذكر القارئ بأن هذين المسلسلين ذكرا فى كتابنا هذا بملف مؤتمرات وبروتوكولات حكماء صهيون لما هناك من صلة بين الموضوعين الأفلام السينمائية والمسرحيات.

ومن المسلسلات أيضاً مسلسل (رأفت الهجان ثلاثة أجزاء) ومسلسل (دموع فى عيون وقحة).

والأغنية الشعبية الشهيرة (بكره إسرائيل) لشعبان عبد الرحيم (شعبولة) والتى احتجت دولة إسرائيل على إذاعة هذه الأغنية واتهموا شعبولة بمعادة السامية.

ومن المهم بيان أن الأفلام والمسلسلات المصرية قبل إنشاء إسرائيل لم تكن ضد اليهود ولا تدل على الكره لهم بل بالعكس كانت تظهر مدى تآلف الديانات المختلفة من إسلام ومسيحية ويهودية.

ثانياً : الأفلام السينمائية والمسرحيات:

ومن أشهر الأفلام والمسرحيات التى عايشتها فى شبابى بوطنى، فيلم لعبة الست، ومسرحية (حسن ومرقص وكوهين).

وفيلم (فاطمة و ماريكا و راشيل)، ونعلم أنه من أشهر و أهم الأفلام التى عايشتها حديثاً (the passion of the Christ) فيلم آلام المسيح وهو أول فيلم ذى طابع دينى يثير مثل هذه الضجة فى تاريخ السينما الأمريكية هذا الفيلم فقرة من «إنجيل متى» والتى تجئ فى سياق الفيلم هى مصدر من مصادر الاتهامات المتعددة لليهود على مر الأزمان لأنها تشير إليهم جماعياً على أن الجريمة تقع على رءوسهم، لذا هو مثار كل هذه المعارك المتصلة ضده من قبل غلاة اليهود الذين استطاعوا بكل وسيلة أن يحصلوا من الفاتيكان على صك براءة من دم المسيح، وقد أعلنت بعض الجماعات اليهودية اعتراضها على قصة الفيلم بدعوى أنها تتهم اليهود بقتل المسيح.

وقصة الفيلم الذى يرون أنها تحرض على كراهية اليهود ومعاداة السامية، علق عليه بابا الفاتيكان قائلاً: إن الفيلم يروى القصة الحقيقية للساعات الأخيرة فى حياة المسيح وتتفق قصة الفيلم التى تركز على الاثنتى عشر ساعة الأخيرة فى حياة المسيح متفقة مع ما تذكره كتب الدين المسيحى تقول مجلة «نيوز ويك» الأمريكية أن اعتماد قصة الفيلم على روايات الإنجيل كمصدر رئيسى للمعلومات التى ينقلها الفيلم حول ساعات المسيح الأخيرة، يعيد إلى الأذهان قضية مثيرة حول الإنجيل.

وتضيف المجلة أن جذور الخلاف حول الاتهامات الموجهة إلى المسيحيين بمعاداة السامية ترجع إلى الفهم الخاطئ لبعض ما كتب فى (العهد الجديد) وخاصة فيما يخص مسئولية اليهود عن مقتل المسيح، فاليهود المذكورون فى «العهد الجديد» لا يقصد بهم جميع اليهود، بل يهود المعبد الذين اعتقدوا أن وجود المسيح قد يؤثر على الأمن فى البلاد، فمعظم المسيحيين الأوائل كانوا يهودًا قبل أن يؤمنوا بالمسيحية وكانوا يؤمنون بأنهم يهود ومسيحيون.

كما أنه من الأفلام الحديثة أيضًا فيلم (مملكة السماء) وفيلم (الوصايا العشر) وفيلم (شفرة دافينشى) وفيلم (ناجى العلى) وفيلم (مهمة فى تل أبيب) وفيلم (السفارة فى العمارة) وكلها من أهم الأفلام التى عرضت على العالم وفيها موضوع القضية من زوايا مختلفة، لذلك أرى الإشارة إلى أهمية هذه الأفلام مع التحفظ على أى خطأ تاريخى تضمنته هذه الأفلام وموقفى الشخصى الحيادى من كل هذه الأفلام.

ومن المسرحيات التى عايشتها هى مسرحية (تاجر البندقية) للمؤلف الكاتب الشهير وليم شكسبير فى القرن السادس عشر وأحداث المسرحية التى عرضت فى فينسيا عام ١٥٩٦ بـ (إيطاليا)، وفى هذا الزمن كان القانون الإيطالى يحرم الربا وكان فى أوروبا الشعور باضطهاد اليهود منتشرا بصفتهم يعملون فى مهنة المرابى وقصة المسرحية لم تكن من خيال المؤلف المحض وإنما تعبر عن الواقع الاقتصادى، ذلك الصراع الذى أدى إلى ظهور المسألة اليهودية فى المجتمع الغربى ودفعهم إلى التقوقع وقد تم تقديم هذه المسرحية للسينما مرة واحدة عام ١٩٥٢ م فى فيلم إيطالى فرنسى مشترك، وليس مجال كتابى هذا عرض المسرحية أو الفيلم ولكن المهم ذكر هذه المسرحية أنها تظهر إلى أى مدى كان اضطهاد اليهود، فضلاً عن كره الكاثوليكية لليهود بصفتهم مسئولين عن قتل المسيح الأمر الذى قام بابا الفاتيكان مؤخراً الاعتذار عنه.

وأستطيع أن أؤكد أن نشاط اليهود المصريين فى إنتاج الأفلام السينمائية التى يشترك فيها الممثلون والممثلات اليهود كان ظاهرة واضحة فى مصر فى عدة عقود

قبل قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ الذى لم يمنع استمرار النشاط السينمائى اليهودى لعدة سنوات فى الخمسينات وقد تزامن هذا عندما كانت أمريكا هى المصدر الدولى الرئيسى لنشاط إنتاج الأفلام السينمائية، خاصةً وكانت أمريكا هى أول من أنتج الأفلام السينمائية بالألوان بعد أن كانت مقتصرة على الأبيض والأسود وفى ذاكرتى دائما أننى قرأت فى شبابى كتاب صدر فى مصر بعنوان «السفير الأمريكى بالألوان الطبيعية» ولم أستطع عند تأليف كتابى هذا أن أستدل على اسم المؤلف وتاريخ نشر كتاب «السفير الأمريكي بالألوان الطبيعية» ولكنى رأيت أن أشير إلى عنوان هذا الكتاب لعمق احتفاظ ذاكرتى به.

مسلسل (حتى لا تضيع فلسطين)

ختامًا لهذا الملف أقول: إن الذكريات الدبلوماسية تشمل فيما تشمله ذكريات عن القراءة والاطلاع على أمهات الكتب عربية كانت أو أعجمية ولا شك أن واجب الاطلاع والقراءة أمر حيوى للغاية فى العمل الدبلوماسى.

ومن هذه الذكريات أود أن أشير فى كتابى هذا أننى أطلعت وقرأت التقرير الذى أعدته شعبة حقوق الفلسطينيين فى الأمانة العامة للأمم المتحدة للجنة المعنية للممارسة الشعب الفلسطينى لحقوقه غير القابلة للتصرف وبإرشادها عملاً بقرار الجمعية العامة ٤٠/٣٢ المؤرخ ديسمبر ١٩٧٧ – أعدت تقريراً تحت عنوان «منشأ القضية الفلسطينية وتطورها (١٩١٧ – ١٩٨٨)»، وصدر هذا التقرير من مكتب الأمم المتحدة فى نيويورك ١٩٩٠.

ويعتبر هذا التقرير فى رأيى من أفضل وأخطر وأصدق ما يعبر عن المأساة التى أدت إلى ظهور دولة إسرائيل على خريطة العالم ومحو اسم فلسطين بعد أن احتلت كافة الأراضى الفلسطينية.

ويتميز هذا التقرير بأنه يظهر موقف القوى العالمية المختلفة فى فرض الفكرة الصهيونية لخلق دولة يهودية سميت «بدولة إسرائيل» كما يظهر التقرير بوضوح الدور العربى بما فيه شعب فلسطين الذى حاول قدر استطاعته وإمكانياته الحيلولة

دون تحقيق الفكرة الصهيونية باغتصاب فلسطين أرضاً وشعباً، كما يظهر التقرير إلى أى مدى عملت القوى الغربية أوروبا قديما ومعها أمريكا حديثاً فى التخلص من مسألتين تؤرقهم وأقصد بها **المشكلة اليهودية المزمنة** فى أوروبا منذ اتخذت روما الديانة المسيحية الكاثوليكية وما قبل ذلك، واعتبرت اليهود عدواً يجب التخلص منه واضطهاده بحجة قتل المسيح – هذه مسألة – والمسألة الثانية التى كانت تؤرقهم **هى المسألة الإسلامية**، حيث وصلت الجيوش الإسلامية إلى فيينا فى شرق أوربا وإلى أبواب باريس فى غرب أوروبا ومنذ القدم وهذه الظاهرة الإسلامية تؤرقهم، خاصة أنهم لم يستطيعوا القضاء على الإسلام فيما يعرف بالحروب الصليبية الأوربية، وهكذا أوجدت أوروبا فكرة إنشاء دولة يهودية فى قلب العالم العربى والإسلامى لينتهى أرقهم من المسألتين.

لهذه الأسباب وحتى لا تضيع فلسطين إلى الأبد ولتعميق هذه القضية فى الأجيال القادمة من العرب والمسلمين وحيث إننا فى حاجة إلى وسائل إعلامية تستغل كل المبتكرات الحديثة إلى جانب الكتب والمراجع فى شتى أنحاء العالم وبكل اللغات المختلفة للبشر أعتقد أنه من المفيد جدًا أن يتبنى التليفزيون المصرى أو السورى بإنتاج مسلسل تاريخى عن «قضية فلسطين بعنوان «حتى لا تضيع فلسطين» من واقع ما تضمنه هذا التقرير الدولى الذى يعتبر مؤلفًا علميًا دوليًا موثقًا يمكن الاعتماد عليه فى إخراج هذا المسلسل التليفزيونى التاريخى ليكون مرجعًا بالصورة وبالكلمة وبالوقائع عن كيفية ضياع فلسطين التى حلت محلها دولة إسرائيل على خريطة العالم.

والتقرير ترجع أهميته أيضًا إلى أنه سجل تفصيلى لقرارات دولية وتصريحات لزعماء وقادة دول ومنظمات أوردها التقرير بطريقة فريدة تبرز حجم مأساة اغتصاب وضياع أرض وشعب فلسطين وقد ورد كل هذا بالتقرير بشكل درامى يصلح ليكون نواة للحوار التاريخى الذى يمكن أن يتضمنه المسلسل التليفزيونى.

والاسترشاد بالمعلومات التى جاء ذكرها بالقرار رقم (٤١) الصادر من الجمعية العامة للأمم المتحدة لعام ١٩٩٨ فى الدورة رقم (٥٣) حيث إن فكرة إنشاء دولة

إسرائيل تعود إلى عام ١٨٩٧ أى منذ أكثر من مائة عام ولا شك أن تفاصيل أحداث هذه المأساة ستكون فى طى النسيان فيما هو قادم من سنين، خاصةً وأن الأجيال القادمة ستفقد خاصية الرجوع إلى كتب الماضى والدليل على ذلك أنه بالنسبة لوقتنا الحاضر قد ظهر واضحًا قلة نسبة قارئى الكتب بالمقارنة مع مشاهدى التليفزيون.

وأعتقد أن تحقيق هذا المسلسل بكل البراعة المصرية فى الإنتاج والتمثيل سيكون له أثر كبير عربيًا، أما بالنسبة للدول الإسلامية غير العربية وغيرها من الدول فأعتقد أنهه من المهم دبلجة عدة نسخ من هذا المسلسل إلى اللغات الخمس المعمول بها فى الأمم المتحدة وهى (الإنجليزية – الفرنسية – الأسبانية – الصينية – الروسية).

كما أنه من المهم أن أشير إلى أن – الهيئة العامة للاستعلامات المصرية أصدرت ملف وثائق فلسطين – مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية فى جزءين عام ١٩٦٩.

١٣ - إسرائيل منذ عام ١٨٩٧

لعل القارئ يتعجب من هذا العنوان ولعله يتساءل لماذا عام ١٨٩٧ بالذات؟

عام ١٨٩٧

حيث اجتمع المؤتمر الصهيونى الأول فى مدينة بازل «السويسرية» برئاسة تيودور هرتزل «الأب الروحى للحركة الصهيونية» وتقرر إنشاء وطن للشعب اليهودى فى فلسطين يضمنه القانون العام تأكيداً لحق الشعب اليهودى فى بعثة قومية فى بلدة، وفى نهاية المؤتمر أعلن هرتزل «لقد أسست فى بازل الدولة اليهودية» وهنا يجب الإشارة إلى ما كان يثار حول كيان الدولة اليهودية المزمع إيجادها، وحدودها على خريطة العالم كما رسمها المؤتمر الصهيونى العالمى وهى تشمل شبه جزيرة سيناء، حتى الضفة الشرقية لقناة السويس، بما فى ذلك صحراء العقبة، وخليج العقبة (من الأراضى المصرية) والجزء الشمالى الغربى (من السعودية)، وشرق الأردن والجزء الجنوبى من سوريا إلى تخوم مدينة دمشق بما فى ذلك هضبة الجولان والساحل الجنوبى المتاخم لفلسطين من أرض لبنان، هذا بالإضافة إلى كل أراضى فلسطين، وهذه الخريطة لم ينتبه إليها الساسة والزعماء وحكام العرب آنذاك ولم يضعوها فى تقديراتهم ودراساتهم تلك الخريطة التى رسمها المؤتمر ١٨٩٧ قد تحققت إلى حد كبير وتنذر بتحقيق ما لم يتحقق من خريطة إسرائيل الكبرى التى هى من النيل إلى الفرات كما هو واضح فى هذه الخريطة.

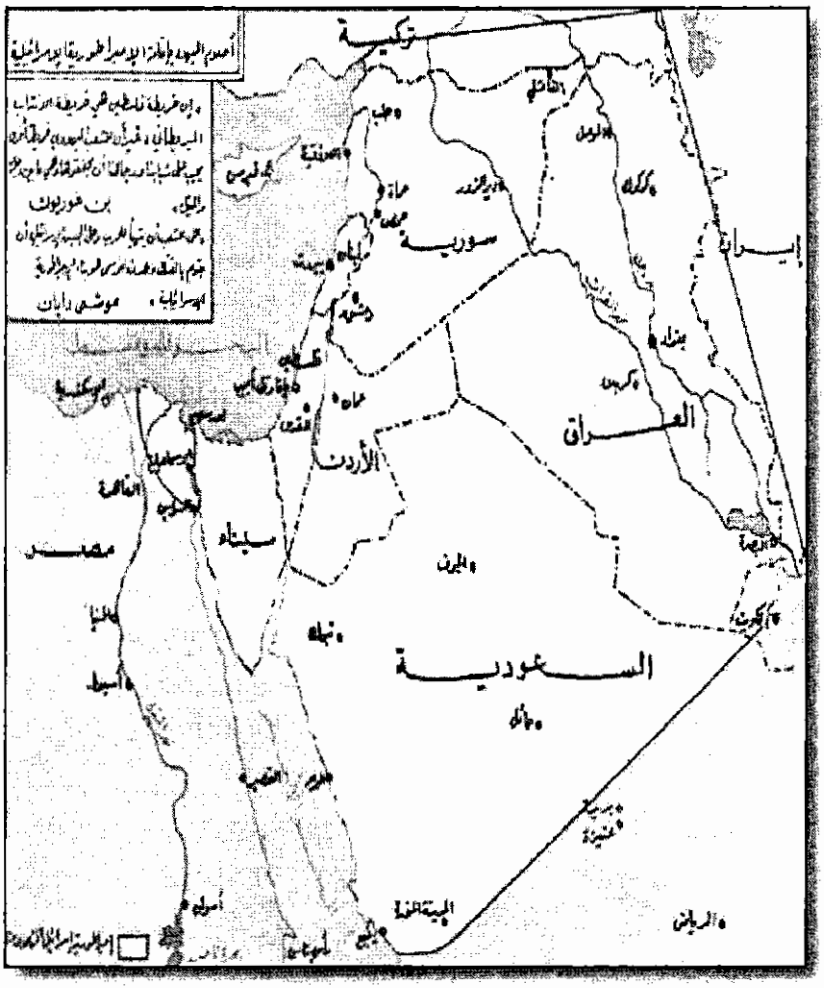

هـذه الخريطـة من مجلة المهندسـين التي تصدرها نقابة المهندسـين فى العدد رقم (٤٢٩) الصادر فى نوفمبر ١٩٩١ بعنوان «ملحق وثائقى عن فلسطين».

ومن المفيد للقارئ العزيز الرجوع إلى هذا العدد من المجلة وبمناسبة لفظ «إسرائيل» الذى اسـتخدم كاسم دولة فإنى أتذكر بعض الدعايات الإسرائيلية من قديم السنين

تفسـر لفظ إسـرائيل بالحروف اللاتينية (israel) على أسـاس أن حروف هذا اللفظ تجميع لحروف أوائل أسماء البلاد العربية التى سـتكون جزءًا من إسرائيل الكبرى بعد الاحتلال الإسرائيلى وهذه الدول هى:

١ – العراق I - IRAQ

٢ – سوريا S - SYRIE

٣ – المملكة الهاشمية (الأردن) R - RAUYUM HACHMITE

٤ – المملكة العربية السعودية A – ARABIE SEOUDITE

٥ – مصر E - EGYPTE

٦ – لبنان L - LIBAN

وطبعاً لم تذكر فلسطين ضمن الحروف لأن إسرائيل تنفى وجود فلسطين.

فـى عام ١٩٩٧ احتفلت إسـرائيل بالعيد المئوى لوجودهـا على خريطة العالم منذ مؤتمر بازل عام ١٨٩٧، (كما احتفلت أيضاً فيما بعد بمرور ٣٠٠٠ سـنة على عاصمتها اورشليم).

الحقيقة أننى أفكر فى هذا التاريخ «منذ سنين طويلة» ويرجع ذلك إلى أن «قضية فلسطين» التى تشغل بال جميع شعوب العالم – والعرب منهم بصفة خاصة – هى الشـغل الشـاغل «للدبلوماسى» سواء على المسـتوى الإقليمى أو الدولى، وأيا كانت دولته التى يمثلها.

وإذا كانت قضية فلسـطين بهذه الأهمية على مسـرح السياسة العالمية منذ ذلك التاريخ فإن مستقبل هذه القضية لابد وأن يكون على درجة أعلى من الأهمية.

وسـبب اهتمامى «بإسـرائيل» يعود إلى «الذاكرة» التى يترسـب فيها ما حدث عام ١٨٩٧ كما يترسب فيها وبعمق أيضاً الأحداث التى تتابعت بعد عام ١٨٩٧.

ولابد أن نسـتعيد مـا فى «الذاكرة» منـذ عام ١٨٩٧ حتى نسـتطيع أن نتبين أهميـة وخطورة «إسـرائيل الآن» ولعله من المهم أن نسـتعرض معاً أهم ما تختزنه «الذاكـرة» باختصار شـديد ولمن شـاء المزيد أن يعود إلى الكتـب والمراجع عربية كانـت أم أعجميـة والأفضل من ذلك أن يعود إلى أضابـير وملفات «الأمم المتحدة»

التى أنشـئت فى ٢٦ يونيو ١٩٤٥(بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أى بعد إنشاء الجامعـة العربيـة بـ ٩٩ يوماً) ومن قبلها عصبة الأمم (التى أنشـئت بعد الحرب العالمية الأولى ١٤ – ١٨) فهى صورة تعكس وتشـهد على حجم المأسـاة التى أدت إلى «وجود إسرائيل».

أولاً: عام ١٩١٧

صدر تصريح بلفور (وعد وزير خارجية بريطانيا) نصه كالآتى:

عزيزى اللورد روتشـلد: يسـرنى جـدًا أن أبُلغّكم بالنيابة عـن حكومة جلالته التصريـح التـالى الذى ينطـوى على العطف علـى أمانى اليهود وقـد عرض على الوزارة وأقرته..

إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطنٍ قومى للشعب اليهودى فى فلسطين وستبذل مساعيها لتسهيل تحقيق هذه الغاية – علىً أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شـأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية الموجودة الآن فى فلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع بـه اليهود فى أى بلد آخر وسـأغدو ممتناً لو تكرمتـم بإحاطة الاتحاد الصهيونى بهذا التصريح.

المخلص آرثر جيمى بلفور.

وبهذا التصريح «الوعد» أصبحت بريطانيا العظمى التي كان لديها صكٌ الانتداب على فلسـطين منذ الحرب العالمية الأولى ١٤/ ١٩١٨ هى المسئولة عن توطين يهود العالم فى فلسطين.

ثانياً: عام ١٩٤٧

صـدر القرار ١٨١ من الجمعية العامة للأمم المتحدة فـى دورتها العادية الثانية ويقضى القرار بتقسيم فلسطين إلى «دولة يهودية» و «دولة عربية» وقسمت فلسطين إلى ثمانية أقسام ثلاثة لليهود وأربعة للعرب والقسم الثامن «لمدينة القدس» بصفتها كيانا مسـتقلا يخضع لإدارة مجلس الوصايـا التابع للأمم المتحدة وتم اتخاذ القرار بأغلبيـة ٣٣ ضـد ١٣ وامتناع ١٠ دول (مجموع دول الأمم المتحدة آنذاك ٥٦ دولة)

التى تم ذكرها فى ملف الجامعة عند الحديث عن قرار (١٨١).

وكان قرار التقسيم عام ١٩٤٧ أول نشاط للأمم المتحدة بعد تكوينها عام ١٩٤٥ على أثر انتهاء الحرب العالمية الثانية فى ١٥ مايو ١٩٤٥.

ثالثاً: عام ١٩٤٨

وبهذا القرار تم إنشاء دولة إسرائيل التى ظهرت إلى الوجود فى ١٥مايو ١٩٤٨ بعد انتهاء الانتداب البريطانى على فلسطين وإعلان قيام دولة إسرائيل على يد العصابات الصهيونية فى فلسطين.

رابعاً :عام ١٩٤٩

أصبحت دولة إسرائيل «عضوًا فى الأمم المتحدة صاحبة قرار الإنشاء» فى ١٥ مايو ١٩٤٩.

قراران (أ): ١٩٤ الخاص بعودة اللاجئين الفلسطينيين (ب): ٢٧٣ الخاص بشأن عضوية إسرائيل إلى منظمة الأمم المتحدة وانضمامها إلى المنظمة.

خامساً: عام ١٩٦٧

قامت إسرائيل بحرب «الأيام الستة» فى ٥ يونيو ١٩٦٧ احتلت فيها إسرائيل كافة وجميع أراضى فلسطين بما فيها القدس العربية، بالإضافة إلى احتلال سيناء من مصر والجولان من سوريا.

بعد أن تم لإسرائيل احتلال الأرض صدر القرار المشهور ٢٤٢ من الأمم المتحدة فى نوفمبر ١٩٦٧ الذى نادى بتسوية سلمية «لمشكلة الشرق الأوسط» تقوم على مبادئ:

انسحاب القوات الإسرائيلية من «أرض» احتلتها فى النزاع (وهناك خلاف فى النصوص هل هى أرض أم الأرض).

إنهاء جميع حالات الحرب.

تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين، (ولم يذكر لفظ الفلسطينيين).

ضمان حرية الملاحة فى الممرات المائية فى المنطقة.

وهكـذا أصبـح قرار الأمـم المتحدة رقـم ٢٤٢ هو البديـل لقرار الأمـم المتحدة رقم ١٨١الخاص بتقسـيم فلسطين وصار هو الأسـاس الذى تتم عليه تسوية سلمية لمشكله لشرق الأوسط! ! (على أساس الحدود الجديدة بعد حرب ٦٧).

أما القراران رقم ٣٣٨، ٤٢٥ وما تعرضه تلك القرارات من انسـحاب إسـرائيلى كامل من الجولان السورية وجنوب لبنان والأراضى الأردنية والضفة الغربية بما فيها القدس وقطاع غزة والمستوطنات وحل مشكلة اللاجئين وفقاً لقرارات الشرعية الدولية والذين صدر بشأنهم قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (٣٩) لعام ١٩٩٨ للدورة (٥٣) والذى ينص على تكوين لجنة حقوق الشـعب الفلسطينى، والقرار رقم (٤٠) لدعم شرعية الحقوق الفلسطينية، والقرار رقم (٨٩) لمساعدة الشعب الفلسطينى.

هناك أحداث وقرارات أخرى هامة منها اشـتراك إسرائيل مع بريطانيا وفرنسا فى العدوان على مصر عام ١٩٥٦ – وحرب عام ١٩٧٣ بين إسرائيل وسوريا ومصر – واتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩ – واحتلال إسـرائيل لجنوب لبنان عام ١٩٨٢ وغـير ذلك من أحـداث وقرارات ومؤتمـرات ولكنها كلها لم تغـير من حقيقة أن إسـرائيل عبر سـنوات ١٨٩٧ و ١٩١٧ و ١٩٤٧ و ١٩٦٧ قد وجدت على خريطة العالم واحتلت كافة وجميع فلسـطين ولا ننس أن اتفاقية كامب ديفيد قد جعلت جزءاً من سـيناء منزوع السـلاح مما قد يكون سـبباً فى إعادة احتلال إسرائيل لها فى أى وقت.

عزيـزى القـارئ: هل تدرك أن خريطة إسـرائيل الكبرى فى صدر الكنيسـت مازالت تضم الأراضى العربية من النيل إلى الفرات، الفرات الذى صار أسيرًا للقوات الأمريكية أو قل أسيرًا للصهيونية العالمية إن شئت الدقة.

وهل يا ترى يمكن أن نتصور من منظور آخر أن إسـرائيل ستتنازل عما حصلت عليه أو عن أجزاء بسـيطة وثانوية مما حصلت عليه فى أكثر من مائة عام مضت، أو أن أى تنازل منها يحتاج لمائة عام قادمة وربما أكثر.

ومما يزيدنى حزنـاً ما قرأته فى مجلة أكتوبر العـدد ١٠١٧ فى ٢١ أبريل عام ١٩٩٦، فى صفحة (كانوا سنة ١٩٤٦)، قرأت ما أحب أن يشاركنى فيه القارئ:

ذكـرت المجلـة تحت عنـوان «قطار فلسـطين» (اسـتأنفت مصلحة السـكك الحديدية المصرية أمس تسيير قطار فلسطين يغادر القاهرة فى المساء، يقل جمهوراً كبـيراً من المسـافرين من بينهم طلبة كليتى النجاح فـى نابلس والطب فى بيروت وسيصل قطار فلسطين القادم من حيفا فى الساعة الثامنة من صباح اليوم إلى القاهرة وقـد أعد قطاران خاصان يغادران حيفا اليـوم ويصلان إلى القاهرة صباح غد مقلين حجاج فلسطين).

هـل تصدق يا عزيـزى القارئ أن هذا كان يحدث منذ سـتين عاماً فقط؟، هل يا ترى خلال السـتين عامًا القادمة يمكن أن يعـود الحق لأصحابه؟، ويعود قطار فلسـطين الذى يقوم من القاهرة ليصل إلى نابلس وحيفا أى يربط ما بين فلسـطين ومصر أتمنى!! وإن كنت لسـت متفائلاً، بل أبدى مخاوفى من أن تقوم إسـرائيل بما يأتى فى الستين عاماً القادمة:

– طرد كافة الفلسـطينيين وإبعادهم من فلسـطين بما فى ذلك من يطلق عليهم «بعرب إسرائيل».

– إجهاض القوة العسكرية لسوريا.

– التواجد الإسرائيلى تحدده المصالح الأمريكية على أرض العراق.

– القيام بعمل عسـكرى مع مصر على أرض سـيناء يحقق لها السيطرة الكاملة على سيناء التى عليها تلقى موسى التوراة كتاب اليهود المقدس.

وأعتقد أن هذه الإجراءات ليست بمستحيلة على إسرائيل والله أعلم.

١٤ - شيخ الأزهر والحاخام

إن ممارسة العمل الدبلوماسى خاصةً ما يتصل به التواجد فى سفارات وقنصليات مصر فى عواصم الدول المختلفة يظهر ويبرز أهمية الأزهر كمؤسسة دينية مصرية منذ ما يزيد على ألف سنة والتى يحدثنا التاريخ أن صاحب الفضل فى إنشاء هذا الكيان الدينى الهام هو حكم الفاطميين الذى بدأ نشاطهم فيما يعرف الآن بالمملكة المغربية ذلك الجزء من شمال أفريقيا الذى يطل على البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسى ويفصل ما بينه وبين الجزء الأوروبى المعروف بشبة جزيرة إيبريا (إسبانيا – البرتغال) ويفصل ما بين الجانبين مضيق يصل البحر المتوسط بالمحيط الأطلسى يعرف باسم مضيق جبل طارق نسبة إلى القائد الإسلامى طارق بن زياد، الذى عبر هذا المضيق بقواته إلى شبة جزيرة إيبريا وقال لهم:

«العدو أمامكم والبحر خلفكم والشهادة فى سبيل الله أملكم»

وأسس ما يعرف فى التاريخ بدولة الأندلس الإسلامية التى استمرت ثمانية قرون وانتهت منذ خمسة قرون ولازالت آثار هذه الدولة الإسلامية موجودة فى كثير من المدن الأندلسية تحكى ماضيا مجيدا كان له أثر كبير فى نقل أوروبا من حضارتها القديمة (الرومانية – اليونانية) إلى النهضة الأوروبية الحديثة التى يتحدث عنها التاريخ لمن يريد أن يعلم، ولقد انتهزت فرصة عملى بسفارة مصر فى الجزائر الذى بدأ فى منتصف عام ١٩٧٦ فقمت بزيارة المملكة المغربية وعبرت مضيق جبل طارق وزرت مدن الأندلس بآثارها ومساجدها وحدائقها ومبانيها الإسلامية لمدة شهر فى إجازتى السنوية عام ١٩٧٧ وهى أى هذه الزيارة تحتاج إلى كتاب آخر غير كتابى هذا.

وأعود فأقول: لا يختلف اثنان على الدور التاريخى والدينى والثقافى والحضارى الذى قام به الأزهر الشريف ولازال يقوم به منذ أن أسس عام (٩٧٢ م)، فضلاً عن الدور الوطنى الذى قام به علماء الأزهر فى الدفاع عن أرض مصر وحريتها

تحت شـعار الأزهر منبراً للحرية ونقطة انطلاق الثورات الوطنية الرافضة للاحتلال ولا أخفى سـرًا أنى قد لاحظت بنفسـى أثناء عملى الدبلوماسى فى البلاد المختلفة عربية وإسـلامية أفريقية وآسـيوية وأوروبية مدى المكانة التـى يتمتع بها الأزهر كجامعة إسلامية عريقة كانت ولازالت أقدم جامعة عالمية إسلامية، أقول لا أستطيع أن أصف تلك المكانة الرائعة التى يحتلها الأزهر فى نفوس وعقول مسلمى العالم من شتى الجنسيات والشعوب، فضلاً عن دوره الرائد لنشر الإسلام فى العالم عن طريق المبعوثين من رجاله إلى الدول واستقباله لطلاب فى منح دراسية.

هذه مقدمة لابد من ذكرها كى تكون مدخلاً للحديث عن الأزهر الآن من منظور التطـورات والتغيرات التى حدثت ولازالت تحـدث على الصعيد العالمى، وأخص بالذكر فى كتابى اللقاء الذى تم بين شيخ الأزهر فضيلة الأمام الدكتور سيد طنطاوى والحاخام الإسـرائيلى مائير لاو فى رئيس طائفة اليهود الإشـكناز يهود الغرب فى إسرائيل علماً بأن هناك أيضاً فى إسرائيل (حاخام ليهود الشرق السفراديم).

هـذا اللقاء ثارت حوله زوبعة تخلط ما بين السياسـة والدين، تخلط بين ما هو موضوعى وعقلى وعاطفى، برغم التصريحات التى أكدها شيخ الأزهر بعد لقائه من تأكيد على أن الحاخام جاء كما يجىء سـائر الناس، ومؤكدًا على أن منهجه فى الحيـاة أن يكون قلبه ومكتبه مفتوحـين لكل من يريد مقابلته لا فرق فى ذلك بين حاخام وغير حاخام، خاصة وأن الرسـول عليه الصلاة والسـلام كان يقابل اليهود بالرغم من مواقفهم المعروفة ضد الإسلام ورسول الإسلام.

وعندما سُـئل شـيخ الأزهر عن إمكانية اعتبار هذا اللقاء نوعاً من أنواع التطبيع بين مصر وإسـرائيل كان رده بدبلوماسية ولباقة: التطبيع موجود ولا يمكن إنكاره ولمصر سـفير فى إسـرائيل ولإسرائيل سفير فى مصر، وأكد على أن لقاءه بالحاخام يعبر عن موقف فردى لا علاقة له بالحكومة وفى نهاية المقابلة قام الحاخام بدعوة شيخ الأزهر لزيارة القدس (المحتلة)، فكان رد شيخ الأزهر (أتريدنى أن أذهب إلى السـفير الإسرائيلى لأحصل منه على تأشـيرة دخول إلى القدس، هذا لن يكون إلى

أن ألقى الله عز وجل، وعندما أفكر فى زيارة القدس سأذهب للسلطة الفلسطينية الممثلة بسفارة فلسطين فى مصر لآخذ منها تأشيرة دخول للقدس) .

هذه المقابلة بين شيخ الأزهر والحاخام ذكرتنى بما دعوت إليه من خلال منبر بريد الأهرام مناديًا فيه المسئولين المصريين بضرورة طبع رسالة دكتوراه فضيلة شيخ الأزهر والتى ناقشها فى ٥ سبتمبر ١٩٦٦، والتى نتج عنها مرجع يعد من أعظم المراجع الدينية التى تقوم بعملية تأصيل وتوثيق لليهود فى التراث الإسلامى وعنوان الرسالة هو (بنو إسرائيل فى القرآن والسنة) وصدر عنها كتاب من دار الشروق فى نوفمبر ١٩٩٧، وازداد تأكيدى واهتمامى بهذا الكتاب بعد ما جاء فى تصريحات شيخ الأزهر أن الحاخام سأله عن هذه الرسالة وهذا الكتاب مما يظهر إدراك إسرائيل لخطورة مثل هذا الكتاب فى تأصيل الرؤية الإسلامية لبنى إسرائيل واليهود منذ عهد موسى عليه السلام حتى العصر الحديث، وهو الأمر الذى أكد لى ضرورة طبع هذا المؤلف الدينى (بنو إسرائيل فى القرآن والسنة) فى مهرجان مكتبة الأسرة بطبعة شعبية بأسعار زهيدة كى يطلع عليها شباب وشيوخ مصر والمسلمون جميعًا، وحبذا لو تمت ترجمته إلى اللغات العالمية الأجنبية المستخدمة فى منظمة الأمم المتحدة الخمس ولعل ندائى هذا فى كتابى هذا يكون له صدى ويتم تحقيقه خدمةً للمسلمين فى مصر وفى أنحاء العالم كى يتعلموا ويدرسوا ويفهموا مدى خطورة المخطط الغربى والصهيونى ضد الإسلام والمسلمين خاصة بعد وجود دولة صهيونية باسم إسرائيل فى قلب العالم العربى والذى هو قلب العالم الإسلامى.

وقد ارتبط لمدة قصيرة لقاء شيخ الأزهر بحاخام رئيس طائفة اليهود الاشكينازى فى إسرائيل بموضوع زيارة السفير الأمريكى السابق فى مصر ديفيد وولش (وأعتقد أنه يهودى) لشيخ الأزهر وكانت المقابلة على أثر تصريح قد نشرته الصحافة المصرية لأحد علماء الأزهر أن الحكومة العراقية الحالية حكومة غير شرعية لأنها لا تعبر عن اختيار ديمقراطى للشعب العراقى ومن ثم لا يجوز التعامل معها، الأمر الذى دعا بعض الجهات الأمريكية بالتأكيد على أنه فى حالة عدم تراجع

رجال الأزهر عن مثل هذه التصريحات سوف يتم وضع الأزهر على قائمة المنظمات الإرهابيـــة العالمية ولا أعرف تفاصيل اللقاء الذى جمع بين شـــيخ الأزهر والســـفير الأمريكى ديفيد وولش (الذى صار بعد ذلك المســـئول الأمريكى عن العلاقات الشرق أوسطية فى وزارة الخارجية حتى كتابة كتابى هذا).

ولا أريـــد أن أعـــرف، ومـــن أراد أن يعـــرف فليرجـــع إلى أضابـــير وزارة الخارجية المصرية.

وإن كنت متأكداً فى نفسى أن فضيلة شيخ الأزهر لابد وأنه كان حريصا كل الحرص على حفظ كيان الأزهر الشـــريف ورسالته وماضيه العريق، ليس فقط فى مقابلته مع الحاخام الإسرائيلى والسفير الأمريكى ولكن أيضا فى كل اتصالاته العالمية.

وبهذه المناســـبة أســـجل أننى قد ســـبق وأن أكدت فى أكثر من مقام ضرورة ضم أعضاء من الدبلوماســـيين المصريين والعرب من خريجى الأزهر الشـــريف لاســـيما خريجى الشريعة والقانون، ودور الثقافة الدينية فى إثراء العمل الدبلوماسى لاسيما علـــى صعيد الصراع العربى الإســـرائيلى والذى تدعى فيه إســـرائيل زوراً اعتمادها على حيثيات دينية توراتية لأســـباب وجودها وأى مفاوضات بين العرب وإسرائيل ستوضع التوراة الأمر الذى يستلزم أن يضع العرب القرآن والإنجيل.

بل أكثر من ذلك أكدت على ضرورة تفعيل دور الأزهر على الصعيدين الآســـيوى والإفريقـــى وإقامـــة لجان حوار الأديان التى تســـعى للتقارب بـــين المفاهيم الدينية القائمة على التكامل وإنشـــاء جمعيات لخريجى الأزهر الشـــريف فى عواصم الدول الإسلامية المختلفة لاستمرار ربط هؤلاء الخريجين مع الأزهر. وكذا جمعية دولية.

وربما لا أكون مبالغًا عندما دعوت على منبر بريد الأهرام أن يقوم شـــيخ الأزهر إلقاء خطاب أمـــام الجمعية العامة للأمم المتحدة من أجل توضيح المفاهيم الحقيقية للإسلام للرد على الحملة الموجهة من الصهيونية العالمية والدوائر الغربية للربط بين الإســـلام والإرهاب والفاشـــية (كما صرح رئيس أمريكا مؤخراً)، وليس تحقيق هذه الفكرة بجديد ، فلقد ســـبق وأن ألقى بابا الفاتيكان (الممثل للمســـيحية الكاثوليكية

فى العالم) من قبل بياناً أمام الجمعية العامة مما يجعل تحقيق هذه الدعوة المشار إليها قريبة المنال إذا فكرت السلطات المسئولة فى مصر فيها بشكل موضوعى واتخذت خطوات جادة فى تحقيقها دون التحجج بأن بابا الفاتيكان رئيس دولة، وأن شيخ الأزهر ليس كذلك فدولة الفاتيكان تسمية شرفية يرمز بها.

حفظ الله الأزهر الشريف منارة الإسلام ومشعل التنوير الدينى فى كافة شعوب العالم الإسلامية وغير الإسلامية.

وأخيرًا أعبر عن أملى فى لقاء خاص مع فضيلة الإمام الدكتور سيد طنطاوى شيخ الأزهر وأنا أتشرف بأن أهدى لفضيلته مؤلفاتى وآخرها كتابى هذا - لأزداد من حديثه الهام الذى كنت أحظى به فى مقابلاتى مع فضيلته فى الاجتماعات العامة.

١٥ - سيناء والسياحة الإسرائيلية

إسرائيل والسياحة العامة

فـى طريقى إلى واشـنطن فى مهمة رسمية عـام ١٩٧٥ تتعلق بعلاقات مصر مع منظمة الدول الأمريكية التى تضم الولايات المتحدة الأمريكية ودول أمريكا اللاتينية (فيما عدا كوبا) وبعضوية صفة مراقب لكل من كندا وإسرائيل ومصر والذى استلزم المرور على مدريد عاصمة أسـبانيا واقتضى اللحاق بالطائرة التى تغادر مدريد وتعبر المحيط الأطلسى فى طيران يستغرق ثمانى ساعات لتهبط فى مطار نيويورك (الذى يبـدأ منها خطـوط طيران داخلية أمريكية). اقتضى الأمـر الانتظار فى مدريد عدة سـاعات من النهار سمحت بالاشـتراك مع وفد من السـياح لزيارة مدينة طليطلة (توليـدو كمـا ينطقونها باللغة اللاتينية الأسـبانية) وهى مدينـة قديمة من المعالم السياحية فى أسبانيا والتى يعود تاريخ إنشائها إلى الحضارة الإسلامية فى الأندلس التى كانت متمركزة فى جنوب ما يعرف جغرافياً بشبه جزيرة «إيبيريا» (وهى تضم أسبانيا والبرتغال).

شـاركت السـياح الأتوبيس الخاص برحلة طليطلة حيث جاء مكانى فى المقعد الأخير من الأتوبيس ومع بداية تحرك الأتوبيس وقفت المرشـدة السـياحية بجوار السـائق وأخذت تحدثنا بلغة فرنسية عبر الميكرفون فى يدها عن تاريخ المدينة مع الإشادة بمبانيها وقصورها وحدائقها الفخمة والتى تدل على حضارة ومدنية اشترك فى بنائها وتصميمها أهل أسبانيا ويهود أسبانيا.

هكذا و بدون خجل أو شعور بالحرج من أنها لم تذكر حقيقة التاريخ ودور العرب والبربر المسـلمين ومن انضم إليهم فى الإسـلام من أهل شـبه القارة «إيبيريا» الأمر الذى انزعجت منه وشـعرت بالضيق لأنه لا يمكن لى أن أوقف المرشـدة السياحية عن استرسالها فى هذه الأكاذيب عن تاريخ حضارة إسلامية عريقة ليس من السهل

إخفاء الحقائق عنها بهذه البساطة التى أظهرت بها المرشدة السياحية فضل اليهود الأسبان مما يدل على تغلغل الأصابع الصهيونية فى المكاتب السياحية.

عندما توقف الأتوبيس السياحى فى وسط مدينة طليطلة بدأ نزول السياح مروراً بالمرشدة وهى تقف على مقدمة الأتوبيس لتشرف على راحة السياح عند نزولهم وكنت آخرهم وهمست لها قبل نزولي باللغة الفرنسية التى كانت تتحدث بها وقلت «أرجو أن تعلمى أنى مصرى مسلم وأرجو أن تصححى المعلومات أثناء العودة وشكراً مقدماً».

أثناء تجول الفوج السياحى بين معالم وآثار مدينة طليطلة قامت المرشدة السياحية بالإشادة بالحضارة الإسلامية التى سادت ربوع الأندلس لما يقارب من ثمانية قرون وربطت بين المعالم السياحية فى طليطلة مع مدن الأندلس الأخرى المشهورة مثل قرطبة وغرناطة ولم تشر من بعيد أو قريب ليهود أسبانيا .

كان ذلك عام ١٩٧٥ ومن يومها تابعت التسلل الصهيوني فى مجالات السياحية فى العالم وأستطيع فى هذه الذكريات أن أذكر بعضاً من أهم ما لفت نظرى وشد انتباهى: **أولاً**: إنشاء مركزلتدريب العاملين بالسياحة فى الشرق الأوسط – بالتنسيق بين مصر، الأردن، إسرائيل، لبنان، تركيا ودول الخليج للتسويق الجماعى والرحلات الشاملة للمنطقة، هذا فضلاً عن مشاريع السياحة وتسمية المنطقة (بالريفيرا الشرقية) كما أنه هناك مشروع منظمة حوض البحر الأبيض المتوسط لتنشيط التعاون فى مجال السياحة وتضم فى عضويتها كلا من مصر، وإسرائيل، تركيا.

ووجدت أيضا أن إسرائيل تقوم فى دعايتها السياحية بالربط بين أهرامات مصر وإسرائيل فى شكل عبارة مستديمة تقول (إسرائيل قديمة قدم الأهرامات) وفى هذا يذكر جميع شعوب العالم ويحضر فى أذهان الأجيال الجديدة دائمًا القصص الدينية فى العهد القديم، الذى هو المكمل للعهد الجديد والتى تحكى قصة بنى إسرائيل وموسى وخروج أتباعه اليهود من مصر.

وهكـذا تتركز أيضًا الدعاوى الصهيونية التى تقـول: إن اليهود هم بناة الأهرام وبالتالى هم بناة الحضارة الفرعونية القديمة.

ثانيًا: وجدت أن إسرائيل تذيع عن نفسها أنها هى الأرض التى ولد فيها المسيح و أنه يهودى وأمه يهودية، كما تركز فى دعاياتها السياحية على توزيع منشورات سـياحية فيها صور للمساجد الإسلامية القديمة والكنائس المسيحية العربية والقلاع والحصون التاريخية فى فلسـطين ويكتبون تحت الصور «هذه هى إسـرائيل» دون أن تتضمن هذه المنشورات السياحية أية آثار يهودية قديمة فى فلسطين (لأنه فعلاً لا توجد أى آثار يهودية) وللقارئ أن يعود إلى ملف القدس للتعرف إلى الصور التى تخص هذه القضية.

كما وجدت بعد توقيع اتفاقية السلام بين مصر و إسرائيل بموجب اتفاقية كامب ديفيد أن إسـرائيل تقوم بالترويج للرحلات السـياحية إلى إسـرائيل لتشمل وتمتد وتضم شبه جزيرة سيناء وفى هذا ربط صريح وعلنىّ بين إسرائيل وسيناء أمام العالم خاصة ومعظم السـياح الأمريكيين والأوربيين يؤمنون بأن أرض سـيناء هى الأرض التى تلقى عليها موسى نبى اليهود التوراة ويطلق عليها العهد القديم الذى هو جزء من الكتاب المقدس للمسـيحيين بعد إضافة الإنجيل، وبذلك تكون أرضًا إسرائيلية فى اعتقادهم وفى نظرتهم لها.

كما أنه ومن ناحية أخرى تبنى إسـرائيل دعايتها السـياحية فى دول أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى على أسـاس أن إسـرائيل هى الأرض المقدسة وأن الأفارقة المسـيحيين فى حماية إسـرائيل التى لا تمـارس التفرقة العنصريـة ضد الأفارقة السـود وأن كل مسيحى هو أصلاً يهودى وبذلك تحضر فى أذهان الأفارقة حديثى الاسـتقلال من الاستعمار الغربى العنصرى أن إسـرائيل موجودة قديمة قدم العهد القديـم (التوراة) وأنه لا وجود لفلسـطين مغتصبة أو محتلة بـل الماضى والحاضر والمسـتقبل هو دولة إسرائيل!! وتربط بين اضطهاد الغرب لليهود واضطهاد الرجل الأبيض الأوروبى للزنوج الأفارقة.

سيناء دينيًا:

كما يكون من المفيد أن يتضمن كتابى هذا موقع شبه جزيرة سيناء من الناحية الدينية حيث عبرها النبى إبراهيم فى زيارته لمصر مع زوجته سارة قادمين من أرض الرافدين (بلاد العراق) وعبرها فى العودة مع السيدة هاجر، كما عبرها يعقوب وأولاده ومنهم يوسف للاستقرار فى مصر قادمين من أرض كنعان، وعبرها المسيح مع أمه مريم هرباً من الحكم الرومانى على فلسطين وعاد عن طريقها إلى القدس، هذا وللمسيحية الأرثوذكسية الشرقية لها دير سانت كاترين فى سيناء التابع لليونان وتم منح رهبان سانت كاترين وثيقة لضمان أمنهم وسلامتهم، ومن ناحية أخرى ورد فى القرآن ذكر سيناء فى سورة الطور:

﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ ﴾

وسورة الأعراف :

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٤٣ ﴾

وسورة التين:

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ ﴾

كما أنه ومن المهم أن نبرز أن النبى موسى تلقى فيها رسالة السماء (التوراة)، وخرج بنو إسرائيل وموسى من طغيان فرعون مصر الذى لم يستمع إلى القول اللين من موسى وهارون ، هذا هو التاريخ القديم.

إسرائيل والسياحة فى سيناء

ومما لا شك فيه أنه إذا استخدمت إسرائيل سيناء ضمن برنامجها السياحى ستسارع وتدفع بمئات الألوف من اليهود للمشاركة فيها لأنهم أحق الشعوب

بزيارتها، أن تلك المسيرات السياحية المزمع إقامتها ستتيح الفرصة لإسرائيل أن تنشر سيطرة عقائدية على أرض سيناء، ولا يمكن التنبؤ بالسلوك اليهودى وما سيجرى فى الاختلافات من مبالغات واستفزازات بصورة أعم وأشمل وأضخم مما يحدث وخبرناه فى مولد «أبى حصيرة» بمحافظة البحيرة فى قرية «دميتوه»، وأن أية محاولات لفرض الانضباط على سلوكهم فى سيناء سيضعها اليهود فى قوالب انتهاكات حرية العقيدة وحقوق الإنسان إلى آخر المصطلحات الدولية، ومن المناطق التى يتردد عليها الإسرائيليون بكثرة حمامات موسى بمدينة الطور ويعتبرونه رحلة للاستشفاء من الأمراض الجلدية والروماتزمية، وتدعى إسرائيل أن سيناء أرض دينية ترتبط بإسرائيل اليهودية ومن يريد السياحة فى إسرائيل فلابد أن يزور سيناء وذلك يعنى أنها سياسيًا ممكن أن تحتل سيناء مرة ثالثة لأهميتها فى نظر اليهود الذين يقدسون منطقة جبل الطور جنوب سيناء لاعتقادهم أنه المكان الذى كلم الله فيه نبيه موسى، كما أن منطقة الطور هى الأرض التى احتوتهم عندما خرجوا من مصر ولهذه المنطقة حب وحنين لدى اليهود، والغريب أن السلطان العثمانى سليم الأول أصدر فرمانا عام ١٥١٧ (وهو العام الذى دخل فيه مصر)، بمنع اليهود من الاستيطان فى هذه المنطقة، وأصدر ابنه السلطان سليمان القانونى فرمانا يؤكد فرمان والده، ويحدده، على أرض سيناء.

سيناء سياسيًا:

وفى نهاية القرن التاسع عشر جاء هرتزل يفكر فى إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين نتيجة لزيادة هجرة اليهود إلى فلسطين منذ عام ١٨٨٢ تاريخ احتلال بريطانيا لمصر، وكان اليهود الاشكنازى المهاجرون من شرق أوروبا هرباً من الاضطهاد، وكانت الدولة العثمانية من واقع الدين الإسلامى تستقبلهم اعترافاً بحق اليهود فى الحماية فى ديار إسلامية كأصحاب ديانة موسى نبى الله، وكان هذا لا يلزم الدولة بإنشاء وطن لهؤلاء اللاجئين.

وهكذا كانت عين هرتزل على أرض سيناء أيضاً واقترابهم من قناة السويس لهدف زحف الحلم الصهيونى شرقاً إلى فلسطين حيث التراث اليهودى كما

يقولون، و فى العصر الحديث امتد الخيط لحروب ثلاث فوق رمال سيناء ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣، وانسحبت إسرائيل كل مرة من سيناء إلى خارج الحدود، إلا أنه يلاحظ أنه منذ توقيع اتفاقية السلام مع إسرائيل يدخل ألوف من الإسرائيليين إلى سيناء فى سياحة لها دون أية تأشيرات، وليس هناك لأى سلطة مصرية رقابة أو مراجعة أثناء دخولهم وإقامتهم وتصرفاتهم على أرض سيناء التى يمكن اعتبارها منطقة منزوعة السلاح، ويحظر وجود قوات عسكرية مصرية فيها (بحكم اتفاقية كامب ديفيد) سوى قوات أجنبية متعددة الجنسيات برئاسة أمريكا للتأكد من أنها منطقة منزوعة السلاح.

ولتوضيح ذلك يهمني أن أذكر أن هناك دعابة خاصة هى الأنباء والأخبار التى تصدر عن إسرائيل سواء من بعض المسئولين أم من الأجهزة الإعلامية الإسرائيلية، أجد لزاماً علىّ فى كتابى هذا ومن واقع إيمانى العميق بخطورة الصهيونية العالمية ومبادئها الملعونة، خاصة أن طور سيناء يجعل من شبه جزيرة سيناء أرضاً مقدسة لليهود سواء قبل أن تكون لهم أم بعد أن خلقت لهم دولة باسم إسرائيل هى أى (سيناء) تحت الميكروسكوب الدينى الصهيونى الدائم، فضلاً عن كون شبه جزيرة سيناء جزءا جغرافيا يقع فى أرض إسرائيل الكبرى التى هى من النيل إلى الفرات كما يحلمون، ولكل ذلك ولغيره فليس من المستبعد خاصة مع التزايد السكانى اليهودى فى إسرائيل أن تقوم باحتلال سيناء مرة ثالثة وكان الاحتلال الأول عام ١٩٥٦، وخرجت بأمر من الرئيس الأمريكى أيزنهاور، والاحتلال الثانى ١٩٦٧ فيما يعرف بحرب الأيام الستة وبذلك تم إغلاق قناة السويس أمام الملاحة الدولية لوجود القوات الإسرائيلية على الضفة الشرقية لقناة السويس حتى استطاعت القوات المصرية باختراق خط بارليف عام ١٩٧٣ ومما أعقبه من مفاوضات ومباحثات واتفاقيات حتى تم جلاء القوات الإسرائيلية إبريل عام ١٩٨٢، وأخيراً تم استرداد طابا بحكم محكمة العدل الدولية، وفى مقابلها احتلت إسرائيل أم رشراش على خليج العقبة وأقامت عليه ميناء إيلات مما يشرحه كتابى القادم بكل التفاصيل عن ما جرى لأم رشراش.

وهنا أرى من واجبى أن أذكر القارئ بما قرأه فى كتابى هذا عن ذكريات عملى بسفارة مصر فى بلجيكا عندما كنت مستشاراً فيما رويته عن قصة طبيب العظام البلجيكى معى.

وعلى هذا يمكن التنبؤ بإمكانية الاحتلال الثالث مستقبلاً خاصة أن تصريحات الرسميين الإسرائيليين عام ١٩٨٢ توضح ما يجول فى خاطرهم وما يمهدون له بالإدعاء بأن لهم حقاً فى سيناء فهم الذين قالوا، إن إسرائيل ستنسحب من سيناء الأرض التى يزعم المصريون أنها حقهم التاريخى، وهم أيضاً الذين قالوا: إن مجلس الوزراء الإسرائيلى قرر الانسحاب، أى إن انسحابهم جاء تنفيذاً لقرار مجلس وزرائهم وليس تنفيذ اتفاقية كامب ديفيد أى إن انسحابهم يكاد يرقى فى نظرهم إلى مرتبة التنازل من جانبهم عن شىء يملكونه، ومن يملك أن يتنازل يملك أن يسترجع ويسترد ما يملكه متى شاء وربما كيف شاء، ومن هذا المنطلق يردد الإسرائيليون طالبين بإعادة احتلال سيناء بدعاوى مختلفة وحسب الظروف السياسية.

ومن المهم أن نذكر هنا أن إسرائيل اشترطت قبل انسحابها الثانى ١٩٨٢ من سيناء أنها لم تنفذ ذلك إلا بوجود ووصول القوات متعددة الجنسيات وتمركزها فى قلب سيناء بادعائهم لحفظ السلام، الأمر الذى يعنى فى رأيى أن ذلك حرصًا منهم بعدم دخول قوات عسكرية مصرية إثر انسحابهم من سيناء، هذا هو المقصود من وجود القوات المتعددة الجنسيات وإن كانت بعض الدوائر ذات الصلة بهذه القوات تصرح بأن وجودها لا يمنع فقط القوات المصرية ولكن أيضاً القوات الإسرائيلية.

وهذا تفسير اعتقد أنه لا يمثل الحقيقة بالنسبة للقوات الإسرائيلية إذا ما رغبت العودة لاحتلال سيناء مرة أخرى ففى هذه الحالة ستنسحب هذه القوات الدولية تاركة سيناء لهم كما انسحبت بريطانيا تاركة فلسطين للعصابات الصهيونية ١٩٤٨.

١٦ - البابا شنودة وإسرائيل

ينتهى ويتخلص الشـخص من عبء الوظيفة الرسمية ببلوغه سن التقاعد (التى هى فى الأعم٦٠ عاماً) حيث يشعر بحالة من الارتياح حتى ولو كانت هذه الوظيفة هى العمل الدبلوماسى بما فيه من إجهاد ودقة وإصرار وبريق ربما يتمناها الكثيرون فـى أنحاء العالم، وربما يكون هذا هو الـذى دفعنى أن أحرص على عدم الالتزام بـأى عمل رسمى بعد أن وصلت إلى كل ما أتمناه فى عملى الدبلوماسـى وهو بلوغ قمة الدبلوماسـية بدرجة سفير ومنصب السفير يمتاز بأهمية خاصة لأنه وهو يتقلد منصبه يتسلم من رئيس دولته خطاب الاعتماد موجهاً إلى رئيس الدولة الموفد إليها يعبر عن أن هذا السـفير مفوضاً من قبل رئيس دولته لدى رئيس الدولة الموفد إليها كمـا يتضمن خطاب الاعتماد الصفات التى يتمتع ويتميز بها السـفير والتى أهلته لأن يشغل هذا المنصب، فضلاً عن كونه مسئولاً عن كل ما يخص دولته من مصالح خـارج وطنه وهى تلك التـى يتولاها داخل الوطن مجلس الوزراء الذى كما نعرف يتم تشكيله من عدة وزراء متخصصين كل فى مجاله، والمجلس يتمتع بسلطته عن إدارة شـئون الدولة وهو مسئول كحكومة أمام رئيس الجمهورية فى الدول الرئاسية أو أمام البرلمان فى الدول الأخرى.

والمفروض أن السـفير بمعاونة أعضاء السـفارة الدبلوماسـيين ومن الفنيين يمارس الاهتمام بقضايا وطنه بالعلاقات الثنائية بين وطنه والبلد الذى أوفد له، وهذا لا يمنع أن يكون السفير فى غالب الحالات مهتماً بالأمور السياسية العامة وعلى الأخص فيما يخص المنطقة الواقع فيها وطنه وكذا العلاقات الدولية العامة، وأعتقد أنه بالنسـبة لسفراء مصر فى كافة عواصم العالم – وأنا منهم – فإن قضية فلسطين هي أهم القضايا التى يهتم بها السفير المصرى ويشاركه فى ذلك سفراء الدول العربية الأخرى.

وابتـداءً من ٥ مـارس ١٩٩٠ تاريخ التقاعـد أثرت أن أتفـرغ للعمل الاجتماعى والصحفـى والقراءة المتأنية والتأمـل العميق لتلك الرحلة الدبلوماسـية الطويلة التى امتـدت على مـا يزيد عن ثلاثين عامـاً، وقررت ألا ألتحق بـأى عمل رسمى آخر

كمـا يفعل الزملاء وأتفرغ للكتابة سـواء فى الصحف أو بإصـدار كتب عن ذكرياتى الدبلوماسـية كما حدث فعلاً، حيث صـدر لى كتاب عام ١٩٩٥ من دار أخبار اليوم بعنوان الوجه الآخر للدبلوماسية، وفى عام ١٩٩٨ صدر لى الكتاب الثانى عن دار ابن سينا للنشر بعنوان حكايات دبلوماسية ومواقف سياسية، وأعيد طبعه عام ٢٠٠٧ فى الهيئة العامة للكتاب وهذا النشاط فى الكتابة لم يمنعنى من القيام بإلقاء محاضرات وحضـور ندوات والاشـتراك فى جمعيات متفرقة، وأخص بالذكـر أنه تم اختيارى مستشـاراً لجماعة الإخاء الدينى التى بذلت فيها مجهوداً ونشـاطاً أدى إلى أن أكون أحد أعضاء مجلس إدارة هذه الجمعية، وأستطيع أن أوجز عدة أسطر لهذه الجمعية جماعة الإخاء الدينى مشهرة برقم ٢٤٣٩ بتاريخ ٦ إبريل ١٩٧٨ ومن أهدافها:

نشـر التآخى والتآزر بين المؤمنين والتسـامح والأخوة فى الله بين أهل الأديان السماوية ونشر المعرفة والثقافة بما يحقق أهداف الجماعة والاهتمام ببعض مشكلات الحيـاة التى تحتاج نور الدين بأسـلوب يتمشـى مع روح العصر وتنقسـم عضوية الجماعة إلى عضو عامل، عضو منتسـب، وعضو فخرى، وتتكون إيرادات الجمعية أساساً من اشتراكات الأعضاء والتبرعات والهبات والوصايا والإعانات الحكومية.

وفـى نهاية كل اجتماع تعقده الجماعة يقف المجتمعون ويرددون دعاء الجماعة وهو: «اللهم.. إليك نتوجه، وعليك نتوكل، وبك نستعين وإياك نسأل: أن ترزقنا قوة الإيمان بك، وحسن الاهتداء بهدى أنبيائك ورسلك.

ونسألك يا الله – أن تجعل كل فرد منا وفياً لعقيدته، أميناً على دينه، فى غير تزمت نشـقى به فى أنفسنا ولا تعصب يشـقى به مواطنونا ونضّرع إليك – يا ربنا – أن تبارك إخاءنا الدينى.

وأن تجعل الصدق رائدنا إليك والعدل غايتنا منه والسـلام ذخيرتنا فيه «يا حى يا قيوم.. يا ذا الجلال والإكرام».. آمين.

وهكذا أتاحت لى هذه الجمعية أن أكون على علاقة قريبة مع شـخصيات دينية سواء من الأزهر الشريف أم من الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

ويهمنـى فـى هذا الملف أن أركز على أن بطريركية الأقباط الأرثوذكسـية المركز الإعلامى قد أصدرت ثلاثة كتب هى:

الأول: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وقضية القدس – الالتزام بالقضية والثبات على المبدأ – بتاريخ ١٥/ ٣/ ١٩٩٥.

الثانى: هو مقالات وآراء حول موقف الكنيسة القبطية الأرثوذكسية من قضية القدس قضية الرأى الواحد بتاريخ ١٩٩٥/٨/١.

الثالث: هو المسيحية وإسرائيل – البابا شنودة الثالث

بطريركية الاقباط الارثوذكس
المركز الاعلامى

مقالات وآراء

حول موقف الكنيسة القبطية الارثوذكسية من قضية القدس

قضية الرأي الواحد

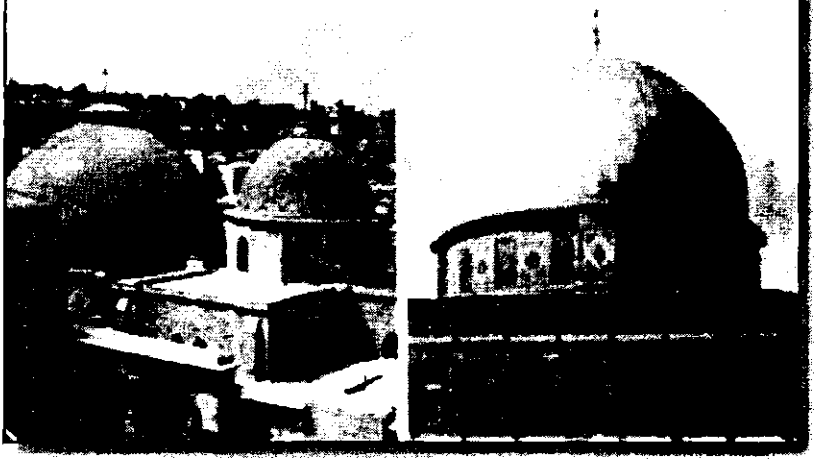

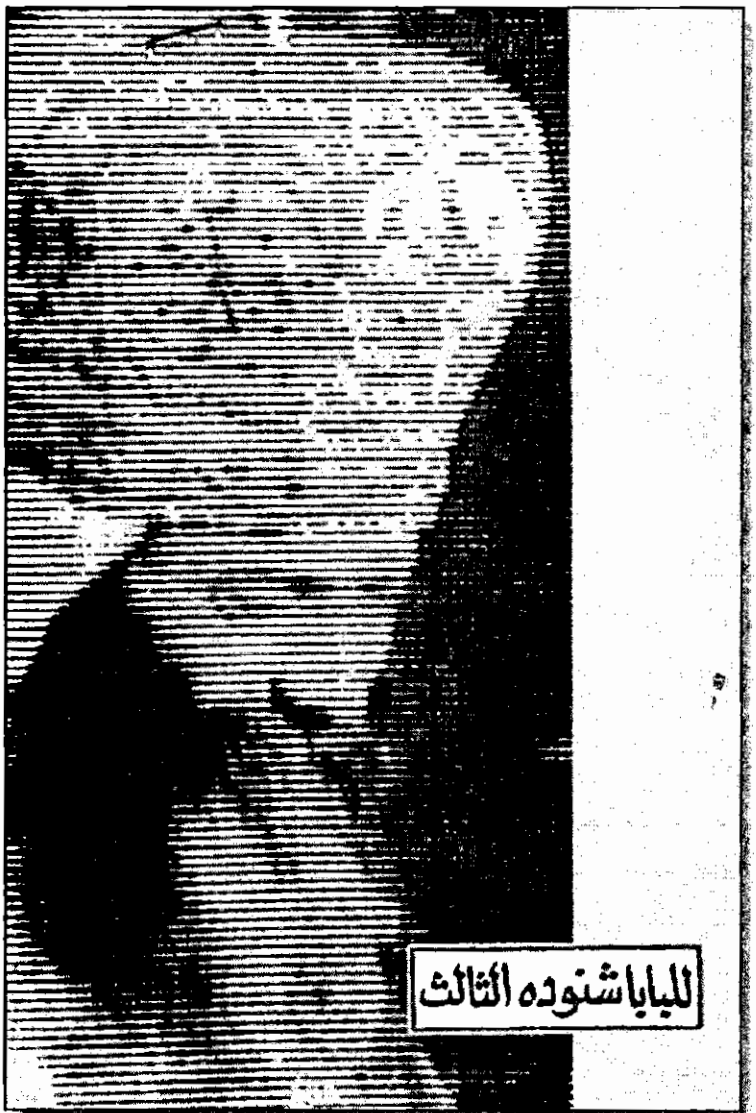

«عن كلمة البابا شنودة فى نقابة الصحفيين ٥ ديسمبر ١٩٧١»

وقـد دفعنى الكتاب الأول أن أكتب تعليقاً يهمنى أن أبرزه فى السـطور التالية ونصه كالتالى:

« الكنيسة القبطية وقضية القدس ذلك هو عنوان الوثيقة التى أصدرتها بطريركية الأقباط الأرثوذكس مؤخراً.

والوثيقة تشتمل على محاضرات قداسة البابا شنودة الثالث فى نقابة الصحفيين فى يونيو ١٩٦٦ عن «إسرائيل فى المسيحية» وتركز وتجاوب عن التساؤلات التالية:

متى بدأت قصة إسـرائيل؟ وماذا كان الوعـد الذى أعطاه الله لإبراهيم وأولاده؟ من هم هؤلاء اليهود؟ هل هم شـعب الله المختار؟ هـل هم حقاً أبناء إبراهيم؟ وهل هـم حقـاً دولة لها كيانها؟ هل هم حقاً أصحاب المواعيد للإلهية أم أن الله رفضهم وانتهى أمرهم من زمن؟

وانتهـت هذه المحاضرة التاريخية بقرار بابا وبطريرك الكنيسـة الأرثوذكسـية بعدم الاعتراف باليهود كأصحاب ديانة قائمة فمن الناحية الدينية كانت اليهودية ممهدة للمسيحية فلما أتت المسيحية لم يعد لليهودية وجود كديانة قائمة بذاتها أما من جهة المملكة فلا يمكن فى ضوء الكتاب المقدس الاعتراف بمملكتهم المزعومة.

كما تتضمن الوثيقة إجابات قداسـة البابا بشـأن القدس فى اللقاءات الصحفية والمؤتمرات والندوات الدولية وآخرها ندوة القدس مدينة السلام والتى عقدت تحت لـواء جامعة الـدول العربية فى مارس ١٩٩٥ والتى حضرها فضيلة شـيخ الجامع الأزهر والأمين العام لكل من جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى.

والوثيقـة بمـا تضمنته تعتبر وثيقـة تاريخية وفى غاية الأهمية وتحدد بشـكل قاطع موقف بطريركية الأقباط الأرثوذكس مما له انعكاسات إيجابية لصالح القضية الفلسطينية.

والأمر يسـتدعى أن تكون الوثيقة مرجعاً هاماً ورئيسياً لكل المنشغلين بالسياسة والدبلوماسية والإعلام فى داخل مصر وخارجها وبالنسبة للأجيال القادمة الذين هم فى مراحل التعليم لابد وأن تدخل فى المناهج الدراسية.

إن هذه الوثيقة لابد أن تكون مصدراً هاماً ورئيسياً لكل السادة الزملاء العاملين بسفارات مصر وقنصلياتها فى خارج الوطن خاصة وقداسة البابا عضو فى مجلس الكنائس الأرثوذكسية الشرقية وعضو المجلس الكنائسى العالمى.

مرت الأيام ولم أشرف بلقاء مع قداسة البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية، [حيث دخلت المسيحية الأرثوذكسية مصر عن طريق أحد حواريى عيسى وهو مرقص وقد طلب البابا من الفاتيكان إعادة رفات القديس مرقص وقد تم ذلك].

أقول مرت الأيام ولم ألتق بقداسة البابا جسداً وإن كنت قد التقيت معه روحًا وفكرًا لا سيما بعد اطلاعى على تلك الوثيقة المهمة التى أصدرتها بطريركية الأقباط الأرثوذكس والسابق الإشارة إليها التى أكد فيها البابا أن القدس حكمها العرب سنة ٦٤٢ م طوال القرون التى مرت عليها، أربعة عشر قرناً من الزمان، ثم جاء اليهود وبدءوا يدّعون أنها مدينة لهم وأنها عاصمتهم، مؤكداً على أن اليهود يسمون فلسطين أرض الميعاد ويقولون: إنهم عاشوا فيها بوعد من الله، وأنا (أى البابا) أقول لهم إنهم جاءوا إليها ليس بوعد من الله وإنما بوعد من بلفور وكان ذلك عند لقائه بالرئيس الأمريكى بوش، وهذا يذكرنى أنه فى عام ١٩٧٧ عندما قام البابا بمقابلة الرئيس الأمريكى جيمى كارتر وفى خلال الحديث معه، قال له يا سيادة الرئيس: لو كان اليهود لا يزالون شعب الله المختار حالياً يبقى لا أنا ولا أنت أيها الرئيس من شعب الله المختار، لأن إحنا الاثنين مش يهود، فرد الرئيس بابتسامه ساخرة.

وأعتقد أن الرد الساخر على البابا من الرئيس كارتر يوحى بالمسيحية لليهودية التى تطورت إلى المسيحية الصهيونية فى أمريكا، خاصةً وأن الرئيس كارتر يوصف بأنه مسيحى أصولى بما يترجم معه فى أمريكا بأن الأصولية هى اليهودية التى هى أساس المسيحية.

وبهذه المناسبة أذكر القارئ بما ذكرته عن هذا الموضوع فى ملف تركيا عندما كنت أعمل نائب قنصل للجمهورية العربية المتحدة فى مرسين كما أكد قداسة البابا

أن الوعد الذى أعطاه الله للآباء كانت له ظروف أولاً وله شروط ثانياً، أما الظروف فهى أن العالم كانت تسوده الوثنية وعبادة الأصنام فأراد الله أن يحفظ مجموعة من النـاس بعيدة عن التأثير الوثنى فأعطـى الله اليهود هذا الوعد، فلما عصى اليهود الله وعبدوا الأصنام حتى أيام موسـى انتهى هذا الوعد. وتأكد هذا الانتهاء عندما جاء المسيح وقال (هو ذا بيتكم خراب) وخربت أورشاليم عام ٧٠ م والذى شتت فيه اليهود فى أرجاء الأرض كلها ولم تعد لهم دولة فيما بعد مما يؤكد أسـطورية فكرة وعد الله للشـعب المختار وأرض الميعاد فقد انتهت هذه الفكرة لأنهم كانوا شـعب الله المختـار عندما كان العالم كله وثنياً وكان اليهود يعبدون الله عن طريق الأنبياء كما فى العقيدة المسيحية. وأكد البابا أن بعد مجىء المسيح وانتشار المسيحية أصبح شعب الله المختار هو جميع المؤمنين بالله.

الأخطـر من ذلك أن البابا أكـد أن موقفه من منع زيارة الأقباط للقدس لم يتغير بالرغم من تغير سياسات عديدة، وأنه لن يدخل القدس إلا مع شيخ الأزهر وبرضا العرب والمسلمين والفلسطينيين جميعاً وقراره هذا مازال قائماً برغم معارضة الكثيرين لهذا القرار، بل أكثر من ذلك ردد البابا شـنودة الكلمة التى قالها مطران القدس: «إن الذين يذهبون إلى القدس من الأقباط ليسـوا حجاجاً وإنما عصاه»، معتمداً على أن القضيـة لم تنتـه، وأن القدس لازالت محتلة، والمعركـة قائمة، ولم تكن دولة فلسـطينية، واليهود يؤكدون فى كل لحظة بأنه لا دولة فلسطينية وهو مجرد حكم ذاتى تحت مظلة إسرائيل، وفى هذا إشارة من قداسة البابا إلى إدعاء اليهود المستمر بأن القدس الموحدة قد عادت لهم وستظل العاصمة الأبدية لإسرائيل.

لقـد أعاد موقف البابا شـنودة الـدال على توحد المصريين مسـلمين وأقباطًا إلى ذاكرتـى ما كانت تحكيه أمى عن ولادتها لى، حيث تمت الولادة بعملية جراحية قام بها طبيب نسـاء دمنهورى، لكن هذا الطبيب أكد على ضرورة انتقال أمى إلى أحد المستشفيات فى القاهرة مخافة حدوث مضاعفات بعد العملية (لا تنس عزيزى القـارئ أن هـذه الأحداث كانت عام ١٩٣٠)، واختار الطبيب المستشـفى القبطى

بالقاهرة (والتى تأسست عام ١٩٢٦) حيث كان بها طبيب مسيحى كان أشهر أطباء النساء والتوليد فى القاهرة آنذاك، وهو الدكتور نجيب محفوظ باشا، وعلى الفور أيد جدى لأمى الشيخ عبد العزيز الزواوى اقتراح الطبيب، ووافق على دخول أمى المستشفى القبطى دون أى تردد، ولازلت حتى الآن أذكر هذا الموقف عندما أستمع إلى أى حوار غير منطقى عن العلاقة بين مسلمى وأقباط مصر.

وأعود لأقول: إن هذه الوثيقة بما تتضمنه من آراء للكنيسة القبطية المصرية تعتبر وثيقة تاريخية وفى غاية الأهمية وتحدد بشكل قاطع موقف بطريركية الأقباط الأرثوذكس مما له انعكاسات إيجابية، وهنا أكرر ما سبق أن ذكرته فى مقالى المشار إليه آنفاً من أن الأمر يستدعى فى رأيى أن تكون الوثيقة مرجعاً مهماً ورئيسياً لكل المنشغلين بالسياسة والدبلوماسية والإعلام فى داخل مصر وخارجها، بل وتدخل فى المناهج الدراسية وتكون مصدراً رئيسيا للعاملين بسفارات مصر وقنصلياتها فى خارج الوطن ومن المهم أن ألفت نظر القارئ العزيز فى كتابى هذا، إلى نص الحوار الشيق الذى أجراه قداسة البابا مع المذيعة الوقورة د/ درية شرف الدين فى مارس ٢٠٠٢ على القناة الفضائية حيث إن البابا شنودة رجل دين.. وشاعر.. مؤرخ.. ومؤلف لأكثر من أربعين كتاباً.. الحوار معه بحر بلا شطآن.. وقد انفردت د/ درية فى هذا الحوار عن قضايا الدين والسياسة والمجتمع وحصل هذا الحوار على جائزة مهرجان الإذاعة والتليفزيون.. وأخيراً سجلته د/ درية فى كتاب لها بعنوان (إبحار فى عقل وقلب البابا شنودة) وجاء صدور هذا الكتاب مع الاحتفال بعيد الميلاد رقم ٨٠ للبابا أمد الله فى عمره.

كما كان هناك حوار آخر رد فيه قداسته على المزاعم الشيطانية الصهيونية وكشفها فى حواره مع سناء السعيد فى كتابها «البابا شنودة دنيا ودين» وتناول فى هذا الكتاب قضية الهولوكوست وشعار معاداة السامية وادعاء اليهود أنهم الشعب المختار.

وهنا أرى من المفيد أن أشير إلى ما احتفظته ذاكرتى عندما كان البابا كيرلس السادس بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقصية فى كل إفريقيا والشرق الأوسط

وقد اجتمع مع فضيلة الإمام الأكبر شـيخ الجامع الأزهر الشـيخ حسن مأمون، وتم إصدار بيان مشـترك موجه إلى أصحاب الضمائر الحرة فى أنحاء العالم أن العرب أباة لا يقبلون الضيم، أحرار يرفضون الذل، وأنهم يؤمنون بالله ثم بمقدساتهم التى يرونها رمز إيمانهم، ووسائل دفعهم إلى الخير والحق والعدل لنا ونحن فى جو من الأخوة والصفاء، النابعين من قلوب عامرة بالإيمان بالله، مليئة بالمحبة الصادقة، والإخـلاص لأمتنا ولوطننا، نرى أن نتوجه فـى هذا الجو العصيب الذى هدد فيه السـلام نتوجه إلى العالم نخاطب شـعورهم ووجدانهم وضمائرهـم بما اتفقت عليه كلمتنا وما استقر عليه أمرنا: إن الصهيونية العالمية قضية جنس لا تمت إلى الأديان بصلة وهى تعادى الإسـلام والمسيحية، وليسـت هذه العداوة جديدة ولا مستحدثة وإنما هى وليدة تاريخ طويل.

وأختم حديثى هذا بشعورى بالسعادة أن تنشر صورة تذكارية لى مع قداسة البابا شنودة الثالث فى اجتماع بالنادى الدبلوماسى قبل طبع كتابى هذا.

١٧ - إسرائيل دولة اليهود والفاتيكان دولة المسيحية الكاثوليكية

من المثير لأى دبلوماسى فى العالم أن يقرأ فى القائمة الدبلوماسية أن هناك سفراء يوفدون وأن هناك سفراء يمثلون دولة الفاتيكان، وهناك فرق بين السفراء الذين يوفدون إلى الفاتيكان ويمثلون دول العالم المختلفة ولا يتميزون بأى مظهر دينى على عكس السفراء الذين يمثلون دولة الفاتيكان لدى الدول الأخرى فكلهم يتميزون بكونهم رهبانا كاثوليكا فى زيهم التقليدى وهذا الأمر يثير تساؤلا لماذا فقط الديانة المسيحية الكاثوليكية هى الوحيدة فى العالم التى تستقبل السفراء وتوفد سفراء إلى مختلف دول العالم ويطلق عليهم القاصد الرسولى: وإذا كان عنوان هذا الملف إسرائيل دولة اليهود والفاتيكان دولة المسيحية الكاثوليكية فإنه خير عنوان للتشابه العميق والقاسم المشترك الذى تتميز به الدولتان وهو الديانة لكل منهما ولكنى أقول: إن هناك اختلافا واحدا وهو أن سفراء إسرائيل دولة اليهود ليسوا حاخامات، كما أن هناك فرقا آخر هو أن سفير الفاتيكان دولة المسيحية الكاثوليكية الراهب يتمتع بميزة مطلقة فهو عميد مجموعة السفراء فى الدول التى تتميز بأن معظم وغالبية شعبها يدينون بالمسيحية الكاثوليكية أما سفير إسرائيل دولة اليهود فليس له أية ميزة على بقية سفراء الدول الأخرى.

وهذه مقدمة ضرورية قبل أن نعرف دولة الفاتيكان (أو المقر البابوى أو الكرسى المقدس) تطلق على دولة صغيرة يرأسها بابا الكاثوليك وهيكلها من الرهبان الكاثوليك وتقع هذه الدولة على تل يدعى الفاتيكان فى مدينة روما عاصمة إيطاليا، ومنذ ما يزيد على مائة سنة أصبح لهذه الدولة الدينية كيان دولى معترف به بعد اعتراف إيطاليا بوجودها داخل الأراضى الإيطالية وليس كتابى هذا مجالاً لشرح وضع دولة الفاتيكان الدولى، ويمثلها سفراء كلهم من الرهبان لدى معظم دول العالم ويطلق

على سـفير دولة الفاتيكان فى العواصم الأجنبية لقب «القاصد الرسولى» وهو يتمتع بكونه عميدا للمجتمع الدبلوماسـى فى عواصم الدول التى تتخذ الكاثوليكية ديانة مسيحية رسمية لها. أما بقية الدول الأخرى، فيكون القاصد الرسولى عميداً للمجتمع الدبلوماسى إذا كان أقدم السفراء المعتمدين طبقاً للعرف الدبلوماسى السائد.

هذه المقدمة لابد من ذكرها قبل الحديث عن الضغوط التى مارسـتها – ولازالت تمارسـها الصهيونية العالمية ضد الفاتيكان – فللمرة الثانية خضع الفاتيكان للضغط الصهيونـى العالمـى وأصدر البابا السـابق يوحنا بولس الثانى فـى ١٢/ ٣/ ١٩٩٨ **«وثيقة حول الاعتذار عن دور الكنيسـة الكاثوليكية خـلال مذابح الإبادة التى ارتكبهـا النظام النازى الألمانى ضد يهود أوروبا»**، والوثيقة تركز فقط على ضحايا النازية الألمانية من اليهود وتنسـى الضحايا الآخرين الذين ماتوا فى الحرب العالمية الثانيـة ٣٩ – ١٩٤٥ بنفس القـوة النازية وعددهم عشـرات الملايين، أى أضعاف مضاعفـة من عدد اليهود الضحايا الذين تحـاول الصهيونية العالمية تثبيت عددهم بأنهم ستة ملايين. (وهذا الرقم مشكوك فيه ومثار جدل)، وهذه الوثيقة والتى تتعدى مرحلـة الاعتذار إلى مرحلة النـدم وطلب الغفران من أكبر هيئة دينية كاثوليكية فى العـالم تذكرنا **بوثيقة التبرئة** التى صدرت أيضاً عـن مجمع الفاتيكان الكاثوليكى فى أوائل الستينات ٢٨/ ١٠/ ١٩٦٥ التى تبرئ اليهود من دم المسيح عليه السلام، والتى **جاء فيها عن تبرئة اليهود من دم المسيح**:

والمجمع إذ يمعن الفكر فى سر الكنيسة تتراءى له الأوصاف الروحية التى تصل شـعب العهد الجديد بذرية إبراهيم، فكنيسـة المسـيح تعترف بأن باكورة إيمانها ودعوتها لسـر الخـلاص الإلهى تمتد إلى الآباء وإلى موسـى والأنبياء، وبأن جميع أتباع المسيح هم أبناء إبراهيم بحسب الإيمان قد شملتهم دعوته، وبأن الكنيسة رمز إلى خلاص شعب الله المختار من أرض العبودية.

ولا تسـتطيع الكنيسـة أن تنسى أنها تسـلمت وحى العهد القديم بواسطة هذا الشـعب الذى شـاء الله برحمته التى تفوق كل وصف أن يبرم ميثاق العهد القديم،

وأنها تتغذى من أصل الزيتونة الجديدة، وتؤمن بأن المسيح سلامنا قد صالح بصليبه بين اليهود والأمم وجعل فى ذاته الاثنين واحدا.

وتضع الكنيسة دائما نصب الأعين كلمات الرسول بولس فى بنى أمته إذ يقول: «..الذين هم إسرائيليون ولهم التبنى والمجد والعهود والعبادة والمواعيد رؤساء الآباء ومنهم المسيح ابن العذراء مريم بحسب الجسد..» (روميه ٩: ٤ – ١٥).

وتذكر أيضاً أن الرسل أساس الكنيسة وعمدها، ولدوا فى الشعب اليهودى وكذلك عدد كبير من التلاميذ الأولين الذين بشروا العالم بإنجيل المسيح.

بيد أن أورشليم بشهادة الكتاب المقدس لم تعرف زمن افتقادها، فلم يقبل غالبية اليهود بشارة المسيح بل تصدى كثيرون منهم لانتشاره ومع ذلك فاليهود كما يقول الرسول: لم يزالوا من أجل الآباء محبوبين عند الله الذى لم يندم على هباته ودعوته.

ومع الرسول ذاته ترتقب الكنيسة – كما ارتقب الأنبياء – ذلك اليوم الذى لا يعلم به إلا الله وحده، حيث يجتمع فيه الشعوب كلها لتدعو بصوت واحد باسم الرب وبشفاه نقية ويعبدوه بكتف واحدة (صوفيا ٣: ٩ – ١٢).

وإزاء هذا التراث الروحى العظيم، المشترك بين المسيحيين واليهود، يرغب المجمع فى تبادل الاحترام والمعرفة فيما بينهم وبالأخص من خلال دراسات الكتب المقدسة واللاهوتية وفى منهج حوار أخوى.

ولئن كان ذوو السلطان والأتباع من اليهود عملوا على قتل المسيح إلا أن ما اقترف إبان الآلام والصلب لا يمكن أن ننسبه فى غير تمييز إلى جميع اليهود الذين عاشوا آنذاك ولا إلى اليهود المعاصرين لنا وإن كانت الكنيسة هى شعب الله الجديد فلا يعنى ذلك أن اليهود قد أصبحوا شعباً مرذولا أو ملعوناً من الله كما لو كان ذلك منصوصاً عليه فى الكتاب المقدس.

فليحرص الجميع إذن فى التعليم المسيحى وفى الوعظ بكلمة الله، ألا يعلموا شيئاً لايتفق مع حقيقة الإنجيل وروح المسيح.

فالكنيسة التى تستنكر كل ألوان الاضطهاد لجميع الناس، أياً كانوا، لا قبل لها بأن تنسى التراث المشترك بينها وبين اليهود، وليست وراء ذلك دوافع سياسية البتة، وإنما بدافع المحبة الإنجيلية الدينية، ونأسف للأحقاد والاضطهادات ومظاهر العداء للسامية فى أى عهد ومن أىٍّ صدرت.

والكنيسة التي اعترفت، – ولا تزال تعترف – بأن المسيح قد خضع باختياره للآلام والموت بدافع من حبه اللامتناهى ومن أجل خطايا جميع البشر لكى ينال الناس أجمعون نعمة الإخلاص.

ومن ثم فواجب الكنيسة أن تبشر بصليب المسيح آية بحب الله الشامل وينبوعاً لكل نعمة

أنا بولس

أسقف الكنيسة الكاثوليكية

تتبع (توقيعات آباء المجمع)

روما – كنيسة القديس بطرس

فى ٢٨ أكتوبر (تشرين أول) سنة ١٩٦٥ – انتهى نص وثيقة التبرئة

وفى مذكرات السفير الزميل المرحوم محمد التابعى فى كتابه الصادر عن دار المعارف تعليق على وثيقة الفاتيكان لتبرئة اليهود من المفيد الاطلاع عليها فقد كان يشغل سفيراً لمصر لدى دولة الفاتيكان.

ولست مؤرخاً أو مفسراً للخضوع الفاتيكانى للصهيونية العالمية وإنما هذه الأسطر تذكرة فقط لتظهر مدى خطورة يهود العالم تحت لواء العنصرية الصهيونية وهم الذين لم يعترفوا بالمسيح منذ ألفى سنة كما لم يعترفوا بمحمد عليه الصلاة والسلام وينادون بأنهم شعب الله المختار وأن بقية الشعوب الأخرى مجرد خدم للشعب المختار.

جدير بالذكر أن الفاتيكان وإسرائيل وقعتا فى ٣٠/ ١٢/ ١٩٩٣ وفى مدينة القدس المحتلة «وثيقة اتفاق» تؤكد العلاقات المميزة بين الكنيسة الكاثوليكية

والشعب اليهودى وبعملية المصالحة التاريخية وبحسن الصداقة والتفاهم المتبادل والمتزايد بين الكاثوليك واليهود، وقد تم التبادل الدبلوماسى بموجب هذا الاتفاق بين إسرائيل والفاتيكان (وتحاول السلطات حول بابا الفاتيكان بطريقة خفية أن تشير إلى أن التبادل الدبلوماسى مع إسرائيل هو بصفتها دولة مدنية وليست دينية)، ثم **جاء الاتفاق الثانى بين الطرفين فى ١٠/ ١١/ ١٩٩٧ والذى تمنح إسرائيل بموجبه الكنيسة الكاثوليكية فى الأراضى المقدسة وضعاً قانونياً كما تضمن الاتفاق تهويد القدس واستبدال المفتاح العربى للمدينة بالمفتاح العبرى.**

يأتى ذلك فى الوقت الذى لم يقدم فيه الفاتيكان أى اعتذار عن الحروب الصليبية كما يطلقون عليها التى أعلنها البابا أو ربان الثانى فى ديسمبر ١٠٩٥م من دير كلير مونت بفرنسا والتى استمرت حتى ١٢٩١م وسقط خلالها آلاف الضحايا من المسلمين والمسيحيين العرب، كما لحقت بالمسلمين من جرائها أضرار مادية ومعنوية تواصلت قروناً، بل وكانت تلك الحروب الصليبية كما يطلقون عليها سبباً مباشراً فى الفجوة الكبرى بين الشرق و الغرب.

وبرغم زيارة بابا الفاتيكان الراحل يوحنا بولس الثانى لمصر والأردن والأراضى المقدسة فى الفترة ما بين (٢٤– ٢٦) فبراير عام ٢٠٠٠ وبرغم زيارة البابا للمسجد الأموى بدمشق وإقامة قداس بابوى، برغم كل ذلك إلا أن صفحة الحروب الصليبية كما يطلقون عليها لم تطوَ بعد ولازالت جراح المسلمين قائمة حتى تلك اللحظة.

كما أنه جدير بالذكر أن البابا الراحل تعرض لهجمات يهودية صهيونية منذ الستينات تنتقض البابا وتتهمه مباشرة بالتورط فى إبادة اليهود أو المساعدة عليها، وربما يكون ذلك أحد أبرز الأسباب التى دفعت البابا الراحل آنذاك إلى إصدار وثيقة التبرئة.

أكثر من ذلك عندما قرر البابا زيارة (حائط البراق العربى) الذى يطلق عليه اليهود حائط المبكى أثناء زيارته للقدس فى عام ٢٠٠٠ طلب الحاخام اليهودى المسئول عن زيارة البابا عدم ارتداء الصليب، لأن دخول البابا يوحنا بولس الثانى خليفة بطرس

رسـول المسـيح وتلميذه الأول إلى الهيكل مرتدياً الصليب – رمز جريمة اليهود فى حق يسـوع حسب العقيدة المسيحية – لا يعنى فقط إحياء هذه الذكريات الدينية، ولكن يعنى أيضاً إقرار ضمنى اضطرارى من جانب حراس العقيدة اليهودية بالمسيح والمسيحية وهو ما ينكرونه تماماً.

وأذكـر القارئ بنص البروتوكول السـابع عشـر من كتـاب بروتوكولات حكماء صهيون وأصولها التوراتية والتلمودية.

تأليف د/ أحمد حجازى السقا والصحفى هشام خضر وتقديم الدكتور على جمعة أستاذ علم أصول الفقه بجامعة لأزهر «فى ذلك الوقت».

الناشـر/ مكتبـة النافذة (٢٠٠٣) والذى جاء بـه the papal court ومتى حان الوقت لهدم البلاط البابوى سـتظهر أصابع يدٍ خفية تشـير إلى الأمام أن هيا بنا إلى ذلك البلاط، فإذا تكالبت الأمم عليه فسنخف ونسارع إليه تحت ستار الدفاع عنه، رغبة فى حقن الدماء وبهذه اللعبة سندس أيدينا فى أحشائه ولن نخرجها إلا بعد أن تتبدد قواه، فلا يستطيع إذن التحرك.

ثم يكون ملك اليهود هو البابا الحقيقى للأرض كلها وبطريرك كنيسة عالمية.

ولا أقول: إن بابا الفاتيكان الراحل مسئولاً عن الأخطاء السياسية التى ارتكبها الفاتيـكان فى حق المسـلمين، لكن أقول: إن الفاتيـكان أقدم على اتخاذ مبادرات اعتذارية، فقد اعتذر بابا الفاتيكان لليهود واعتذر لشـعوب أمريكا اللاتينية بسبب ما لحق بها من حملات متتالية على يد أوروبا والكنيسة كما اعتذر لعالم الرياضيات والفلكى جاليليو الذى تعرض لظلم كبير من الكنيسة بعد أن تجرأ وتحدث عن حقيقة علمية وهى أن الشمس هى مركز الكون وليست الأرض، مما دعا البابا يوحنا بولس الثانى الراحل إلى تقديم اعتذار للعالم الجليل الذى قتل على يد الكنيسـة بسـبب الجدل العلمى، واعتذر للصين بسـبب الأخطاء التى ارتكبتها البعثات التبشـيرية هناك، **فلماذا لا يعتذر الفاتيكان للمسلمين عن حروب استمرت مائتى سنة؟**.

ولا يفوتنـى فـى نهاية هذا الملف أن أسـجل ظاهرة كان بطلهـا بابا الفاتيكان الراحل حيث كان يحرص عند نزوله من طائرته الخاصة فى مطار الدولة المستقبلة

له أن يسجد البابا فور نزوله من سلم الطائرة، يسجد على الأرض كما يسجد المسلمون فى صلاتهم كركن أساسى لإتمام الصلاة.

وكانت هذه الظاهرة التى رأيتها بعينيى رأسى فى عدة مناسبات من بابا الفاتيكان الراحل مثار اهتمامى لإبرازها فى مناقشاتى مع غير المسلمين الذين يؤدون صلاتهم دون السجود ويبدون تعجبهم من سجود المسلمين فى صلاتهم وهكذا كان سجود البابا الراحل على الأرض خير دليل لى فى إبراز أهمية سجود المسلم فى صلاته والغريب أن البابا الراحل عندما بلغ سن الشيخوخة التى تعوقه من السجود على الأرض كان أحد الرهبان المرافقين له يقدم أمامه قطعة من الخشب لكى يحنى رأسه عليها ساجداً رمزاً للأرض.

١٨ - فى واشنطن تعرف ما هى المنحوتة وما هى الماسونية

برغم ما فى العمل الدبلوماسى من متعة عظيمة، إلا إن الإنسان عندما يتخلص من قيود الوظيفة – حتى ولو كانت مهنة الدبلوماسية – يكون أكثر قدرة على القيام بأشياء ربما لا يستطيع أن يقوم بها من قبل، هذه مقدمة أردت بها التوطئة للحديث عن زيارة قمت بها إلى أمريكا بعد سن التقاعد، كان الهدف الأساسى منها زيارة ابنى الذى كان يعمل دبلوماسياً بسفارة مصر بواشنطن وقتها عام ١٩٩٥، مع شىء من المتعة والاكتشاف لأهم المعالم السياحية بالعاصمة الأمريكية، خاصة وأننى قد قمت عام ١٩٧٥ بزيارة رسمية لواشنطن مقر منظمة الدول الأمريكية (OAS) وقد سبق وأن تحدثت عن هذه الزيارة فى كتابى هذا.

وقد قمت فى هذه الزيارة الثانية بالتوجه للمحكمة العليا الأمريكية بصفتها من أهم معالم واشنطن وتشغل مبنى عريقاً يمتد عمره إلى ما يقرب من مائة عام، وبعد أن تفقدت المحكمة من الداخل سمح لى باعتبارى سفيراً سابقاً دخول قاعة الاجتماعات والمداولات غير المسموح بدخولها للزائرين وكانت المفاجأة عندما وجدت على أعلى جدران القاعة من الداخل عدة رسومات منحوتة لأشخاص أولهم لشخص عربى بزيه التقليدى وعلى رأسه العقال وفى إحدى يديه كتاب وفى اليد الثانية السيف، والأكثر مفاجأة عندما دققت النظر فوجئت أنها منحوتة للنبى محمد (صلى الله عليه وسلم)، حيث وضعت هذه المنحوتة داخل إفريز يضم ١٨ منحوتة لشخصيات من حكماء البشرية على رأسهم النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) والنبى موسى وشخصيات أجنبية مختلفة ليسوا من الأنبياء مثل كونفو شيوس والملك شارل مان وآخرون.

مما يذكرنى بالكتاب الذى صدر بعنوان «الخالدون مائة أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم» الصادر من مكتبة الزهراء للإعلام العربى ترجمة وتقديم أنيس منصور

والمؤلف عالم فلكى رياضى يعمل فى هيئة الفضاء الأمريكية اسمه مايكل هارت.

ومما زاد تعجبى وجود تشخيص نحتى للرسول محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا المكان، وهو أمر نعلم جميعاً أنه غير مسموح فى الدين الإسلامى، ليس بالنسبة للرسول فقط وإنما أيضاً لكثير من الشخصيات الدينية الإسلامية، بل أكثر من ذلك كنت دائماً فى تجوالى حول العالم أرى مختلف الرسومات والصور للسيد المسيح ومريم العذراء بمختلف الألوان والأشكال، وكان هذا يمثل بالنسبة لى نوعاً من أنواع المساس لقداسة عيسى عليه السلام، بل أكثر من ذلك تناقش معى كثير من الأفارقة من الدول الأفريقية جنوب الصحراء الكبرى متعجبين لماذا لا يكون المسيح فى إحدى صوره ورسوماته على هيئة رجل إفريقى زنجى، وفى ذلك تعصب من الرجل الأبيض عندما يحدد شكل المسيح فى صورته البيضاء ثم تساءلت بينى وبين نفسى من الذى سمح للأمريكان بتشخيص صورة الرسول فى المحكمة العليا؟ وما موقف المسلمين فى أمريكا والعالم من هذا التشخيص؟ .

وعرفت بعد ذلك أن مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية أعرب عن استيائه لوجود منحوتة النبى محمد صلى الله عليه وسلم داخل ساحة المحكمة العليا الأمريكية بواشنطن، وعرفت أيضاً أن هذه المنحوتة موجودة منذ عام ١٩٣٥، وقد سبق عدة مرات طلب سحب المنحوتة التى تجسد النبى محمد صلى الله عليه وسلم من قبل مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية ولكن المحكمة الأمريكية رفضت ذلك بحجة أن ذلك سيؤثر على شكل الإفريز الذى يضم ١٨ منحوتة شخصية ولازال الحال كما هو عليه حتى كتابة هذه السطور.

هذه هى المفاجأة الأولى فى زيارتى الثانية السياحية لواشنطن، أما المفاجأة الثانية فإنى فوجئت بها أيضاً أن هناك ضاحية خارج واشنطن تسمى بالإسكندرية يرجع أهميتها فى رأيى لوجود ربوة عالية على رأسها مبنى ذو طراز شرقى بقبابه وملامحه المعمارية الشرقية، كما وجدت على المبنى أيضاً نجمة داود، فلما سألت عن هذا المبنى عرفت أنه مقر الماسونية العالمية، ولم يسمح لى فى بداية الأمر

بالدخول لكن عندما أكدت كونى سفيراً سابقاً فى زيارة خاصة لأمريكا سمح لى بدخول المبنى ووجدت داخل المبنى عرضا تصويريا عن نشأة وتطور الفكر الماسونى العالمى، وفى نهاية البهو وجدت صالة كبيرة تنتهى بباب مكتوب عليه قاعة الاجتماعات، فحرصت أيضاً على الدخول بعد استئذان شخصيات لم أقابلها، فوجدت قاعة رهيبة بآثارها ورسومها وجدرانها وفخامتها، ولفت نظرى صور ولوحات زيتية لزعماء الماسونية فى العالم من بينهم شخصيات عربية وإسلامية مشهورة، ووجدت أن رسوم الشخصيات المصرية تحتل ركناً بارزاً.

كانت هذه الزيارة دافعاً أن أبحث فى تاريخ الماسونية خاصة بعد أن دارت فى ذهنى أسئلة كثيرة منها: ما هى الماسونية أين نشأت؟ وما أهدافها؟!

عرفت بعد ذلك أن الماسونية تطرح نفسها على أنها مؤسسة خيرية وجمعية فكرية تسعى إلى استقطاب ذوى النفوس الحرة والأخلاق الحسنة، وتقوم دعواها على تخطى الحدود السياسية والجغرافية بل والحواجز العقائدية، وأن نشاطها يظل محاطاً بسرية وكتمان شديدين.

تعيد الماسونية نفسها إلى أربعة آلاف عام قبل المسيح أى إلى التاريخ الذى تعتبره التوراة بداية العالم، وهى تعتبر بناء هيكل القدس فى عهد سليمان أول عمل عظيم تم تنفيذه، ويصعب على الصعيد العالمى تحديد أصولها نظراً لانعدام الوثائق بهذا الشأن ولنشاط الحركة السرى.

وقد جاءت كلمة الماسونية من MASON بمعنى البناء, ويتردد أيضاً أن ماسون اسم شخص، ولا يعرف أى الروايتين أدق، وبالنسبة لنشاط الماسونية فى مصر اكتشفت أن أول من كان ماسونياً فى مصر هو نابليون بونابرت أثناء الحملة الفرنسية على مصر بقيادته والذى كان أحد أبطال الثورة الفرنسية ذات الجذور الماسونية والصهيونية وقد عمل بونابرت على إنشاء أول محفل ماسونى فى مصر عام ١٧٩٨ كما أنه صاحب أول دعوه لقيام دولة يهودية على أرض فلسطين كما ذكرنا من قبل فى ملف الجامعة بكتابى هذا.

ومن جانب آخر انتشـرت الماسـونية فى مطلع العشرين عن طريق تركيا حيث قامت الماسـونية بدور أساسـى فى ثورة كمال أتاتورك اليهـودى الذى قضى على الخلافة الإسـلامية مما أدى إلى الربط بين الحركة الماسونية والحركة الصهيونية، فكلاهما يعمل من أجل تشـكيل حكومة عالمية يهودية، وهى حكومة يمتد نفوذها وسيطرتها على الأمم والدول.

وقـد جاء فى مجلة القوات المسـلحة المصرية فى عـام ١٩٦٤ الذى نقلته مجلة المصـور فـى عددها بتاريخ ١ نوفمـبر ٢٠٠٥ أنه تم الاحتفال فى إسـرائيل بوضع الحجر الأساسـى لأكبر محفل ماسـونى فى العالم، وقد قال الحاخام الإسـرائيلى الأكبر فى هذا الاحتفال:

أيها الأخوة الماسـون من كل بلاد العالم، نحتفل اليوم بوضع الحجر الأساسـى لأكبر محفل ماسونى فى العالم سيضىء الطريق أمام الماسونية لتحقيق أهدافها، أننا نعمل من أجل العودة لكل الشعوب إلى **أول دين محترم أنزله الله على الأرض أنه الدين اليهودى، وما عدا ذلك من أديان فهو باطل، سيأتى اليوم الذى يتحطم فيه الدين المسيحى والدين الإسلامى، ويتخلص المسلمون والمسيحيون من معتقداتهم الباطلة.**

ونقلت مجلة المصور فى العدد نفسه أن الصحف المصرية بعد حرب يونيو ١٩٦٧ أن المحفل الماسـونى البريطانى تقدم إلى بلدية القدس بهدف شراء المسجد الأقصى لإقامة هيكل سليمان مكانه.

هكذا نجد أن الماسـونية كانت إحدى أنياب الصهيونية العالمية، وكان لها دور كبير من أجل إنشـاء دولة إسـرائيل فهى ليسـت وليدة الصدفة، بل هى نتيجة تخطيط رهيب من قبل الصهيونية العالمية.

وفـى إبريل عام ١٩٥٢ نشـرت مجلة المصـور تحقيقا صحفيًـا داخل المحفل الماسـونى المصرى بالقاهرة، وقد كان هذا التحقيق إنجازا صحفيًا غير مسـبوق نظرًا للسرية التامة التى كانت تفرضها الحركة الماسونية فى مصر على نشاطها وطقوسها،

وكان رئيس الحركة الماسونية فى مصر الدكتور فخر الدين السبكى بك، والغريب أن عملية انضمام العضو الماسونى الجديد كانت تحاط بحالة من الطقوس الغريبة، منها مثلا أن العضو الجديد يمكث معصوب العينين داخل حجرة مظلمة ثم يستعرضه الأعضاء أثناء سحبة من رقبته بالحبل، وتنزع منه جميع المعادن من نقود وساعات أو أقلام، ثم يقسم القسم الأعظم للماسونية، وتتدرج رتبته فى الماسونية من مبتدى إلى شغال إلى أستاذ إلى الأخ الفائق الاحترام ثم الأخ الكلى الاحترام.

والغريب أنه رغم الاحتياطات الأمنية التى كانت تقوم بها السلطات المصرية خاصة بعد قيام ثورة الجيش ١٩٥٢ ونتيجة التغلغل الصهيونى فى مصر الذى صاحب إنشاء دولة إسرائيل، أقول أنه من الغريب أن المحافل الماسونية فى مصر لم تغلق إلا فى ١٧ إبريل عام ١٩٦٤، حيث تم صدور قرار وزير الشئون الاجتماعية بإغلاق وحل الجمعيات الماسونية فى مصر وكان عددها ٢٦ محفلا (أكبر من عدد محافظات مصر) نتيجة رفض أعضائه الخضوع لتفتيش الوزارة لاعتقادهم أن ذلك التفتيش يتعارض مع سرية الحركة والتى ربما أحست الحكومة علاقتها الوثيقة بحركة شهود يهوه اليهودية فى مصر ولكى نكون منصفين نقول أنه ربما كان معظم المصريين المنتمين إلى المحافل الماسونية لا يعرفون هذه الحقائق التى تؤكد أن الحركة الماسونية منبثقة من الأفكار والمبادئ الصهيونية والتى أعلنت فى مؤتمر بازل عام ١٨٩٧ بقيادة هرتزل، وأن الصهيونية استخدمت المحافل الماسونية فى كافة أنحاء العالم لخدمة وتحقيق مصالح الصهيونية العالمية قبل الإعلان عن نفسها فى مؤتمر بازل، فهل كان هؤلاء الذين انضموا إلى الحركة الماسونية من العرب والمسلمين تابعين للحركة الصهيونية العالمية، أم أنهم انخدعوا بالشعارات الزائفة للمحافل الماسونية وما بها من دعاوى تدعى العمل من أجل تحسين الشروط المادية والمعنوية للبشرية، والارتقاء إلى مستوى ثقافى وحضارى أرقى؟!.

وأعتقد أن هذا الموضوع يحتاج إلى بحث خاص ربما لا يستطيع كتابى أن يتعمق فيه، بل أعتقد أن هذا الموضوع يحتاج إلى بحث علمى ممثل فى رسالة ماجستير أو دكتوراه.

هذا البحث يدور حول تطور المحافل الماسونية فى البيئة المصرية، وعن انخداع عدد من الزعماء السياسيين والدينيين والفنانين وراء هذه الهيئات التى ارتدت شكل مؤسسة خيرية، بل أكثر من ذلك يكون هذا البحث عن الجمعيات والمؤسسات الأجنبية التى ظهرت وستظهر فى مصر والبلاد العربية والإسلامية والتى ربما كانت نواياها غير سليمة واتخذت من الشعارات الزائفة شكلا وعنوانا لها، فضلا عن بعض الديانات المستهجنة مثل البهائية والأحمدية وليس هذا موضوع كتابى.

هكذا كانت زيارتى لمقر الماسونية فى واشنطن السبب فى الكشف عن نشاط الماسونية فى مصر سابقا والكشف عن الرباط الذى يربط ما بين الماسونية والصهيونية والذى أرجو أن يكون مفيدًا لقارئى كتابى هذا، وأختم حديثى عن الماسونية بتذكير القارئ العزيز أن نص البروتوكول الثالث من كتاب بروتوكولات حكماء صهيون وأصولها التوراتية والتلمودية تأليف د. أحمد حجازى السقا والصحفى هشام خضر وتقديم الدكتور على جمعة أستاذ علم أصول الفقه بجامعة الأزهر.

الناشر/ مكتبة النافذة (٢٠٠٣).

يشرح العلاقة بين الماسونية والثورة الفرنسية الكبرى، وتوضح الأسباب التى تولى الماسونية مناعة فلا تقهر، كما يذكر الدورالذى يمثله عملاء الماسونية السريون فى العالم، وفى نقاط أهمها:

- جيش اليهوية الماسونية.
- القاعدة الأساسية للتعليم فى المدارس الأهلية الماسونية فى المستقبل.
- السر العلمى فى حقيقة هيكل المجتمع وتركيبة الأزمة الاقتصادية العالمية.
- ضمان الأمان لشعبنا السلطة المطلقة فى الماسونية وقيام المملكة التى يسردها العقل لا قائد ولا مرشد.
- الماسونية والثورة الفرنسية الكبرى.
- الملك المتسلط المستبد من نسل صهيون، الأسباب التى تولى الماسونية مناعة فلا تقهر.

– الدور الذى يمثله عملاء الماسونية السريون، الحرية!.

– كمـا أنـه من الواجب علىّ أن أشـير فـى كتابى هذا إلى مـا تتضمنه بعض الكتابات عن العلاقة بين أندية الروتارى فى العالم (بما فيها مصر) وبين الماسونية العالمية الأمر الذى يخرج عن كتابى هذا.

١٩ - معاداة السامية والتفرقة العنصرية الإسرائيلية

على مدى سبعة عشر عاماً منذ أن بلغت سن المعاش وتركت العمل الدبلوماسى عام ١٩٩٠، وأنا أكتب فى الصحف والجرائد المصرية العربية آراء ومقالات تمثل خلاصة تجربتى الإنسانية والدبلوماسية كما تمثل رصدا للظواهر والعادات والتقاليد المختلفة بين شعوب العالم، واعترف أن الصحافة بالنسبة لى ليست شيئاً جديداً فقد بدأت حياتى العملية بالعمل فى جريدة المصرى منذ ما يزيد عن نصف قرن من الزمان، ومعنى ذلك أننى حاولت أن أجدد العهد القديم بينى وبين العمل الصحفى.

ولا أنكر أن قضية فلسطين احتلت الصدارة فى كتاباتى الصحفية لأنها تمثل بالنسبة لى قضية عمر لازمتنى منذ أن كنت شاباً قبل وجود دولة إسرائيل نفسها على خريطة العالم، وحتى تلك السن المتقدمة التى تمثل المرحلة النهائية أو الاستعداد للرحيل.

والممارسات الصهيونية بصفة عامة جعلتنى أتأمل تلك التهمة الزائفة التى أصبحت سيفاً مسلطاً على رقاب كل الذين يعلنون آراءهم فى رفض ما يفعله الإسرائيليون وما يقولونه، إنها تهمة معاداة السامية.

إنها تهمة صهيونية تلصقها الصهيونية العالمية لكل من يعارض السياسة العنصرية الإسرائيلية بكل ما بها من جرائم وإبادة وعدوان ولا إنسانية ليس فقط فى فلسطين بل فى دول عربية مختلفة.

هكذا يتعرض كل كاتب أو مفكر صاحب ضمير حى يرفض تلك الممارسات الصهيونية المخالفة للشرائع السماوية والعدالة والمنطق والقانون الدولى والشرعية الدولية، أقول يتعرض كل من يرفض تلك الممارسات الإسرائيلية إلى تهمة معاداة السامية، حتى ولو كان مفكراً عربياً، أى سامياً، فالعرب هم أيضاً ساميون، ذلك

أن علم الأجناس البشـرية يقول: إن السـامية نسبة إلى سام بن نوح، ووفقاً للتوراة أيضاً فإن سام هو الابن البكر لسيدنا نوح، وهو جد الشعوب التى تعتبر سامية وهى تضـم: العبرانيين والآراميين والعرب والأثيوبيين، وهؤلاء جميعاً يتحدثون باللغات السامية، فالسامية تصنيف لغوى وليس تصنيفا عنصريا.

واللغات السامية مجموعتان: **المجموعة الأولى** هى اللغات: العبرية والكنعانية والفينيقية والآرامية، **والمجموعة الثانية من اللغات السـامية** تضم العربية ولغات أخرى، فالسـامية مرتبطة باللغة وليسـت مرتبطة بالعنصرية أو القومية أو الدينية أو الوطنية تنسب إلى سام بن نوح.

واللغات السـامية هذه هى إحدى اللغات الشـرقية التى تضـم اللغة التركية – الفارسـية – الباشـتو – الأوردو، وهذه اللغات مسـتخدمة فى البلاد تركية الأصل وإيران وأفغانستان والباكستان وهى (جزء من شبه القارة الهندية).

• وهكذا فإن السامى (SEMITE) هو ذلك الشخص المنحدر من أصول ترجع إلى سـلالة سـام بن نوح، وعلى الرغم من أن العرب كعرق يمثلون أحد مكونات العرق السـامى فإن الجماعات الصهيونية عملت على احتكار مصطلح السـامية واعتباره يخص اليهود وحدهم، وبالتالى فإن مصطلح العداء للسامية يعنى وفق هذا التعريف العداء لليهود من أصل عبرانى، وبمرور الوقت بدأت الصهيونية توجه للعرب تهمة العداء للسـامية على رغم أن العرب أنفسهم ساميون وأن العرب واليهود أولاد عم، فاليهود نسل يعقوب بن اسحق بن إبراهيم والعرب أولاد إسماعيل بن إبراهيم وأبناء يعقوب هم اليهود الشـرقيون (السفراديم)، وهم بخلاف اليهود الغربيين الأوروبيين (الاشكنازى) من قبيلة الخرز فى شرق أوروبا الذين أسسوا الصهيونية.

ولم يقـف الأمر عند هذا الحد، بل أقبلت الصهيونية العالمية والولايات المتحدة الأمريكيـة على صدور قانون معاداة السـامية، حيث وقع الرئيس جورج بوش فى السـادس عشـر من أكتوبر عام ٢٠٠٤ قانونا يلزم وزارة الخارجية الأمريكية برصد وإحصاء الأعمال المعادية للسـامية فى العالم وتقويم مواقف الدول من هذه الأعمال،

وقـد تقدم بهذا التشـريع أو القانون للكونجرس الأمريكى السـيناتور اليهودى توم لانتوس من ولاية كاليفورنيا، وهو معروف بعدائه الشـديد للإسـلام والعرب وينص القانون على ضرورة اسـتمرار الولايات المتحدة فى جهودها لمنع معاداة السامية فى العـالم بالتعاون مع منظمات أخرى مثل منظمـة الأمن والتعاون الأوروبى والاتحاد الأوربـى والأمم المتحـدة، كما نص على تكليـف وزارة الخارجية الأمريكية برصد الأعمـال المعادية للسـامية فى العالم وتقديم تقارير حولهـا وذلك عن طريق آليات جديدة تقوم الخارجية الأمريكية بتنفيذها هى:

- إنشاء إدارة جديدة بوزارة الخارجية تسمى إدارة معاداة السامية.
- تعيين مبعوث أمريكى يتولى مراقبة الأنشطة المعادية للسامية.

وقد اعترضت وزارة الخارجية الأمريكية فى بداية الأمر على هذا المشـروع قبل توقيـع الرئيـس الأمريكى، معتمدة فـى اعتراضها على أن إنشـاء مكتب يختص بمراقبة العداء للسـامية من شأنه أن يقلل من المصداقية الأمريكية ويعكس المحاباة وعدم التوازن فى سياسة الولايات المتحدة لحقوق الإنسان.

وقد ركزت الصهيونية على معاداة السامية فى مصر ممثلة فى الصحافة المصرية المهاجمة لليهود واليهودية.

والغريب أن تهمة معاداة السامية لم توجه لغير اليهود فقط، وإنما ليعض اليهود أيضـاً ومنهـم الكاتب اليهودى ريتشـارد كوهين الـذى كتـب مقـالاً فـى صحيفة واشنطن بوسـت فى ٦/ ٥/ ٢٠٠٢ بعنوان:

«انتقاد إسرائيل ليس معاداة للسامية».

أكـد فيه على رفضه للأفعال والجرائم الإسـرائيلية فى الأراضى الفلسـطينية، مؤكداً على أنه لو كان فلسطينياً لكره إسرائيل من كل قلبه ولكره اليهود عامة.

ونعـود مرة ثانية للقانون الأمريكى فنقول: إنه من المؤسـف أن يختص الرئيس الأمريكى اليهود فقط بإصدار قانون لرصد وتجريم معادة السامية، وقد كان الأولى به أن يصدر قانوناً أشمل يجرم مختلف أشكال معاداة الأعراف والأديان، فهناك أيضاً

المعادة للإسلام والعرب بل وهناك معادة للمسيحية والبوذية والهندوسية وغيرها.

والسؤال الذى يفرض نفسه، أين يوجد العداء للسامية أو لليهود فى عالم اليوم؟ إن اليهود فى العالم يتمتعون بوضع مميز، وهو وضع يفوق غيرهم من شعوب العالم، ومن الثابت أن تأثير اليهود على القرار العالمى هو أقوى من أى تأثير آخر، أليست إسرائيل هى الطفل المدلل للولايات المتحدة الأمريكية؟ وأليست إسرائيل هى الدولة العنصرية الوحيدة فى العالم بعد انتهاء العنصرية فى جنوب إفريقيا؟ إن تهمة المعاداة للسامية هو وجه من وجوه ممارسة العنصرية.

إن من أخطر ما يصيب علاقة الإنسان بأخيه الإنسان هو التفرقة العنصرية، وأخطر تفرقة عنصرية هى تلك التى يمارسها الإنسان ضد أخيه الإنسان مستنداً إلى وحى إلهى من خالق الإنسان، لأن هذه التفرقة فى هذه الحالة تكون مقدسة ويصبح من الصعب على من يمارسها أن يتوقف عن ادعاءاته.

وبدون فلسفة أو جدل أو الرجوع إلى الأسباب والمسببات وبالرجوع فقط إلى الحقيقة البسيطة والواضحة فإنه لا فرق بين إنسان وآخر فى مولده وفى تكوينه الجسمانى وفى غرائزه وطريقة تكاثره وفى اعتماده على ما يأكله ويشربه وفيما يصيبه من قوة وضعف وشيبة وشيخوخة وفيما قد يعتريه من أمراض وما يقع له من حوادث، فى كل هذا وغيره يتساوى فى أن مصيره الموت والفناء والاختفاء تماماً من على وجه الأرض.

والكتب المقدسة كلها تقرر حقيقة أن الله خلق الإنسان الأول آدم ومن جنسه حواء ومن آدم وحواء تكاثر نسل الإنسان، فالبشرية أصلها التراب، والحياة أساسها روح من الله وبذلك يكون لا فرق بين إنسان وآخر حتى عند الملحدين ومن ينكرون خلق آدم ووجود الله لا فرق بين إنسان وآخر. التفضيل والتكريم يكون على أساس الإيمان بالله والرسل والكتب المقدسة فضلاً عن العمل الصالح والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (سورة آل عمران) ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ

ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾

هـذا فيما يخـص المؤمنين بالله أما فيمـا يخص من لا يؤمنـون بإله خالق فلا فرق بين إنسـان وإنسـان إلا بالتطور المادى ومحصلة ذلك أن الفروق بين إنسـان وإنسان سـواء روحانية أم مادية لا يجب أن تؤدى إلى تفرقة عنصرية بين الإنسـان وأخيه الإنسان .

وهكذا فإن التفرقة العنصرية التى تسـتند إلى حق إلهى أمر غير وارد ومرفوض، وذلـك من واقع أن الله الخالق واحد و أن الإنسـانية كلها مـن خلقه، ولا نتصور أن الخالـق يفرق بـين مخلوقاته، خاصة إذا ما تعلق الأمر بالإنسـان أكرم وأفضل مخلوقاته، والذى من أجله خلق الأرض وما عليها والسماوات وما بها.

هكذا لا يسـتطيع أحد أن يقول: إن اليهود هم شعب الله المختار ويحق لهم أن يوجدوا تفرقة عنصرية تسـتند إلى حق إلهى ويصدروا قانون معاداة السـامية بقرار من أمريكا.

فمن يسـتطيع الآن أن يوقف الجرائم العنصرية المنظمة التى ترتكبها إسـرائيل ضد الشـعب الفلسطينى، بما فيها من جرائم حرب وأعمال إبادة الجنس والتطهير العرقى واقتلاع السكان من أراضيهم.

إننا نسـتطيع أن نقول ونحن مطمئنون إن الدولة العنصرية المتبقية الوحيدة فى العالم هى إسـرائيل، وذلـك بعد انتهاء التفرقة العنصرية بين البيض والسـود فى جنوب إفريقيا عام ١٩٩١ والتى استمرت ٣٠٠ سنة.

فإسـرائيل دولـة عنصرية تتبنى نظام الفصل العنصـرى الذى يقوم على الحصر والعزل العنصريين واستلاب الأملاك والمنع من الوصول إلى الأراضى والتقسيم والعزل الجغرافى، فضلاً عن كون ضحايا سياسات الفصل العنصرى الإسرائيلى والتطهير العرقى الصهيونى يستهدف بصورة خاصة الأطفال والنساء العزل.

وإسرائيل ليست عنصرية بهذا المفهوم فقط، أى ليست عنصرية ضد الفلسطينيين فحسب، وإنما العنصرية أيضًا داخل المجتمع الإسرائيلى نفسه وبين المواطنين الإسرائيليين أى رعايا دولة إسرائيل، وهو ما يعارس بصورة واضحة ضد يهود الفلاشا السود الأثيوبيين، وهو ما أدى إلى كثير من المظاهرات والاحتجاجات من قبل يهود الفلاشا البالغ عددهم ٦٠ ألف يهودى، وكثيرًا ما يرفعون لافتات الرفض للتمييز العنصرى داخل إسرائيل، حيث يكتبون عليها:

«بشرتنا سوداء لكن دماءنا حمراء مثل دمكم، ونحن يهود مثلكم»

هكذا تتحقق التفرقة العنصرية لإسرائيل فى الداخل والخارج، وهى تحقق تفرقة عنصرية داخلية ضد يهود الفلاشا السود، برغم أن دعوة هؤلاء اليهود الزنوج لإسرائيل فى البداية قامت على أساس ادعاء صهيونى يؤكد وحدة الاضطهاد، اضطهاد الرجل الأبيض للسود، واضطهاد العالم الغربى لليهود؟!، أما النوع الآخر من التفرقة العنصرية فهى التى تمارسها إسرائيل ضد الفلسطينيين.

وإذا كان المجتمع الدولى قد دعا من قبل إلى التطبيق الفورى للقانون الدولى وخاصة اتفاقية جنيف الرادعة ضد النظام العنصرى السابق فى جنوب إفريقيا، حيث عمل المجتمع الدولى على تأكيد العزلة الدولية لدولة جنوب إفريقيا حتى تتوقف عن سياسة التفرقة العنصرية، فلماذا يقف العالم الغربى مكتوف الأيدى تجاه العنصرية الإسرائيلية الداخلية والخارجية؟ اللهم إلا إذا اعتبرنا قرار الجمعية العامة بالأمم المتحدة عام ١٩٧٥ برقم ٣٣٧٩ باعتبار الصهيونية حركة عنصرية، على اعتبار أن هذا غاية ما يتمناه العالم الحر ضد العنصرية الإسرائيلية، حتى هذا القرار (أضعف الإيمان) قد تم إلغاؤه فى عام ١٩٩١ بقرار جديد من خلال ضغوط أمريكية وصهيونية.

هل العالم الحر غير قادر أو غير راغب فى الدعوة لتأسيس محكمة جرائم حرب للتحقيق ومحاكمة المسئولين عن تلك الممارسات العنصرية الإسرائيلية، أليس قادرًا على الدعوة لإطلاق حركة دولية ضد النظام العنصرى فى إسرائيل كتلك التى تم

إطلاقها ضد النظام العنصرى السابق فى جنوب إفريقيا، ألا يكون العالم الحر قادرًا على إطلاق دعوة للمجتمع الدولى لفرض عزلة على إسرائيل كدولة عنصرية على غرار تلك التى فرضت على النظام العنصرى السابق فى جنوب إفريقيا والدعوة إلى الوقف الكامل للعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والمعونات والتعاون العسكرى معها، بل أكثر من ذلك دعوة حكومة جنوب إفريقيا (المتعاونة مع إسرائيل) والغريب أن تستمر العلاقة بين دولة عانت كثيرًا من التفرقة العنصرية وهى جنوب إفريقيا مع دولة كانت وثيقة الصلة مع النظام العنصرى السابق فى جنوب إفريقيا وهي دولة إسرائيل لاسيما على صعيد النشاط النووى لكى تأخذ الصدارة فى تنفيذ سياسات العزل تلك تحت مبدأ (من ذاق الظلم لا يظلم).

وأخيرًا إدانة جميع الدول التى تساعد وتساند إسرائيل لأنها تساند سياسة عنصرية.

وأقول للصهيونية إنها إذا لم تغير من نفسها فيما تعتنقه من عنصرية دينية تفرق بين اليهود وبين بقية الشعوب مسلمة كانت أم مسيحية أم بوذية أو ما إلى ذلك من الأديان أو حتى اللادينية، فإنه سيكون من الصعب على الشعوب وخاصة الشعب الفلسطينى التعايش فى سلام وأمن و اطمئنان مع اليهود خاصة الذين استوطنوا أرض فلسطين تحت مسمى دولة إسرائيل بادعاء العودة إلى أرض الميعاد التى وهبها الرب للشعب المختار.

وإذا كان العالم الحر استطاع القضاء على التفرقة العنصرية التى كانت تستند إلى لون البشرة والتى مارسها الرجل الأبيض لقرون عديدة ضد الرجل الزنجى الذى لعنوه واستعبدوه بعد أن خلعوا عليه رداء السواد ظلمًا وبهتانًا وتناسوا الحكمة الإلهية من اختلاف الأشكال والألوان و الأجناس والألسنة.

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (سورة الروم).

أقول: إذا كان العالم الحر قد استطاع أن يقضى على ذلك النوع من التفرقة العنصرية، فهو قادر أيضًا أن يقضى على التفرقة العنصرية الإسرائيلية.

وأقـول بثقة: إننى شـخصياً لا أعتقد قيام العالم الحـر بالقضاء على العنصرية الإسـرائيلية، لأن العـالم الحر هو الـذى خلق دولة إسـرائيل ومكنها من الوجود وعمق فكرة العنصرية بها لا لشىء إلا للقضاء على الإسلام والعروبة ففى واقع الأمر إسرائيل لا تستخدم العنصرية ضد أمريكا وأوروبا.

وأقـول فى النهايـة: إننى أؤيد فكرة وجـود منظمات عربيـة مناهضة للتمييز العنصـرى مثل المنظمة العربية لمناهضة التمييز، فهى منظمة غير حكومية مشـهرة وفقاً للقانون الفرنسـى، قام بتأسيسها عدد من المهتمين بالكشف عن جميع مظاهر التمييـز والعنصرية المخالفة لحقوق الإنسـان والشـرائع الدولية باسـتخدام جميع الوسـائل الإعلامية والقانونية والثقافية، ولاسـيما تلك المخالفـات العنصرية التى تمارسها إسرائيل، حيث تسعى هذه المنظمة للقضاء على التجاهل الواضح من قبل المنظمات العالمية لحقوق الإنسـان للممارسـات الإسـرائيلية، كما أن نشاط المنظمة يمتد إلى كشـف حقيقة الحملات الصهيونية لترجمة مواد إعلامية غربية وتوزيعها فى العالم الغربى بصورة موجهة للإيحاء بشـيوع العداء للسامية فى العالم العربى، الأمـر الذى جعل البعض ينظر إلى هـذه المنظمة باعتبارها المقابل العربى للمنظمات الصهيونية الداعية إلى تشويه صورة العرب والإسلام فى العالم.

٢٠ - نجمة داود بين الصليب الأحمر والهلال الأحمر

فى ديسمبر ٢٠٠٥ انعقد مؤتمر دبلوماسى للدول الأطراف. فى اتفاقية جنيف كان هدفه إقرار شارة ثالثة للحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر تقدم حلاً لمشكلة ظلت وقتاً طويلاً محل جدال فى محافل العمل الإنسانى.

فمع تأسيس الحركة الدولية للصليب الأحمر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر سعت لاتخاذ شارة لها كرمز مميز يسهل التعرف عليها لتتمكن بواسطتها حماية أفراد الخدمات الطبية من الهجمات أثناء النزاعات.

وخلال مؤتمرى جنيف لعامى ١٨٦٣ و ١٨٦٤ وضعت القواعد المنظمة لسلوك المقاتلين فى الميادين وهى القواعد التى أصبحت اليوم مدرجة باتفاقيات جنيف، كما تم اعتماد صليب أحمر على أرضية بيضاء ، أى على شكل معكوس لألوان العلم السويسرى (أرضية حمراء، الصليب أبيض) كشارة تعرف هذه الحركة وترمز لحيادها.

وخلال الحرب بين روسيا والخلافة العثمانية الإسلامية من ١٨٧٦ حتى ١٨٧٨ أعلنت الخلافة الإسلامية أنها سوف تستخدم الهلال الأحمر كشارة مميزة لجمعيتها الوطنية على سيارات الإسعاف التابعة لها مع الاستمرار فى احترام شارة الصليب الأحمر، على الرغم من أنها كانت قد انضمت إلى اتفاقية جنيف لعام ١٨٦٤ دون أى تحفظات، وهكذا أصبح استخدام شعار الهلال الأحمر هو الإجراء المطبق فى الخلافة العثمانية الإسلامية وفى عام ١٩٢٩ وبعد مناقشات مستفيضة وافق المؤتمر الدبلوماسى الذى عقد آنذاك على الاعتراف بشارة الهلال، كما اعتمد شارة ثالثة هى (الشمس والأسد الأحمران) أى الشارة التى كانت تستخدمها منذ فترة بلاد فارس – إيران حالياً – حتى عام ١٩٨٠.

شـــارة
الصليب الأحمر

شـــارة
الهلال الأحمر

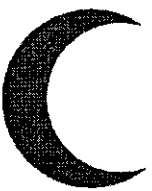

شـــارة
الأسد والشمس

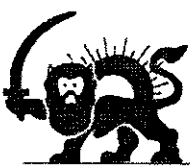

شـــارة
اللجنة الدولية
للصليب الأحمر

ولكى يبطل المؤتمر أى طلبات جديدة فى المستقبل أكد أنه لن يعترف بشارات جديدة بعد ذلك، لتجنب الوقوع فى مشكلة فوضى الشارات وخلال العقود الأخيرة كانت تثور ما بين الحين والآخر المشكلات المتعلقة بمشكلتى الصليب الأحمر والهلال الأحمر والدلالات الدينية التى تنسب إليهما، برغم إدراك الجميع أن الشارة الخاصة بالصليب الأحمر أو الهلال الأحمر ليست ميزة خاصة بدولة ما أو بشعب معين أو ديانة محددة، ولكنها علامة للاحترام الواجب للجرحى والضحايا الذين لا يملكون الدفاع عن أنفسهم ورمز للتضامن الإنسانى فى وقت الشدة والمحن.

وقد سعت إسرائيل بعد إنشائها بكل ما لديها من قوة وضغوط صهيونية عالمية تساندها أمريكا بإضافة نجمة داود إلى جانب الهلال والصليب.

وللقارئ العزيز أن يعرف أن نجمة داود (الماجين دافيد بالعبرية وترجمتها درع داود) هى الرمز الصهيونى الموجود على علم إسرائيل، لكنها فى الحقيقة ليست رمزاً قديماً للهوية اليهودية، فقد استخدمت منذ قرون عديدة كشكل هندسى من قبل المسلمين والمسيحيين فى الزخارف، ويمكن العثور عليها فى كثير من الآثار والمساجد العربية والإسلامية فى كافة أنحاء العالم (حتى إنها توجد ضمن زخارف جامع الحبشى أحد أهم المساجد القديمة فى مسقط رأسى مدينة دمنهور عاصمة البحيرة).

ولم تنل النجمة السداسية تلك المرتبة الدينية الخاصة بكونها نجمة داود إلا عندما اتخذتها الحركة الصهيونية فى نهاية القرن التاسع عشر دون أدنى علاقة لها بالتاريخ والملك داود نفسه، فالنجوم هندسياً ثلاثة أنواع.

الخماسية (وهى الأكثر شهرة واستخداماً فى العالم وهى موجودة على العلم الأمريكى).

والنجمة السداسية وهي منتشرة عالمياً كشكل هندسى (وهى موجودة من قديم الزمن على زى رجل الشرطة الأمريكى).

والنجمة الثمانية وترسمها الدول الإسلامية على الزخارف.

هذا وتقول الصهيونية: إن اليهود قد اتخذوا النجمة السداسية شعاراً لهم لأن النجمة ظهرت فى السماء عند ميلاد الملك داود دون أى سند تاريخى من قبل ظهور الحركة الصهيونية العالمية بقيادة هرتزل عام ١٨٩٧.

والغريب أنه على رغم ربط النجمة السداسية بالنبى داود كشعار دينى فإنه فى الوقت نفسه تضع إسرائيل نفس النجمة على الدبابات والطائرات التى تقتل الإنسان وتهدم المدن كل لحظة فى فلسطين وغيرها من الدول العربية منتهكة كل القوانين والأعراف الدولية والإنسانية، فكيف تصبح نجمة داود فى رأيهم شعاراً دينياً يمثل اليهود شعب الله المختار على علم احتلوا به أرض فلسطين بصفتها أرض الميعاد التى كتبها الرب لشعبه المختار!!! وهكذا فإن نجمة النبى داود أصبحت رمزاً وأداة تزهق أرواح الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ والمدنيين.

وجدير بالذكر أنه فى عام ١٩٤٩ أى بعد إنشاء دولة إسرائيل بعام واحد طلبت إسرائيل من منظمة الصليب الأحمر حق وضع نجمة داود مستغلة ضغوطا من الولايات المتحدة الأمريكية على المنظمة الدولية للصليب والهلال الأحمر إلا أن هذا الطلب تم رفضه من المنظمة بفارق صوت واحد، ومع ذلك تعاون الصليب الأحمر الدولى مع إسرائيل طوال هذه السنين الماضية كمراقب وليس كعضو ولوجود ضغوط إسرائيلية صهيونية استمرت ما يزيد عن نصف قرن من أجل وضع نجمة داود مع الصليب الأحمر والهلال الأحمر واجتمعت اللجنة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر فى ديسمبر ٢٠٠٥ وتم اتخاذ قرار العمل بشارة جديدة لعلم هيئة الصليب الأحمر والهلال الأحمر، وافقت ١٢٧ دولة وعارضت ٢٧ دولة امتنعت ١٠ دول عن التصويت، وكان لدولة سويسرا دور أساسى فى قبول الشارة بعد أن بعدت عن مبدأ الحياد التى كانت تمارسه انضمت إلى الأمم المتحدة خاضعة للضغط الأمريكى والإسرائيلى الذى استمر نصف قرن.

وبذلك تحولت الشارات من رمز إنسانى إلى رمز دينى عرقى، حيث يستخدم كل طرف شارة مختلفة، فى الوقت الذى نبعت فيه فكرة الشارة من قدرتها على

الحماية، تستعمل بواسطة الصديق والعدو، أما إذا فقدت الشارة حيادها فإن خطراً جسيماً سوف يهددها وتصبح هى نفسها بدورها هدفاً وهو ما حدث فى بعض الأحيان للأسف.

وقد حاولت اللجنة الدولية للهلال الأحمر والصليب الأحمر أن تبرز موقفها باختيار شارة جديدة بأنه نوع من تأكيد وإصرار المحبة والصداقة بين الشعوب وتمشياً مع مبدأ العالمية الذى بموجبه تفتح الحركة أبوابها للجميع؟!.

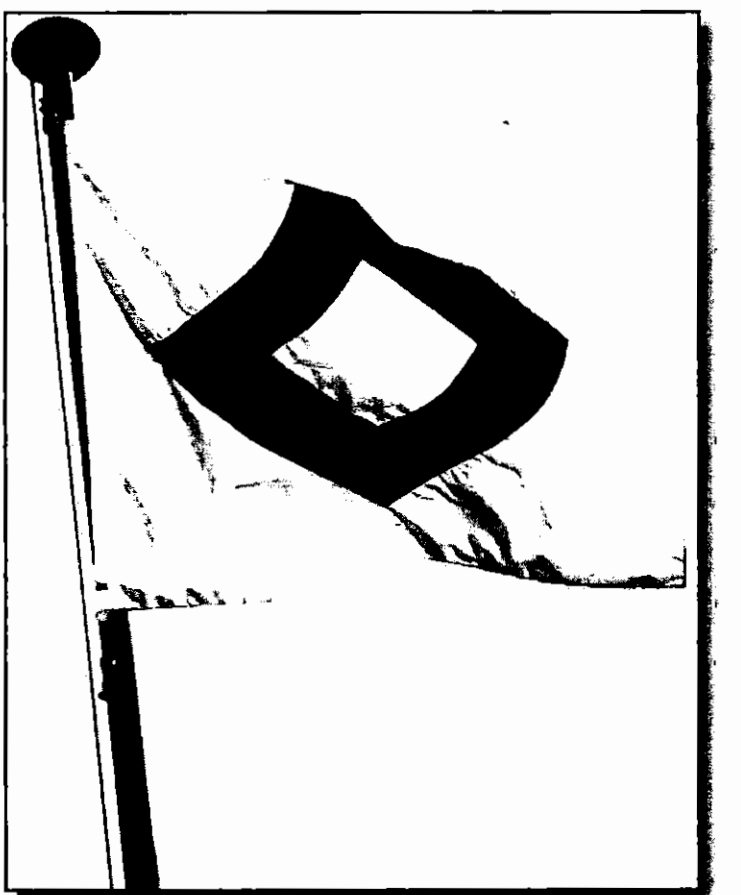

وأكـدت الهيئة الدولية على أن الشـارة الدولية الجديـدة خالية من أى مدلول سياسـى أو دينى وتقوم مقام الشـارات الموجودة، وفى ديسـمبر ٢٠٠٥ تم اعتماد الشارة الجديدة، والتى جاءت على شكل مربع أضلاعه الأربعة باللون الأحمر قائم على وحدة أرضية بيضاء، ومفرغ من داخله بحيث يكون بوسـع لمن يسـتخدم أن يضع داخله رمزاً ثانوياً يرتضيه أو يسـتخدمه على حاله؟! ولتوضيح هذا كان من الضرورى أن يتم طبع هذه الشارة الجديدة بجانب هذا الشرح ليتصور القارئ العزيز كيف أن المنظمة الدولية قد توصلت إلى حل للمشكلة ينطوى فى داخله على رفض فكرة ضم نجمة اليهود إلى علم المنظمة دون أن يكون هناك قرار صريح لذاك.

قصة الهلال والصليب الأحمر ذكرتنى بأبيات شعرية قرأتها لأمير الشعراء أحمد شـوقى، قالها فى احتفال لجمع التبرعات لإعانة المقاتلين فى طرابلس الغرب من الجيش العثمانى حين أغارت إيطاليا عليها.

وأعتقد أن هذه الأبيات توضح الهدف الإنسـانى من هذه الهيئة الدولية، يقول الشاعر شوقى:

هـذا الهـلال الـذى تحـويـه ليـلتـه
أبـهـى الأهـلة عنـد الله ألـوانـا
لحامليـه جـلال منـه مقتبـس
كـأنمـا رفعـوا للنـاس قـرآنـا
كـأن مـا أحـمر منـه حـول غرته
دم البـرىء ذكـى الشـيب عثمانـا
كـأن مـا أبيـض فـى أثنـاء حمرتـه
نـور الشـهيد الـذى قـد مات ظمآنا
كـأنه مـن جمـال رائـع مهـدى
خـود يـوسـف لمـا عـف ولهـانا
كـأنـه وردة حمـراء زاهـية
فى الخلد قد فتحت فى كف رضوانا

٢١ - الأسرى المصريون والهولوكوست

﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾

(سورة البقرة).

كلما قرأت هذه الآية فى القرآن الكريم أتذكر ما حدث لأسرانا فى حربى ١٩٥٦، ١٩٦٧ على يد الإسرائيليين.

(وهنا أتساءل. هل لم يكن هناك أسرى مصريين فى حرب ٤٨؟) وأتعجب من هذا الصمت غير المبرر من قبل الحكومات المصرية المتعاقبة على تلك الجرائم البشعة المخالفة لكل قواعد الإنسانية والتى ارتكبها الجنود الإسرائيليون مع الأسرى المصريين من قتل جماعى وأمرهم بحفر قبورهم بأيديهم قبل إطلاق النار عليهم وإجبار باقى الأسرى على ردم المقابر والتراب على زملائهم،بل وصل الأمر إلى دفن بعض الأسرى أحياء فى مقابر جماعية وسير الدبابات الإسرائيلية على جنود آخرين مصريين أحياء، بل وتعرض عدد كبير منهم لإجراء التجارب البيولوجية للأسلحة العسكرية الإسرائيلية.

لقد مرت عشرات السنين على قيام الإسرائيليين بهذه الأفعال البشعة، وقد شاهدت بنفسى ما أذاعته وسائل الإعلام الإسرائيلية على شاشات التليفزيون البلجيكى فى يوم ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣ عندما كنت أعمل بسفارة مصر ببلجيكا رأيت مناظر مؤسفة لأعداد الأسرى المصريين وهم فى حالة يرثى لها مما يثبت سوء المعاملة الإسرائيلية لهم، والمؤسف أكثر هو إعادة إظهار هذه المناظر فى أول يوم من حرب ٧٣ لإيهام أوروبا أن الجيش المصرى انهزم مرة أخرى كما انهزم فى حرب ١٩٦٧، حيث حاولت إسرائيل خداع العالم وإخفاء حقيقة هزيمتها على يد الجيش المصرى (فى خط بارليف الذى أقامته إسرائيل على الطرف الشرقى لقناة السويس منذ عام ١٩٦٧) وسقوط الجيش الإسرائيلى الذى لا يقهر.

والغريب فى أمر الأسرى المصريين أن أول من أذاع ما جرى لهم فى حربى

٥٦، ٦٧ هم قادة الجيش الإسرائيلى حيث اعترفوا بما ارتكبوه مع الجيش المصرى والأسرى المصريين وقتل ما يقرب من ٦٥ ألف أسير مصرى وحددوا مقابر جماعية دفنوا فيها المصريين فى العريش ووادى حبران وجبل لبنى والحسنة وبئر سبع والمليز والقصبة وأبو عجيلة وأبو صقل ورأس سدر،لقد حدد هؤلاء الضباط الإسرائيليون السابقون أماكن المذابح وأخذوا يروون بكل برود التفاصيل البشعة لهذه الجرائم المخالفة لاتفاقية جنيف الدولية لعام ١٩٤٩، هذا البرود الصهيونى لم يمنعهم ويشعرهم بالخجل وهم يثيرون على نطاق عالمى ما أسموه بالهولوكوست (المحرقة) ويقيمون ضجة كبرى على هتلر وعلى الحكومة الألمانية (أثناء الحرب العالمية الثانية ٣٩ – ٤٥) وبالغوا فى ذلك أن طالبوا منظمة دولية بمشاركتهم وتأييدهم لدعايتهم.

الأمر الذى أدى إلى أن الجمعية العامة للأمم المتحدة قد حددت يوم ١٧ يناير من كل عام (يوماً للمحرقة) محرقة اليهود تحيى فيه ذكرى محرقة النازية لليهود واعتبرت ذلك رمزاً لرفعة الشعب اليهودى الذى عانى طويلاً من الاضطهاد.

فهل كان من الأجدى أن يكون هذا اليوم تأسياً بملايين الشهداء والقتلى الذين ماتوا من جراء الحروب، وماذا فعلت الأمم المتحدة مع القواد العسكريين الإسرائيليين الذين عذبوا أسرانا فى حربى ٥٦، ١٩٦٧ وأسرى وقتلى وضحايا الحروب فى شتى أنحاء العالم.

لقد جاء قرار الأمم المتحدة فى نوفمبر ٢٠٠٥ بجعل يوم ١٧ يناير من كل عام احتفالاً سنوياً بذكرى محرقة اليهود على يد النازية ابتداءً من يناير ٢٠٠٦ تلبيةً لطلب إسرائيل، إن هذا القرار هو نوع من أنواع الرفض الدولى لأى إنكار كلى أو جزئى لوقوع محرقة اليهود كحدث تاريخى، وقد قام بتقديم هذا القرار كل من أمريكا واستراليا وروسيا وكندا، وقد احتجت مصر بتحفظها على القرار حيث تحفظ السفير المصرى لدى الأمم المتحدة داعياً إلى اعتبار يوم ١٧ يناير يوماً لذكرى كل ضحايا الإبادات الجماعية فى العالم، وألا يقتصر على اليهود فحسب، ذلك لأنه من الغريب على المنظمة الدولية أن تتجاهل ما تقوم به القوات الإسرائيلية ضد

الفلسطينيين من تنكيل وتشريد فى الوقت الذى تبحث فيه عدوان القوات النازية على اليهود فى الحرب العالمية الثانية (٣٩ - ١٩٤٥).

ومن ناحية أخرى وفى ٢٦ يناير ٢٠٠٧ وبناء على طلب أمريكا أصدرت الجمعية العامة قراراً يطالب جميع دول أعضاء الجمعية وعددهم ١٩٢ دولة برفض إنكار الهولوكوست والغريب أن الموافقة جاءت جماعية ما عدا دولة إيران، وفى هذا القرار تأييد لقرار الجمعية العامة السابق الإشارة إليه.

هذا وقد أقامت إسرائيل معرضاً فى تل أبيب أطلق عليه الهولوكوست ودعت إليه آلاف الشخصيات والزعماء الدوليين والأمين العام للأمم المتحدة والذى أكد فى ذلك اليوم أن يوم ١٧ يناير من كل عام سيكون ذكرى سنوية لضحايا الهولوكوست.

وكانت إسرائيل قد أقامت متحفاً للهولوكوست فى معظم عواصم العالم الأمريكى والأوروبى تضع فيه صورًا تمثل المحارق وتجبر المكاتب السياحية فى هذه الدول على وضع هذه المتاحف فى برامجها السياحية، هذا وقد قامت ألمانيا مؤخراً ببناء نصب تذكارى لتخليد الضحايا اليهود بعد أن وافق البرلمان الألمانى على إقامة هذا النصب نتيجة مناقشات دارت على مدار عشر سنوات سابقة، هذا النصب يضم ٢٧٠٠ عمود وتشكل مساحته ضعفى ملعب كرة قدم وقد طاردت حركه أنصار الهولوكوست (معناها المحرقة) جميع مناهضيها، وقد تعرض العديد من المفكرين الغربيين لضغوط شديدة لموقفهم المنكر للهولوكوست كحقيقة تاريخية وتفنيد الادعاءات الصهيونية التى يعتمدون عليها لاستمرار استنزاف أوروبا وإذا افترضنا أن هذه المحارق حقيقية فإنها لم تحصد أرواح اليهود فقط وإنما شملت عشرات الآلاف من الضحايا الأوروبيين غير اليهود. أضف إلى ذلك ما حصدته الحرب العالمية الثانية من أرواح المدنيين فى أوروبا وغيرها من قارات العالم ومجموع ضحاياها ٤٨ مليونا من كل العالم وإذا كانت إسرائيل تدعى أن فكرة إنشاء دولة إسرائيل كانت نوعاً من التعويض عن الاضطهاد اليهودى فى كافه أنحاء العالم فأقول: إن الجريمة وقعت على الأرض الأوربية ولم يكن للعرب أى دخل فى ذلك

كما أننا جميعاً نعرف أن فكرة إنشاء دولة إسرائيل تعود إلى عام ١٨٩٧ بمؤتمر بازل أى قبل هتلر ومحارق النازية كما تدعى إسرائيل – بعشرات السنين؟!!.

جديـر بالذكر أن المحامى المصرى محمود لطفى قد أقام دعوى قضائية بمحكمة العريش وهو رئيس لجنة الدفاع عن الحريات باتحاد المحامين الأفرو آسيوى لحقوق الإنسان، أقام دعوى ضد رئيس الوزراء الإسرائيلى باعتباره مسئولاً عن تعذيب وقتل الأسرى المصريين أثناء الاحتلال الإسرائيلى لسيناء عام ١٩٦٧، وطالب المحامى فى دعواه بمحاكمة رئيس الوزراء الإسرائيلى وتغريمه بدفع تعويض مالى قدره ٦٠ مليار جنيـه كما طلب بإيقاد لجنة دولية من الصليب الأحمر ومنظمات حقوق الإنسـان للوقوف على بشاعة الجرم الإسرائيلى على الطبيعة بزيارة مناطق الدفن والمقابر التى تضم رفات الأسـرى المصريين، كما تضمنت الدعوى ما نشره قادة إسرائيل أنفسهم فى مذكراتهم الخاصة باعتبارهم شـهود عيان، فضلاً عن سماع أقوال شهود العيان الأحياء وحتى صدور هذا الكتاب لم يستجد جديد فى هذه القضية.

وقد أثير الموضوع بمجلس الشـعب المصرى منذ عـام ١٩٩٥ حيث تقدم المرحوم النائب يس سـراج الدين باسـتجواب لوزير الخارجية المصرى عن قضية الأسـرى المصريـين، وقد رد قائـلاً أن الحكومة المصرية تقدمت بطلب رسمى إلى إسـرائيل للمطالبـة بإجراء تحقيق للكشـف عن كافة الحقائق المتعلقـة بتلك القضية ووافقت الحكومة الإسـرائيلية على تشـكيل تلك اللجنة لكن لم يحدث شـىء حتى الآن، وقد طالب عدد من نواب مجلس الشـعب الحكومة المصرية بالتحرك والضغط على إسرائيل لصرف تعويضات عن الأسرى المصريين بدعم القانون الدولى وعدم احترام إسـرائيل لأية اتفاقيات أو أخلاق وهذه الجرائم تتوفر فيها كافة السـبل والأسانيد للمطالبة بالتعويض لأن الذين أصدروا القرارات بقتل الأسـرى المصريين هم قيادات فى جيش إسـرائيل وعليهم مسـئولية الدولة باعتبارهم تابعين لسـلطة حكام دولة إسـرائيل وواضح فى هذه الجرائم جانب الخطأ والضـرر المتعمد، وإضافه إلى ذلك طالب بعضهم بضرورة مقاضاة فرنسـا وبريطانيا لـدى محكمة العدل الدولية لدفع

تعويضات عن أعمال القتل والتدمير ضد هدم المنازل التى شهدتها محافظة بور سعيد أثناء العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦.

وأخـيراً فلقد رأيت من جانبى وفى جريدة الأهرام (بريد الأهرام) حيث دعوت أكثـر مـن مرة أن يقوم الجيـش المصرى بإقامة نصب تذكارى لهؤلاء الأسـرى فى قلب سـيناء حتى يكون شـاهداً تاريخياً على ما اقترفته إسـرائيل حكومة وجيشاً فى حق الأسـرى وليكون تذكاراً ينادى الشـعب المصرى بضرورة العمل على اتخاذ كل الإجراءات ضد حكومة إسرائيل وجيشها حتى تعاقب إسرائيل وجيشها مادياً ومعنوياً بصفتهم مجرمى حرب على هذه الجريمة البشـعة التى تعارضها كل القيم والمعاهدات الدولية مهما طال الأمد.

وأعتقـد أننا لسـنا أقل من الإسـرائيليين الذين أقاموا فى معظـم عواصم الدنيا ما يذّكر بضحايا يهود الحرب العالمية الثانية وبهذه الوسـيلة ترعب إسرائيل الدول خاصـة الأوربية وأمريكا وتحصـل على تعويضات مالية ضخمة من حين وآخر كما تفرض على رؤسـاء الدول وكبار الشـخصيات العالمية إلى زيـارة النصب التذكارى لهؤلاء الضحايا عند زيارتهم لدولة إسـرائيل وآخرهم بابا الفاتيكان الراحل رئيس الكنيسـة الكاثوليكية السـابق التى يبلغ رعاياها ألف مليون مسيحى كاثوليكى فى كافة أنحاء العالم.

وإننـى أنتهز فرصة كتابى هذا لأكـرر دعوتى للجيش المصرى وقائده الأعلى هو رئيـس جمهورية مصر لتحقيـق إقامة نصب تذكارى لهؤلاء الأسـرى واتخاذ كل الإجراءات الدولية لمطالبة إسرائيل بدفع تعويضات.

ولا أستطيع أن أختم هذا الملف دون أن أبوح بما أفكر فيه دائماً عن مدى حقيقة وجود أو غياب موضوع الأسـرى المصريين فى أثناء المفاوضات التى أدت إلى توقيع معاهدة كامب ديفيد واتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٩!!؟؟.

٢٢ - قل (يهود مصر) ولا تقل (المصريون اليهود)!

فى بداية هذا الملف أعود بالقارئ العزيز إلى ما سبق أن سجلته فى ملف الجامعة عن المفاجأة التى أصابتنى وصديقى المسيحى من صديقنا اليهودى اسحق منصور الذي فاجأنا بقرار هجرته إلى إسرائيل وكان ذلك عام ١٩٥٠ أى بعد إنشاء دولة إسرائيل بعامين – كانت هذه المفاجأة تعود إلى ذاكرتى باستمرار وأنا أتابع آثار ونتائج خلق دولة إسرائيل فى قلب العالم العربى فلسطين.

ويحتاج موضوع اليهود فى مصر إلى أبحاث تاريخية تعود إلى زمن الخروج الأول لليهود من مصر من بنى إسرائيل مهاجرة بإيمانها بالنبى موسى وبالتوراة هرباً من فرعون مصر وجنوده بعد أن عاشوا سنين طويلة منذ يوسف الصديق.

هذه مقدمة يشاركنى فيها القارئ العزيز فى هذا الملف عن يهود مصر وتعبير يهود مصر، أدق تعبير فى رأيى عن اليهود فى مصر، كما يؤكد لى تاريخياً القرآن الكريم فى آيات تشرح الديانة اليهودية. وجد اليهود الأجانب الذين وفدوا إلى مصر مع الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ ولعلى لا أكون خاطئاً فى تفسيرى لهذه الظاهرة من ارتباطها بما سيحدث من ضغط اليهود على بريطانيا لتقوم بدورها بإنشاء كيان يهودى فى فلسطين، الأمر الذى يتحدث عنه كتابى هذا تحت عنوان إسرائيل منذ عام ١٨٩٧.

المهم أن اليهود الذين جاءوا مع الاحتلال البريطانى كانوا من اليهود الاشكيناز أى اليهود الأوروبيين الذين ينحدرون من قبيلة الخزر بشرق أوروبا التي اتخذت الديانة اليهودية بعد أن كانوا وثنيين بالإضافة إلى بعض هؤلاء اليهود الذين كانوا يقيمون فى حماية الخلافة الإسلامية فى مدن أزمير – إستانبول – سالونيك والتى من أبناء الأخيرة مصطفى كمال أتاتورك اليهودى الذى أسلم وكان بطل القضاء على الخلافة الإسلامية وأصبح رئيساً لجمهورية تركيا الحديثة التى مازلت تتمسك بمبادئ أتاتورك العلمانية حتى الآن.

كل هذه المعلومات فى رأيى مهمة لبيان أصل يهود مصر الذين عاشوا فيها فى أمان على مدار السنين تحت حماية وجنسيات الأجانب وتمركزوا واستقروا فيما يعرف بحارة اليهود الشهيرة فى قلب العاصمة القاهرة (التى لم تعد كما كانت عليه من قبل)، واستطاعوا أن يصلوا إلى مناصب وزارية وعضوية البرلمان والكادر السياسى ومنهم أساتذة جامعات ومحامون مشهورون وفنانون وفنانات، وفى مجال المال والاقتصاد سيطروا وامتلكوا الشركات والمصانع والبنوك كما اشتغلوا بتجارة الذهب والعملة وكان أبرز نشاط لهم هو اشتغالهم فى بورصة القطن حيث كان ٩٠٪ من سماسرة القطن فى البورصة من اليهود وكانت تجارة حرة فى مصر حتى عام ١٩٥٢.

وكانوا فى هذا النشاط يتعرضون لتيار مصرى وطنى ينافسهم فى هذه التجارة ومن المهم هنا أن نقول: إن سبب هذا النشاط اليهودى يعود إلى أيام حكم الخديوى إسماعيل حيث ظهرت الطبقة البرجوازية اليهودية فى الفترة التى تزايد فيها النفوذ الأجنبى فى مصر لعجز الخديوى عن تسديد ديونه للغرب، وبالطبع كانت وساطة اليهود من أجل حصول الخديوى على قروض جديدة من بيوت المال اليهودية فى أوروبا مقابل حصول اليهود على امتيازات تطلق يدهم فى التجارة الداخلية وجمع المال من المصريين وكانت الامتيازات هى الوسيلة التى حقق بها اليهود الثروات الطائلة بدون وجه حق، فقد منح الخديوى توفيق امتياز حق تقسيم لا يعنى الملكية – عموماً كان الامتياز يعنى تسهيل تجارة اليهود والسماح لهم بذلك.

وسمح موقف اليهود المالى فى تكوين طبقة من الأغنياء والأثرياء وفرضوا أنفسهم على حكام مصر وسيطروا على أشهر النوادى الموجودة ليس فقط فى القاهرة ولكن فى الإسكندرية أيضا وباقى المدن الرئيسية الأخرى واستغلوا علاقتهم بالأسرة المالكة آنذاك التى تنحدر من الخديوى إسماعيل والخديوى توفيق التى كانت لهم صلة وثيقة بها كما ذكرت.

وأقاموا محلات تجارية تمتاز بالفخامة والشياكة وعرض المنتجات الأوروبية فى أضخم المبانى وأهم وأفخر الشوارع والأحياء ولا زال حتى الآن وبالرغم من كل

الإجـراءات التى اتخذتها الحكومات المصريـة المتعاقبة من تأميم وتمصير ولازالت الأسماء التجارية لهذه المحلات موجودة وتلفت النظر حتى الآن مثل شـيكوريل، شملا، عدس، ريفولى وأوروزدى باك (عمر أفندى).

ومن ناحية أخرى استمتع اليهود بسماحة الشعب المصرى (مسلمين ومسيحيين) فى حرية بناء المعابد اليهودية والمقابر فى كافة الأحياء بالقاهرة والإسكندرية وحرية إقامة الشعائر الدينية وإقامة صلاة السبت الأسبوعية والمناسبات الدينية وبحضرها الحاخامات اليهود والتى كانت تحظى باهتمام دولة إسـرائيل بعد اتفاقية السـلام بين مصر وإسـرائيل ١٩٧٩ فكانت توفد الحاخامات منها فى المناسـبات الدينية والأعياد لرئاسـة الطقوس والشعائر كما يقوم أعضاء السفارة والقنصليات الإسرائيلية فى آداء المراسـم الدينية خاصة فى أكبر وأهم معبد يهودى بالقاهرة وهو معبد عدلى ومعبد إلياهو بالإسـكندرية بالرغم من القلة القليلة من كبار السـن اليهود الذين لم يغـادروا مصـر وهما أهم المعابد التى يصل عددهـا الآن نحو ١٦ معبداً بعد أن كان عددها نحو ٣٠ معبداً.

والغريب والعجيب ومما يؤيد وجهة نظرى أنهم ليسوا مصريين يهود ولكن يهود مصر فالأحداث التاريخية التى حدثت بعد عام ٤٨ خرج اليهود من مصر إلى أرض الميعاد كما تنادى الصهيونية العالمية فى فلسطين تحت علم دولة إسرائيل ليفرضوا نفسهم ويقولوا للمصريين: إنهم شعب الله المختار!!.

ولا أسـتطيع أن أخفى مشـاعرى بأن خروج اليهود سلالة بنى إسرائيل من مصـر كان منذ أيام موسـى خروجا دينيا هرباً بديـن اليهودية التى أنزلها الله فى الكتاب المقدس التوراة على النبى موسـى لما حاربه الجيش المصرى برئاسـة فرعـون خرج اليهـود إلى حيث أمرهم الله فكان هذا هو الخروج الأول وأؤكد أن هذا الخروج هو خروج دينى يؤمن به المسيحيون والمسلمون وأحب أن أسجل فى كتابى هذا أنه من المهم الرجوع إلى الدراسـة التاسـعة تحت عنوان كيف خرج اليهود من مصر القديمة والتى نشرت فى الجزء الثانى من موسوعة وصف مصر

التى صدرت من مكتبة الأسرة بمناسبة مهرجان القراءة للجميع عام ٢٠٠٢ والتى كان لها أهمية عندى فقررت أن أشـير إليها فى كتابى هذا لمن يريد من القراء أن يستزيد.

أما الخروج الثانى الذى نتحدث عنه فى كتابى هذا وهو خروج دنيوى لا علاقة لـه بالديانة اليهودية الحقيقية ويسـتقرون فى أرض غير أرضهـم اغتصبوها بقوة الإمبريالية الغربية (أوروبا وأمريكا) واسـتحلوا فيها مهد السيد المسيح عليه السلام وأسروا فيها المسجد الأقصى ثالث الحرمين وأولى القبلتين ومسرى النبى محمد صلى الله عليه وسلم.

بل أكثر من ذلك فقد تعاونت إسـرائيل مع بريطانيا وفرنسا فى العدوان الثلاثى علـى مصـر ١٩٥٦، الأمر الـذى أدى إلى تزايد حركة الخـروج اليهودية من مصر تاركين ممتلكاتهم الشخصية حاملين ما خف حمله وغلا ثمنه.

فالعـدوان الثلاثـى كان يعتـبر خطراً على اليهود أثنـاء وجودهم فى مصر لأن معظمهم كانوا يحملون جوازات سفر بريطانية وفرنسية، ويعتبرون ذلك رعايا دول العدو (بالضبط كما حدث للمؤسسـات والبنوك البريطانية والفرنسية التى خضعت للتمصير والحراسـة نتيجة العدوان) وبذلك يكون خروجهم بسـبب العدوان خروجا دنيويا وهو المرحلة الأخيرة لإتمام الخروج الثانى ولم يبق منهم سـوى بضع المئات التى انحصرت فى كبار المسـنين والمسنات وهكذا لم يغادروا فقط مصر كدولة ووطن ولكن غادروا ممتلكات من البيوت والقصور والمعابد والمقابر.

ولا يمكن لى أن أنهى هذا الملف دون أن أسـجل أنه طبقاً لاتفاقية السـلام بين مصر وإسـرائيل عام ١٩٧٩ فهناك عشـرات الألوف سنوياً من يهود دولة إسرائيل أى الإسـرائيليون يـزورون مصر وبمعاملة خاصة ولكن تنحصـر زيارتهم إلى الجزء الشـرقى من شبه جزيرة سـيناء الذى يمتد إلى خليج العقبة حيث أصبح لإسرائيل – مع الأسف – ميناء إيلات أم رشراش المصرية سابقاً وقصة ذلك فى كتابى القادم إن شاء الله.

إن موضوع اليهود فى مصر يحتاج إلى كتب وأرجو أن يعذرنى القارئ العزيز فى أننى حرصت ألا يصدر كتابى هذا دون الكتابة عن اليهود فى مصر حتى ولو كانت فى صفحات قليلة، وهناك مؤلفات كثيرة عن هذا الموضوع الهام.

وفى الختام أود أن أذكر فى عجالة أن أحد المحامين المصريين وهو السيد الأستاذ الدكتور/ نبيل حلمى أستاذ القانون الدولى وعميد كلية حقوق جامعة الزقازيق ومعه فريق من الباحثين المتخصصين يقومون بدراسة اتخاذ الإجراءات القانونية ضد اليهود الذين خرجوا من مصر وأخذوا معهم ذهب المصريين وهو ما تجسد فى قوله تعالى فى سورة طه : ﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ ﴾

وهو الذهب نفسه الذى صنع منه السامرى اليهودى العجل الذهبى الذى عبده اليهود أثناء تلقى موسى الوصايا العشر من رب العالمين ومن الغريب فى هذا الموضوع أن هناك نصا توراتيا يقول لبنى إسرائيل:

«إذا انصرفتم فلا تنصرفوا فارغين، بل تطلب المرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وذهب وثياباً تجعلوها على بنيكم وبناتكم، وتسلبون المصريين «الإصحاح الثالث – سفر الخروج».

وترجع أهمية دراسة اتخاذ الإجراءات القانونية ضد اليهود لأن اللوبى الصهيونى لم يكتف من وقت لآخر بإثارة قضية تعويضات اليهود عن أملاكهم التى تركوها فى مصر وقت رحيلهم فى فترة الأربعينات والخمسينات من خلال بعض وسائل الإعلام العالمية – والتى يسطرون على معظمها، بل إن هناك تحريضاً منظماً لبعض ورثة الأسر اليهودية الذين كانوا يعيشون فى مصر والمقيمين فى الخارج على رفع دعاوى قضائية أمام المحاكم الأمريكية لمطالبة الحكومة المصرية برد ممتلكاتهم.. بل وصل الأمر أيضاً إلى سعى هذا اللوبى لإثارة بعض أعضاء الكونجرس الأمريكى بربط المساعدات الأمريكية المقدمة إلى مصر بتعويضات اليهود!!.

فهـا هـو ذا الكونجرس الأمريكى يعقد تحـت رعايته وبدعوة منـه مؤتمراً فى المستقبل عن «أحوال يهود مصر» على غرار مؤتمر «أقباط المهجر».

كمـا قامت لجنة الحريـات الدينية بزيارة مصر عـام ٢٠٠٤ ركزت ولأول مرة علـى «يهود مصر» وطلبوا زيارة معبد عدلى بعد ما زاروا معبد عزرا بمصر القديمة.. وأعجبهم كثيراً معبد عدلى.

ويقال: إن الهدف من زيارة هذه اللجنة أنها كانت تحمل ملفاً كاملاً عن أملاك اليهـود بمصر وأماكنها.. وأنهم قدموا توصية بعودة هذه الأملاك لأصحابها بحجة أنهم تركوها فى الفترة ما بين حربى ١٩٤٨ و ١٩٦٧؟

فضلاً عما تثيره جمعية «بروكلين» بالولايات المتحدة الأمريكية تسمى «الجمعية التاريخية لليهود فى مصر» ومنذ عام ١٩٩٦ م تقريباً يطالبون الطائفة اليهودية التى ما زالت فى مصر أن ترسـل لهم جميع المقتنيات الموجودة لدى الطائفة كالأسـفار والسـجلات والمقتنيات القيمة التى توجد بالمعابـد، لأنهم يعتبرون أن الطائفة فى طريقها للانقراض إلا إن هذه المطالب قوبلت برفض شـديد من كل أعضاء الطائفة باعتبـار أن كل التراث اليهـودى الموجود فى مصر ملك للطائفـة اليهودية ودائماً سـيكون موجـوداً فى مصر للحفـاظ على هذه الممتلكات، وهـذه الآثار تعتبر جزءاً لا يتجزأ من تاريخ مصر لأنه ليس هناك تعصب ضد اليهود فى مصر بالرغم من كل ما حدث وذلك لأن المصريين (مسلمين ومسيحيين) يحترمون الدين اليهودى ديانة سماوية والتوراة كتاب سماوى مقدس، أما الصهيونية التى تم إلصاقها باليهود فهى وافد غربى لا علاقة له بالدين اليهودى.

وأخيراً لا أنسـى أن أذكر وبكل أسـف ورغماً عن نفسى أن أسطر الكلمات التي تهذى بها الصهيونية العالمية والتى تضعها فى صدر الكنيسـت (البرلمان) فى دولة إسرائيل – هذه الكلمات التى أشعر بالضيق أن أسجلها فى كتابى هذا ولكن عذرى الوحيـد هو تنبيه ولفت نظر فقط أبناء مصر بل كل العرب.. هذه الكلمات المخزية هى (إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات) وواجب العرب جميعاً أن يحطموا هذا

الحلم على رءووس الصهيونية العالمية ومن يساندهم فالذين يساندونهم هم أعداء العرب والإسلام منذ الحروب الصليبية.

ولا يفوتنى أن أسجل أننى سمعت من كثير من الشخصيات أن دولة إسرائيل بعد معاهدة السلام واتفاقية كامب ديفيد اختارت حيا بالجيزة ليكون مقراً لها فى سفارتها فى مصر والسبب فى ذلك أن الجيزة فى غرب نهر النيل الخالد أما شرق النيل الخالد هو حسب زعمهم هى أرض إسرائيل الكبرى.. من النيل إلى الفرات وعجبى!!.

٢٣ - القـدس

أعتقد أننى مثل غيرى من أبناء مصر مسـلمين ومسيحيين نسمع منذ صغرنا من آبائنـا وأجدادنا حب القدس وزيارتها وعندما يعود منها الحاج يطلق عليه المقدس سـواء كان مسلماً أم مسيحياً، فبالنسـبة للمسلم فهى أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال تعالى فى (سورة الإسراء):

﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ .

وكان من عادة الأجداد والآباء أن يزوروا القدس بعد أداء فريضة الحج، فمن مكة ينتقلون إلى القدس ومن المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وكانت تستغرق الرحلة كلها من شهر رمضان إلى شهر ذى الحجة كل عام هجرى.

وبالنسـبة للمسـيحى فالقدس هى مهد المسيح ومهد رسـالته وصعوده منها إلى السـماء، ويؤدى من يستطيعون من مسيحيى مصر زيارة القدس ليحصل على لقب يتشرف به هو المقدس.

هكذا كانت القدس فى خيالى وأنا صبى وشـاب، كنت أحلم كآبائى وأجدادى بزيـارة القدس، وظل هذا الحلم إلى السـتينات حيث بلغت من العمر ما يقرب من الأربعين، وكنت عضواً فى سفارة مصر بكابول من (١٩٦٥ – ١٩٦٧)، حيث كان من المقرر أن أعود إلى الوطن فى صيف ١٩٦٧، الأمر الذى قمت معه بترتيب رحلة العودة من كابول إلى القاهرة ماراً بطهران – القدس – القاهرة، لكن شاءت المقادير التى لا يعلم سـرها إلا الله أن يبدأ صيف ١٩٦٧ فى شـهر يونيو ويقع فى الخامس من هذا الشـهر أخطر عدوان إسرائيلى منذ أن استولت على فلسطين عام ١٩٤٨، ففى الأيام الستة الأولى من شهر يونيو (من ٥ – ١١) استولت إسرائيل على بقية

الأراضى الفلسطينية (الضفة الغربية وقطاع غزة) بما فيها مدينة القدس واستولت أيضاً على شبه جزيرة سيناء المصرية ومرتفعات الجولان السورية.

فلقد تغيرت رحلة العودة من كابول إلى القاهرة مروراً ببيروت فقط عاصمة لبنان انتظاراً لإعادة فتح مطار القاهرة وهكذا ضاع الحلم.. حلم زيارتى للقدس.

أنتهز فرصة كتابى هذا كى أتحدث إلى قرائى عن معلوماتى وقراءاتى وذكرياتى عن القدس مع أمل جديد فى أن يحقق الله لى زيارة القدس، والصلاة فى المسجد الأقصى الأسير قبل الرحيل. إن تناول موضوع القدس يثير عدة أحداث كما يثير إشارات تاريخية لهذه المدينة المقدسة، وليس الغرض أو الهدف من تناول موضوع القدس فى كتابى هذا دراسة عميقة للجذور التاريخية والمشاكل التى مرت على هذه المدينة ولكن الأمر يقتضى أن يتناول كتابى هذا رءوس موضوعات رأيت أهمية عرضها والإشارة إليها حتى ولو ذكرتها دون مراعاة الظروف التاريخية والمناسبات التى تثيرها الأحداث، وسيكون منهج تناولى ما رأيت أن يكون مفيداً للقارئ العزيز دون الرجوع إلى القدس تحت حكم روما أو بريطانيا.

فالقدس من أشد القضايا حساسية فى الصراع العربى الإسرائيلى وأكثرها إثارة للنزاع نظراً لما تتمتع به المدينة من أهمية دينية بالغة بالنسبة للايين المؤمنين من أتباع الديانات التوحيدية فى العالم، فهى من أقدم المدن العالمية وهى ملتقى الحضارات والأديان ووجهة الحجاج والفاتحين خاضت معارك كثيرة، كل يحاول السيطرة عليها، ومنذ القرن التاسع عشر والمدينة هدف مطالبات متضاربة من قبل الفلسطينيين واليهود مما جعل المدينة تكتسب بعداً سياسياً إضافة إلى البعد الدينى.

ولست هنا مؤرخاً لمدينة القدس، ولا حتى لتاريخ الصراع الشرقى والغربى على هذه المدينة، فهناك كثير من الأقلام والكتب والمراجع التى تناولت هذا الموضوع، كل من وجهة نظره، وحسب معتقداته، ولكنى أشير إلى مجموعة من النقاط المهمة التى وصلت إليها بعد أن بلغت من الكبر عتياً و تجاوزت ثلاثة أرباع القرن.

أول ما أود أن أشـير إليه أنه إذا كانت القدس بها أماكن تخص أديانًا مختلفة فليس من المقبول نسبة القدس إلى دين معين، وإنما تنسب إلى الأرض أو البلد الموجودة عليها فهى أرض فلسطينية عربية تماماً كما هو الحال بالنسبة لمكة، فمكة بها الكعبة قبلة المسلمين، فلا يمكن أن نقول أن مكة مسلمة ولكنها عربية بصفتها جزءًا من شبه الجزيرة العربية، ولا يمكن لأى مسلم فى العالم أن يطالب بها لأنه ليس عربياً، فالعواصم الدينية هى قبلة المتدينين وليست ملكهم، يحجون إليها ولكن ليس من حقهم أن تكون ملكا لهم، وهذه العواصم تأخذ جنسية الأرض والدولة التى هى فيها.

فتح المسلمون مدينة القدس سنة ١٥ هجرية ٦٣٦ ميلادية بقيادة عمرو بن العاص، وقام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بزيارة القدس وتم أثناءها توقيع معاهدة السلام بين عمر والمسيحيين فى المدينة التى عرفت بالعهدة العمرية، وقد نصت على:

«إعطاء أهل إيلياء (اسم القدس قديماً) الأمان لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتهم، فلا تهدم كنائسهم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا يكره المسيحيون على دينيهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن إيلياء معهم أحد من اليهود (كما اشترط المسيحيون) وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء أن يسر بنفسه وماله من الروم ويخلى بينهم كنائسهم وصلبانهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وعلى صلبانهم حتى يبلغوا مأمنهم.. من كان فيها من أهل الأرض (الزراع) فمن شاء منهم قعد وعليه ما على أهل إيلياء من الجزية»، ومن شاء سار مع الروم، ومن رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيئا حتى يحصدوا حصادهم وعلى ما فى هذا الكتاب من عهد الله، وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية»..

كُتِبَ سنة ١٥ هجريًا - ٦٣٦ ميلاديًا...

وقد شهد على هذه الوثيقة.. أو هذا العهد العمرى أربعة من الصحابة – خالد بن الوليد – وعبد الرحمن بن عوف – وعمرو بن العاص – ومعاوية بن أبى سفيان، ولم يأت ذكر لليهود فى العهدة العمرية.

وقد قام عمر بن الخطاب بزيارة كنيسة القيامة ورفض الصلاة بداخلها عندما حان وقت الصلاة وصلى خارجها حتى لا يصير ذلك سنة بين المسلمين، وهذا الموقف من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بالنسبة لكنيسة القيامة التى ظلت كما هى قائمة إلى وقتنا الحاضر – آثار ذلك فى نفسى ذكريات عن زيارتى لمدينة إستانبول.

وللقارئ العزيز أن يرجع إلى صفحات كتابى هذا التى ذكرت فيها ما قام به السلطان محمد الفاتح نحو كنيسة أيا صوفيا – كما شرحته بملف العمل الدبلوماسى فى تركيا فى صدر كتابى هذا.

وفى العهد الأموى تم بناء مسجدين المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة، وهنا يجب أن نؤكد على الفارق بينهما لأن كل وسائل الإعلام تقريباً تظهر مسجد القبة على أنه المسجد الأقصى وإسرائيل من وراء هذا و تؤكده لدرجة أن وسائل الإعلام الإسلامية حتى الفلسطينية تقع فى نفس الخطأ ولذلك يهمنى أن أسجل فى كتابى هذا **نص ما نشرته أخبار الكتّاب التى تصدر عن اتحاد الكتّاب العدد ٤٧ الصادر فى يوليو ٢٠٠١ م.**

عندما صدر العدد رقم (٤٥) من النشرة حاملا صورة ملونة لمدينة القدس على غلافه مأخوذة من الطائرة، أرسل لنا السفير فتحى جويلى عضو الاتحاد رسالة قصيرة جاء فيها: أترك لكم هذه الرسالة تعليقا على غلاف العدد ٤٥ مايو ٢٠٠١ حيث بهذا الغلاف صورة للقدس، وتظهر فقط مسجد قبة الصخرة، وليس بها صورة المسجد الأقصى المبارك وهو الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم.

لذلك يهمنى أن أرفق مع هذه الرسالة ثلاث نسخ من صورة القدس وتحتوى على المسجد الأقصى المبارك، ومسجد قبة الصخرة بالإضافة إلى كنيسة القيامة، وهى صورة فنية أهدتنى إياها السيدة الفاضلة سهاد قليبو ابنة القدس والتى تهتم بتصحيح ما ينشر عن القدس وما به من مقدسات إسلامية ومسيحية.

بهذه المناسبة فإن المجلة تنشر فى عددها رقم ٤٧ معلومات عن المقدسات الإسلامية فى مدينة القدس، مأخوذة من موقع www.geocities.com على الإنترنت الذى يهتم بمدينة القدس ومقدساتها الإسلامية.

الحرم القدسى الشريف:

يطلق اسم المسجد الأقصى على الحرم القدسى الشريف كله بما فيه من منشآت أهمها مسجد قبة الصخرة ومبنى المسجد الأقصى المبارك. عليه فإننا عند الحديث عن المسجد الأقصى كبؤرة رئيسية لمدينة القدس فإننا نعنى بذلك الحرم القدسى الشريف بكافة عناصره ومبانيه بما فيها مسجد قبة الصخرة ومبنى المسجد الأقصى ضمن المساحة الكاملة داخل أسوار الحرم القدسى الشريف والبالغة مائة وأربعًا وأربعين دونما تقريبا، وتقدر بحوالى ٢٥٪ من مساحة البلدة القديمة بالقدس والبالغة حوالى كيلو متر مربع فى الناحية الجنوبية الشرقية من مدينة القدس التى يحيطها أحد عشر بابا، منها سبعة أبواب للحرم القدسى الشريف سور حجرى يشتمل على أربعة عشر بابا منها عشرة أبواب مفتوحة وأربعة مغلقة.

أما البوابات المفتوحة فهى: باب الأسباط، باب حطة، باب شرف الأنبياء، باب الغوانمة، باب الناظر، باب الحديد، باب القطانين، باب المتوطأ، باب السلسلة، وباب المغاربة.

أما الأبواب المغلقة فهى: باب السكينة، باب الرحمة، باب التوبة، وباب البراق.

ويتصل الحرم القدسى بباقى أجزاء المدينة بطرق تتوزع من أبواب الحرم الشريف العشرة وتمتد بين أجزاء المدينة ذات الوظائف المختلفة، وتكثر آبار المياه العذبة فى ساحات الحرم حيث يبلغ عددها ٢٥ بئرا منها ثمانى آبار فى صحن الصخرة المشرفة، وسبعة عشر فى فناء المسجد الأقصى المبارك وفى موقع متوسط بين مبنى المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة، كما يوجد عدد من الأسبلة لشرب المياه فى مواقع متفرقة أكبرها: سبيل قايتباى، سبيل شعلان، سبيل باب الحبس، سبيل البديرى.

وللحرم الشريف أربعة مآذن وهى: مئذنة باب المغاربة، ومئذنة باب السلسلة، ومئذنة باب الغوانمة، ومئذنة باب الأسباط.

ويوجد فى الحرم القدسى الشريف عدة قباب وهى: قبة السلسلة، وقبة المعراج، وقبة محراب النبى، وقبة يوسف، وقبة الشيخ الخليلى، وقبة الخضر، وقبة موسى، وقبة سليمان، والقبة النحوية.

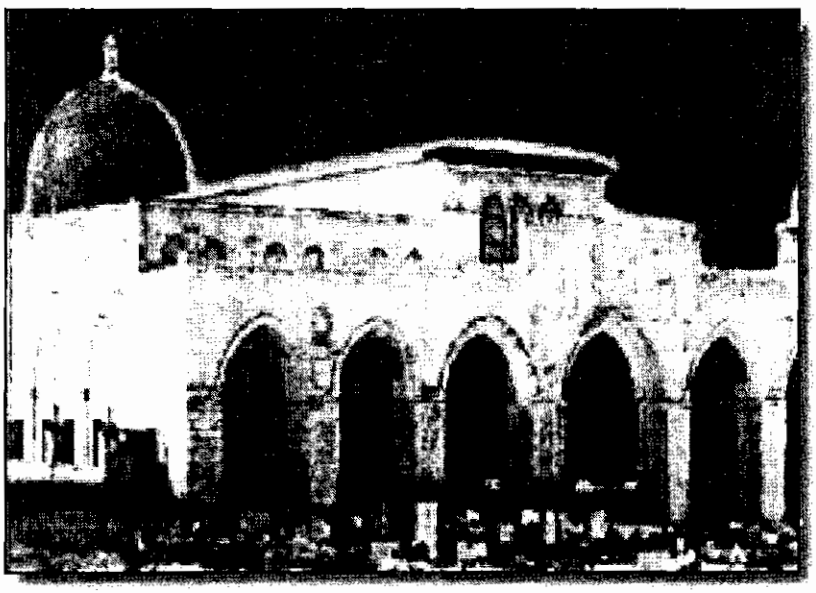

صورة للمسجد الأقصى

أما المساطب فقد أعدت للتدريس فى الصيف، ومنها: مسطبة علاء الدين البصرى، ومسطبة الكرك، ومسطبة العشاق ويوجد فى الطرفين الآخرين من الحرم القدسى أروقة وهى: الرواق الممتد من باب المحطة إلى باب شرف الأنبياء، الرواق المحاذى لباب شرف الأنبياء، الرواقان السفليان اللذان تحت دار النيابة شمال الحرم من الغرب ورواقان فوقهما مستجدان، الأروقة الخلفية وتمتد من باب الغوانمة إلى باب المغاربة، الرواق الممتد من باب الغوانمه إلى باب الناظر، الرواق الممتد من

باب الناظر إلى باب القطانين، الرواق الممتد من باب القطانين إلى باب السلسلة، الرواق الممتد من باب السلسلة إلى باب المغاربة.

وفى الحرم الشريف مزولتان شمسيتان لمعرفة الوقت، واحدة غربية رسمها مفتى الشوافعة محمد طاهر أبو السعود على جدار مسجد الصخرة من الناحية القبلية إلى الغرب، والثانية رسمها المهندس المقدسى رشدى الإمام على واجهة القمطرة الجنوبية إلى الغرب تجاه مبنى المسجد الأقصى.

المسجد الأقصى

يطلق اليوم اسم المسجد الأقصى على المسجد القائم فى الناحية القبلية من الحرم، إلى الجنوب من مسجد قبة الصخرة، ويبلغ طول المسجد الأقصى من الداخل حوالى ثمانين مترا وعرضه خمسة وخمسون مترا، ويوجد للمسجد الأقصى أحد عشر بابا، سبعة منها فى الشمال واثنان فى الغرب وواحد فى الشرق وآخر فى الجنوب، وقد بناه الخليفة الأموى عبد الله بن مروان عام ٧٠٥ ميلادى.

وللمسجد الأقصى فى الداخل ٥٣ عمودا من الرخام ١٤ منها فى الرواق الأوسط و ١٢ عمودا فى الأروقة الثلاثة الشرقية و ٨ تحت القبة و ١١ فى جناح القبة من الشرق و ٧ فى جناحها من الغرب وواحد فى مقام الأربعين. والأعمدة مصنوعة من الرخام مختلف الألوان وارتفاعها خمسة أمتار وقطرها فى قسمه الأعلى ثلاثة وأربعون سم، والأسفل اثنان وخمسون سم، وهناك فوق الأعمدة أقواس حجرية.

يتكون المسجد من سبعة أروقة ثلاثة فى الشرق وأخرى مثلها فى الغرب وواحد يتوسطها فى الوسط، ويقع فى صدر المسجد القبة والتى ترتفع ١٧ مترا عن الأرض وهى مغطاة بالفسيفساء الجميلة والتى تضم مظهرا جميلا من مظاهر الفن.

وللقبة قشرتان، القشرة الداخلية وهى المغطاة بالفسيفساء، والقشرة الخارجية وهى عبارة عن ألواح خشبية مصفحة من الخارج بالرصاص.. أما رقبة القبة، وهى القسم الأسطوانى القائم بين القبة نفسها والأقواس التى ترتكز عليها، وفوق الرقبة تقوم القبة، وهى قائمة على أربعة أقواس يرتكز كل ركن من أركانها الأربعة على عمودين من الرخام، وأسطوانة مربعة مكسوة أيضا بالرخام. وتحت القبة وفى أقصى المسجد من الجنوب هناك محراب كبير كان يسمى فيما مضى بمحراب داود

ويطلق اليوم عليه محراب عمر، وفى صدر المسجد من الغرب هناك محراب آخر يدعى محراب معاوية، وفى داخل المسجد عند زاويته الجنوبية الشرقية جامع متصل به ويسمى جامع عمر وهو مستطيل الشكل ويقال: إنه من بقايا البناء الذى أقامه الخليفة عمر رضى الله عنه.

وجامع عمر هذا معقود بالحجارة والكلس ويبلغ طوله ثلاثين متراً وعرضه ثمانية أمتار وفيه محراب صغير وحول المحراب أربعة أعمدة صغيرة اثنان منها ملتويان وإلى الشمال من جامع عمر إيوان كبير يسمونه مقام عزيز أو مقام الأربعين وفيه محراب.. وإلى الشمال من مقام عزيز إيوان صغير وجميل فيه محراب زكريا طوله ستة أمتار وعرضه خمسة أمتار. وفى الجانب الجنوبى الغربى جامع آخر يسمونه جامع النساء وهو عبارة عن عشر قناطر قائمة على تسع أصوار فى غاية الأحكام.

وأمام المسجد من الناحية الشمالية رواق كبير ، وهو مؤلف من سبع قناطر مقصورة، كل قنطرة منها تنتهى عند باب من أبواب المسجد السبعة. وفى المسجد الأقصى مائة وسبع وثلاثون نافذة منها سبع نوافذ فى القبة وهى كبيرة صنعت من الزجاج الملون وينفذ منها ضوء ضئيل، وهناك ٤٢ نافذة فى الرواق الأوسط نصفها تطل على الرواق الشرقى ونصفها الآخر على الرواق الغربى، والنور ينفذ منها كلها وذلك لأن الرواق الأوسط أعلى من الرواقين الغربى والشرقى، وهناك ٤٣ نافذة فى حائط المسجد الأقصى الشرقى، ٢٤ منها زجاجها ملون، و ١٠ منها من غير زجاج كى ينفذ منه الضوء، وهناك ١٤ نافذة فى الحائط الغربى، اثنتان كبيرتان ينفذ منهما الضوء و ١٢ نافذة بالزجاج الملون، وهناك ١٦ نافذة فى الحائط الشمالى كلها مصنوعة من الزجاج الملون، و ٢٤ نافذة فى الحائط الغربى، ٢٢ منها بالزجاج الملون.

المسجد الأقصى القديم

ويوجد تحت المسجد الأقصى بناء يسمى الأقصى القديم، وهو عبارة عن دهليز واسع وطويل يتألف من سلسلة عقود ترتكز على أعمدة ضخمة بعضها أسطوانى والبعض الآخر مربع الشكل.. وهناك إلى جانبه دهليز آخر يسمى إسطبل سليمان

وهو واقع تحت الجزء المرصوف من أرض الحرم شـرقى المسجد الأقصى وجزء منه يقع تحت المسجد الأقصى نفسه.

مسجد قبة الصخرة

يقوم بناء مسـجد قبة الصخرة فى وسـط الحرم القدسى الشريف، ويعد من أبرز معالم ساحة الحرم، وقد بناه الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان عام ٦٨٨ للميلاد، حول الصخرة المشرفة الواقعة على صحن مرتفع فى ساحة الحرم القدسى الشريف، وانتهى بناء المسجد عام ٦٩١ للميلاد وكان الهدف من بناء القبة هو مواجهة روعة الكنائس فى القدس فتتضاءل أمام عظمته روعة كنيسـة القيامة. ويقوم المسـجد فى وسط بناء مربع الشكل والبناء قائم على تل مرتفع فى وسط الحرم ومفروش بالبلاط الأبيض، وهو فناء الصخرة والذى يسـميه عامة الناس سـطح الصخرة، وطوله من الشمال إلى الجنوب ٢١٩ ذراعًا ومن الشرق إلى الغرب ٢٢٣,٥ ذراع، ويبلغ ارتفاعه ١٢ ذراعـا يرقى إليـه بمراق متعددة، فى أعلى كل مرقـاة منها قنطرة قائمة على أعمدة من الرخام، ويحيط بالقبة المشـرفة تسـع مراق لها ثمان قناطر ومرقا بدون قنطرة.

قبة الصخرة بناء مثمن الأضلاع، أربع جهات منها تقابل الجهات الأربع وبها المداخل الأربعة، يتوسـط البناء الصخرة المشرفة. وترتفع الصخرة المشرفة نحو متر ونصـف المتر عن سـطح البناء وبمعدل أبعـاد ١٣ × ١٨ مترا يحيط بها قبة دائرية مكونة من أربعة أكناف دائرية مكسـوة بترابيع الرخـام بين كل اثنين منها ثلاثة أعمدة من الرخام الملون تحمل ستة عشر قوسا مكسوة بالرخام الأبيض والأسود وفوق الجزء الدائرى قبة مكسـوة بالفسيفساء بأشكال زخرفية قوامها فروع نباتية بألوان متجانسـة يغلب عليها اللون الأخضر والأزرق والذهبى، كما تحوى قطعا صدفية، وبهذه الرقبة ستة عشر شباكا من الجص والزجاج الملون من الداخل، ومن الخارج بلوكات من القيشانى المزخرف بفتحات دائرية.

ويعلـو هـذه الرقبة قبتـان داخلية وخارجية، الداخلية من الخشـب مكسـوة بالرصـاص، وفـى أول عهدها كانت مكسـوة بالرصاص، وفـى أول عهدها كانت

مكسوة بالنحاس المذهب، وهى حاليا قبة معدنية مكسوة بألواح الألمنيوم ذهبى اللون، والمسافة بين القبتين تبلغ متراً واحدا، ويبلغ قطر القبة حوالى عشرين متراً، وارتفاع قمتها عن الأرضية خمسة وثلاثون مترا يعلوها هلال، وطول القبة أربعة أمتار ونصف.

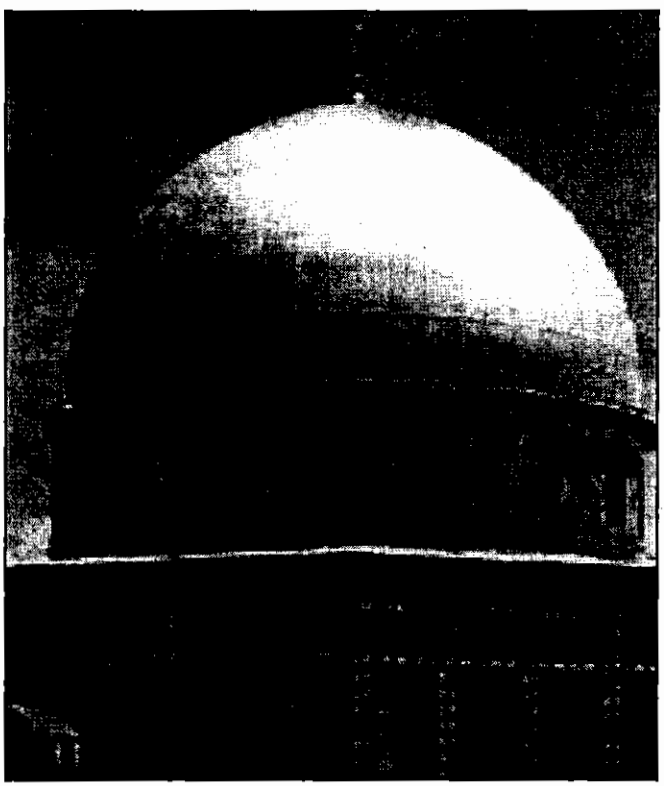

صورة مسجد القبة

وبين الجزء الدائرى من المبنى والمثمن الخارجى مثمن أوسط يتكون من ثمانى دعامات مكسوة بالرخام المعرق وستة عشر عمودا رخاميا ملونا، بين كل دعامتين عمودان، ويعلو الدعائم والأعمدة عقود مكسوة بكاملها بالفسيفساء تحوى على

الوجهين شريطا من الكتابات بالخط الكوفى، وبين العقود شدادات خشبية مكسوة بالبرونز بنقوش بارزة مذهبة، والحوائط الخارجية مكسوة من الداخل بشريط علوى من الرخام المحفور ومن أسفله بكامل الواجهات رخام معرق ذو اللونين الأبيض والرمادى مجمع بطريقة هندسية.

أما من الخارج فالرخام يكسو كل واجهة من واجهات المثمن حتى منتصف الارتفاع والنصف قبل ذلك مكسو بالفسيفساء ذات الزخارف النباتية وفى كل واجهة سبع حنايا، خمس منها مفتوحة بها شبابيك جصية مع الزجاج الملون وبالكونات القاشانى من الخارج. ويبلغ طول كل ضلع من أضلاع المثمن ٢٠ مترًا تقريبا وارتفاعه ١٢ مترا، نصف الارتفاع السفلى مصفح بصفائح الرخام الأبيض الجميل، ونصفه العلوى معشق بترابيع من القيشانى الأزرق، وقد كتبت عليه سورة يس بالأبيض ورقبة القبة مكسوة من الخارج بترابيع القيشانى المزخرف، وفى أعلاه شريط كتانى يحوى سورة الإسراء. ويبلغ مجموع عدد الأعمدة فى المبنى أربعين عمودا وللمبنى أربعة أبواب خارجية كبيرة ومزدوجة، مصنوعة من الخشب ومكسوة بصفائح النحاس، الشخص الداخل إلى المسجد من أى باب من الأبواب الأربعة يستطيع أن يرى جميع ما داخل المبنى من أعمدة ودعائم لا يحجبها عنه حاجب، وفى مسجد قبة الصخرة ستة وخمسون شباكا، أربعون ينفذ النور منها، وستة عشر لا ينفذ منها الضوء، وفوق كل واحد من الشبابيك غير النافذة نقشت سورة من سور القرآن الكريم.

الصخرة

هى عبارة عن قطعة ضخمة من الصخر تقع تحت القبة فى وسط المسجد، طولها من الشمال إلى الجنوب حوالى ١٨ مترا، وعرضها من الشرق إلى الغرب حوالى أربعة عشر مترا، وأعلى نقطة فيها مرتفعة عن الأرضية نحو متر ونصف، وحولها درابزين من الخشب المنقوش والمدهون، وحول هذا الدرابزين مصلى للنساء وله أربعة أبواب، يصل بينه وبين مصلى الرجال سياج من الحديد المشبك.

المغـارة

وتقع تحت الصخرة، وينزل إليها من الناحية الجنوبية بإحدى عشـرة درجة، وشـكلها قريب من المربع وطول كل ضلع حوالى أربعة أمتار ونصف، ولها سـقف ارتفاعـه ثلاثة أمتار، وفى السـقف ثغرة اتسـاعها متر واحد وعنـد الباب قنطرة مقصورة بالرخام على عمودين.

أجمع العديد من الباحثين والدارسين أن بناء قبة الصخرة آية فى الجمال، ومن أجمل المبانى فى جميع العالم، كما أنها أقدم أثر إسلامى فى تاريخ العمارة الإسلامية، وهو ما حدا بالعديد من الخبراء والمهتمين بالإشـادة بروعة وجمال ودقة بنائه، إنه أعظم بناء يستوقف النظر، إن روعته وجماله لا يصل إليه خيال إنسان.

كنيسة القيامة

وفى موقع www.eljazeera.net جاء عن كنيسـة القيامة: تعتبر كنيسـة القيامة التـى بنتها الملكة (هيلانة) عام ٣٢٥م من أهم الأماكن المقدسـة للديانة المسـيحية فى مدينة القدس. ويأتى القبر المقدس كثانى أشـهر أماكن المسـيحية فى القدس، يضاف إلى ذلك عدة كنائس لكل منها ذكرى دينية مثل كنيسـة السيدة العذراء فى جبل الزيتون، وكنيسـة مار يوحنا خارج كنيسة القيامة، وكنيسة الملاك ميخائيل الملاصقة للقبر المقدس. أما الأديرة فأشهرها دير السلطان، ودير مار أنطونيوس شمال شرقى كنيسة القيامة، ودير مار جرجس فى حارة الموارنة.

وبالنسبة للمدارس المسـيحية المهمة توجد المدرسة القبطية فى القدس، ثم كلية الشهيدة دميانة للبنات التى تقدم خدماتها التعليمية حتى المرحلة الثانوية.

ولقد أثارنى ما قامت به السيدة سهاد قليبو وهى سيدة فلسطينية تعيش فى أوروبا من طباعة صورة تجمع المسـجد الأقصى وكنيسة القيامة كرمز لمدينة القدس ومزينة بالنص الكريم عن إسـراء الرسـول – صلى الله عليه وسلم – إلى المسجد الأقصى، والآية الثانية عن بشرى ميلاد المسيح عليه السلام كما يتضح من الصورة.

صورة تجمع المسجد الأقصى وكنيسة القيامة كرمز لمدينة القدس

حائط البراق

يطلق اليهود على حائط البراق – هذا الأثر الإسلامى – حائط المبكى وهو الحائط الغربى للمسجد الأقصى، حيث سمح لليهود فى العهد العثمانى إقامة شعائرهم، ثم ادعى اليهود بعد ذلك أنه حائط يهودى قديم وأطلقوا عليه حائط المبكى منذ ١٩٣٢، بل واعتبروه دليلاً على وجود هيكل سليمان تحت المسجد الأقصى، وقد نشأ صراع بين اليهود والمسلمين على هذا الحائط منذ زمن، وقد قضت عصبة الأمم (التى نشأت بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ – ١٩١٨) آنذاك بعد تشكيل لجنة دولية للتحقيق مكونة من هولندى – وسويدى – ونمساوى وبعد أن استمعت إلى أقوال اليهود والفلسطينيين والاطلاع على المستندات التى قدموها أصدرت فى عام ١٩٣٠ تقريرها المتضمن:

أن ملكية الحائط والرصيف الكائن أمامه تعود للمسلمين وحدهم باعتبارها من

الأوقاف الإسلامية ولكن بعد احتلال إسرائيل للقدس عام ١٩٦٧ فرضت تحويله إلى حائط المبكى.

القدس فى قرار التقسيم

قضى القرار ١٨١ لعام ١٩٤٧ (قرار التقسيم) بأن تكون القدس مدينة دولية تابعة لمجلس الوصايا باعتبار المدينة ذات كيان منفصل خاضع لنظام إدارى دولى خاص تحت إشراف الأمم المتحدة، حيث يقوم مجلس الوصايا بتعيين الحاكم العام لمدينة القدس، وقد جاء القرار محدداً لحدود المدينة، بل ورافق هذا القرار الخرائط الموضحة لحدود مدينة القدس وطبيعة الحاكم والموظفين والإداريين مراعياً تعدد الجنسيات، بل وحدد إنشاء شرطة خاصة يجند أفرادها من خارج فلسطين بهدف حماية المدينة، ولم يتم تفعيل ذلك من قبل الأمم المتحدة حتى الآن.

القدس عاصمة موحدة لإسرائيل

وفى عام ١٩٦٧ حدث تغير جذرى حيث احتلت إسرائيل القدس كاملة وأعلنت توحيد القدس الشرقية والغربية حيث كانت إسرائيل قد بنت مدينة على خط الحدود الفاصل منذ ١٩٤٨ أطلقت عليها القدس الغربية عام ١٩٥٠، وفى عام ١٩٦٧ بعد احتلالها للقدس العربية رفعت السلك الشائك سلك الحدود، وأقامت عليه طريقا عاما يربط بين القدس العربية والقدس الغربية التى بنتها إسرائيل وأعلنت كذباً أنه تم توحيد القدس الشرقية العربية والقدس الغربية الإسرائيلية أطلقت عليها القدس الموحدة عاصمة أبدية لدولة إسرائيل التى فى ادعاءاتهم تعود إلى ثلاثة آلاف سنة كما ينسبون حكم ومملكة داود وابنه سليمان إلى اليهود، مع أن الحقيقة التاريخية التي تثبتها خريطة نسب الأنبياء عليهم السلام تقول إن داود وسليمان هما اللذان انفردا من بين الأنبياء جميعاً بأن آتاهما الله النبوة والملك.

وبعد ذلك طالبت إسرائيل الدول الأجنبية بنقل سفاراتها من تل أبيب (عاصمة إسرائيل السابقة) إلى القدس العاصمة الموحدة الإسرائيلية الأبدية بالرغم من أن قرار

مجلس الأمن رقم (٢٤٢) الذى صدر بعد عدوان ١٩٦٧ قد نص صراحة فى أحد بنوده بمطالبة الدول بعدم نقل سفاراتها إلى القدس.

ورغماً عن هذا استجاب لهذا النداء الإسرائيلى فوراً دولة كوستاريكا ودولة السلفادور من دول أمريكا اللاتينية بنقل سفارتهما، من تل أبيب إلى القدس، أما الولايات المتحدة الأمريكية فبعد اعترافها بأن القدس الموحدة عاصمة لدولة إسرائيل فى إبريل ١٩٩٠م قرر الكونجرس الأمريكى قراراً بشأن نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس فى ٢٤ أكتوبر ١٩٩٥، لكن الإدارة الأمريكية تؤجل تنفيذ ذلك حتى الآن بحجة اختيار الميعاد المناسب، هذا وقد قامت كوستاريكا والسلفادور مؤخراً بإغلاق سفارتهما فى القدس وإعادتهما إلى تل أبيب استجابة لضغوط عربية على الدولتين، ومن ناحية أخرى قامت إسرائيل بعد إعلان القدس الموحدة عاصمة لها طالبت بضم مدينة القدس للتراث العالمى بصفتها عاصمة لإسرائيل بعد أن وقعت إسرائيل اتفاقية اليونسكو عام ٢٠٠٠ لحماية التراث العالمى، فى الوقت الذى ينص فيه المادة (١١) من ميثاق اليونسكو بأنه لا يمكن ضم أثر محتل إلى قائمة التراث العالمى، فضلاً عن تعرض الآثار والمقدسات الدينية فى القدس لخطر الهدم والفناء بسبب الممارسات الإسرائيلية، وقد وجه وزراء الثقافة العرب رسالة لليونسكو فى مؤتمر هلسنكى بطلب رفض القائمة الإسرائيلية والحفاظ على الهوية العربية للممتلكات الإسلامية والمسيحية فى القدس مما أدى إلى إعادة نظر اليونسكو للقائمة الإسرائيلية والتى تحتوى على الآثار والمقدسات العربية والإسلامية والمسيحية، وتستغل إسرائيل هذه الآثار العربية إسلامية ومسيحية فى الدعاية الإسرائيلية السياحية فى كافة عواصم العالم على أساس أن هذه الآثار هى آثار تتبع دولة إسرائيل لإعطاء انطباع للعالم أن القدس إسرائيلية بما فيها المقدسات العربية الإسلامية أو المسيحية، وتوزع إسرائيل نشرات سياحية مصورة على كافة المكاتب السياحية فى العالم، وتزين إسرائيل هذه النشرات بنجمة داود.

حريق المسجد الأقصى

ومن أهم الذكريات وأشـدها خطورة على المسـتقبل القريب والبعيد وأعمقها أثرا فى نفوس أكثر من ألف مليون إنسان مسلم – وقد يمتد الأثر النفسى إلى ألفى مليون إنسـان من المسـيحيين أيضاً – إذا ما تأكدوا هم أيضا من خطورة الدوافع والنوايا التى كانت وراء قيام عناصر صهيونية بإشعال حريق فى المسجد الأقصى فى مدينة القدس التى هى أولى القبلتين وثالث الحرمين للمسلمين ومسرى الرسول – صلى الله عليه وسلم – والتى هى أيضا قبلة المسيحيين منذ ميلاد المسيح عليه السلام، ولقد وقع هذا الحدث الخطير يوم ٢١ أغسطس ١٩٦٩ أقول كان رد الفعل الإسلامى هو الدعوة إلى عقد مؤتمر قمة إسلامى فى شهر سبتمبر ١٩٦٩ فى الرباط عاصمة المملكة المغربية لإنشـاء منظمة المؤتمر الإسلامى كنقطة انطلاق فى العمل الإسلامى المشترك فى شتى المجالات على المستوى الدولى وإنشاء لجنة القدس.

محاولة هدم المسجد الأقصى

تقوم إسـرائيل بأعمال الحفر تحت المسـجد الأقصى بادعاء البحث عن أطلال هيكل سـليمان المزعوم، مما قد يؤدى إلى انهيار المسـجد كما تم زرع متفجرات فى أنفاق المسـجد بهدف إحـداث زلزال صناعى، وقد ارتبط ذلـك فى ذهنى بالصور الأوروبية المسيئة للرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – وما أحدثه من رد الفعل الإسـلامى، تسـاؤلات عديدة فى ذهنى أهمها التساؤل عن الأيدى الخفية والعقول المدبرة لهذا العمل غير المسـبوق وأتسـاءل هل يا ترى يمكن أن يكون هذا التصرف الأوروبـى – ومـن يكون من وراءه من الصهاينة – نوعاً مـن أنواع الاختبار (جس النبض) لرد الفعل الإسـلامى فى حالة المسـاس والتعدى على المقدسات الإسلامية معتقدات كانت أو أشخاصا أو أماكن؟.

فهل يا ترى تدرك الصهيونية العالمية رد الفعل الإسـلامى إذا أقدمت على هدم المسـجد الأقصى؟ أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى الرسول محمد – صلى الله عليـه وسـلم – بزعم وبحجة باطلة تقول: إن المسـجد بنى علـى أطلال الهيكل

المزعوم، وفى هذا افتراء من إسـرائيل على التاريخ، فلقد سـبق أن أوروبا الموحدة القويـة لم تجرؤ خلال الحملات الصليبية التى اسـتمرت قرنـين من الزمان على المسـاس بالمسـجد الأقصى برغم بقائه أسـيرا فى يد الصليبيين ما يقرب من قرنين (١٠٩٩ – ١١٨٧م) حيث اسـترد مدينة القدس صلاح الدين الأيوبى عام ١١٨٧م – ٦٩١ هـ فى موقعة حطين وظلت حتى عام ١٩٦٧ تحت الحكم العربى الإسلامى كما كانت، والغريب أن أوروبا تحتفل بمرور ٨٠٠ سنة على القائد الصليبى المهزوم وهو ريتشارد قلب الأسد، ونحن نغير اسم قلعة صلاح الدين إلى قلعة محمد على، وننسـى أن هناك قلعة أخرى بناها صلاح الدين الأيوبى بهدف تحرير القدس فى سيناء وربما لا يعرف أحد شيئاً عنها .

ممتلكات الكنيسة المصرية بالقدس

تمتلك الكنيسة المرقصية الأرثوذوكسية الشرقية المصرية فى القدس .

الدير الكبير: يطلق عليه دير مارانطونيوس.

دير مارجرجس: يطلق عليه دير الخضر عليه السلام.

فندق الأقباط : بنى فى عام ١٨٣٧م لاستقبال الحجاج المصريين كل عام .

كنيسة الجسمانية: أو كنيسة قبر العذراء، حيث يقيم فيها المسيحيون المصريون صلواتهم من ٧ – ٢٢ أغسطس من كل عام.

كنيسـة المهـد بيت لحم: للمسـيحيين المصريين فى هذه الكنيسـة حق إقامة الصلوات عشية عيد الميلاد من كل عام وكذا فى كنيسة القيامة.

كنيسـة الصعـود: ويصلى فيها المسـيحيون المصريون صباح عيـد الصعود من كل عام.

دير السـلطان: وهو الدير الوحيد بين الأديرة المسـيحية المصرية التى له اسـم إسـلامى الصيغة، ويرجـع ذلك غالبا لأحـد أمرين: أحدهما أن بنـاء هذا الدير أو موضعـه كان هبـة من أحد السـلاطين (قيل إنه صلاح الديـن الأيوبى)، أو أن السـلطان اتخـذه مكاناً لإقامة عماله بالقـدس أو لمبعوثيه الذيـن كانوا يوفدهم إلى الأقطار التابعة له كالشام.

وعلى أثر العدوان الإسـرائيلى فى يونيو ١٩٦٧ واسـتيلاء إسرائيل على القدس قامت بتشجيع الرهبان الأحباش للاستيلاء على دير السلطان، الأمر الذى أدى إلى إخراج الرهبان المصريين منه وقامت الكنيسـة المصريـة بالإجراءات القانونية لدى المحكمة الإسـرائيلية العليـا لإثبات ملكية دير السـلطان لجمهورية مصر العربية وقـد تم الحصـول على موافقـة المحكمة، ولكـن الحكم لم ينفذ حتـى الآن نظراً للتعنت الإسرائيلى .

وتوالى وزارة الخارجية المصرية ونيافة الأنبا ابراهام مطران القدس القبطى الحالى المطالبة بالحق المصرى المغتصب، وكل أملاك الأقباط بالقدس هى أملاك مصرية.

حوار زعيم الصهاينة

قرأت ما نشرته مجلة «المجلة» عن آراء مورتون كلاين زعيم الصهاينة فى أمريكا فهـو الرئيس القومى للمنظمة الصهيونية فى واشـنطن وملخص هذه الآراء كما ذكر بالنص فى المجلة:

– القـدس التـى يريدهـا العـرب عاصمـة لدولتهـم لا توجد لها أية إشـارة فى القرآن.

– القدس كمدينة شىء آخر غير المسجد الأقصى.

– صحيح القدس كانت قبلة المسلمين الأولى.

– كان محمـد – صلـى الله عليه وسـلم – يحاول إقناع يهـود المدينة باعتناق الإسـلام وكان يشـير إلى أن القدس هى قبلة المسـلمين بهدف ترغيب اليهود فى الدخول إلى الإسـلام، إلا إن يهود المدينة لم يقتنعوا بالإسـلام بالرغم من أن القبلة كانت هى القدس فى ذلك الوقت.

القدس لم تكن عاصمة للدولة الإسـلامية أو لأية خلافة إسـلامية، صحيح أنها كانت ولا تزال مهمة للمسلمين ولكنها لم تكن عاصمة للمسلمين أو العرب.

العرب والمسـلمون لم يطالبوا بالقدس عاصمـة لهم ولم تكن عاصمة لهم خلال كل القرون.. لكن التاريخ يشـهد بأنها كانت عاصمة لليهود.. النزاع على القدس

يجب أن يسمح حسب مقياس واحد وهو: من هو أول من سكن فى القدس؟ والإجابة واضحة وهى أن اليهود الذين أسسوا القدس هم أول من سكنها منذ ثلاث آلاف سنة.

القدس مهمة للمسيحيين والمسلمين ولكنها لم تكن عاصمة لأى من هؤلاء إنها كانت عاصمة لليهود.. الخليفة عمر بن الخطاب زار القدس وتسلم مفاتيحها لكنه لم يجعلها عاصمة له بل كانت عاصمة لليهود عبر التاريخ ولا تزال.

كيف تكون القدس عاصمة لدولتين؟ هل هناك فى أى مكان بلد هى عاصمة لدولتين مستقلتين، خاصةً إذا كانتا لا تثقان ببعضهما؟ هذا إذا افترضنا أن الضفة الغربية يمكن أن تكون دولة.

لماذا لا يترك العرب الأماكن المقدسة لليهود، وهم لديهم أماكن مقدسة كثيرة؟ ولماذا لا يترك العرب لليهود دولة يهودية هى إسرائيل وعندهم أكثر من عشرين دولة أعضاء فى الجامعة العربية.

وتعليقى على هذه الآراء أنها هى التى استخدمتها الصهيونية لإقناع الأمريكان بأحقية كون القدس عاصمة أبدية لإسرائيل .

وختاما لهذا الملف (ملف القدس) أوجه نظر القارئ العزيز إلى دراسة بعنوان «وضع القدس» أعدتها اللجنة المعنية بممارسة الشعب الفلسطينى لحقوقه غير القابلة للتصرف وتحت إشرافها وطبعت الدراسة بمكتب الأمم المتحدة نيويورك ١٩٩٧.

وفى رأيى أن هذه الدراسة فى منتهى الأهمية بالنسبة للمهتمين بالقضية الفلسطينية.

كما أنه من المهم أن يعود القارئ العزيز إلى «موسوعة بيت المقدس» ٣٠ جزءًا التى ألفها المفكر الفلسطينى فؤاد إبراهيم عباس رئيس اتحاد الكتّاب الفلسطينى.

وكذا كتاب «القرية الظالمة» للمؤلف الدكتور محمد كامل حسين.

٢٤ - مولد سيدى (أبو حصيرة)

من أخطر الأحداث التى أثرت فى نفسى الاهتمام بمظاهر احتفال اليهود السنوى بمولد سيدى (أبو حصيرة) الذى يقال: إنه بدأ الاحتفال به منذ عام (١٩٣٢)، الأمر الذى لفت نظر شاب مثلى، حيث تأتى فى هذا المولد فى الوقت نفسه من كل عام النساء اليهوديات ضمن أفواج الحجاج اليهود كى يحتفلوا بمولد الولى اليهودى (أبو حصيرة)، ويتميز هذا المولد بالرقص والخمور والنساء الجميلات الأجنبيات، مما كان يثير شباب دمنهور، حيث كان يسمح لهم بالدخول والمشاركة فى المولد آنذاك وكان ولا زال هذا الحديث حتى الآن.

وكان لا يشغلنى فى ذلك الوقت - كغيرى من شباب دمنهور - الاهتمام بالبحث عن هوية (أبو حصيرة)، وما وراء فكرة إقامة الاحتفال، وقدوم وفود الحجاج اليهود الأجانب إلى دمنهور، قدر التمتع أنا وغيرى من الشباب بالمشاركة فى الاحتفال بمولد (أبو حصيرة)، تماماً كما كنا نستمتع بالاحتفالات الإسلامية بالمشاركة فى مولد سيدى عطية أبو الريش وسيدى إبراهيم الدسوقى.

ولا يفوتنى فى كتابى هذا أن أبرز ضرورة الخوض فى (قصة أبو حصيرة) حيث اكتشفت بعد ذلك تعدد الروايات حول شخصية (أبو حصيرة) والخلاف الدائم حول هويته اليهودية أو الإسلامية، ففى الوقت الذى يؤكد اليهود فيه على أنه يهودى، وأنه ولى من أولياء الله، ويؤكد عدد غير قليل من المتخصصين أن (أبو حصيرة) شخصية عربية إسلامية جاءت إلى مصر عن طريق البحر ويروون عن سفينته التى غرقت، ونجاته على حصيرة طفا عليها وأقام فوقها، وكانت هذه إحدى كرامته التى تأكدت - وفقاً للمفهوم الشعبى - بنبوءة له بموعد وفاته، أما بالنسبة لأهالى دمنهور (عاصمة البحيرة) فهناك روايتان كانت الألسنة تتناقلهما عن شخصية (أبو حصيرة)، تؤكدان أنه كان إسكافياً (أى يعمل بالأحذية)، لكنهما تختلفان فى هويته الدينية، فالأولى تقول: إنه كان يهودياً يدعى (يعقوب)، وكانت إقامته

بدمنهور، وتوفى فى أوائل القرن العشـرين ودفـن بجبانة اليهود (بدمتيوه) القرية المجاورة لدمنهور والتى بها ضريح (أبو حصيرة).

أمـا الثانية فتؤكد أنه ولى مسـلم اسمه (محمد بـن يعقوب)، كان فى طريقه من المغـرب إلى مكة بهدف الحج، إلا أنه اسـتقر بمصر أثنـاء رحلته، وبالتحديد فى دمنهـور حتى مر به تاجر يهودى كان موجودا فـى دمنهور لتجارة القطن فداعبه بقولـه: متى سـتموت؟ أيها الرجل المبـارك، فقال له غداً، وفـى الصباح وجده الأهالى ميتا عند المنطقة التى يطلق عليها (كوبرى أبو الريش بدمنهور) فآمن التاجر اليهـودى ببركات (أبو حصيرة) ودفنه علـى نفقته فى جبانة اليهود بدمتيوه التى تجاور مدافن المسلمين.

أما سر تسميته (أبو حصيرة) فلأن الرجل لم يكن يملك إلا حصيرة يجلس عليها ليل نهار، وينام عليها، كما زعموا أن تلك الحصيرة هى التى حملته من المغرب لمصر بعد غرق السفينة التى كانت تحمله قرب شواطئ الإسكندرية، وقد لوحظ أنه مكتوب على قبره باللغة العبرية (هنا قبر رجل صالح)، والأمر المؤكد فى جميع الروايات أنه كان رجلاً صالحاً، لكن الخلاف حول ديانته اليهودية أو الإسلامية.

إلا أن كل هذه الخلافات لم تدر ببالى وأنا شاب، ولم تكن لتشغلنى، وإنما كان يلفت نظرى كشـاب فى ذلك الوقت ما فى مولد (أبو حصيرة) من طقوس «مخالفة للموالد الإسلامية» مثل الرقص والغناء والنسـاء الجميلات، دون البحث عن تفاصيل هوية (أبو حصيرة) الدينية.

اسـتمرت قصة مولد (أبـو حصيرة) فى ذهنى على هذه الصورة سـنين طويلة، ولم يشـغل بـالى التفكير فـى أى جديد عن هـذه الحكاية، لكـن مفارقات القدر أرادت أن تفاجئنى فى إحدى زيارتى لمسقط رأسى دمنهور بعد بلوغى سن المعاش عام ١٩٩٠، حيث فوجئت بحركة أمنية غير عادية فى مدينة دمنهور، وعلى طول الطريق الزراعى (القاهرة – إسكندرية)، فتساءلت عن سبب هذه الإجراءات الأمنية المشـددة، ففوجئـت بالرد بأن فوج الحجاج اليهود الإسـرائيليين قد بدأ يصل إلى دمنهور من أجل الحج لمقبرة الولى اليهودى (أبو حصيرة).

واتضح بعد ذلك أن دولة إسرائيل استغلت تطبيع العلاقات المصرية الإسرائيلية بعد اتفاقية كامب ديفيد (١٩٧٩) ، وازداد توافد الإسرائيليين (وأقول إسرائيليين لأن اليهود مواطنى دولة إسرائيل أصبح يطلق عليهم الإسرائيليون) إلى قرية دمتيوه، وتنظيم الحكومة الإسرائيلية لأفواج الحجاج بقرية دمتيوه وزيارة الولى اليهودى (أبو حصيرة)، وفوجئ أهالى قرية دمتيوه بتسوير الجبانة اليهودية وإحاطتها بجنود الأمن المركزى المصرى، بل تعدى الأمر ذلك حيث أقيمت نقطة شرطة دائمة تتبع قسم مركز دمنهور، ومنع التصوير وكذلك منع الأفراد القاطنين فى هذه المنطقة من المرور أو الاقتراب إلا عن بعد، حتى استشعر أبناء دمتيوه ودمنهور أنهم أصبحوا خاضعين لإجراءات أمنية مكثفة فى أيام المولد التى تتم فى بداية كل عام ميلادى، وأن نقطة عسكرية زرعت بأرضه ، ولعل هذا هو الذى دعا أحد المحامين من أبناء دمتيوه (مصطفى رسلان) أن يقيم دعوى قضائية ضد وزيرى الحكم المحلى والداخلية ومحافظ البحيرة ورئيس الوحدة المحلية بدمنهور ورئيس وزراء إسرائيل وسفيرها بالقاهرة، مطالباً فى الدعوة بإزالة ضريح أبى حصيرة وهدم القبور الموجودة بالجبانة اليهودية ومساواتها بالأرض، وإزالة المنشآت والأسوار التى أقامتها قوات الأمن المصرية لحماية الجبانة، حيث تم توسيع مقام أبى حصيرة ليصبح فداناً بعد أن كان قيراطاً، بحيث لم يعد قبراً وإنما أصبح بناء متكاملاً يضم بعض القبور التي لا يعرف لها صلة بأبى حصيرة، ربما يصبح فى القريب العاجل معبداً يهودياً أو هيكلاً أو حائط مبكى جديدا على أرض محافظة البحيرة، خاصة وأن الكثير من الإشاعات تقول: إن دمنهور كانت جيتو اليهود زمن احتلال الرومان لمصر، فضلاً عن الأعمال المنافية للآداب الإسلامية والآداب العامة من سكب لزجاجات الخمر ورقص النساء شبه عرايا على الأنغام اليهودية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أكد المحامى فى دعوته أن الشائعات عن كرامات (أبو حصيرة) لدى البسطاء من أهالى قرية دمتيوه والقرى المجاورة قد انتشرت بصورة مذهلة؛ بعد أن أدخل الإسرائيليون فى عقول البسطاء أن بركات أبى حصيرة وزيارة قبره تشفى من الأمراض وتحل المشاكل – ولاسيما الضعف الجنسى وقد ساعد على انتشار هذه الشائعات أن أغلبية من يأتى عن طريق تلك القوافل من اليهود يتحدثون

العربيــة ويكتبونها، مؤكــداً بذلك التدخل الرسمى لحكومة إســرائيل فى موضوع أبى حصيرة، حيث اصطنعوا لأبى حصيرة أقرباء من الإسرائيليين (داخل إسرائيل) ومنهم ميخائيل (أبو حصيرة) رئيس الحاخامية اليهودية فى رام الله وإسحاق (أبو حصــيرة) رئيس الحاخامية فى تل أبيب، وأن لــه ورثة وأحفاد كما أن من بينهم شخصا يدعى (بوخارست) الذى يأتى على رأس الحجاج الزائرين مدعياً أنه حفيد أبــى حصــيرة الجد، وأن لأبى حصيرة عائلة يهودية مشــهورة مــن المغرب هاجر معظمها إلى إسرائيل، كما جاء لزيارة مقام جده على أرض محافظة البحيرة.

إلا أن الدعــوى قضــى فيها أمــام المحكمة المدنية بعدم القبول على أســاس أن هذه القضايا من قضايا الســيادة، وأنه لا توجــد مصلحة للطالب رافع الدعوى فى إقامتها، وتم استئناف الحكم إلا أن محكمة الاستئناف قضت بتأييد الحكم.

ويبــدو أن قصة القضايــا المرفوعة حول موضوع أبى حصــيرة لم تكتمل فصولاً، وما يؤكد ذلك قصة المحامى الســكندرى الشــاب أحمد عطية الذى قيل عنه: إنه هــزم (أبــو حصيرة)، وما كان من قصة اللقاء الفاحص بينه وبين أســتاذ المصريات الإســرائيلى فى مطار القاهــرة، ودعوته التى رفعها بتاريــخ ١٨ يناير ٢٠٠١ أمام محكمــة القضاء الإدارى بمجلس الدولة بالإســكندرية (دائــرة البحيرة) طالباً فيها المحامى بإلغاء مظاهر الاحتفال بمولد الحاخام اليهودى فى يناير من كل عام.

لكــن المحامى قد فوجئ بعــد إقامة الدعوى بصدور قرار وزيــر الثقافة المصرى باعتبــار ضريح أبى حصيرة أثراً تاريخياً فى ٢٠٠١/١/٢٤ ضمن الآثار الإســلامية والقبطية، فى ٢٨ فبراير ٢٠٠١ قدم المحامى الشاب طلباً لرئيس المحكمة بتعديل الطلب من إلغاء الاحتفالات الإســرائيلية بمولــد أبى حصيرة، إلى وقف تنفيذ قرار وزير الثقافة باعتبار ضريح (أبو حصيرة) والمقابر المقامة حوله من الآثار، فضلاً عن إلغاء الاحتفالات، ونقل رفات أبى حصيرة إلى إسرائيل لادعائهم أنه يهودى.

ووصــل الأمر إلى أن تنشــر جريدة الوفد المصرية فى عددها الســابق بتاريخ ٢٨ فبراير عام ١٩٩٨ خبراً تحذر فيه من محاولة إيجاد مستوطنة إسرائيلية على أرض محافظــة البحيرة وبالتحديد فــى قرية (دمتيوه)، بل وصل الأمــر إلى طلب وزارة

الخارجية من هيئة الآثار المصرية إبداء الرأى فى طلب إسرائيل عام ١٩٩٩ شراء مساحة خمسة أفدنة حول مقبرة (أبو حصيرة) لإقامة فندق وبناء سور.

كما طلب وزير الخارجية الإسرائيلى من نظيره المصرى السماح لإسرائيل بترميم مقبرة (أبو حصيرة) فى محافظة البحيرة، وزيادة عدد التأشيرات الممنوحة للإسرائيليين لزيارة المقبرة مقابل تنفيذ إسرائيل للطلب المصرى الخاص بإجراء عمليات ترميم اللازمة لدير السلطان بالقدس المحتلة.

ونعود للدعوى القضائية الخاصة بالمحامى الشاب أحمد عطية مرة أخرى، ففى ٥ سبتمبر ٢٠٠١ أصدرت محكمة القضاء الإدارى بمجلس الدولة بالإسكندرية «دائرة البحيرة» حكمها التاريخى بإلغاء قرار وزير الثقافة باعتبار ضريح الحاخام اليهودى أبى حصيرة بقرية دمتيوه أثراً ضمن الآثار الإسلامية والقبطية، وقضت بإلزام محافظ البحيرة بإلغاء مظاهر الاحتفال بأبى حصيرة يناير من كل عام، وضمن حيثيات المحكمة فى رفض الدعوى باعتبار ضريح (أبو حصيرة) أثراً مصريا حضارياً لأنه ورد فى سفر التكوين أن اليهود لم يعيشوا فى مصر إلا ٢٥٠ سنة وأن هذه المدة لا يمكن أن تصنع حضارة، وضمن حيثيات الحكم أيضاً أن إقامة الاحتفالية داخل مصر فى هذا الوقت الذى يتعرض فيه الفلسطينيون للضرب والقتل والتشريد يؤذى مشاعر المسلمين والمسيحيين فى مصر، فتلك المقابر ليس لها أهمية أثرية أو تاريخية، كما أن اعتبارها آثاراً يعد مخالفة للقانون لانطوائه على مغالطة تاريخية تمس كيان وتراث الشعب المصرى، وإسرائيل تروج لقرار المحكمة بمنع المولد بأنه معاداة للسامية وينطبق عليه القوانين العالمية بتجريم معاداة السامية بمعنى – معاداة (أبو حصيرة) هو معاداة السامية.

لكن هيئة الآثار المصرية التابعة لوزارة الثقافة عادت لتؤكد أن هناك دراسات لترميم مقبرة يعقوب (أبو حصيرة)، وتوفير الخدمات الخاصة له، باعتباره أثراً مصرياً رغم الحكم القضائى لأنه ليس حكماً نهائياً، كما أن (أبو حصيرة) ليس الأثر اليهودى الوحيد فى مصر، ولكن هناك من المعابد والجبانات التى سجلها المجلس الأعلى للآثار، والتى يزورها الإسرائيليون بانتظام كأماكن للشعائر أو الحج، وسجلت لجان المجلس الأعلى للآثار فى السنوات العشرين الماضية ١٥

أثـراً لهـا علاقة بالطائفة اليهودية فى مصر، (وأبـو حصيرة) هو الأثر رقم ١٦ من قائمة السجلات ومن أشهر هذه المعابد بالقاهرة: معبد عزار الموجود بمصر القديمة، ومعبد موسـى بن ميمون الموجود فى حارة اليهود، على الرغم من الضجة الكبرى التى أثارتها إسـرائيل فى أوساط اليونسكو بباريس حول هوية الفيلسوف الأندلسى موسى بن ميمون الذى ظهر فى دولة الأندلس، فاليهود المعاصرون يحاولون انتزاعه من دائرة الفلسـفة العربية الإسـلامية، إذ يصرون على أنه فيلسوف كتب فلسفته معتمداً على تراثه اليهودى الصرف، فى حين يؤكد المؤرخون الآخرون أن ابن ميمون فيلسوف إسلامى كتب ما كتب متأثراً بالفلسفة الإسلامية العربية وبخاصة الفارابى وابن سـينا وابن رشـد وابن ماجه، والنزاع حول هوية الفيلسوف موسى بن ميمون شبيه إلى حد كبير بالنزاع بين اليهود والمصريين حول شخصية (أبو حصيرة).

ومن المعابد الموجودة بالقاهرة أيضاً معبد (شـعار هشـما يوم) الموجود فى شـارع عدلى بوسـط القاهرة، ومعبد (عص حاييم) بحى العباسـية ، ومعبد (بحاد اسحق) بحـى الظاهـر، ومعبد (فتالي حجار) بمصر الجديـدة، ومعبد (مائير عانيم) بحى المعـادى، ومعبد (طائفة الاشـكنازى) بمنطقة العتبة الشـعبية، بالإضافة إلى معبد (موسـى الدرعى) بالعباسية، أما مدينة الإسـكندرية فيوجد بها معبد (إلياهوينى) بشارع مسجد النبى دانيال والمقصود به كما يردد اليهود أنه هو النبى الثانى الذى ظهر فى اليهود المسـبيِّين إلى بابل، والذى راح يشد أزرهم ويحثهم على العودة إلى عبـادة الله، وكان ملك بابل قد صنع لنفسـه تمثالا مـن الذهب وأمر جميع الناس بالسـجود إذا مروا أمامه، ولكن النبى دانيال وجميع أفراد السبى لم ينفذوا الأمر، فأمر الملك بإيقاد نار عظيمة و ألقاهم فيها، ولكن الله نجاهم منها فلم تحرقهم، ثم إن الملك ألقى النبى دانيال فى جب الأسـود ولكن الله منع الأسـود من أن تؤذيه، ويؤكـد اليهـود أن النبى دانيال هو أول من بشـرهم بأن نهايـة بابل قد اقتربت، وأنه سـيتم خلاصهم من الأسر فى بابل، وسيسمح لهم بالعودة إلى فلسطين وسيعاد بناء الهيكل.

ومن الغريب بالنسبة لى أن يطلق على هذا الشارع النبى دانيال وكان من المفروض أن يتناول كتابى هذا سـبب هذه التسـمية إلا إننى اكتفيت بما قرأته فى الصحافة

المصرية عن مسجد النبى دانيال الموجود فى شارع النبى دانيال بالإسكندرية الذى يربط بين محطة الرمل وميدان محطة مصر، حيث ذكرت الصحافة أن هذا المسجد دارت حولـه العديد مـن الأقاويل عن أصل صاحبه فهل هو النبى دانيال نبى بنى إسرائيل أو لا، ويمتاز هذا المسجد بأن به قبرين.

قـبر يقال عنه قبر النبى دانيـال وقبر آخر جانبى يقال عنه قبر لقمان الحكيم، ويلاحظ أن القبر الرئيسـى بالمسـجد يوجد فى وضع يخالف الشريعة الإسلامية، حيث يتعامد القبر مع القبلة بينما يأخذ القبر الجانبى الوضع الشرعى، وهذا يؤكد أن صاحب القبر الرئيسى لم يكن مسلماً، وأن تاريخ وفاته يرجع إلى ما قبل دخول الإسـلام مدينة الإسكندرية ومسجد النبى دانيال ليس له علاقة بنبى بنى إسرائيل لأن النبـى دانيال عاش بين القرنين السـادس والخامس قبل الميلاد أى قبل إقامة مدينة الإسـكندرية ودفن فى بابل، أما هذا المسـجد فهو منسـوب إلى أحد شيوخ المذهب الشافعى الذى قدم إلى الإسكندرية ويدعى محمد دانيال الموصلى الذى حضر إلى الإسكندرية فى بداية القرن الثامن الهجرى واتخذ من مسجد ذى القرنين الذى أطلق عليه بعد ذلك مسـجد النبى دانيـال ، مكاناً لتدريس الأصول وعلم الفرائض وتوفى عام ٨١٠ هجرياً، ودفن فى الضريح الملحق بالمسـجد، ويعتبر مسـجد النبى دانيال من أشهر المساجد بالإسكندرية، ولأنه من أبرز المعالم السياحية والتاريخية بالثغر فقد أطلقت محافظة الإسـكندرية اسمه على الشـارع الذى يقع به المسـجد وعرف اسمه بشارع مسجد النبى دانيال، هذا ويوجد بمدينة الإسكندرية أيضا معبد (منشأ عيدان) بحى المنشية، ثم معبد (إلياهوحزان) بحى سبورتنج العريق، وأخيراً يضـاف إليها معبد (أبو حصيرة) فى قرية دمتيـوه التابعة لمركز دمنهور بمحافظة البحيرة؟!، وبصفتى دمنهورياً متمسـكاً بهذه العصبية المحلية لا أنسى أن أسجل أن يقـال: إن دمنهور كانت (الجيتـو) أو مركز تجمع اليهود فى العهد الرومانى، بعد أن طردهم الرومان من الإسكندرية لسوء طباعهم، وما يشاع من أن منطقة القلعة فى دمنهور منطقة راقدة فوق بقايا يهودية ترجع للعصر الرومانى.

والغريـب أن وزارة الثقافة المصرية ممثلة فـى المجلس الأعلى للآثار أعلنت أن تسـجيل أثر (أبو حصيرة) كأثر يهودى تابع لهيئة الآثار سـجل مشـكلة كبيرة،

لكونه أثراً خاضعا للمجلس الأعلى للآثار يعنى أنه تحت حراسة هيئة الآثار التى تقدر على منع الطقوس المرفوضة فى احتفالية (أبو حصيرة)، والتى تختلف عن تقاليدنا وعاداتنا، كما أن قرار ضمه إلى الآثار المصرية – من وجهة نظر وزارة الثقافة – يرجع إلى أنه مثل بقية الآثار الأخرى شأنه فى ذلك شأن المساجد والكنائس والمعابد والمقابر الفرعونية!

ووزارة الثقافة بذلك التصرف ترفع قبر رجل مجهول إلى مصاف المساجد والكنائس والمعابد والآثار المصرية؟! وهذا أمر غير مقبول.

ويتعجب أهالى دميتوه الذين استنكروا ضم الأثر والاهتمام بترميمه فى الوقت الذى لا يوجد فى القرية أى معهد دينى تابع للأزهر الشريف، على رغم أن تعداد القرية يزيد عن عشرة آلاف نسمة.

على كل حال لقد حسم الحكم القضائى الصادر من محكمة القضاء الإدارى لمجلس الدولة (دائرة البحيرة) موضوع القضية بإلغاء قرار وزير الثقافة باعتبار ضريح الحاخام بقرية دميتوه أثراً ضمن الآثار القبطية والإسلامية وإلزام محافظ البحيرة بإلغاء مظاهر الاحتفال بمولد (أبو حصيرة) فى يناير من كل عام، لقد بنت المحكمة قرارها على مجموعة من الأسس والحيثيات القانونية الحضارية، حيث قضت المحكمة أن الأثر هو كل عقار أو منقول أنتجته الحضارات المختلفة أو أحدثته الفنون والآداب والعلوم خلال عصر الدولة المصرية بشرط أن يكون هذا الأثر من التاريخ القديم حتى قبل ١٠٠ سنة ، وبشرط أن تكون له أهمية أثرية أو حضارية وهو ما لا يتحقق فى ضريح (أبو حصيرة).

كما أكدت المحكمة أن الدراسات التاريخية أثبتت أن اليهود كانوا أقلية ضئيلة فى مصر، ولم يتم ذكرهم فى الحضارة المصرية القديمة إلا بنسبة ضئيلة جدا، فكلمة إسرائيل لم تذكر ولم توجد فى النصوص المصرية إلا مرة واحدة على لوحة تذكارية لانتصار الملك المصرى مرنبتاح سنة ١٢٣٠ ق. م، وتقع هذه الكلمة فى السطر السابع والعشرين حيث يقول «دمرت إسرائيل وانتصرت على العبرانيين انتصاراً ساحقاً» وبذلك فاليهود لم يؤثروا فى الحضارة المصرية القديمة، ومن ناحية أخرى يهمنى أن أذكر أن عالم الآثار المصرى المشهور الدكتور زاهى حواس أمين عام المجلس

الأعلى للآثار أكد فى حديث له بجريدة الأهرام يوم ٩ سبتمبر ٢٠٠٦ أن هناك نصا يقول «إن بنى إسـرائيل تم تدميرهم وانتهت بذرتهم» وهذا نص كتبه أحد الشعراء فى عهد الملك مرنبتاح فى قصيدة مديح الملك فى عهده وأثناء حياته.

ومن المؤسـف حقاً أن المسـئولين عن القرية الفرعونية فـى ضواحى القاهرة قد أبرزت وضع نسخة هذه اللوحة (وأصلها فى المتحف المصرى) على جدار شيد لعبد الكرنك فى القرية فى مكان بارز وأشارت إليه بلوحه تقول باللغة العربية:

هذه نسـخة من لوحة فى المتحف المصرى تعرف باسـم لوحة إسـرائيل لأنها اللوحـة الوحيدة التى تحمل اسـم إسـرائيل باللغة المصرية القديمـة وترجع هذه اللوحة التى وجدت فى الأقصر للسـنة الخامسة من حكم الفرعون (مرنبتاح) الذى أتى بعد رمسـيس الثانى ١٢٨١ ق .م ويسـجل فيها نصراً على الليبيين وفى نهاية الكتابة تجرى مقارنة مصر بجميع أمم العالم لإظهار أن مصر أعظم منها جميعاً بما فيها إسرائيل.

كمـا توجد لوحة بنفس المعنى باللغة الإنجليزيـة. وهاتان اللوحتان المعروضتان تؤديان إلى الاعتقاد العام لزائرى القرية الفرعونية أن دولة إسـرائيل كانت موجودة أيـام مصر القديمة الفرعونية، مع أن لفظ إسـرائيل المذكـورة فى اللوحة الفرعونية يقصد بها القبائل أو البدو وليس دولة إسرائيل وهذا أمر كان يجب على المسئولين بالقرية توضيحه.

كما أكد الحكم القضائى فى قضية (أبو حصيرة) أن وزارة الثقافة عندما أصدرت قرارهـا بضم ضريح أبـى حصيرة للآثار المصرية لم تراع أنـه مجرد قبر فرد عادى أيا كانـت ديانته، ولا يمثل ضريحه ولا المقابـر اليهودية حوله أية قيمة حضارية أو ثقافيـة أو دينية للشـعب المصرى بحيـث يمكن اعتباره جزءًا مـن تراث هذا الشعب، كما أن الأثر الدينى عند أى شعب لابد أن يكون متعلقاً بمعتقدات وديانة هذا الشـعب، أو على الأقل بفئة منه ذات وجود معتبر، وتأثير واضح، ولم يثبت تاريخياً أن اليهود قد مارسـوا هذا الدور فى أية مرحلة من مراحل التاريخ المصرى القديم والحديث.

كما رأت المحكمة أن صدور قرار وزارة الثقافة بعد ستة أيام من إقامة الدعوى القضائية يعد إضفاء للشرعية على الاحتفالية السنوية للحاخام (أبو حصيرة) والتى تؤذى مشاعر المصريين مسلمين وأقباطاً بسبب الممارسات اللاأخلاقية التى تتم فيها، مما ينقض فكرة اعتبار الأثر اليهودى أثرا مثل الآثار الإسلامية والقبطية، واستكمالا لهذا التأصيل التاريخى والقانونى لقضية (أبو حصيرة) من قبل محكمة القضاء الإدارى، فإننى - كدبلوماسى معاصر لاتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩ - أؤكد على أنه لا يوجد نص واحد فى الاتفاقية يسمح بإقامة الاحتفال أو حتى زيارة اليهود له، بالرغم من احتواء الاتفاقية على كثير من تفاصيل العلاقات المصرية الإسرائيلية فى شتى النواحى والمجالات فيما بعد المعاهدة، ورداً على فكرة نقل رفات (أبو حصيرة) الإسرائيلى على أساس أنه ولى يهودى فإن المحكمة قد رفضت فى صلب حكمها فكرة نقل الرفات.

فالإسلام يحترم الأديان السماوية، ويحترم موتاهم ، وينبذ نبش قبورهم، فالرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما مرت عليه جنازة وقف احتراماً لها، فإذا بأحد الصحابة يقول: إنها جنازة يهودى، فقال الرسول: أليست نفساً. وهو ما يدل على سماحة الإسلام وعظمته.

ففكرة نقل رفات أبى حصيرة يتعارض مع سماحة الإسلام ونظرته الكريمة لأهل الكتاب واحترام قبور موتاهم باعتبارها مأوى المرء أيا كانت ديانته بعد مماته، وهناك خطورة عن إمكانية قيام إسرائيل بحملة دعائية ضد مصر بأنها تطرد اليهود حتى من المقابر، كما أنه من الخطأ أن نعتقد أن اليهود سيبتهجون إذا نقلنا إليهم رفات (أبو حصيرة)، فهذا التصور يتناقض تماماً مع خطة اليهود فى اعتبار (أبو حصيرة) ومولده (مسمار جحا) الذى يقلقون به المصريين فى كل عام، وإلا ما كانت تلك المحاولة الاستفزازية بطلب سفارة إسرائيل من وزارة الخارجية شراء خمسة أفدنه مجاورة لمقبرة (أبو حصيرة) بغرض إقامة فندق إسرائيلى عليها ليكون مكاناً دائماً للإقامة، فمنذ سنوات قلائل كان الإسرائيليون يأتون من بداية كل عام ميلادى ويمرون من قلب دمنهور فى مواصلات وأتوبيسات فاخرة وتؤمن لهم الطرق من داخل وخارج دمنهور وعلى طول الطريق الزراعى ما بين الإسكندرية

والقاهـرة وسـط ذهول من أبناء محافظة البحيرة، إلا أنـه مع زيادة توافد الحجاج الإسـرائيليين لأبى حصيرة وتدخل الحكومة الإسـرائيلية عن طريق سـفارتها فى القاهرة وقنصليتها فى الإسـكندرية فى الترتيب والإشـراف على هذه الزيارات تم إنشـاء كوبرى عند مدخل دمنهور من الطريق الزراعى الذى يسـمح لهم بالدخول مباشـرةً إلى قرية دمتيوه دون المرور بدمنهور، وكأن هذا الكوبرى أنشـئ خصيصاً لهـذا الغرض، وهو ما دفع أبناء محافظة البحيرة أن يطلقوا عليه (كوبرى اليهود) ويشاع أنه أنشئ بمعونة أمريكية.

ليس غريباً أن تسـعى إسـرائيل - كعادتها - لجذب الأنظار بعيداً عن القضايا الأساسية، وأن تطلب من وزارة الخارجية طلب شراء خمسة أفدنة فى قرية دمتيوه لبناء فندق إسرائيلى يكون مكاناً لإقامة الحجاج اليهود.

وليس غريباً أن وزارة الإسكان المصرية عندما كانت تريد فتح طريق بمقابر اليهود فى حى المعادى أن تثور ضجة يهودية لان عدداً من المقابر سوف يتم إزالته، وتعدد الضغوط بالطرق الدبلوماسية وغير الدبلوماسية.

وليس غريباً أن يدعى وزير الأديان الإسـرائيلى (أهارون أبو حصيرة) أنه حفيد الجـد (أبـو حصيرة) ليس غريباً كل هذا، طالما أن الأمور دخلت فى إطار الدعاوى الكاذبة الملفقة، والإسرائيليون لا يبارون فى ذلك.

وكتابـى هذا يحتـوى على مثل هذه الأكاذيب والافـتراءات الدينية والتاريخية والسياسـية لإسـرائيل، والتى تعود إلى زمن بعيد، وتمس حتى الكيان الإسلامى، وهو ما تجلى فى مرويات الإسرائيليات فى كتب التفسير الإسلامى.

إن الرأى عندى وقد كتبته فى الصحافة علنا - وأعتقد أنه عند كل مصرى - أن وجود مستوطنة إسرائيلية على أرض محافظة البحيرة أمر مستحيل ومرفوض، أقول ذلك بصفتى مصرياً بحراوياً دمنهورياً دبلوماسياً فبأى حق يكون لدولة إسرائيل أن تتحدث باسم يهود العالم، الذين يزورون ويقيمون مولد (أبو حصيرة) منذ عشرات السـنين قبل ظهور دولة إسـرائيل على حيز الوجود، وقد فشـلت إسرائيل خلال أكثر من خمسين عاماً مضت أن تسيطر وتستقطب وتمثل يهود العالم، حيث لازال الملايـين من اليهود يعيشـون فى أوطانهم الأصلية التـى ينتمون إليها بحكم العرق

والجنسية، وما اليهودية بالنسبة لهم إلا دين يؤمنون به ويتبعون تعاليمه دون أن يفقدهم ذلك أصلهم وجنسيتهم، وأكبر مثال على ذلك اليهود المقيمون فى نيويورك وعددهم أكبر من سكان عدد إسرائيل، كما أن اليهود فى قلب إسرائيل طائفتان (سفراديم - يهود الشرق) و (اشكنازى - يهود الغرب) ولكل منهما حاخام، فإذا كان (أبو حصيرة) يهوديا من المغرب كما يقال، فيكون (أبو حصيرة) سفراديم، ولا يمثل اعتباراً لليهود الاشكنازى.

وإسرائيل الموجودة حالياً كدولة على أرض فلسطين لا تسيطر ولا تمثل إلا الذين فيها، يحملون الجنسية الإسرائيلية بصفتهم رعايا ويطلق عليهم دولياً الإسرائيليون، أيا كانوا، حتى عرب ٤٨ سواء كانوا مسلمين أم مسيحيين، ولابد أن يعرف الجميع أن هناك فرقاً كبيراً بين الإسرائيليين وبين بنى إسرائيل، ولا علاقة بينهما، فالإسرائيليون هم رعايا دولة إسرائيل الحالية، أما بنو إسرائيل فهم أبناء النبى يعقوب الملقب بإسرائيل، وسكان إسرائيل الذين جمعتهم الصهيونية العالمية من كافة أنحاء العالم على اختلاف جنسياتهم وأعراقهم وألوانهم وألسنتهم ليسوا إطلاقا سلالة يعقوب (إسرائيل) النبى.

وعلى هذا الأساس، ليس لإسرائيل أى حق فى (أبو حصيرة)، فهو لم يكن فى يوم من الأيام أيا كانت التفسيرات حول هويته - مواطناً من رعايا دولة إسرائيل.

٢٥ - محافظة الشرقية والمزاعم الإسرائيلية

لم يكن هناك بد من أن أضم إلى كتابى هذا البحث الذى أعده السيد الأستاذ الدكتور/ محمود عمر محمد سليم أستاذ الآثار والحضارة المصرية القديمة بالمعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم جامعة الزقازيق – رداً على ما وصل إلى علمى من بعض أساتذة جامعة الزقازيق – عندما تشرفت بلقائى بهم فى إحدى المناسبات فى أروقة جامعة الزقازيق من أن هناك حفريات ومناطق أثرية فى كل من تل بسطه، وصان الحجر، المجاورتين، لعاصمة محافظة الشرقية – الزقازيق – تهتم بها السفارة الإسرائيلية بالقاهرة على أساس أن هذه الأماكن كانت بها تجمعات يهودية فى العصور القديمة ما قبل ميلاد المسيح عليه السلام حيث كان دين اليهودية هو الدين التوحيدى الوحيد فى الدنيا كما يحدثنا القرآن الكريم عن وجود بنى إسرائيل أى النبى يعقوب وأبنائه وأشهرهم يوسف فى مصر وتحت رعاية ملك مصر إلى أن ولد موسى عليه السلام ونزلت عليه التوراة فى شبه جزيرة سيناء وكان ذلك بداية الديانة اليهودية وأصبح يطلق على المؤمنين من بنى إسرائيل «اليهود» – وهؤلاء اليهود وأبناؤهم وأحفادهم هم غير اليهود الذين يرجع أصلهم إلى قبيلة الخزر فى شرق أوروبا واتخذوا الديانة اليهودية ديناً لهم بعد أن كانوا وثنيين، وهذه حقيقة تاريخية أكدتها المراجع اليهودية وعلى رأسها دائرة المعارف اليهودية، كما أكدها الكتاب اليهود وعلى الأخص الكاتب آرثر كويستلر فى كتابه (القبيلة الثالثة عشر) والذى صدر عام ١٩٧٦ حيث يعترف فيه أن اغلبية يهود شرق ووسط أوروبا ينحدرون من قبائل الخزر وليسوا من بنى إسرائيل الساميين (أبناء النبى يعقوب) كما يؤكد على أن يهود الخزر هم الذين انشأوا دولة إسرائيل وهكذا نشأ جيل آخر من اليهود الأوروبيين، وحالياً وحتى بعد خلق دولة إسرائيل هناك يهود الشرق «السفراديم» ويهود الغرب «الاشكينازى» ولكل طائفة حاخام مستقل يمثلهم.

هذا وأرجو أن يستفيد القارئ العزيز بهذا الملف الذى أضمه إلى كتابى كما جاءنى.:

سيادة السفير/ فتحى محمد الجويلى

تحية طيبة وبعد

سعدت بحديث سيادتكم بمناسبة إعدادكم كتاب عنوانه: «ذكريات سفير»، ويسرنى أن أهنئ سيادتكم بتأليفه، ليضاف إلى تاريخكم المشرف فى العمل الدبلوماسى والفكرى من أجل مصر. وكان استفسار سيادتكم عن دور اليهود فى شرق الدلتا قديمًا، والآثار التى تتصل بهذا فى المواقع الأثرية. وموضوع اليهود تناولته المؤلفات العديدة، ولا أريد أن يطول عرضها بما يبعدنا عن الاختصار وفائدة الوقوف على ما يهم سيادتكم. ولذلك أقدم لسيادتكم جانبا من مقال علمى أعددته فى هذا الموضوع، أرجو أن يفيد سيادتكم.

لا يعرف تاريخ لليهود قبل عهد الخليل عليه السلام – جد يعقوب أو إسرائيل كما يُدعى أحيانًا – والذى زار مصر على أيام الأسرة الثانية عشرة (٩٩١ – ١٧٨٦ ق.م).

ولا يوجد دليل على وجود علاقة لليهود بمصر قديما، ولا ريب أن هذه العلاقة ترجع إلى أيام الهكسوس (١٧٢٥ – ١٥٧٥ ق.م)[1] حين لجأ قوم اليهود إلى أرض

---

(١) أقوام هاجموا مصر فى القرن السابع عشر قبل الميلاد، وفرضوا أنفسهم على البلاد قرابة قرن ونصف، وتركوا اسوأ الذكريات فى نفوس المصريين. وقد جاءوا من آسيا الغربية وهم ينتمون إلى القبائل الهندو أوروبية، إلا أن استقرارهم فى سوريا وفلسطين جعلهم يأخذون بمظاهر الحضارة السامية هناك. والاسم الذى عرفوا به مشتق من اللقب المصرى المعروف منذ الألف الثانى قبل الميلاد: «حقاوخاسوت، ومعناه «حكام البلاد الأجنبية»، وكان يطلقه المصريون على زعماء القبائل البدوية، والتى كانت تتجول فى مناطق سيناء وصحراء النقب. وشيدوا لانفسهم عاصمة فى شرق الدلتا وهى «افاريس»، والتى اختلفت الاراء حول موقعها. وبدوا أنها كانت على مقربة من قنتير وقرية تل الضبعة. انظر: عبد المنعم أبو بكر: الهكسوس، الموسوعة المصرية، تاريخ مصر القديمة وآثارها، المجلد الأول، الجزء الأول، القاهرة بدون تاريخ، ص ٤١٧. وقام الهكسوس بوضع قوة عسكرية مكونة من ٢٤٠ الف جندى مسلح فى افاريس، وقاموا بحرق مدنها ومعابدها، وتعرضت للدمار على أيديهم حتى تمكنوا من اخضاعها، انظر: نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم، ج ١، ١٩٦٠، ٢٣٣، ٢٣٨، ٣٤٢.

انظر: محمود عمر محمد سليم: بوبسطة – تاريخها وتطورها – خلال العصور الفرعونية حتى نهاية عصر الاضمحلال الثانى (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية الآداب جامعة الزقازيق، الزقازيق ١٩٨٤، ص ٧٦.

النيـــل الطيبـــة بعد أن أصيبت أرض كنعان بمجاعة لم تـــترك زرعًا، ولم تبق على ضرع[1]، فلاذوا بمصر طلبا للطعام والأمان.

وآثار الهكسوس فى شرق الدلتا عديدة، منها آثار مهمة تم اكتشافها فى برباست أو تل بســطة[2]، ويستدل من دراسة آثار الهكســوس فى هذه الفترة أنها لم ترتبط بوجود آثار لليهود، ولم تقدم برباســت أى أثر له علاقة لليهود بالمدينة خلال كل عصور تاريخها القديم حتى عصر دخول المســيحية مصر وانتشــارها[3]، وهو ذات الأمــر فى شــرق الدلتا. ممــا يدلل على أنهم لم يقيموا فى هــذه المدينة أو فى مدن الحصون الدفاعية لبوابة مصر الشــرقية، حيث لم يســمح لهم بالإقامة فيها وأنهم كانوا يفضلون الابتعاد عنها كمدينة عسكرية حصينة، لن يجدوا فيها عيشًا.

ولم يتأثر اليهود بطرد الهكسوس وانتصار المصريين عليهم، حيث كانت النتيجة المحتومة لأعداء مصر هى الانحســار، ولم يســتمر وجود الهكسوس وزحفهم حتى مدينة القوطة – شمال أســيوط – بل كانت نهايتهم بتراجعهم من مصر الوســطى حتــى مدينــة الفيوم، ثم خــاض المصريون غمــار الحرب معهم بعــد أن انطلقت

(١) انظر: محمد بيومى مهران: بنو إســرائيل، الجزء الثانى، التاريخ منذ دخولهم فلسطين وحتى الشتات الرومانى فى عام ١٣٥م، الاسكندرية ١٩٩٩، ص ٩٥٧.

(٢) وبرباســت هى تل بســطة الموجودة اطلالها إلى الشــمال الشــرقى من مدينة الزقازيق – عاصمة محافظة الشرقية. واسمها القديم يعنى بيت القطة أو مدينة القطة، حيث كانت من أهم مدن شرق الدلتا الدينية والسياســية والإدارية والاقتصادية منذ الدولة القديم، وإن كانت نشــأتها ترجع إلى عصر ما قبل الاسرات. انظر: محمود عمر محمد سليم: المرجع السابق نفسه، ص ٣٩ – ٦١.

(٣) انظر: محمود عمر محمد سليم: المرجع السابق نفسه. وكذلك: محمود عمر محمد سليم: تاريخ بوبســطة خلال الدول الحديثة الفرعونية، ١٥٥٠ – ١٠٧٥ ق.م (رســالة دكتوراه غير منشــورة) كلية الآداب جامعة الزقازيق، الزقازيق ١٩٨٩.

وانظر كذلك: محمود عمر محمد سليم، معابد باستت وبرباستت، فى العصور الفرعونية فى مجلة: ARCUS, 41996/, Potsdam 1997, 1 – 37.

وانظر: محمود عمر محمد سليم: بئر العائلة المقدسة فى تل بسطة، القاهرة ١٩٩٧.

NAVILLE (E), The historical results of the excavations at Bubastis, a paper read before the Victoria Institute, London 1889; NAVILLE (E), Bubastis (1887 0 1889), London 1891.

إمارة طيبة التى حكمت الجنوب لتبدأ النضال حتى سقطت افاريس، ثم مطاردة المصريين لهم تحت قيادة سقنن رع، الذى سقط فى ميدان المعركة صريعا، وواصل أبناؤه من بعده المقاومة حتى توج أحمس الأول – مؤسس الأسرة الثامنة عشرة – كفاحهم وتم له طردهم ومطاردتهم إلى الشمال الشرقى[1].

وبعد طرد الهكسوس بقى اليهود ينهلون من خيرات مصر وازدهارها بعد أن تحقق النصر لها. غير أنه قد أدرك المصريون ما أدى بهذه القبائل الآسيوية (الهكسوس) احتلال جزء من مصر والإقامة فيها قرنا من الزمن تقريبًا، وما ذاقوه من حلاوة النصر وعزته ومغانمه، وتفتح أنظارهم على ما للمنطقة الشرقية من أهمية باعتبارها مكمن الخطر، فظهرت الروح العسكرية الجديدة التى كانت سمة هامة لتوجيه الحياة خلال الدولة الحديثة، حيث تحول الفلاح المصرى المسالم بطبيعته إلى جندى تملؤه الروح العسكرية ويقوده أشهر الملوك العسكريين على رأسهم أحمس الأول ومن بعده امنوفيس الأول وتحتمس الثالث وامنوفيس الثانى[2].

وبقى اللاجئون اليهود فى مصر فى مطلع الدولة الحديثة حتى فترة الاضطرابات العصبية التى سلط الله فيها فرعون على بنى إسرائيل، وحيث كان ميلاد نبى الله موسى عليه السلام كأصغر أولاد أبيه، لينشأ فى قصر الفرعون، حتى تعرض لمحنة قاسية انتهت به إلى الخروج من مصر وفراره من الفرعون الذى طالبه أهله بأن يأخذ منه القصاص فى قتله المصرى، وبعد أن أدرك موسى عليه السلام أنه مطلوب بدم القتيل وأدرك ألا مظنة من القصاص، فكان الخروج[3].

ويختلف العلماء حول أسباب وتوقيت الخروج، ومن ثم كان الاختلاف حول الملك الذى حدث فى عصره خروج اليهود، فالبعض يرى أنه كان على أيام عهد

---

(١) انظر: محمود عمر محمد سليم: بوبسطة – تاريخها وتطورها – خلال العصور الفرعونية حتى نهاية عصر الاضمحلال الثانى (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية الآداب جامعة الزقازيق، الزقازيق ١٩٨٤، ص ٧٩ – ٨٠.

(٢) انظر: محمود عمر محمد سليم: تاريخ بوبسطة خلال ادلولة الحديثة الفرعونية، ١٥٥٠ – ١٠٧٥ ق.م (رسالة دكتوراه غير منشورة) كلية الآداب جامعة الزقازيق، الزقازيق ١٩٨٩، ص ٢٨٢ – ٢٨٣.

(٣) انظر: محمد بيومى مهران، بنو إسرائيل، الجزء الأول، التاريخ منذ عصر إبراهيم وحتى عصر موسى عليهما السلام، الإسكندرية ١٩٩٩، ص ٢٦١ – ٢٦٦.

(الملك أحمس الأول) (١٥٧٠ – ١٥٤٦ ق.م)، فى حين يرى آخرون أنه كان عهد (الملك تحتمس الثالث) (١٤٦٩ – ١٤٣٦ ق. م)، أو بين وفاة (الملك امنوفيس الرابع، اخناتون) (١٣٧٠ – ١٣٤٩ ق.م) وتوليه (الملك حور محب) (١٤٤٣ – ١٣٠٤ ق.م) العرش، أو على أيام الملك رعمسيس الثانى) (١٢٩٠ – ١٢٢٣ ق.م)[١] أو فى عهد ابنه (الملك مرنبتاح) (١٢٢٣ – ١٢١٣ ق.م)[٢]، وتعددت النظريات حول الخروج[٣].

ولم تنقطع علاقة اليهود بعد ذلك بمصر، وإن اختلفت هذه العلاقة تبعًا لاختلاف وضع فلسطين بالنسبة إلى مصر، فضلا عن علاقة مصر ببقية دول الشرق الأدنى القديم، وأثرت هذه العلاقة على فلسطين، وإن كان الأمر لم يأخذ صورة هجرات يهودية أو تسلل يهودى إلى مصر، إلا بعد الغزو الآشورى لإسرائيل، واستيلاء (سرجون الثانى) على السامرة (فى عام ٧٢٢ أو عام ٧٢١ ق.م)، ثم السبى البابلى (فى عام ٥٨٧ أو ٥٨٦ ق.م)، وما تلا ذلك من تكوين جالية يهودية فى مصر[٤].

وتختلف وجهات النظر حول بداية تكوين الجاليات اليهودية فى مصر بعد الخروج، غير أنها ترجع تكوينها كجنود مرتزقة، فهناك رأى بأن مؤسس الجالية اليهودية فى أليفانتين انما كان من جنود الملك اليهودى (منسى) (٦٨٧ – ٦٤٢ ق. م) الذين التحقوا بجنود الغازى الآشورى (اشوربانيبال) (٦٦٨ – ٦٢٦ ق.م) فى حملته على مصر فى عام ٦٦٧ ق.م ثم بقوا عند الحدود الجنوبية لحمايتها. وهناك رأى آخر أن الحامية اليهودية فى أليفانتين إنما ترجع إلى أيام مؤسس الأسرة السادسة والعشرين (الملك بسماتيك الأول) (٦٦٤ – ٦١٠ ق.م) حيث تذمر المحاربون الليبيون القدامى فى كفاحه ضد الآشوريين وتركوا خدمته، مما دفعه لإقامة حامية عند

(١) انظر: محمد بيومى مهران، المرجع السابق نفسه، ص ٣١٩ – ٤١١.

(٢) انظر: محمد بيومى مهران، بنو إسرائيل، الجزء الثانى، التاريخ منذ دخولهم فلسطين وحتى الشتات الرومانى فى عام ١٣٥م، الاسكندرية ١٩٩٩، ص ٩٥٧.

(٣) عن نظريات دى بوا – ايميه وهنرى بروجش، وبيير مونتيه، وعلى شافعى والاخطار الكبرى فى النظريات المطروحة، انظر: سيد القمنى: النبى موسى وآخر أيام تل العمارنة، الجزء الرابع، القاهرة ١٩٩٩، ٩٦٨ – ١٠٧٠.

(٤) انظر: محمد بيومى مهران: المرجع السابق نفسه، ص ٩٥٧ – ٩٥٨.

اليفانتين بها بعض سكان سوريا وكان منهم الكثير من اليهود[1].

ولم يجد اليهود ملجأ يجتمعون به سوى مصر، التى خرجوا منها يومًا ما، واعتبروا يوم خروجهم منها عيدًا يحتفلون به، بل جعلوه أكبر أعيادهم وهو عيد الفصح، ونظرًا لأن الفرعون المصرى (إبريس) (٥٨٩ - ٥٧٠ ق.م) كان حليفًا للملك اليهودى (صدقيا) (٥٩٧ - ٥٧٠ ق.م) ضد ملك بابل، فلقد فتح الفرعون صدره لليهود، فكانت الهجرة اليهودية إلى مصر. وتُحدثنا المصادر أنه قد أنزل اليهود فى (تل دفنه) (تاخفنحيس التوراة) على بعد خمسة عشر كيلو مترًا من القنطرة الحالية، غير أنه سرعان ما أبعدهم عنها حيث تفرقوا بين تانيس ومنف ودهشور والبهنسا والأشمونين وأبيدوس وطيبة وإدفو واليفانين، ولم يبق فى تل دفنه الاستراتيجية إلا ما انخرط فى سلك الجيش[2].

ومن الطبيعى أن هؤلاء اللاجئين اليهود عندما كانوا يقصدون مصر كانوا يمرون عبر حامياتها التى تراقب المارة أو الجيوش التى تقطع المنطقة، وخاصة عندما تصل إلى مدينة الفرما (بيلوزيوم)[3]، حيث وقفت سيلى (ثارو - مدينة القنطرة حاليًا) - بعد البيلوزيوم - كحصن ونقطة بداية للحملات إلى سوريا، وامتدت منها مجموعة محطات قامت على حراسة حدود البلاد المعرضة للخطر[4]، وكان على كل مسافر أن يتوقف بها للتفتيش، وعليه أن ينتظر فيها حتى يحصل على تصريح أو تصديق لدخول مصر[5].

---

(١) انظر: الآراء المختلفة حول نشأة الجالية اليهودية فى الفنتين: محمد بيومى مهران: المرجع السابق نفسه ص ٩٥٩ - ٩٦٣.

(٢) انظر: محمد بيومى مهران: المرجع السابق نفسه، ص ٩٦٣ - ٩٦٤.

(٣) انظر: أدولف ارمان وهرمان رانكه: مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة، ترجمة ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال، القاهرة ١٩٥٣، ص ٢٨٥. وكذلك انظر: محمود عمر محمد سليم: بوسطة - تاريخها وتطورها - خلال العصور الفرعونية حتى نهاية عصر الاضمحلال الثانى (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية الآداب جامعة الزقازيق، الزقازيق ١٩٨٤، ص ١١٧..

(٤) انظر: احمد فخرى: دراسات فى تاريخ الشرق القديم، ج ٢، القاهرة ١٩٨٠، ص ٢٦٦، ٢٣٧، ٢٤٠. ومحمود عمر محمد سليم: بالمرجع السابق نفسه، ص ١١٧.

(٥) أنظر: KEES (H.): Ancient Egypt a cultural topography. London 1961, pp. 192 - 196.
وكذلك انظر: محمود عمر محمد سليم: المرجع السابق نفسه ص ١١٧..

وكان عبور اليهود سيناء وشرق الدلتا (بوابة مصر الشرقية) عبر طريق حورس الحربى الشمالى قاصدين أرض النيل الطيب لمواجهة المجاعة التى عانوها، ومن ثم فلم يمنعهم المصريون من المرور ولم يعاملوهم معاملة الأعداء، وهذا الطريق سارت عليه جيوش مصر عند ذهابها إلى آسيا، والذى سارت عليه جميع الجيوش التى أتت من تلك البلاد غازية لوادى النيل مثل جيوش آشور وفارس وجيوش الاسكندر الأكبر حتى شهدت جيوش العرب المسلمين الفاتحين لمصر.

وطالما كان يهود الفنتين يقومون بواجباتهم فى خدمة مصر لم يتدخل ملوك العصر الصاوى فى شئون الجالية الداخلية وسمحوا لأفرادها بقسط وافر من الحرية الدينية، وبالرغم من وجود معبد (يهوه) فى الفانتين إلى جانب معبد خنوم فإنه لم يحدث طوال ذلك العصر أى صدام بسبب التعصب الدينى.

ويرى باحثون أن الأمر قد اختلف عندما نسى اليهود لمصر أنها قد أطعمتهم من جوع، وأوتهم من تشرد، وكستهم بعد عرى، فردوا لها الجميل نكرانًا، وكانوا عليها للفرس أعوانًا، وفى حامياتهم جنودا، ولم ينس المصريون أن أعوان الفرس اليوم إنما هم أعوان الهكسوس فى الأمس البعيد، ثم ازدادت الكراهية لهم بعد أن رأوهم بعد طول إقامة فى البلاد خونة وجواسيس ومثار فتن ودسائس، وأذنابًا لأعداء البلاد يعملون على هدم وطنهم واستعباد أهله، والإخلاص للفرس الذين بقوا فى مصر، فانقض المصريون على معابد يهوه ودمروه تمامًا فى عام ٤١٠ ق.م وانطلقوا فى اضطهادهم[1].

وعثر على مجموعة كبيرة من البرديات الأرامية فى منازل بعض أفراد هذه الجالية اليهودية التى كانت تعيش فى الفنتين[2] كحامية عسكرية فى أيام الحكم الفارسى

(١) انظر: محمد بيومى مهران: المرجع السابق نفسه، ص ٩٦٧ – ٩٦٨.

(٢) الفنتين، أو (جزيرة أسوان)، علم على الجزيرة التى أمام مدينة أسوان، وكانت آخر مدن مصر فى الجنوب وحصنا للدفاع عن البلاد ضد أى هجمات من الجنوب، أسمها فى أيام الفراعنة (أبو) ومعناها مدينة (الفيل) ويمكن تفسيره بأنها كانت أما مركزا لتجارة العاج (واسمه بالمصرية القديمة آبو أيضا) وكان يأتى إليها من السودان، أو أن الاسم يشير إلى الفيل الذى كان يعيش فى هذه المنطقة فى عصور ما قبل الاسرات.

انظر: أحمد فخرى: الفنتين، الموسوعة المصرية، تاريخ مصر القديمة وآثارها، المجلد الأول، الجزء الأول، القاهرة بدون تاريخ، ص ١١٦.

فى القرن السادس قبل الميلاد، وكان لهم فيها المعبد اليهودى الذى أحرقه المصريون فى إحدى ثوراتهم على تلك الحامية، حيث عاونت أعداء مصر المستعمر الفارسى، مما كان سببا لقيام أمون حر (٤٠٤ – ٣٩٨ ق.م) بقيادة جولات من المعارك حتى انتصر عام ٤١٠ ق.م على الملك دارا الثانى (داريوس الثانى)، وتم له تطهير البلاد من المستعمر الفارسى والتنكيل بأعوان الفرس من الجاليات اليهودية وخاصة تلك التى سكنت جزيرة الفنتين، وتم تتويج أمون حر ملكا لمصر (عام ٤٠٤ ق.م)[١]، وقد تطور فى عهده النزاع بين اليهود المستوطنين فى جزيرة الفنتين وبين كهنة الإله خنوم، مما نتج عنه تدمير معبد اليهود[٢] كما سبق أن ذكرنا.

وتستمر الجالية اليهودية دون تقدير للموقف الحرج، وكان من نتيجة ذلك أنها قد سارت فى اليفانتين فى طريق الاضمحلال على أيام الأسرة التاسعة والعشرين (٣٩٩ – ٣٨٠ ق.م)، حتى إنه لم يعد هناك يهودى واحد فى الفانتين على أيام الأسرة الثلاثين السمنودية (٣٨٠ – ٢٤٣ ق.م)[٣].

ومن ثم يتضح أن اليهود كلما حزبهم الأمر – سياسيًا أو اقتصاديًا أو عسكريًا – إنما يولون وجوههم شطر مصر، فيجدون عندها دائمًا الآمان والحماية والعيش الكريم، أو يهاجرون إليها للإقامة فيها كما يشير إلى ذلك العهد القديم سواء أكان ذلك فى الأسفار التاريخية أم فى أسفار الأنبياء[٤]، فجاءوا لمصر ليعيشوا على خيراتها وللاستفادة بثقافتها وحضارتها، وانقلبوا على مصر يبحثون عن مصالحهم، فلم يأمن ملوك مصر لوجودهم فى شمالها، ومن ثم فلا توجد لهم آثار فى شرق الدلتا أو فى مصر تؤرخ لدور لهم فى الحضارة المصرية أو رد الجميل إليها، وبقوا يدعون مزاعمهم التى يرمون بها إلى إثبات جزور غير موجودة فى أرض

(١) انظر عبد المنعم أبو بكر: أمون حر: الموسوعة المصرية، تاريخ مصر القديمة وآثارها، المجلد الأول الجزء الأول القاهرة بدون تاريخ ص ١٢٥.

(٢) انظر جاب الله على جاب الله: دارا الثانى الموسوعة المصرية تاريخ مصر القديمة وآثارها، المجلد الأول – الجزء الأول القاهرة ص ٢٣١.

(٣) انظر: محمد بيومى مهران: المرجع السابق نفسه، ص ٩٧٧ – ٩٧٨.

(٤) أنظر: محمد بيومى مهران: المرجع السابق نفسه، ص ٩٥٨.

مصر يسعون بها لتغيير حقائق الحضارة المصرية القديمة.

وتقبلوا سيادتكم وافر التحية والتقدير

الزقازيق فى ٦/ ١٠/ ٢٠٠٦

الاستاذ الدكتور محمود عمر محمد محمد سليم

أستاذ الآثار والحضارة المصرية القديمة

بالمعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم، جامعة الزقازيق

٢٦ - مصر من ملكية إلى جمهورية

فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ – أى بعد عدة أشهر من قيام الجيش المصرى بحركته فى ٢٣ يوليـو ١٩٥٢ – أصدر مجلس قيادة الثورة قراراً بإلغاء الملكية وإعلان جمهورية مصر وبذلك انتهى عهد الملكية فى مصر وأصبحت جمهورية ولعله من المفيد هنا أن نذكر أن هذا الأمل فى إلغاء الملكية وتحقيق الجمهورية كانت له جذور ترجع إلى ما بعد انتهاء الاحتلال البريطانى «الذى بدأ سنة ١٨٨٢» وانتهى بإعلان مصر ملكية مستقلة سنة ١٩٢٣ ولست فى هذه الذكريات مؤرخاً لكفاح الشعب فى سبيل إعلان مصر جمهورية ذلك موضوع يحتاج إلى ذكريات أخرى إلا إنه من المهم الإشـارة إلى إصدار الشـيخ على عبد الرازق كتابه الشهير «الإسلام وأصول الحكم» سنة ١٩٢٥، الذى يهاجم فيه الخلافة أى «الملكية» وقبل ذلك ثورة عرابى الشهيرة.

وتعتـبر الجمهوريـة المصرية هى ثالث الجمهوريات العربية بعد لبنان وسـوريا حيث كانت أول جمهورية عربية قامت فى لبنان ثم تلتها الجمهورية السـورية، وكان ذلك فى عهد الانتداب الفرنسـى وجدد اللبنانيون والسـوريون ولاءهم للنظام الجمهورى بعد أن أصبحت الدولتان مسـتقلتين فى سـنة ١٩٤٣ وتم جلاء القوات الأجنبية عنهما فى سنة ١٩٤٦.

والنظام الملكى الذى ألغى فى مصر هو أقدم نظام من نوعه فقد حكمت مصر أسر مختلفة توالت على العرش. وإذا كانت الأسر الفرعونية مصرية لحماً ودماً فإن الأسـر التى جاءت بعدها وحكمت مصر كلهـا أجنبية بعضها حكم برضا المصريـين وبعضها حكم بالإكـراه وانتهى النظام الملكى نهائيـا فى ١٨ يونيو ١٩٥٣.

ومما يذكر بمناسـبة إعلان الجمهورية فـى مصر أن بعض رفاق سـعد زغلول اقترحوا عليه العمل فى سـبيل إلغاء الملكية وإقامة النظام الجمهورى فرفض وقال إن الوقت لم يحن بعد للإقدام على مثل هذا الانقلاب فى مصر.

منذ هذا القرار الثورى وهو إعلان الجمهورية سنة ١٩٥٣ مر على مصرُ الجمهورية أربع رئاسات – الأولى برئاسة محمد نجيب والثانية برئاسة عبد الناصر والثالثة برئاسة محمد أنور السادات والرابعة برئاسة محمد حسنى مبارك وإن كانت هذه الجمهوريات الأربع لم تسمح الظروف بإمكانية تنافس أى مصرى على الرئاسة إلا أنه فى عهد الرئيس مبارك قد تم تعديل المادة ٧٦ من الدستور عام ٢٠٠٦ وأصبح منصب رئيس الجمهورية يتاح الترشيح له ويمارسه المواطن المصرى فى انتخابات حرة مباشرة وقد تم ذلك فعلاً وبدأت الجمهورية الخامسة بفوز الرئيس مبارك من بين أكثر من مرشح فى الانتخابات التى أجريت مؤخراً وبذلك أصبح الرئيس مبارك أول رئيس لجمهورية مصر رئيساً منتخباً.

كان من المفروض أن يكون يوم ١٨ يونيو من كل عام عيداً وطنياً لجمهورية مصر يتم الاحتفال به رسمياً وشعبياً وفى سفارات مصر فى عواصم العالم باعتبار أنه عيد وطنى لجمهورية مصر تعزف فيه موسيقى النشيد الوطني بلادى.. بلادى.. لك حبى.. وفؤادى، ويكون هذا العيد الوطنى تخليداً لجمهورية مصر حتى يرث الله الأرض ومن عليها. وهذا لم يتم – مع الأسف الشديد – لسببين رئيسيين هما:

أولاً: أنه تصادف فى ١٨ يونيو ١٩٥٤ تم توقيع اتفاقية عرفت باسم اتفاقية الجلاء بين مصر وبريطانيا ونقلت العلاقة بينهما إلى علاقات صداقة وتم الاحتفال بتوقيع هذه الاتفاقية بشكل أنسى الحكومة والشعب أن ١٨ يونيو ١٩٥٤ هو أول ذكرى لإعلان مصر جمهورية ثم جاء عام ١٩٥٦ حيث وقع العدوان الثلاثي على مصر الذى تزعمته بريطانيا وفرنسا وحليفتهما إسرائيل وما نتج عن هذا العدوان من احتلال لشبه جزيرة سيناء ولمدن قناة السويس وبعيداً عن التفاصيل المتعلقة بهذا التاريخ فإن هذا العدوان البريطاني اعتبر سنداً قانونياً دولياً لإلغاء اتفاقية الجلاء من جانب مصر فإذا كانت هذه الاتفاقية ترمز للصداقة بين الطرفين فإن العدوان المسلح لأى طرف من أطرافها على الآخر ينهى الاتفاقية ويلغيها ولقد صدر الإعلان المصرى الرسمى بإلغائها نتيجة العدوان البريطانى الذى أدى أيضاً إلى قطع العلاقات الدبلوماسية بين مصر وبريطانيا ولكن مع الأسف الشديد أن هذا اليوم ١٨ يونيو ١٩٥٤ ظل الاحتفال به عيداً للجلاء كان يتم الاحتفال به على شكل إجازة

رسمية للمصريين ضمن الأعياد الرسمية السنوية المصرية بالرغم من إلغاء الاتفاقية عام ١٩٥٦ واستمر نسيان وتجاهل يوم ١٨ يونيو عيداً وطنياً لإعلان جمهورية مصر منذ عام ١٩٥٣ حتى الآن.

ثانياً: أنه ومنذ عام ١٩٥٣ يتم الاحتفال سنوياً يوم ٢٣ يوليو على قيام الثورة المصرية تحت شعار «الاحتفال بثورة يوليو» أو «الاحتفال بثورة ٢٣ يوليو» أو «الاحتفال بالذكرى السنوية على قيام ثورة ٢٣ يوليو» أو «ذكرى مرور كذا عام على ثورة يوليو» أو «سفارات مصر فى الخارج تقيم الاحتفالات بعيد ثورة يوليو» كل هذا حق ولكن المناسبة المحتفل بها هى قيام ثورة الجيش فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ولم يحدث فى أى شهر يوليو منذ ١٩٥٢ حتى الآن أن وصف الاحتفال بهذه الذكرى أنه عيد وطنى لمصر بل هو تذكير فقط بثورة قام بها جيش مصر ١٩٥٢ ولم يذكر أبداً فى هذه الاحتفالات أن هذه الثورة لها الفضل فى اتخاذ قرار بوجود «جمهورية مصر» وإلغاء «مملكة مصر» وبذلك ألغت شعارات الاحتفال بالثورة على الاحتفال بمصر جمهورية مع أن الثورة لها الفضل فى إعلان الجمهورية!!.

وهكذا كان هذان السببان سحابة أخفت إعلان جمهورية مصر وجعلت هذه الحقيقة الكبرى فى تاريخ مصر فى غاية النسيان للأجيال المصرية الحالية والقادمة.

ولذلك أرجو أن تكون هذه الذكريات فرصة لإعادة الحقيقة حقيقة الجمهورية كعيد وطنى تحتفل به الحكومة والشعب يوم ١٨ يونيو من كل عام وليكن القرار عن طريق رئاسة الجمهورية أو قرار من مجلسى الشعب والشورى أو باستفتاء شعبى أو بكل هذه الإجراءات مجتمعة.

ولا أستطيع أن أختم هذه الذكريات التى أكتبها وأنا فى سن الـ ٧٧ دون أن أضيف ذكريات عندما كان عمرى ١٦ عاماً كنت طالباً فى مدرسة دمنهور الثانوية (١٩٤١ - ١٩٤٦) حيث كنا كطلبة فى طابور الصباح نردد بصوت عالٍ «يعيش فاروق ملك مصر» وتغير هذا بثورة طلابية نردد فيها «معييش فلوس أروح مصر» وكانت «مصر فى ذلك الوقت هي تعبير عن القاهرة»، وهكذا وبالوطنية الصادقة والعميقة قام الطلاب بالمطالبة غير المباشرة بسقوط الملكية ولم تكتشف إدارة المدرسة

آنذاك هذا التعبير الثورى لأن الرتم الموسيقى لهذا الهتاف الوطنى يشبه تماماً الرتم الموسيقي للهتاف الملكى وهكذا فى ذكرياتى يظل الرفض للملكية من شباب فى سن التعليم الثانوى فى قلب الريف المصرى فى مدينة دمنهور وكانت «آنذاك ١٩٤٦» قرية كبيرة.

وفى نهاية هذا الملف عن مصر من ملكية إلى جمهورية من الضرورى أن أرفق صورة القائمة الرسمية التى تعلنها الحكومة مع بداية كل عام عن المواسم والأعياد الرسمية والواضح أن القائمة لا تتضمن أهم حدث فى تاريخ مصر وهو الاحتفال بعيد الجمهورية يوم ١٨ يونية ولقد استمر هذا التجاهل منذ عام ٥٣ حتى ٢٠٠٧ الحالى.

ومن المأمول أن تتضمن قائمة العامة القادم ٢٠٠٨ عيد الجمهورية فى ١٨ يونيه بدلا من عيد الجلاء بناء على ما تم توضيحه.

٢٧ - شرعية قيام دولة عربية على أرض فلسطين

إن ما يجرى بين العرب وإسرائيل منذ مؤتمر مدريد للسلام الذى عقد فى أواخر عـام ٩١ أمر يثير العجب والتعجب! ذلك أن الهـدف من هذه المفاوضات كما هو مأمـول من جانب العرب (فقط) هو موافقة إسـرائيل على قيام دولة عربية باسـم فلسـطين فى الضفة الغربية وقطاع غزة وهذا هو مثـار وموضع العجب والتعجب! وفـى هذا ما فيه من سـخرية الأقدار أن نطالب الـذى اغتصب واحتل الأرض أن يتكـرم ويتنـازل ويوافق على قيام دولة عربية باسـم فلسـطين على جزء من أرض اغتصبها واحتلها بالقوة بحجة أنه – أى المغتصب والمحتل – صاحب الأرض منذ أكثر من ألفى سنة مستنداً إلى وعد إلهى من الرب للشعب المختار!!

والذاكـرة تختزن أن هذا المغتصب وهذا المحتل ظهر إلى الوجود وتمكن بموجب قرار دولى صدر بموافقة من مجموعة دول لا تتعدى ٣٣ دولة من بين ٥٦ دولة كان منهم (١٣ دولة معارضة و١٠ دول ممتنعة) هم أعضاء الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نوفمبر ١٩٤٧ وذلك فيما يعرف بالقرار رقم ١٨١ الذى قرر تقسـيم فلسـطين إلى «دولة يهودية». بدون اسم و «دولة عربية» بدون اسم أيضاً.

وهكذا نجد أن قرار الأمم المتحدة هو الشـرعية الدولية لإنشـاء الدولة اليهودية كما أنه في نفس الوقت هو الشـرعية الدولية لإنشاء دولة عربية فى فلسطين وبذلك لابد أن تكون هذه الشـرعية الدولية هى الأسـاس والسند الوحيد لقيام دولتين على أرض فلسطين.

واسـتناداً إلى هذه الشـرعية قامت فعلاً دولة يهودية باسـم «إسرائيل» وأعلنت رسمياً في مايو ١٩٤٨.

وإذا كانت الدولة العربية على أرض فلسـطين لم توجد منذ صدور قرار التقسـيم وحتـى عامنا هذا عام ٢٠٠٧ فإن ذلك لا يعنـى أن قيام هذه الدولة قد أصبح رهن موافقة الدولة اليهودية التى وجدت استناداً لقرار التقسيم ذاته.

من ناحية هامــة أخرى تعود «الذاكرة» إلى قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة رقــم ١٩٤ فــى ديسـمبر ١٩٤٨ الذى صان حق العــودة للفلســطينيين إلى أرضهم وممتلكاتهم التى أبعدوا عنها نتيجة خلق دولة يهودية وإلزام إســرائيل بقبول حق عودة الفلســطينيين أو تعويضهم إذا لم يعودوا – هذا القرار هو إضافة إلى شــرعية الوجود العربى لفلسطين منذ ذلك التاريخ.

وأخيراً تتذكر «الذاكرة» أن الجمعية العامة للأمم المتحدة قد قررت قبول إسرائيل فــى عضوية الأمم المتحدة وقد أشــارت ديباجة القرار بشــكل محــدد إلى تعهدات إســرائيل بتنفيذ القرارين ١٨١ ، ١٩٤ وهما يمثلان الشــرعية الدولية لوجود دولة عربية على أرض فلسطين.

وإذا كانــت الدولة العربية فى فلســطين لم توجد حتى الآن لأســباب تعود إلى مجموعة من المبادئ والتصرفات التى انبعثت – كما أرى – من قصة النبى سليمان الذى احتكمت إليه امرأتان تتنازعان أمومة طفل فقضى بتقســيم الطفل بينهما فإذا بــالأم الحقيقيــة تلقائياً تتنازل عنــه حفظاً لحياة ابنها وبذلك علم النبى ســليمان الأم الحقيقيــة – أقول: إن تفســير موقف الفلســطينيين والدول العربية المســتقلة الســت آنذاك الرافض لقرار التقســيم ينبعــث فى رأيى كما قلت مــن هذه القصة كما يفســر سلســلة المواقف العربية التى أدت فى النهاية إلى احتلال إسرائيل لكل الأراضى الفلســطينية كما أدت إلى هذا الموقف الشــاذ الذى يقلب الآية من خلال اســتجداء إســرائيل كى توافق على قيام دولة عربية على أرض فلســطين المغتصبة والمحتلة ! ! !

إذا كانت «الذاكرة» تعى كل هذا – والعرب فى مفاوضات مع إســرائيل يأملون الحصول على حق إقامة دولة باسم «فلسطين» على أى جزء أو على أية مساحة من الأرض الفلســطينية تنسحب منها إسرائيل – أقول أن ما هو مختزن فى «الذاكرة» لا يمنــع من الخضوع للأمر الواقع والجلوس مع إســرائيل مــرات ومرات على أن تتفضل وتتكرم بإعطاء الفلســطينيين قطعة أرض ليقام عليها ما يســمى بحكم ذاتى للفلسطينيين دون حق السيادة وتملك الأرض.

كما أن هذه الذكريات ليست دعوة إلى الانسحاب من المفاوضات برعاية الدولة العظمى الوحيدة أمريكا.

أختم هذه الذكريات بقول المتنبى :-

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى

عدواً له ما من صداقته بد

٢٨ - آخر صفحة

وبعد

يبقى سؤال:

* * *هل هذه هى كل ذكرياتى فى ٧٧ عامًا؟

بالقطع لا ! !

فإن كل ثانية من عمر الإنسان لها – وفيها – ذكريات.

والـ ٧٧ عاما تحمل ذكريات مجموع ثوانى العمر وحسابها:

٧٧ سنة × ٣٦٥ يوما × ٢٤ ساعة × ٦٠ دقيقة × ٦٠ ثانية = ٢,٤٢٨,٢٧٢,٠٠٠ ثانية ! !

وقديما قال الشاعر أحمد شوقى:

دقات قلب المرء قائلة له إن الحيـاة دقائـق وثوان

فتحى الجويلى

التعريف بالسفير

فتحى محمد الجويلى

ولـد فـى ٥ مارس (١٩٣٠) بدمنهور محافظة البحيرة. متـزوج وله ثلاثة أبناء. حصـل على بكالوريوس علوم مالية وتجارية من كليـة التجارة جامعة عين شمس (إبراهيم سابقا) – ١٩٥٠ عمل محاسبًا ومراجعًا بجريدة المصرى وشركة الإعلانات المصرية، وشركة شل من (١٩٥٠ – ١٩٥٦)، ثم التحق بالكادر الدبلوماسى بوزارة الخارجية عام (١٩٥٦).

☐ المناصب القيادية لمدة عشر سنوات من ١٩٧٨ إلى ١٩٨٧ :

سفير مصر لدى دولة غانا.

مستشار وزير الإعلام.

نائب مدير الإدارة العربية بوزارة الخارجية.

قائم بأعمال سفارة مصر لدى دولة الكويت.

رئيس بعثة رعاية مصالح مصر لدى دولة قطر.

☐ العمل بسفارات مصر بالخارج لمدة ٢٢ عامًا :

فى الدول الإسلامية (أفغانستان، تركيا) ٥ سنوات.

فى الدول العربية (ليبيا، الجزائر، الكويت، قطر) ٧ سنوات.

فى الدول الأوروبية (بلجيكا) ٤ سنوات.

فى الدول الآسيوية (الصين) سنتين.

فى الدول الإفريقية (غانا) ٤ سنوات

العمل بديوان وزارة الخارجية بالقاهرة ١٢سنة.

مجموع سنوات الخدمة ضمن الكادر الدبلوماسى المصرى ٣٤ سنة

من نوفمبر ١٩٥٦ إلى مارس ١٩٩٠

❑ **عضوية مؤتمرات واجتماعات إقليمية ودولية:**

الجامعة العربية:

عضو وفد مصر فى اجتماعات اللجنة الثقافية بالقاهرة ٦٧ – ١٩٧٠

عضو وفد مصر فى اجتماعات اللجنة الثقافية بالقاهرة ٧٤ – ١٩٧٦

المجموعة الاقتصادية الأوروبية سابقاً:

عضو وفد مصر فى المفاوضات بين مصر والسوق الأوروبية فى بروكسل ٧٠ – ١٩٧٤

عضو وفد مصر فى اجتماعات الحوار العربى الأوروبى بالقاهرة ٧٤ – ١٩٧٦.

❑ **منظمة الدول الأمريكية:**

عضو وفد مصر فى اجتماع المجلس الاقتصادى فى واشنطن ١٩٧٥

❑ **اليونسكو:**

عضو وفد مصر الدورة الاستثنائية الرابعة للمؤتمر العام لليونسكو فى باريس ١٩٨٢

❑ **منظمة الوحدة الإفريقية:**

عضو وفد مصر فى اجتماعات وزراء دفاع إفريقيا فى أكرا ١٩٨٤

عضو وفد مصر فى اجتماعات لجنة التحرير إفريقيا فى أكرا ١٩٨٥

❑ **الكوميكون سابقًا:**

عضو وفد مصر فى المباحثات الاقتصادية مع الاتحاد السوفيتى السابق فى القاهرة ١٩٧٥.

❑ **الاشتراك فى الندوات:**

ندوة جامعة برلين بألمانيا الديمقراطية سابقًا عام ١٩٦٨:

موضوع الندوة «التكامل الاقتصادى بين الدول الاشتراكية».

❑ **ندوة جامعة أوروبا ببلجيكا عام ١٩٧٢:**

موضوع الندوة «التجمع الاقتصادى الأوروبى» – المعروف الآن باتحاد أوروبا.

❑ **ندوة مجلس الوحدة الاقتصادية للجامعة العربية عام ١٩٧٦:**

موضوع الندوة «التخطيط بعيد المدى والتكامل الإقليمى للدول العربية».

❑ **ما بعد التقاعد من ١٩٩٠ – ٢٠٠٧:**

عضو المجلس المصرى للشئون الخارجية.

عضو النادى الدبلوماسى المصرى.

عضو اتحاد كتاب مصر.

عضو فخرى بجمعية المراسلين الأجانب.

عضو مجلس إدارة جمعية الإخاء الدينى.

عضو نادى الأهرام للكتاب.

عضو بجمعيات الصداقة مع مصر.

عضو بمجلس كلية الآداب جامعة الإسكندرية فرع دمنهور سابقًا.

عضو نادى روتارى دمنهور سابقا.

رئيس مجلس إدارة جمعية المحافظة على البيئة بالبحيرة سابقًا.

عضو فى النادى الأهلى/ نادى هليوبوليس بالقاهرة.

عضو فى نادى اليخت ونادى سبورتنج ونادى المنتزة بالإسكندرية

❑ **المؤلفات:**

– الوجه الآخر للدبلوماسية – صادر عن أخبار اليوم عام ١٩٩٥.

– حكايات دبلوماسية ومواقف سياسية – صادر عن دار ابن سينا للنشر عام ١٩٩٨ «أعيد نشره فى الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠٠٧».

❑ **النشاط الإعلامى:**

كاتب مقالات سياسية بالجرائد المصرية (الأهرام – الأخبار – الوفد)

محلل سياسى بقنوات التليفزيون المصرى.

إلقاء عدد من المحاضرات السياسية والدبلوماسية بالجامعات المصرية والمنتديات العامة.

❑ مؤتمرات واجتماعات إقليمية ودولية :

- المشـاركة فى مهرجان (الجنادرية) الثقافى بدعوة مـن الحرس الوطنى بالمملكة العربية السعودية.
- زيارة المملكة العربية السعودية بدعوة من وزير الإعلام السعودى.
- المشاركة فى مهرجان (صلالة) الثقافى بدعوة من وزارة الإعلام بسلطنة عمان.
- زيارة سلطنة عمان بدعوة من وزير الإعلام للتعرف على السلطنة.
- مراقب دولى على انتخابات زيادة فترة رئاسة الجمهورية بأوزبكستان.
- المشـاركة فـى مؤتمـر (إحيـاء ذكرى الأمـير تيمورلنـك) بدعوة مـن حكومة أوزبكستان.
- المشـاركة فـى احتفاليـة محافظـة البحـيرة بمـرور ٢٠٠ عام على اكتشـاف حجر رشيد.

❑ الأوسمة والتقدير:

- وسام من الملك/ بدوان ملك بلجيكا عام ١٩٧٤.
- وسام الجمهورية من الطبقة الثانية عام ١٩٧٨.
- رسالة عرفان وتقدير من وزارة الخارجية عام ١٩٩٠.
- درع محافظة البحيرة عام ١٩٩٩.
- درع ورسالة شكر من مكتبة الإسكندرية عن اهداء جزء المكتبة الخاصة.
- درع ورسـالة الشـكر من مكتبة مجمـع مبارك بدمنهور عن إهـداء جزء المكتبة الخاصة.
- درع كليـة الآداب بدمنهور جامعة الإسـكندرية للجهود فى المشـاركة بمجلس الكلية.

❑ المرجع الرسمى للتعرف بالسفير

الموسـوعة القومية للشخصيات المصرية البارزة الصادرة عن وزارة الإعلام – الهيئة العامة للاستعلامات الطبعة الثانية – الجزء الأول – عام ١٩٩٢ – صفحة رقم ٧٩٠ – رقم المسلسل ٢٥١١.

الفهرس

الصفحة

الإهداء ٣
شكر للمؤلف ٤
مقدمة ٥
طفولتى وصباى ٧
دمنهورى فى القاهرة (الدراسة الجامعية) ١٥
فى الصحافة ٣٤
فى شركة شل ٣٦
أربعة وثلاثون عامًا دبلوماسيًا ٤١
المملكة الليبية أولى خطواتى الدبلوماسية ٥١
مهمة دبلوماسية فى تركيا بلد الخلافة الإسلامية ٥٦
مارسوا الدبلوماسية ولو فى الصين ٧٥
مـن يدخل كابول يبكى ومن يخرج منها يبكـى ٧٩
الدبلوماسية الأوروبية فى العاصمة البلجيكية ٨٦
العمل الدبلوماسى فى بلد المليون شهيد ١٠٧
دبلوماسية غير عادية فى بلاد خليجية ١١٦
وداع الدبلوماسية فى غانا الإفريقية ١٢٦
– موضوعات سياسية ودولية ودبلوماسية متنوعة :
١ – السلاح النووى ١٣٦
٢ – الإسلام ومؤتمرات وبروتوكولات حكماء صهيون ١٤٣
٣ – سور إسرائيل غير العظيم ١٤٨
٤ – بين وعد بلفور ووعد آل بوش اختفت فلسطين ١٥٤
٥ – رسالة الدبلوماسيين الأمريكيين والبريطانيين ١٦١

الصفحة

٦ – إسرائيل ونهر النيل ١٧٢
٧ – وداعًا عرفات ١٧٨
٨ – هنود حمر هذا الزمان ١٨٣
٩ – القرآن الكريم ولغتنا الجميلة حول العالم ١٨٦
١٠ – ولايات الشرق الأوسط المتحدة USME ١٩٤
١١ – هل مجلس الأمن هو حكومة اليهود العالمية؟ ١٩٩
١٢ – دور النكات والمسلسلات والأفلام والمسرحيات مع إسرائيل ٢٠٢
١٣ – إسرائيل منذ عام ١٨٩٧ ..... ٢١٢
١٤ – شيخ الأزهر والحاخام ٢١٩
١٥ – سيناء والسياحة الإسرائيلية ٢٢٤
١٦ – البابا شنودة وإسرائيل ٢٣١
١٧ – إسرائيل دولة اليهود والفاتيكان دولة المسيحية الكاثوليكية ٢٤١
١٨ – في واشنطن تعرف ما هي المنحوتة وما هي الماسونية ٢٤٨
١٩ – معاداة السامية والتفرقة العنصرية الإسرائيلية ٢٥٥
٢٠ – نجمة داود بين الصليب الأحمر والهلال الأحمر ٢٦٣
٢١ – الأسرى المصريون والهولوكوست ٢٦٩
٢٢ – قل يهود مصر ولا تقل المصريين اليهود ٢٧٤
٢٣ – القدس ٢٨١
٢٤ – مولد سيدى أبو حصيرة ٣٠٠
٢٥ – محافظة الشرقية والمزاعم الإسرائيلية ٣١٢
٢٦ – مصر من ملكية إلى جمهورية ٣٢١
٢٧ – شرعية قيام دولة عربية على أرض فلسطين ٣٢٥
آخر صفحة ٣٢٨
التعريف بالسفير ٣٢٩

طبع بمطابع دار المعارف

حوار هادئ مع البابا شنودة الثالث فى النادى الدبلوماسى

حديث هامس بين شيخ الأزهر والبابا شنودة الثالث

اللوحة الوحيدة التى تحمل اسم إسرائيل باللغة المصرية القديمة

مع رئيس وزراء بلجيكا

فى أبو حصيرة

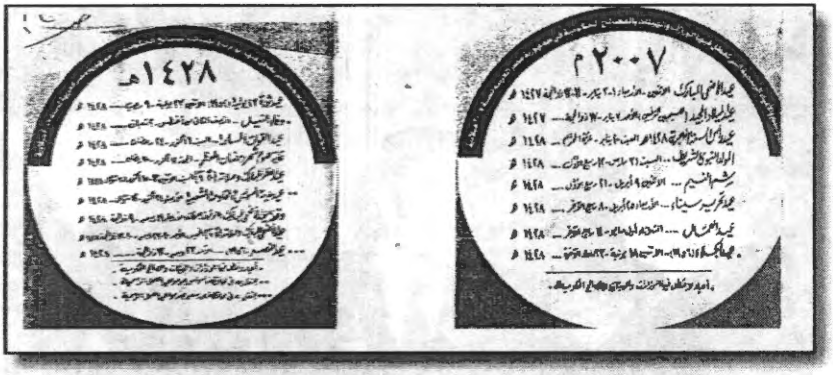

الأعياد التى تعطل فيها الهيئات والمصالح الحكومية
وليس من بينها تحول مصر من ملكية إلى جمهورية

مع رئيس المجلس العسكرى الذى حكم غانا بعد نكروما

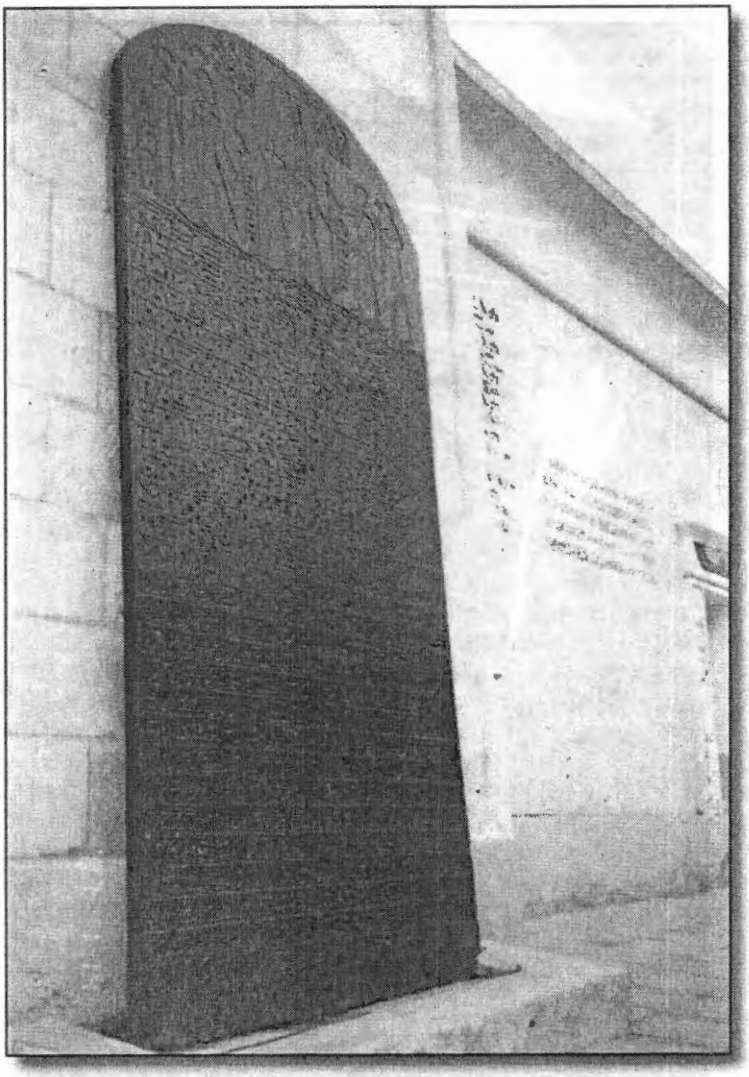

نسخة من لوحة فى المتحف المصرى تعرف باسم لوحة إسرائيل لأنها
اللوحة الوحيدة التى تحمل اسم إسرائيل باللغة المصرية القديمة

مع بطرس غالى

مع الزعيم ياسر عرفات وعناق حار

مع نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية المصرى د. عصمت عبد المجيد

الاحتفال بذكرى مرور ٢٠٠ عام على اكتشاف حجر رشيد
وضرورة رجوعه إلى المتحف المصرى بدلاً من متحف لندن

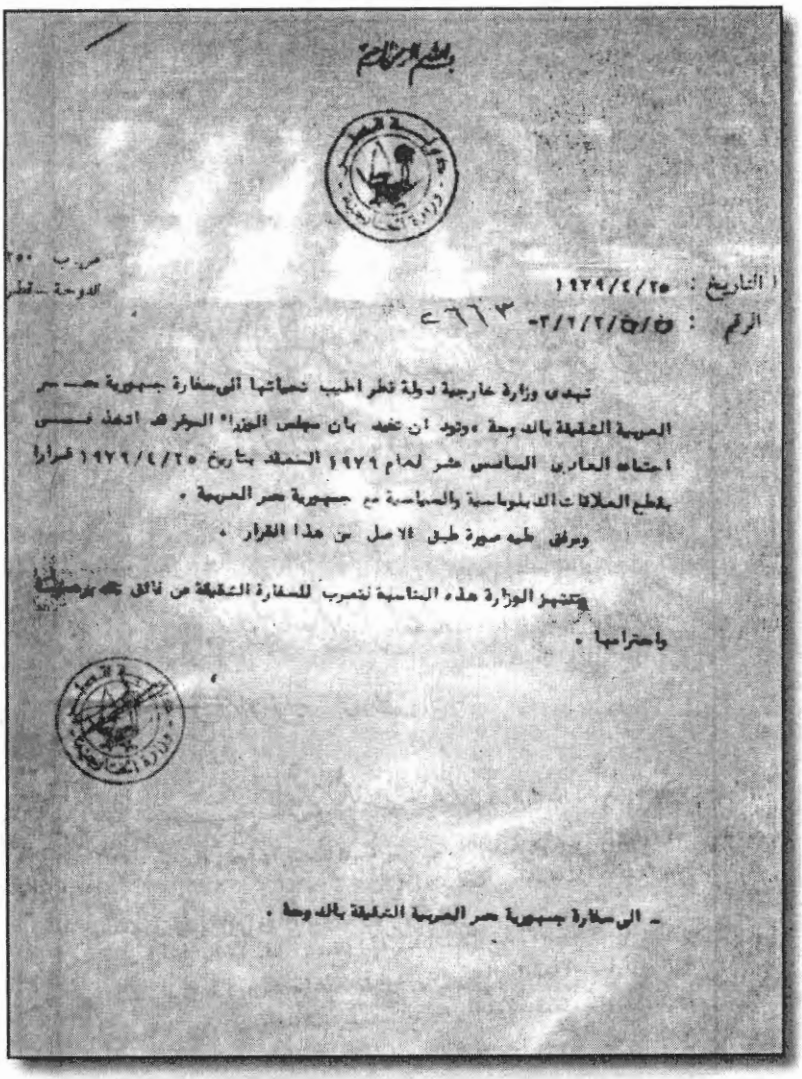

بسم الله الرحمن الرحيم

ص.ب ٢٥٠
الدوحة - قطر

التاريخ : ١٩٧٩/٤/٢٥
الرقم : ٥/٥/٢/٢/٣- ٢٦٦٣

تهدى وزارة خارجية دولة قطر الطيب تحياتها الى سفارة جمهورية مصر العربية الشقيقة بالدوحة ، وتود ان تحيط بان مجلس الوزراء الموقر قد اتخذ فى اجتماعه العادى السادس عشر لعام ١٩٧٩ المنعقد بتاريخ ١٩٧٩/٤/٢٥ قرارا بقطع العلاقات الدبلوماسية والسياسية مع جمهورية مصر العربية .

ومرفق طيه صورة طبق الاصل من هذا القرار .

وتغتنم الوزارة هذه المناسبة لتعرب للسفارة الشقيقة عن فائق [illegible]
واحترامها .

- الى سفارة جمهورية مصر العربية الشقيقة بالدوحة .

صورة من قرار مجلس الوزراء القطرى بقطع العلاقات الدبلوماسية والسياسية مع جمهورية مصر العربية.. بعد توقيع اتفاقية السلام مع إسرائيل

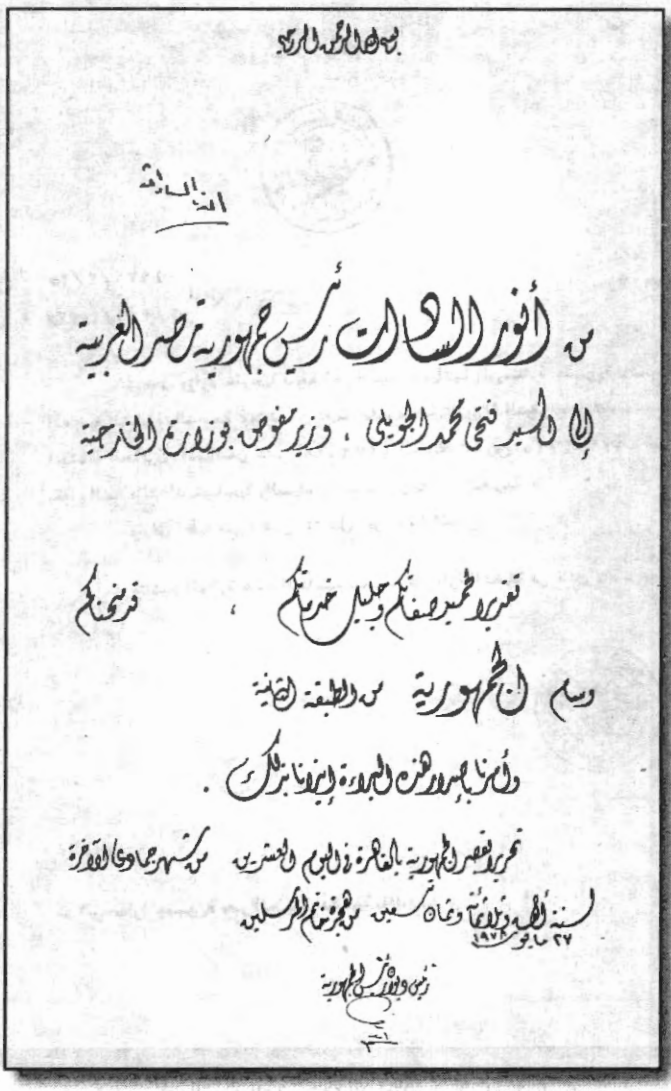

بسم الله الرحمن الرحيم

الله أكبر

نحن أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية

إلى السيد فتحي محمد الديبي ، وزير خارجية جمهورية

تقرير حميد صفاتكم وجليل خصالكم ، قررنا لكم

وسام الجمهورية من الطبقة الثانية

وأمرنا بإصدار هذا القرار وتوقيعه إليكم بذلك .

حرر بقصر الجمهورية بالقاهرة في اليوم العشرين من شهر جمادى الآخرة

سنة ألف وثلاثمائة وثمانين من هجرة خاتم المرسلين

٢٧ نوفمبر ١٩٧٠

رئيس جمهورية مصر العربية

وسام الجمهورية من الطبقة الثانية من الرئيس أنور السادات

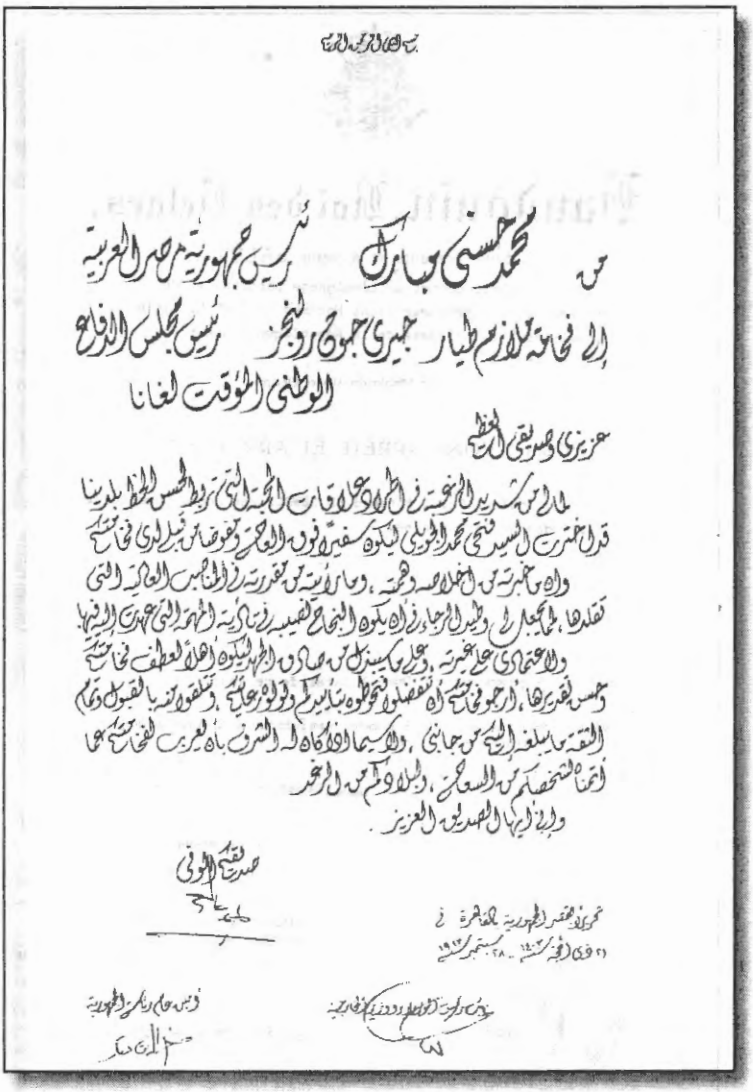

خطاب تفويض من الرئيس محمد حسنى مبارك إلى رئيس مجلس الدفاع الوطنى المؤقت لغانا لاختيار السفير فتحى الجويلى سفيرًا فوق العادة

Baudouin, Roi des Belges,

A tous, présents et à venir, SALUT

Voulant donner un témoignage particulier de Notre bienveillance à Monsieur Fathi Mohamed EL GEWELY, ancien Conseiller à l'Ambassade de la République Arabe d'Egypte à Bruxelles,

Sur la proposition de Notre Ministre des Affaires Etrangères.

NOUS AVONS ARRÊTÉ ET ARRÊTONS :

Article 1. — Monsieur Fathi Mohamed EL GEWELY est nommé Commandeur de l'Ordre de la Couronne.

Article 2. — Il prendra rang dans l'Ordre à dater de ce jour.

Article 3. — Notre Ministre des Affaires étrangères, ayant l'administration de l'Ordre, est chargé de l'exécution du présent arrêté.

Donné à Bruxelles, le 7 novembre 1974.

PAR LE ROI :

Le Ministre des Affaires Etrangères,

(S.)VAN ELSLANDE.

(S.) BAUDOUIN.

POUR COPIE CONFORME :
Le Chef du Protocole,

E. RITTWEGER de MOOR.

وسام للسفير من بلجيكا

مجموعة من الصور توضح مدى الزيف الإسرائيلى حيث تستغل إسرائيل الآثار العربية إسلامية ومسيحية فى الدعاية السياحية لإعطاء انطباع للعالم بأن القدس إسرائيلية

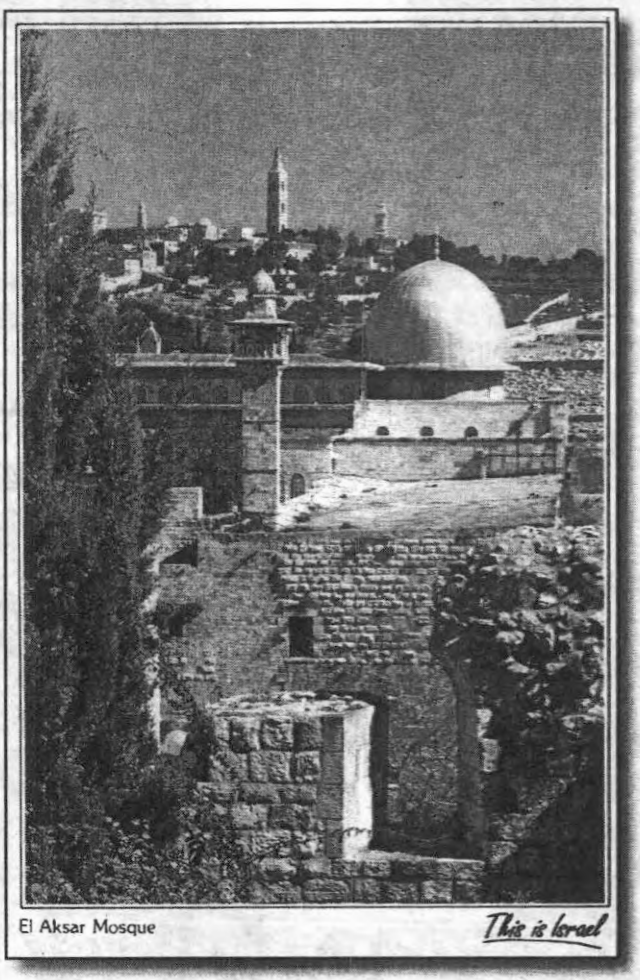

(أ)

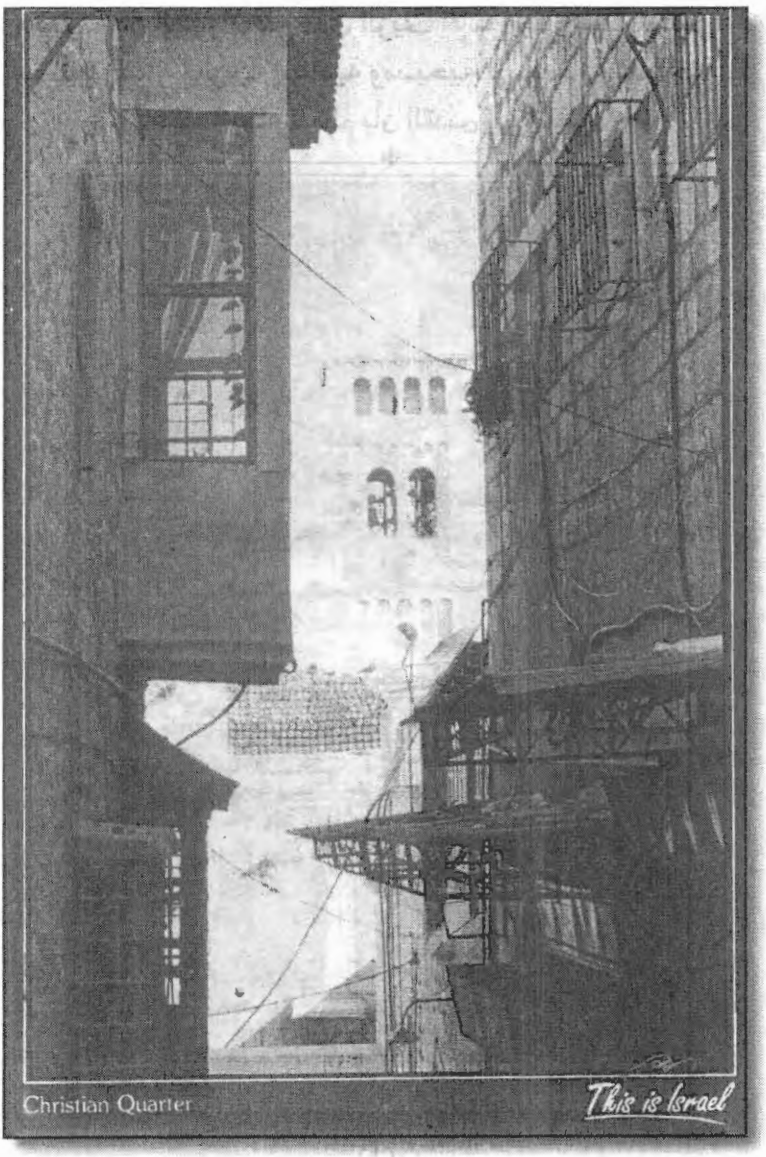

(ب)

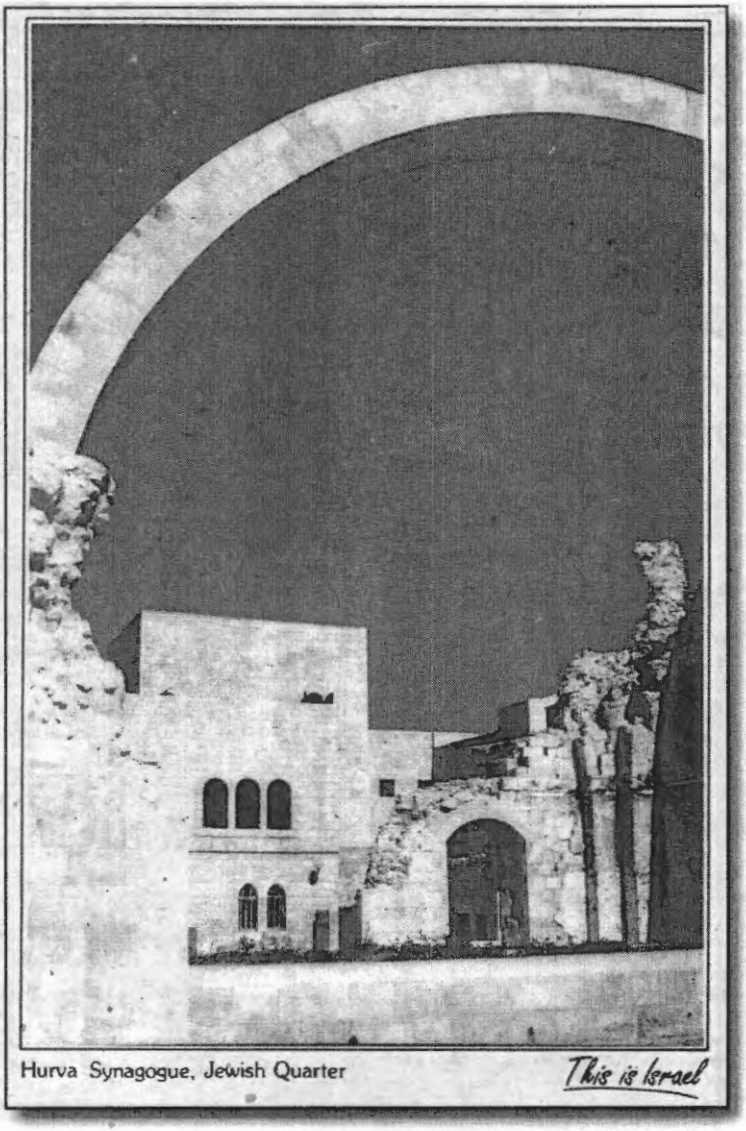
Hurva Synagogue, Jewish Quarter
This is Israel

(⇀)

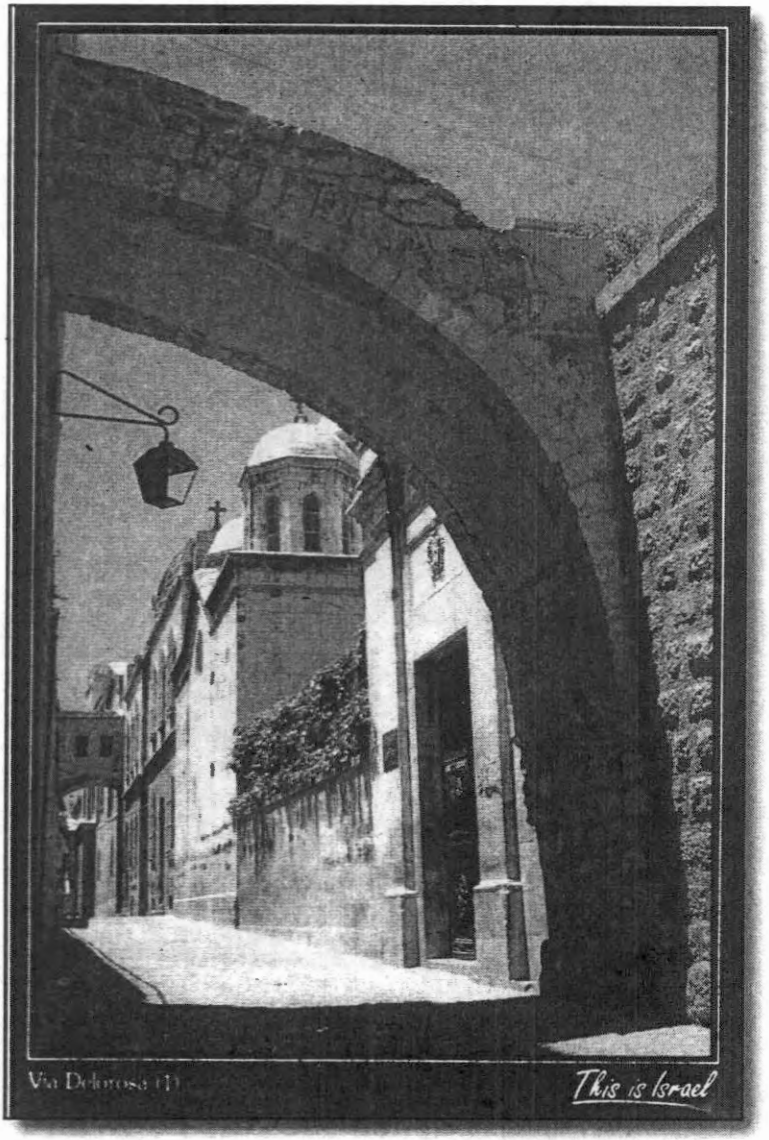

(د)